

مكتبة
عبد السلام محمد هارون

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
٢٥٥ - ١٥٠

رسائل الجاحظ

الجزء الرابع

إقليم الثاني من

الفصول المختارة من كتب الجاحظ

اختيار الإمام عبيد الله بن حستان

[الطبعة الأولى]

١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م

الناشر مكتبة النخاعي بالقاهرة

١١

من كتابه في
الرذائل المشبهة

١ - فصل

من صدر كتابه في الرد على المشبهة^(١)

أما بعد ، فقد اختلف أهل الصلاة في معنى التوحيد ، وإن كانوا قد أجمعوا على انتحال اسمه . فليس يكون كل من انتحل اسم التوحيد موحدًا إذا جعل الواحد ذا أجزاء ، وشبهه بشيء^(٢) ذي أجزاء .

ولو أن زاعماً زعم أن أحداً لا يكون مشبهاً وإن زعم أن الله يرى بالعيون ، ويوجد ببعض الحواس ، حتى يزعم أنه يرى كما يرى الإنسان ، ويدرك كما تدرك الألوان^(٣) كان كمن قال : لا يكون العبد لله مكذباً ، وإن زعم أنه يقول ما لا يفعل ، حتى يزعم أنه يكذب . ولا يكون العبد لله مجوراً^(٤) ، وإن زعم أنه يعذب من لم يعطه^(٥) السبب الذي به ينال طاعته ، حتى يزعم أنه يجور^(٦) .

ولو أن رجلاً قال لفلان : عندي جذر مائة^(٧) ، كان عندنا كقوله :

(١) ب : « المشبه به » ، صوابه في م ، وهذا الكتاب مما سقط من نسخة ط المطبوعة على هامش الكامل . وقد سبق للجاحظ رسالة في هذا المعنى ، هي « نفى التشبيه » ولكنها غير هذا الكتاب ، انظر رسائل الجاحظ ١ : ٢٧٩ - ٣٨٠ . والمقابلة هنا على نسخة التيمورية فقط الرموز لها بالرمز (م) .

(٢) في النسختين : « لشيء » والوجه ما أثبت .

(٣) ب : « كما يدرك الألوان » .

(٤) المجور : الذي ينسب إلى الله الجور ، أي الظلم . وفي النسختين : « مجوراً » برامين ، صوابه ما أثبت .

(٥) في النسختين : « لم يعطيه » ، تحريف .

(٦) في النسختين : « يجوز » . وانظر ما سبق .

(٧) الجذر ، بفتح الجيم وكسرها ، أو بكسرها فقط : أصل الحساب ، كما في القاموس . وفي مفاتيح العلوم ١١٥ عند كلامه على الأثرماطيق : « الجذر كل ما تضربه في نفسه . . . وهو مثل جذر المائة وهو عشرة ، وجذر تسعة وهو ثلاثة ، وجذر أربعة وهو اثنان » . وهذا ما يسمى بالجذر المطلق . أما الجذر الأصم فهو ما لا سبيل إلى علم حقيقته بالعدد . وقد مثل له الخوارزمي بجذر الاثنين ، وجذر الثلاثة ، وجذر العشرة . وفي ب : « جزر » ، صوابه في م .

لفلان عشرة . وكذلك إذا قال : فلان قد ناقضَ في كلامه ، فهو عندنا كقوله : فلان^(١) قد أحالَ في كلامه .

ولو قال : ناقضَ ولم يُجِلْ^(٢) ، له عندى جذر مائة^(٣) وليس له عندى عشرة ؛ كان كالذى يقول : ركبتَ عَيْرًا ولم أركبَ حماراً ، وشربتَ المُدَمَّةَ ولم أشربْ خمرًا .

وللمعانى دلالاتٌ وأسماءٌ ، فمن دلَّ على المعنى بواحدةٍ منها ، وباسمٍ من أسمائها ، لم نسأله أن يوفينا الجميع ؛ وأن يأتى على الكلِّ ، ولم يُلْتَفِتْ إلى مَنْع ممانع ، إذا كان الذى مَنَعَ مثل الذى أعطى .

وقد أنبأ الله عن نفسه ، على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٤) فأقر القومُ بظاهر هذا الكلام ؛ ثم جعلوه فى المعنى يشبه كلَّ شيءٍ^(٥) ، إذ جعلوه جسمًا ، فقد جعلوه مُخَدَّثًا ومخلوقًا ؛ لأنَّ دلالة الحدوث^(٦) ، والشهادة على التدبير ، ثابتان فى الأجسام ، وإنما لزمها ذلك لأنَّهما أجسامٌ^(٧) لا لغير ذلك ؛ لأنَّ الجسم إذا تحرك وسكن ، وعجزَ وقوى ، وبقيَ وفنى ، وزاد ونقص ، ومازجَ الأجسامَ وتخلَّصَ لأنَّه جسمٌ ؛ ولولا أنَّه جسمٌ لاستحالَ ذلك منه ، ولمَّا جاز عليه

(١) ب : « لفلان » ، صوابه فى م .

(٢) لم يجل ، من الإحالة ، وهو الإتيان بالمحال من الكلام ، أى المستحيل . وفى النسختين : « لم يجل » بالخاء المعجمة ، صوابها ما أثبت .

(٣) ب : « جزر مائة » بالزاي ، صوابه فى م . وانظر ما مضى فى الصفحة السابقة .

(٤) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٥) م : « لشيء كل شيء » .

(٦) فى النسختين : « الحدث » .

(٧) ب : « لزمهما ذلك لأنهما أجسام » م : « لزمهما ذلك لأنها أجسام » والوجه ما أثبت .

هذه الأمور التي أوجبتُها الجسميّة^(١) ، [و^(٢)] هي الدالة على حدوث الأجسام . فواجب أن يكون كلُّ جسم كذلك ، إذا كانت الأجسام مستوية في الجسميّة^(٣) ، وإذا كان كلُّ جسم منها أيضاً لزمه ذلك^(٤) . وقد اختلف أصحاب التشبيه في مذاهب التشبيه .

فقال بعضهم : نقول^(٥) : إنه جسمٌ ، وكلُّ جسمٍ طويلٌ . وقال آخرون : نقول^(٦) : إنه جسمٌ ، ولا نقول^(٧) إنه طويلٌ ، لأننا إنما جعلناه جسماً لنُخرجه من باب العدم ؛ إذ كنّا متى أخبرنا عن شيءٍ ، فقد جعلناه معقولا متوهماً ، ولا معقول ولا متوهم إلا الجسم . وليست بنا حاجة إلى أن نجعله طويلاً ، وليس في كونه جسماً إيجابٌ لأن يكون طويلاً . لأن الجسم يكون طويلاً وغير طويل ، كالدور ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك ، ولا يكون الشيء إلا معقولا ، ولا المعقول إلا جسماً . فلذلك جعلناه جسماً ، ولم نجعله طويلاً .

فينبغي - يرحمك الله - لصاحب هذه المقالة : إن لم يجعله طويلاً أن يجعله عريضاً ، وإن لم يجعله عريضاً أن يجعله مدوراً ، وإن لم يجعله مدوراً أن يجعله مثلثاً ، وإن لم يجعله مثلثاً أن يجعله مربعاً . وإن أقرَّ بهيئة من الهيئات فقد دخل فيما كره .

ولا أعلم المدور ، والمثلث ، والمربع ، والمخمس ، والمصلب ، والمزوى^(٨) ، وغير ذلك من الهيئات ، إلا أشنع في اللفظ . وأحقّر في الوهم .

(١) ب : « الجسمة » .

(٢) ليست في النسختين .

(٣) في النسختين : « لزمه ذلك لأنه فقط » ، تحريف .

(٤) في النسختين : « يقول » ، والوجه ما أثبت .

(٥) المروي : ذو الزوايا والأركان . م : « المروي » بالزاي المهملة ، تحريف .

٢ - فصل منه

وقال أصحاب الرؤية : اعتللتم علينا بقول الله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾^(١) ، وقلتم : هذه الآية مبهمّة ، وخرجت مخرج العموم ، والعام غير الخاص .

وقد صدقتم ، كذلك العام إلى أن يخصّه الله بآية أخرى ؛ وذلك أن الله تعالى لو كان قال : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ثم لم يقل : ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ ﴾^(٢) لعلمنا أنه قد استثنى آخره من جميع الأبصار^(٣) .

قالوا : وإنّما ذلك مثل قوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٤) ومثل قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾^(٥) وهذه الأخبار مبهمّة عامّة ، فلما قال : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾^(٦) ولما قال^(٧) ، أيضاً : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾^(٨) علمنا أن القول الثاني قد حصّ القول الأول . وكذلك أيضاً قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ .

(١) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سورة القيامة .

(٣) يقال لقيته أخرة وبأخرة ، بالتحريك فيهما ، أى أخيراً . ب : « آخر » ، صوابه في م .

(٤) الآية ٦٥ من سورة النمل .

(٥) الآية ١٧٩ من آل عمران .

(٦) الآية ٤٩ من سورة هود .

(٧) في النسختين : « ولو قال » ، والوجه ما أثبت .

(٨) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

قلنا للقوم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَالَ : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ^(١) 》 . بعد أَنْ قَالَ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ^(٢) 》 . علمنا أَنَّ ذَلِكَ استثناءٌ لبعضِ ما قَالَ إِنِّي لَا أُطْلِعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ . وهذا الاستثناء لا اختلافَ في لفظه ولا في معناه ، ولا يحتمل ظاهرُ لفظه غير معناه عندنا .

وعندَ خصوصِنا فيه أشدُّ الاختلاف . وظاهر لفظه ^(٣) يحتمل وجهاً آخر غير مذهبوا إليه . والفقهاء وأصحاب التفسير يختلفون في تأويله وهم لا يختلفون في تأويل قوله : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ^(٤) 》 قال : ذكر ابن مَهْدِيٍّ عن سُفْيَانَ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، في قوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ^(٥) 》 أَنَّهُ قَالَ : تنتظر ثَوَابَ رَبِّهَا . وذكر أَبُو معاوية ^(٦) عن إسماعيل ابن أَبِي خَالِدٍ ^(٧) عن أَبِي صَالِحٍ ^(٨)

(١) الآية ٤٩ من سورة هود . وفي النسختين : « ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ » ، تحريف ، فإن تمام هذه : « نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ » . وليست مرادة هنا . وهي الآية ٤٤ من آل عمران .

(٢) الآية ١٧٩ من آل عمران . ولاريب أنها سابقة للآية ٤٩ من هود .

(٣) ب : « وظ لفظه » وهو اختصار كتابي لكلمة « ظاهر » . وفي م : « وظاهر لفظه » كما أثبت .

(٤) الآية ٤٩ من سورة هود .

(٥) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سورة القيامة .

(٦) هو محمد بن خازم التيمي السعدي مولاهم ، أبو معاوية الضرير الكوفي . روى عن عاصم الأحول ، والأعمش ، وداود بن أبي هند ، وإسماعيل بن أبي خالد وغيرهم . وروى عنه ابن جريج ، ويحيى القطان ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم . توفي سنة ١٩٥ . تهذيب التهذيب .

(٧) إسماعيل بن أبي خالد الأحسي ، مولاهم . روى عن أبيه وجمع من الصحابة وكبار التابعين . وعنه شعبة ، والسفيانان ، وابن المبارك وغيرهم . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب .

(٨) هو باذام ، أو باذان ، أبو صالح ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب . روى عن علي وابن عباس وأبي هريرة . وعنه الأعمش ، وسماك بن حرب ، وسفيان الثوري وغيرهم . تهذيب التهذيب .

مثل ذلك . وأبو صالح ومجاهد من كبار أصحاب ابن عباس ، ومن العاملة^(١) ، ومن المتقدمين في التفسير .

فهذا فرق بين .

وبعد ، ففي حُجج العقول أن الله لا يُشبه الخلق بوجه من الوجوه ؛ فإذا كان مرثياً فقد أشبهه في أكثر الوجوه .

وإذا كان قولهم في النظر يحتمل ما قلتم ، وما قال خصمكم . مع موافقة أبي صالح ومجاهد في التأويل ، وكان ذلك أولى بنفي التشبيه الذي قد دل عليه العقل ، ثم القرآن : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢) . - كان التأويل ما قال خصمكم دون ما قلتم .

٣ - فصل منه

ثم رجع الكلام إلى أول المسألة ، حيث جعلنا القرآن بيننا قاضياً ، وأخذناه حاكماً ، فقلنا :

قد رأينا الله استعظم الرؤية استعظماً شديداً ، وغضب على من طلب ذلك وأرادَه ، ثم عذب عليه ، وعجب عباده ممن سألَه ذلك ، وحذَّره أن يسلكوا سبيل الماضين ، فقال في كتابه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾^(٣) .

فإن كان الله تعالى - في الحقيقة - يجوز أن يكون مرثياً ، وببعض الحواس مُدركاً ، وكان ذلك عليه جائزاً ، فالقوم إنما سألوا أمراً

(١) كذا وردت هذه الكلمة في النسختين .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) ١٥٣ من النساء .

ممكناً ، وقد طَمِعُوا في مَطْمَع ، فلمَ غَضِبَ هذا الغضبَ . واستعظم سؤالهم هذا الاستعظام . وضرب به هذا المثل . وجعله غايةً في الجرأة^(١) وفي الاستخفاف بالرُّبُوبِيَّة .

فإن قالوا : لَأَنَّ ذلك^(٢) كان لايجوز في الدنيا ؛ فقدرة^(٣) الله تعالى على ذلك في الدنيا كقدرته عليه في الآخرة .

فإن قالوا : ليس لذلك استعظم سؤالهم ، ولكن لأنهم تقدموا بين يديه .

قلنا : لم صار هذا السؤالُ تقدماً عليه واستخفافاً به ، والشئ الذي طلبوه^(٤) هو مجوزٌ في عقولهم ، وقد أطمعهم فيه أَنْ جَوَّزوه عندهم^(٥) ، والقومُ لم يَسْأَلُوا ظُلماً ولا عَبَثاً ولا مُحَالاً . ومن عادة المسئول^(٦) التفضلُ ، وأنه فاعلٌ ذلك بهم يوماً .

فإن قالوا : إِنَّمَا صار ذلك الطَّلَبُ كُفْراً وَذَنْباً عظيماً^(٧) لَأَنَّهُ قد كان قال لهم^(٨) : إِنِّي لَا أَتَجَلَّى لِأَحَدٍ في الدُّنْيَا .

قلنا : فإن كان^(٩) الأمرُ على ما قلتم لكان في تفسير إنكاره لطلبهم^(١٠) دليلٌ على ما يقولون ، وَلَدِكِرِ تقدمهم بعد البَيَان ، بل قال : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا

(١) ب : « وجهله غاية في الجرأة » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « كَانَ قالوا فإن لأن ذلك » ، صوابه ما أثبت .

(٣) في النسختين : « وقدره » ، ووجهه ما أثبت .

(٤) ب : « الذي هو طلبوه » ، و « هو » مقتحمة .

(٥) م : « إِذْ جَوَّزوه عندهم » .

(٦) في النسختين : « ومن اداة المسئول » ، تحريف .

(٧) ب : « أو ذنباً عظيماً » .

(٨) في النسختين : « فقال لهم » .

(٩) ب : « فلو كان » .

(١٠) في النسختين : « في تفسيره إنكارهم لطلبهم » .

مُوسَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً^(١) ﴿ لا غير ذلك .
فإن قالوا: إِنَّمَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُرى جَهْرَةً .

قلنا : وأى شئ تأويل قول القائل : رَأَيْتُ اللَّهَ جَهْرَةً إِلَّا الْمَعَايِنَةَ ،
أو إعلان المعايينة^(٢) ؛ قال الله عز ذكره : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
مِنَ الْقَوْلِ ﴾^(٣) . والجهر هو الإعلان والرفع والإشاعة ؛ فهل يراه أهل
الجنة - إذا رَفَعَ عَنْهُمْ الْحُجُبَ ، ودخلوا عليه وجلسوا على الكرسي عنده -
إِلَّا جَهْرَةً ؟ كما تأولتم الحديث الذى رويتموه^(٤) عن النبي صلى الله
عليه وسلم : « لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ كَمَا لَا تُضَامُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ »^(٥) ،
إِلَّا أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ سِرًّا ، لَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا السِّرُّ وَالْجَهْرُ ، وليس
إِلَّا الإعلان والإخفاء ، وليس إِلَّا الْمَعَايِنَةَ .

فإن قالوا : نحن لا نقول بالمعايينة ، ونقول : نراه ، ولا نقول
نعاينه .

قلنا : ولم ، وأنتم تروونه بأعينكم ؟ فمن جعل لكم أن تقولوا نراه
بالعين ، ومنعكم أن تقولوا نعاينه بالعين ؟ وهل اشتقت المعايينة إِلَّا من
العين ؟ .

(١) الآية ١٥٣ من النساء .

(٢) فى النسختين : « أو بإعلان المعايينة . »

(٣) الآية ١٤٨ من النساء .

(٤) ب : « رأيتهم » ، صوابه فى م .

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة وفى التفسير والتوحيد ، ومسم فى الصلاة ،
وأبو داود وابن ماجه فى السنة ، والترمذى فى صفة الجنة ، من حديث جرير بن عبد الله . وانظر
الحديث ٥٨ من الألف المختارة واللسان (ضميم) .

فإن قالوا : لا يجوز أن يُلَفَظَ بالمعاينة إلا في الشيء الذي تقع ^(١) عينه على ، وتقع عيني عليه . فأمّا إذا كان أحدنا ذا عين ، والآخر [ليس ^(٢)] ذا عين ، فغير جائز أن تُسمّى ^(٣) الرؤية معاينة ، وإنما المعاينة مثل المخاصمة ؛ ولا يجوز أن أقول : خاصمت إليك وهناك من يخاصمني .

قلنا : قد يقول الناسُ أسلم فلانٌ حين عاينَ السيف ، وليس للسيف عين ، وليس هناك من يقاتله . على أنكم قد تزعمون أن الله عيناً لا كالعيون وبدأ لا كالأبدى ، وله عينٌ بلا كيف ، وسمعٌ بلا كيف .

٤ - فصل منه

وقالت - أيضاً - المشبهة :

الدليل على أنه جسمٌ قوله عزّ ذكره : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ^(٤) 》 . قالوا : فلا يجيء إلا إلى مكانٍ هو فيه ^(٥) ؛ ولو جاز أن يجيء إلى مكانٍ هو فيه جاز أن يخرج منه ^(٦) وهو فيه . فإذا أخبر الله أنه في السموات والأرض ، وقلتم إن الدنيا كلّها لا تخلو منه ، وإنه فيها ، فإذا كان الأمر كذلك ، وكانت الدنيا محدودةً ، كان ^(٧) الذي يكون في بعضها أو في كلّها محدوداً ، إذا كان لم يجاوزها . ولو جاوزها لخرج إلى مكانٍ ، ولا يجوز أن يخرج منها إلا إلى مكان .

(١) م : « يقع » .

(٢) تكلّة يفتقر إليها الكلام .

(٣) في النسختين : « يسمى » .

(٤) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

(٥) في النسختين : « قالوا فلا يجوز إلى مكان هو فيه » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سيأتي .

(٦) ب : « جاز يخرج منه » م : « جاز يخرج منه » ، صوابه ما أثبت .

(٧) في النسختين : « وكان » ، وأنواو مقحمة .

وقالوا : قد أخبر الله أنه في السموات والأرض ، والله لا يخاطب عباده إلا بما يعقلون ، ولو خاطبهم بما لا يعقلون لكان قد كلفهم ما لا يطيقون ، ومن خاطب من لا يفهم بالفهم عنه فقد وضع المخاطبة في غير موضعها . فهذا ما قال القوم .

ونحن نقول : إن الشيء قد يكون في الشيء على وجهه ، وسنذكر لك الوجهة ، ونلحق كل واحد منها بشكله^(١) وبما يجوز فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلنا للقوم : أليس قد خاطب الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، والذين خبر أنهم لا يستطيعون سمعاً ؟

فإن قالوا : إن العرب قد تسمى المتعمى أعمى ، والمتصامم أصم ، ويقولون لمن عمل عمل من لا يعقل : لا يعقل^(٢) ؛ وإنما الكلام محمول على كلام . وذلك أن المتعمى إذا تعامى ، صار في الجهل كالأعمى ، فلما أشبهه من وجهه سمي باسمه .

قلنا : قد صدقتم ؛ ولكن ليس الأصل . والمستعمل في تسميتهم بالعمى إنما هو الذي لا ناظر له . فإذا قالوا ذلك ، قلنا : فلم زعمتم أن له ناظراً ، وأخذتم بالمجاز والتشبيه^(٣) ، وتركتم الأصل الذي هذا الاسم محمول عليه ؟

فإن قالوا : إنما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز على الله تعالى ، والثاني جائز عليه ، والله لا يتكلم بكلام إلا ولذلك الكلام وجهه إما^(٤)

(١) ب : « بكر واحد من شكله » م : « بكر واحد منها بشكله » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب : « ويقولون لمن عمل عمل من لا يعقل . » ، وتكلمته من م .

(٣) ب : « والتشبه » ، صوابه في م .

(٤) ب : « إلا » ، والوجه في م .

أن يكون هو الأصل والمحمول عليه ؛ وإما أن يكون هو الفرع والاشتقاق الذي تسميه العرب مجازاً .

فإذا نظرنا في كلام الله - وهو عندنا عادلٌ غير جائر^(١) ، وهو جلّ جلاله يقول : ﴿ صُمُّكُمْ عُمَىٰ فهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(٢) علمنا أنهم لو كانوا منقوصين غير وافرين ، كانوا قد كلّفوا ما لا يطيقون ، والمكلف لعباده ما لا يطيقون جائرٌ ظالم . فإذا كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين . وإذا كانوا كذلك ، صار الواجب أن نحكم^(٣) بالفرع والمجاز ، ونَدَعِ الأصل والمحمول عليه^(٤) وقلنا : هم عُمَىٰ وَصُمٌّ ولا يعقلون^(٥) على أنهم تعاموا وتصاموا وعملوا عمل من لا يعقل^(٦) .

فإذا قالوا ذلك قلنا لهم : فإننا لم نَعُدْ هذا المذهب في قوله : ﴿ نَاضِرَةٌ ﴾ ، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(٧) وفي قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٨) .

وقد يقولون : جاءنا فلان بنفسه ، ويقولون : جاءنا بولده ، وجاءنا بخير كثير . وذلك على معانٍ مختلفة .

(١) م : « غير جائر » بالزاي ، تحريف .

(٢) الآية ١٧١ من البقرة .

(٣) في النسختين : « يحكم بالفرع والمجاز ويدع الأصل » .

(٤) ب : « والمحمول على المجاز » ، صوابه في م .

(٥) في النسختين : « قلنا هو أعمى وأصم ولا يعقل » مع سقوط كلمة « يعقل » من ب . وأرى الوجه فيها أثبت .

(٦) وعملوا ، ساقطة من ب . (٧) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

(٨) الآية ٣ من سورة الأنعام .

ويقولون : جاعتنا السماء بأمر عظيم ، والسماء في مكانها .
وقد يقولون - أيضاً - : جاعتنا السماء ، وهم إنما يريدون الغيم
الذي يكون به المطر^(١) من شق السماء وناحيتها ووجهها .

(١) به ، ساقطة من ب .

١٢

من كتابه في
مقالة العثمانيّة

١ - فصل

من صدر كتابه في مقالة العثمانية^(١)

زَعَمَتِ الْعُثْمَانِيَّةُ أَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوَّلَاهَا بِالْإِمَامَةِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ . وَكَانَ أَوَّلَ مَا دَلَّهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى فَضِيلَتِهِ ، وَخَاصَّةً مَنْزِلَتِهِ ، وَشِدَّةَ اسْتِحْقَاقِهِ - إِسْلَامُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عَالَمِيهِ وَفِي عَصِرِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَاماً : فَقَالَ قَوْمٌ : أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ . وَقَالَ آخَرُونَ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ . وَقَالَ نَفَرٌ : خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ .

عَلَى أَنَّا إِذَا تَفَقَّدْنَا أَخْبَارَهُمْ ، وَأَحْصَيْنَا أَحَادِيثَهُمْ ، وَعَدَدْنَا رِجَالَهُمْ ، وَصَحَّحْنَا أَسَانِيدَهُمْ ، كَانَ الْخَبَرُ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ أَعْمَ ، وَرِجَالُهُ أَكْثَرَ ، وَإِسْنَادُهُ أَصَحَّ ؛ وَهُوَ بِذَلِكَ أَشْهَرُ ، وَاللَّفْظُ بِهِ أَظْهَرُ . مَعَ الْأَشْعَارِ الصَّحِيحَةِ ، وَالْأَمْثَالِ الْمُسْتَفِيضَةِ ، فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ . وَلَيْسَ بَيْنَ الْأَشْعَارِ وَبَيْنَ الْأَخْبَارِ فَرْقٌ إِذَا امْتَنَعَ فِي مَجِئِهَا وَأَصْلٍ مَخْرَجِهَا التَّشَاعُرُ ، وَالْإِتْفَاقُ وَالتَّوَابُطُ^(٢) .

وَلَكِنَّا نَدْعُ هَذَا الْمَذْهَبَ جَانِباً ، وَنَضْرِبُ عَنْهُ صَفْحاً ، اقْتِدَاراً عَلَى الْحِجَّةِ ، وَثِقَةً بِالْفَلَجِ وَالْقُوَّةِ^(٣) ، وَنَقْتَصِرُ عَلَى أَدْنَى مَنَازِلِ أَبِي بَكْرٍ ،

(١) نشر الكتاب كاملاً بتحقيق في دار الكتاب العربي سنة ١٣٧٤ . ونشر الأستاذ حسن السندوي فصولاً منه مقتبسة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، وهي فصول يشيع فيها الاختصار والاختزال ، بلغ أن أوجزت صفتان منها في نحو ثلاثة أسطر . انظر مقدمتي لكتاب العثمانية ولا سيما ص ١٤ .

وقد سقطت هذه الفصول من مطبوعة هامش الكامل ، فاقترضت المقابلة هنا على نسختي ب ، م ونسختي من العثمانية التي رمزت لها هنا بالرمز (ع) .

(٢) انظر للتشاعر ما مضى في الرسائل ٣ : ٢٤٨ ، ٢٥١ .

(٣) الفلج ، بالفتح : الظفر والفوز .

وَنَنْزِلُ عَلَى حَكْمِ الْخَصْمِ ، مَعَ سَرَفِهِ وَمَيْطِهِ ، فَنَقُولُ ^(١) :

لَمَّا وَجَدْنَا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ خُبَابًا وَزِيدَ أَسْلَمَا قَبْلَهُ ، فَأَوْسَطُ الْأُمُورِ ^(٢)
وَأَعْدَلُهَا وَأَقْرَبُهَا مِنْ مُحَبَّةِ الْجَمِيعِ وَرِضَى الْمَخَالِفِ ، أَنْ نَجْعَلَ ^(٣) إِسْلَامَهُمْ
كَانَ مَعًا ؛ إِذْ ادَّعَوْا ^(٤) أَنَّ الْأَخْبَارَ فِي ذَلِكَ مُتَكَافِئَةٌ ، وَالْآثَارُ مُتَدَاغِفَةٌ ؛
وَلَيْسَ فِي الْأَشْعَارِ دَلَالَةٌ ، وَلَا فِي الْأَمْثَالِ حُجَّةٌ . وَلَمْ يَجِدُوا لِاحْدَى
الْقَضِيَّتَيْنِ أَوَّلًا فِي حُجَّةِ الْعَقْلِ مِنَ الْأُخْرَى .

وَقَالُوا : فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : فَمَا بِالْكُمْ لَمْ تَذْكُرُوا عَلِيًّا فِي هَذِهِ
الطَّبَقَةِ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ كَثْرَةَ مَقْدَمِيهِ وَالرُّوَايَةِ فِيهِ ؟

قُلْنَا : لِأَنَّا قَدْ عَلَّمْنَا بِالْوَجْهِ الصَّحِيحِ ، وَالشَّهَادَةِ الْقَائِمَةِ أَنَّهُ أَسْلَمَ
وَهُوَ حَدَّثَ غَرِيرٌ ، وَلَمْ نَكْذِبِ النَّاقِلِينَ ^(٥) . وَلَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَزْعُمَ أَنَّ
إِسْلَامَهُ كَانَ لِاحِقًا ^(٦) بِإِسْلَامِ الْبَالِغِينَ ؛ لِأَنَّ الْمَقْلَّلَ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ
خَمْسِ سَنِينَ ، وَالْمَكْثَرُ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ ^(٧) ، وَالْقِيَاسُ
يُوجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ بِأَوْسَطِ الرُّوَايَتَيْنِ ، وَبِالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ^(٨) . وَلِإِنَّمَا
يُعْرَفُ حَقُّ ذَلِكَ مِنْ بَاطِلِهِ بِأَنْ تَحْصِيَ سِنِيهِ ^(٩) الَّتِي وَلَّى فِيهَا ، وَسِنَى
عُثْمَانَ ، وَسِنَى أَبِي بَكْرٍ ، وَسِنَى الْمُهْجَرَةِ وَمُقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِمَكَّةَ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رِسَالَتِهِ ، وَإِلَى أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ

(١) الميِّط : الكذب . وفي النسختين : « فيقول » ، صوابه في ع .

(٢) في النسختين : « وأوسط الأمور » ، والوجه من ع .

(٣) في النسختين : « أن نجعل » ، تحريف .

(٤) كلمة « إذ » ساقطة ، وإثباتها من ع .

(٥) في النسختين : « ولم يكذب الناقلين » صوابه في ع .

(٦) في النسختين : « ولم يستطع أن يزعم إن إسلامه كان لاحقاً » ، تحريف ما أثبت من ع .

(٧) ب : « لأن المقلل زعم أنه أسلم وهو ابن تسع سنين » فقط . وإكاله من م و ع .

(٨) في النسختين : « من الأمرين » ، صوابه في ع .

(٩) ب فقط : « سنته » تحريف .

تنظر في أقاويل الناس في عمره ، وفي قول المقلل والمكثر ، فنأخذ بأوسطها^(١) ، وهو أعدلها ، وتطرح قول^(٢) المقتصّر والغالى ، ثم تطرح ما حصل في يديك من أوسط^(٣) ما روى من عمره وسنّيه ، وسنّى عثمان ، وسنّى عمر ، وسنّى أبى بكر ، والهجرة ، ومقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ، إلى وقت إسلامه . فإذا فعلتَ وجدتَ الأمر على ما قلنا ، وكما فسرنا .

وهذه التواريخ والأعمار معروفة ، لا يستطيع أحد جهلها ، والخلاف عليها ، لأنّ الذين نقلوا التاريخ لم يعتمدوا^(٤) تفضيل بعض على بعض ، وليس يمكن ذلك ، مع عللهم وأسبابهم^(٥) . فإذا ثبتَ عندك بالذى أوضحنا وشرحنا ، أنّه كان ابنُ سبع سنين ، أقلّ بسنة وأكثر بسنة^(٦) علمتَ بذلك أنّه لو كان ابنُ أكثر من ذلك بستين وثلاث وأربع ، لا يكون إسلامه إسلامَ المكلف^(٧) العارف بفضيلة مادخل فيه ، ونقصان ماخرج منه .

والناوِيلُ المجمعُ عليه أنّ عليّاً قُتِلَ سنةَ أربعين في رمضان .

وقالوا : وإن قالوا : فلعلّه وهو ابنُ سبع سنينَ وثمانٍ ، فقد بلغَ من فطنته وذكائه ، وصِحّةِ لُبّه ، وصدقِ حسّه^(٨) ، وانكشافِ العواقبِ

(١) ع : « أوسطها » .

(٢) قول ، ساقطة من ب .

(٣) في النسختين : « ما أوسطها » ، صوابه في ع .

(٤) م ، ع : « لم يعتمدوا » .

(٥) ب : « وأسنانهم » م : « وأسنانهم » ، صوابه في ع . وجعلها تيمور في نسخته :

« وأسنادهم » .

(٦) في النسختين : « وأقل سنّيه وأكثر سنّيه » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٧) م : « ولا يكون » والواو مقحمة ، وكلمة « إسلام » ساقطة من النسختين ، وأثبتها

تيمور في نسخته كما في ع .

(٨) في النسختين : « حسنه » ، صوابه في ع .

له ، وإن لم يكن جربُ الأمور ، ولا فاتحَ الرجال ، ولا نازعَ الخصوم .
[أن^(١)] يعرف جميع^(٢) ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به .

قلنا : إنما نتكلم^(٣) على ظاهر الأحكام ، وما شاهدنا عليه طباعَ
الأطفال ، فوجدنا حكم ابن سبع سنين وثمان سنين . وتسع سنين ، حيث
رأيناه وبلغنا خبره - ما لم نعلم مُغيَّب أمره^(٤) . وخاصَّةً طباعه - حكمَ
الأطفال . وليس لنا أن نزيل ظاهر حكمه ، والذي نعرف من شكله بلعلَّ
وعسى ، لأننا كنا لاندرى^(٥) ، لعلَّه قد كان ذا فضيلة في الفطنة ، فلعلَّه
قد كان ذا نقص فيها . أجاب منهم بهذا الجواب من يجوز أن يكون
على في المغيَّب^(٦) قد أسلم إسلام البالغ المختار . غير أن الحكم فيه عنده
على مجرى أمثاله وأشكاله ، الذين إذا اسلموا وهم في مثل سنه ، كان
إسلامهم عن تربية الحاضن ، وتلقين القيم . ورياضة السائس .

فأما علماء العنانية ومتكلموهم . وأهل القدم والرياسة فيهم ،
فإنهم قالوا : إنَّ علياً لو كان ، وهو ابنُ ست سنين ، وثمان سنين . وتسع
سنين ، يعرف فضل^(٧) ما بين الأنبياء والكهنة ، وفرق ما بين الرُّسل
والسَّحرة . وفرق ما بين المنجم والنبي ، وحتى يعرف الحجة من الحيلة ،
وقهر الغلبة من قهر المعرفة ، ويعرف كَيْدَ الأريب ، وبُعْدَ غور المتنبي ،

(١) تكله يفتقر إليها الكلام . وبدلها في ع : « ما يعرف » .

(٢) كلمة « جميع » ساقطة من ب . وفي م بعدها : « ما وجب » .

(٣) ب : « إنما يتكلم به » م : « إنما يتكلم » ، وأثبت ما في ع .

(٤) في النسختين : « ما نعلم مغيَّب أمره » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٥) م فقط : « كما لا ندرى » .

(٦) ب : « على فعل المغيَّب » صوابه في م . ع .

(٧) في النسختين « فضل ، بالفتح المعجمة ، والأوفى أن تكون بالمهمة ، كما في ع .

وكيف يَلْبِسُ على العقلاء^(١) وَيَسْتَمِيلُ عُقُولَ الدَّهْمَاءِ ، ويعرف الممكن^(٢) في الطباع من الممتنع فيها ، وما قد يحدث^(٣) بالاتفاق مما يحدث بالأسباب ، ويعرف أقدارَ القُوى في مبلغ الحيلة ومُنْتَهَى البطش وما لا يحتمل إحداثه إلا الخالق ، وما يجوز على الله ممَّا لا يجوز في توحيده وعدله ، وكيف التحفُّظ من الهوى ، وكيف الاحتراُسُ من تقدُّم الخادع في الحيلة - كان كونه بهذه الحال وهذه الصفة^(٤) ، مع فرط الصِّبا والحدّاث ، وقلة التجارب والممارسة ، خروجاً من نُشوء العادة^(٥) ، والمعروف مما عليه تركيبُ الأُمَّة .

ولو كان على هذه الصِّفة ، ومع هذه الخاصّة ، كان حجةً على العامّة وآيةً تدلُّ على المبانيّة^(٦) . ولم يكن الله تعالى ليخصّه بمثل هذه الآيّة ، وبمثل هذه الأعجوبة إلاّ وهو يريد أن يحتجّ بها له ، ويخبر بها عنه^(٧) ، ويجعلها^(٨) قاطعةً لعذر الشاهد، وحُجّةً الغائب، ولا يُضيعها هَدراً ، ولا يكتمها باطلاً^(٩) .

ولو أراد الاحتجاج له بها^(١٠) شهر أمرها^(١١) وكشف قناعها، وحمل

(١) يقال لبست الأمر على القوم ألبسه لبساً، إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلاً . وفي الكتاب العزيز : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

(٢) في النسختين : « الممكن » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٣) كلمة « ما » ساقطة من النسختين ، ثابتة في ع .

(٤) ب فقط : « العفة » ، تحريف .

(٥) ع : « نشوء العادة » .

(٦) في النسختين : « وأنه يدل على المبانيّة » ، صوابه في ع .

(٧) ب : « أن يحتج لها ويخبر لها عنه » ، صوابه في م ، ع .

(٨) ب : « ويجعلها » ، تحريف .

(٩) ب ، م : « ولا يكتمها باطلاً » . وأثبت ما في ع .

(١٠) ب : « له لها » ، صوابه في م ، ع .

(١١) في النسختين : « شهر بأمرها » ، تحريف .

النفوسَ على معرفتها ، وسَخَّرَ الألسنةَ لنقلها . والأسماعَ لإدراكها ،
لئلا يكونَ لَغْوًا ساقطاً ، ونِسِياً منسياً ؛ لأنَّ الله تعالى لا يبتدعُ أُعجوبةً .
ولا يَخترعُ آيةً ، ولا ينقضُ العادةَ إلَّا للتعريف والإعذار ، والمصلحةِ
والاستبصار . ولولا ذلك لم يكنَ لفعلها معنى ، ولا لرسالته حجة . والله
تبارك اسمه ، تعالى ^(١) أن يتركَ الأمورَ سُدىً ، والتدبيرَ تَشْراً .

وأنتم تزعمون أنه لا يصل أحدٌ إلى معرفة نبيٍّ . وكَذِبَ مُتَنَبِّئٌ ، حتى
تجتمع له هذه المعارفُ التي ذكرنا ، والأسبابُ التي فصلنا .

ولولا أَنَّ الله تعالى أَخْبَرَ عن يحيى بن زكريا أَنَّهُ آتاهُ الحُكْمَ صبيّاً .
وَأَنَّهُ أَنْطَقَ عيسى في المَهْدِ رضيعاً ، ما كانا في الحُكْمِ إلَّا كسائر البشر ^(٢)
فإِذْ لم ينطق لعلُّ [بذلك ^(٣)] ، ولا جاء الخبر به مجيء الحُجَّةِ القاطعةِ
والشَّهادةِ الصَّادقةِ ، فالمعلوم عندنا في الحكم والمُغَيَّبِ جميعاً أَنَّ طِبَاعَهُ
كطباعِ عَمِيهِ العَبَّاسِ وَحَمَزَةٍ . وهما أَمْسٌ ^(٤) بمعدن جميعِ الخيرِ منه ،
وكطباعِ أَخَوَيْهِ جَعْفَرٍ وَعَقِيلٍ . وكطباعِ أَبَوَيْهِ وَرَجَالِ عَصْرِهِ وسادةِ
رهطه .

ولو أَنَّ إنساناً ادَّعى مثلاً ذلك لأخيه جعفرٍ ، أو لعمه حمزة أو
العَبَّاسِ - وهو حلِيمٌ قَرِيشٌ - ما كان عندنا في أمره إلَّا مثلاً ما عندنا فيه .
ولو لم تعلم ^(٥) الرِّوَافِضُ ومنَ يذهب مذهبها في هذا . باطلَ هذه
الدَّعْوَى ، وفسادَ هذا المعنى ، إِذَا صَدَقَتْ نفسها ، ولم تقلدُ رجالها ،

(١) في النسختين : « وتعالى » . والوجه حذف الواو كما سيأتى في ص ٤٢ س ٤ .

ع : « والله يتعالى » .

(٢) ع : « ما كانا في الحكم ولا في المغيب إلا كسائر الرسل » .

(٣) بذلك ، تكلمة من ع .

(٤) في النسختين : « آمنين » ، صوابه من ع .

(٥) في النسختين : « تعمل » ، وجهه ما أثبت . وفي ع : « تعرف » .

وَتَحَفُّظَتْ مِنَ الْهَوَى وَآثَرَتِ التَّقْوَى، إِلَّا بِتَرْكِ عَلَى - رضوان الله عليه -
ذَكَرَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ . وَالْإِحْتِجَاجَ عَلَى خَصْمِهِ وَأَهْلِ دَهْرِهِ ، مُذْ نَازَعَ
الرِّجَالَ ^(١) ، وَخَاصَّ الْأَكْفَاءَ ، وَجَامَعَ أَهْلَ الشُّورَى ، وَلَى وَوَلَى عَلَيْهِ ،
وَالنَّاسَ [بَيْنَ ^(٢)] مَعَانِدٍ يَحْتَاجُ إِلَى التَّقْرِيعِ ، وَمُرْتَادٍ يَحْتَاجُ إِلَى
الْمَادَّةِ ^(٣) ، وَغُفْلٍ يَحْتَاجُ ^(٤) إِلَى أَنْ يُكْثَرَ لَهُ مِنَ الْحِجَّةِ ، وَيُتَابَعَ لَهُ مِنَ
الْأَمَارَاتِ وَالذَّلَالَاتِ ، مَعَ حَاجَةِ الْقَرْنِ الثَّانِي إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ ^(٥) وَمَعْدِنِ
الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ الْحِجَّةَ إِذَا لَمْ تَصَحَّ لَعَلٌّ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَهْلِ دَهْرِهِ ،
فَهِيَ ^(٦) عَنْ وَلَدِهِ أَعْجَزَ ، وَعَنْهُمْ أَوْعَفَ .

ثُمَّ لَمْ يَنْقُلْ نَاقِلٌ وَاحِدٌ أَنَّ عَلِيًّا احْتَجَّ بِذَلِكَ فِي مَوْقِفٍ ، وَلَا ذَكَرَهُ
فِي مَجْلِسٍ ، وَلَا قَامَ بِهِ خُطِيبًا ، وَلَا أَدَلَّى بِهِ وَائِقًا ، وَلَا هَمَسَ بِهِ إِلَى
مُؤَافَقٍ ^(٧) ، وَلَا احْتَجَّ بِهِ عَلَى مُخَالَفٍ ، فَقَدْ ذَكَرَ فُضَائِلَهُ وَفَخَّرَ بِقَرَابَتِهِ
وَسَابِقَتِهِ ، وَكَاثَرَ بِمَحَاسِنِهِ ^(٨) وَمَوَاقِفِهِ مُذْ جَامَعَ الشُّورَى وَنَاضَلَ لَهُمْ ، إِلَى
أَنْ ابْتُلِيَ بِمَسَاوِرَةِ مَعَاوِيَةَ وَطَمَعِهِ فِيهِ ، وَجُلُوسِ أَكْثَرِ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَهْلِيهِ عَنْ عَوْنِهِ . وَالشَّدُّ عَلَى عَصُدِهِ ، كَمَا قَالَ
عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : لَقَدْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرُونَ أَلْفًا مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ، مَاخَفَ فِيهَا مِنْهُمْ عَشْرُونَ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ شَهِدَ الْجَمَلَ مِمَّنْ

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « بَارِع » ، صَوَابُهُ فِي ع .

(٢) التَّكْمِلَةُ مِنْ ع .

(٣) ع : « وَمُرَادُ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِرْشَادِ » .

(٤) الْغُفْلُ ، بِالضَّمِّ : الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « وَعَقْلٌ لَا يَحْتَاجُ » ،

صَوَابُهُ مِنْ ع .

(٥) ب : « لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَوْ الْحَقِّ » م : « لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَوْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ » ، وَهُوَ تَكَرُّارٌ

لَا وَجْهَ لَهُ .

(٦) فِي النُّسخَتَيْنِ : « فَهُوَ » ، وَالصَّوَابُ مِنْ ع .

(٧) هَذَا الصَّوَابُ فِي ع ، وَهُوَ الَّذِي يُلَاقِمُ « مُخَالَفَ » ، وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « مُرَافِقَ » بِالرَّاءِ .

(٨) فِي النُّسخَتَيْنِ : « بِمَحَاسِنِهِ » وَالْوَجْهُ فِي ع .

شهد بدمراً أكثر من أربعة فقد كذب ، كان عليٌّ وعمَّارٌ في شِقِّ ، وطلحةٌ والزُّبير في شِقِّ .

وكيف يجوز عليه ترك الاحتجاج ، وتشجيع الموافق وقد نصب نفسه للخاصة والعامة وللمولى والمُعَادَى^(١) ومن لا يحلُّ له في دينه ترك^(٢) الإعذار إليهم ، إذ كان يرى أنَّ قتالهم كان واجباً ، وقد نصبه الرسول مَفْرَعاً^(٣) ومعلماً ، ونصَّ عليه قائماً ، وجعله للناس إماماً ، وأوجب طاعته ، وجعله حُجَّةً في الناس ، يقوم مقامه .

وأعجب من ذلك أنَّه لم يدع هذا له أحدٌ في دهره كما لم يدعه لنفسه^(٤) ، مع عظيم ما قالوا فيه في عسكره ، وبعد وفاته ، حتى يقول إنسان واحد : إنَّ الدليل على إقامته^(٥) أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - دعاه إلى الإسلام ، فكلفَ التصديق^(٦) قبل بلوغه وإدراكه . ليكون ذلك آيةً له في عصره ، وحُجَّةً له ولولده على من بعده .

وقد كان عليٌّ أعلمَ بالأُمور من أن يدع ذكر أكثر حُججه والذي بانَّ به من شكله ، ويذكر أصغر حُججه ، والذي يشاكله فيه غيره^(٧) . وقد كان في عسكره من لا يألُو^(٨) في الإفراط ، زيادةً في القدر^(٩) .

(١) ع : « وللخاذل والمعادى » .

(٢) ب فقط : « وترك » ، والواو مقحمة :

(٣) مفرعاً : يفرغ إليه عند الحاجة إذا دهم الأمر . وفي النسختين : « مفرعاً » ، صوابه

في ع .

(٤) هذا ما في ع . وفي النسختين : « بنفسه » .

(٥) أى إقامته إماماً . والذي في ع : « إمامته » .

(٦) ب فقط : « فكلفه التصديق » .

(٧) ع : « والذي يشاركه فيه غيره » .

(٨) ب : « يلوا » ، صوابه في م ، ع .

(٩) ع : « من لا يألُو في الإفراط ، ومن يحسب أن الإفراط زيادة في القدر » .

والعجب له - إن كان الأمر على ما ذكرتم - كيف لم يقف يوم
الجمال . أو يوم صفين ، أو يوم النهر^(١) ، في موقف يكون فيه من
عدوه بمراى ومسمع فيقول : « تبا لكم وتعسا ! كيف تقاتلونى »^(٢) ،
وتجحدون فضيلتى ، وقد خُصصْتُ بآية ، حتى كنت كيحيى بن
زكريا ، وعيسى بن مريم « فلا يمتنع الناس من أن يموجوا ، فإذا
ماجوا تكلموا على أقدار علمهم »^(٣) ، وعلمهم مختلفة ، فلا يثبت أمرهم^(٤)
أن يعود إلى فرقة ، فمن ذاك^(٥) قد كان ناسياً ، ومن نازع قد كان
مُصراً^(٦) ، ومن مترنح قد كان غالطاً ، مع ما كان يشيع من الحجة
في الآفاق ، ويستفيض في الأطراف ، وتحمله الركبان ، ويتهادى في
المجالس^(٧) . فهذا كان أشد على طلحة والزبير وعائشة ، ومعاوية ،
وعبد الله بن وهب ، من مائة ألف سنان طير وسيف شهير^(٨) .

ومعلوم عند ذوى التجربة والعارفين بطبائع الأتباع وعلل الأجناد^(٩)
أن العساكر تنتفض مرائرها، وينتشر أمرها، وتنقلب على قائدها^(١٠) بإيسر
من هذه الحجة وأخفى من هذه الشهادة .

(١) يوم النهر أو النهروان : وقعة مشهورة لأمر المؤمنين على بن أبى طالب مع الخوارج
في سنة ٣٧ . انظر خبرها في الطبرى ٥ : ٧٢ - ٩٢ والعقد ٤ : ٣٥١ .

(٢) بحذف إحدى النونين : نون الرفع أو نون الوقاية ، وهو مبحث نحوى .

(٣) ب فقط : « قدر علمهم » .

(٤) ع : « ولا ينشب أمرهم » .

(٥) ب فقط : « فن ذكر » ، تحريف .

(٦) ب فقط : « مضراً » ، تحريف . ونزع عن الأمر : كف ورجع .

(٧) في النسختين : « وتهادى في المجالس » ، تحريف .

(٨) ع : « مشهور » . شهر السيف : سله من غمده .

(٩) في النسختين : « الأحاد » ، صوابه في ع .

(١٠) في النسختين : « ويتقلب » ، صوابه في ع . وفي ب : « على تايدها » ، صوابه في م .
وفى ع : « قادتها » .

وقد علمتم ما صنعت المصاحف في طبائع أصحاب علي رضوان الله عليه ، حين رفعها عمرو أشد ما كان أصحاب علي استبصاراً في قتالهم ، ثم لم ينتقض على علي من أصحابه إلا أهل الجد والنجدة ، وأصحاب البرانس والبصيرة^(١) .

وكما علمت^(٢) من تحول شطر عسكر عبد الله بن وهب حين اعتزلوا مع فروة بن نوفل^(٣) لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار ، والوهن في اليقين .

وهذا الباب أكثر من أن يحتاج - مع ظهوره ، ومعرفة الناس له - إلى أن نحشو به كتابنا^(٤) .

فأما إسلامه وهو حدث غريب ، وصبي صغير ، فهذا ما ندفعه ؛ غير أنه إسلام تأديب وتلقين وتربية . وبين إسلام التكليف والامتحان^(٥) ، وبين التلقين والتربية ، فرق عظيم ، ومحجة واضحة .

وقالت العثمانية : إن قالت الشيع : إن الأمر ليس كما حكيم ولا كما هيأتموه لأنفسكم ، بل نزع أنه قد كانت هنالك في أيام حدائته وصباه فضيلة ومزيد ذكاء^(٦) ، ولم يبلغ الأمر^(٧) حد الأعجوبة والآية ، قلنا : إن

(١) هذا ما في ع . وفي النسختين : « أصحاب المراس » . وانظر المقد ٤ : ٣٥١ ففيه : « إن علياً لما اختلف عليه أهل النهروان والقرى وأصحاب البرانس » . الجوهري : البرنس : قلنسوة طويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام . وانظر لسان العرب (برنس) .

(٢) ع : « وكما علمتم » .

(٣) فروة بن نوفل الأشجعي ، ذكره ابن حبان في الصحابة ثم توقف فيه . وقال ابن شاهين : لاتصح له صحبه . وقال أبو حاتم : إنما الصحبة لأبيه . قال المرزباني : كان رئيس الشراة . الإصابة ٧٠٣٣ .

(٤) هذا ما في ع . وفي النسختين : « نحشو كتابنا » .

(٥) ب فقط : « وبين إسلام التكليف وبين الامتحان » .

(٦) ع : « ومزية ذكاء » .

(٧) في النسختين : ولم يبلغ إلا من ، وهو تحريف واضح ، صوابه في ع .

الذى ذهبتم إليه - أيضاً - لابد فيه من أحد وجهين : إما أن يكون قد كان لا يزال يوجد في الصبيان مثله في الفطنة والذكاء ، وإن كان ذلك عزيزاً قليلاً ، وكان وجود ذلك ممتنعاً ، ومن العادة خارجاً . فإذا كان قد يوجد مثله - على عزته وقلته - فما كان إلا كبعض من نرى اليوم ممن يتعجب من كَيْسِه وفطنته ^(١) ، وحفظه وحكايته ، وسُرعة قبوله ، على صغر سنّه ، وقلة تجربته . فإن كانت حاله هذه الحال ، وطبقته على هذا المثال ، فإننا لم نجد صبياً قط وإن أفرط كَيْسُه ، وحسنت فطنته ، وأعجب به أهله يحتمل ولاية الله وعداوته ، والتمييز بين الأمور التي ذكرنا . مع أنه ما جاءنا ولا جاء عند أحد منا بخبر صادق ، ولا كتاب ناطق ، أنه قد كان لعلّ خاصة ، دون قرين عامة ، في صباه ، من إتقان الأمور ، وصحة المعارف ، وجودة المخارج ، ما لم يكن لأحد من إخوته ، وعمومته وآبائه .

وإن كان القدر الذى كان عليه على من المعرفة والذكاء القدر الذى لا نجد له فيه مثلاً ^(٢) ، ولا رأينا له شكلاً ^(٣) ، فهذا هو البديع الذى يحتج به على المنكرين ^(٤) ، ويُفلج على المعارضين ^(٥) ، ويبيّن ^(٦) للمسترشدين . وهذا باب قد فرغنا منه مرة .

(١) في النسختين : « من كسبه وفطنته » ، والصواب ما أثبت . وفي ع : « من حسه وفطنته » .

(٢) ب : « والذكاء الذى لا يجد له فيه مثيلاً » ، تحريف .

(٣) في النسختين : « ولأن أماله لشكلاً » ، صوابه في ع .

(٤) هذا ما في ع . وفي النسختين : « المنكر » .

(٥) الفلج : الفوز والظفر . وفي النسختين : « يفلح » بالياء المهملة ، صوابه في ع .

(٦) ب : « وتبين » م : « وتبين » ، صوابهما في ع .

ولو كان الأمر في عليٍّ كما يقولون لكان ذلك حجةً للرَّسول في رسالته^(١) ولعلِّي في إمامته^(٢) .

والآية إذا كانت للرَّسول وخليفة الرَّسول كان أشهرَ لها ؛ لأنَّ وضوح أمرِ الرَّسول يزيد^(٣) على ما للإمام ، ويزيده إشراقاً واستنارةً وبياناً . ولا يجوز أن يكون الله تعالى قد عرفَ أهلَ عصرهما ذلك ، وهم الشُّهداء على من بعدهم من القرون ، ثمَّ أسقطَ حجَّته^(٤) . فلا تخلو تلك الحجة ، وتلك الشهادة من ضربين : إما أن تكون^(٥) ضاعَت وضلَّتْ ، وإما أن تكون^(٦) قد قامت وظهرت . فإن كانت قد ضاعت فلعلَّ كثيراً من حُجج الرَّسول قد ضاع . وما جعلَ الباقي أُولَى بالتَّمام من السَّاقطِ ، والسَّاقطُ من شكل الثَّابت ، لأنَّه حُجَّةٌ على شيئين ، والثَّابت حُجَّةٌ على شيء . ولا يخلو أمر السَّاقط من ضربين : إمَّا أن يكون الله - تبارك وتعالى - لم يُردِّ تَمَامَهُ ، أو يكون^(٧) قد أَرادَهُ . وأَيُّ هذين كانَ ، ففساده واضح^(٨) عند قارئ الكتاب ، وإن كانت الآية فيه قد تَمَّتْ ؛ إذ كانت الشهادة قد قامت علينا بها ، كما كانت شهادةُ العيان قائمةً عليهم فيها^(٩) . فليس في الأرض عثمانيٌّ إلَّا وهو يُكابِر عقله ، ويجحد علمه .

(١) في رسالته ، ساقطة من ب .

(٢) هذا ما في ع . وفي النسختين : « في إقامته » .

(٣) هذا ما في ع . وفي النسختين : « يرى » ، تحريف .

(٤) ع : « ثم يسقط حجته » .

(٥) في النسختين : « يكون » ، صوابه في ع .

(٦) م فقط : « يكون » .

(٧) في النسختين : « ويكون » ، صوابه في ع .

(٨) ب فقط : « فسادَه واضح » ، تحريف .

(٩) هذا الصواب من م ، ع . وفي ب : « إذا كانت شهادة العيان قائمة عليهم فيها » ، وهو

نقص وتحريف .

ولعمري . إِنَّا لنجد^(١) في الصُّبيان من لَو لَقْنَتَه^(٢) ، أَوْ كَتَبَتْ لَهُ
أَغْمَضُ المعاني والأطفها ، وَأَغْمَضُ الْحُجَجِ وَأَبْعَدُهَا ، وَأَكْثَرُهَا لَفْظًا وَأَطْوَلُهَا ،
ثُمَّ أَخَذَتْهُ بِدَرْسِهِ وَحِفْظِهِ لِحِفْظِهِ حِفْظًا عَجِيبًا ، وَلِهَذَا ذَلِيقًا^(٣) .
فَأَمَّا معرفة صحيحه من سقيم ، وَحَقُّهُ من باطله ، وَفَضْلُهُ ما بين
المُقَرَّبِ بِهِ والدَّلِيلِ ، والاحتراس من حَيْثُ يُؤْتَى المخدوعون^(٤) ، والتحفُّظُ
من مكر الخادعين ، وتَأْتِي المَجْرُبُ^(٥) ، وَرِفْقُ السَّاحِرِ^(٦) ، وَخِلَابَةُ
الْمُتَنَبِّئِ^(٧) ، وَزَجْرُ الكهان ، وَأَخْبَارُ المنجمين . وَفَرَقَ ما بين نَظْمِ القرآن
وتأليفه ، فليس يعرف فروق النُّظْمِ ، واختلاف البحث والنثر^(٨) إِلَّا
مَنْ عَرَفَ القصيدة من الرِّجْزِ ، والمُخَمْسَ من الأسجاع ، والمزدوج^(٩) من
المنثور ، والخُطْبَ من الرِّسَالِ ، وَحَتَّى يَعْرِفَ الْعَجْزَ العارض الذي يجوز
ارتفاعه ، مِنَ الْعَجْزِ الذي هو صفة في الذات .

فَإِذَا عَرَفَ صُنُوفَ التَّأْلِيفِ عَرَفَ مَبَايِنَةَ نَظْمِ القرآنِ لسائر الكلام
ثم لا يكتفى بذلك حَتَّى يَعْرِفَ عَجْزَهُ وَعَجْزَ أَمْثَالِهِ عن مثله ، وَأَنَّ حُكْمَ
البشرِ حُكْمٌ واحدٌ في العجز الطبيعي ، وَإِنْ تَفَاوُتُوا في العجز العارض .

(١) ب فقط : « لا نجد » ، تحريف .

(٢) ع : « من لو لقنته وسدته » .

(٣) يقال هذ القرآن والحديث هذا : سرده . والذليق : الفصيح . وفي ب : « لهذه
هذا ذليقاً » ، صوابه في م ، ع .

(٤) في النسخين : « من حيث يؤتى المخدوعين » ، صوابه في ع .

(٥) الأصمعي : تأتى فلان لحاجته ، إذا ترفق لها وأتاها من وجهها . وفي النسختين :
« ويأتى المجرَّب » . وفي أصل ع : « وماى المجرَّب » بإهمال التاء من النقط . صوابه ما أثبت .

(٦) في النسختين : « وسحر رفق الساحر » ، صوابه في ع .

(٧) هذا الصواب في ع . وفي النسختين : « المثى » ، تحريف .

(٨) ع : « فروق النظر واختلاف في البحث » .

(٩) ب فقط : « بالذات » .

وهذا مالا يُوجَد عند صبيٍّ ابنِ تسع سنين ، أو ثمان سنين ، أو سبع سنينَ
أبداً ، عَرَفَ ذلك عارفٌ أو جَهِله جاهلٌ .

ولا يجوز أن يعرف عارفٌ معنى الرسالة إلا بعد الفراغ من هذه
الوجوه ، إلا أن يَجْعَلَ جاعِلُ التقليد والنشوء^(١) والإلف لما عليه الآباء ،
وتعظيم الكبراء معرفةً وبقيناً .

وليس بيقينٍ ما اضطرب ، ودَخَله الخلاجُ [عند^(٢)] ورودِ معاني
لعلَّ وعسى ، ممَّا لا يمكن في المعقول^(٣) إلا بحجةٍ تُخرج^(٤) القلبَ إلى
اليقين عن التجويز .

ولقد أعيانا أن نجد هذه المعرفة إلا في الخاص من الرجال وأهل
الكمال في الأدب ؛ فكيف بالطفل الصغير ، والحديث الغرير ! مع أنك
لو أدّرت^(٥) معاني بعض ما وُصِف لك^(٦) على أذكي صبيٍّ في الأرض .
وأسرعه قبولاً وأحسنه حكايةً وبياناً ، وقد سويت له ودلّته^(٧) ، وقربته
منه ، وكفيت مؤونة الروية ، ووحشته الفكرة ، لم يعرف قدره ،
ولا فصل^(٨) حقه من باطله ، ولا فرق بين الدلالة وشبيه الدلالة . فكيف
له بأن يكون^(٩) هو المتوَلَّى لتجربته وحلِّ عقده وتخليص متشابهه^(١٠) ،
واستشارته من معدنه ؟

(١) النشوء ، أى النشوء ، يعنى به أثر المنشأ . وفي النسختين : « البشر » ، صوابه في ع .

(٢) التكلة من ع .

(٣) ع : « في العقول » .

(٤) هذا ما في ع . وفي النسختين : « لحجة تحوج » ، تحريف .

(٥) في النسختين : « أدّرت » ، صوابه في ع .

(٦) ع : « ما وصفت لك » .

(٧) وكذا في ع . ولعلها : « ذلته » ، أى يسهل له تيسيراً .

(٨) في النسختين : « فضل » بالضاد المعجمة ، تحريف .

(٩) ب فقط : « أن يكون » .

(١٠) في النسختين : « وتخليص مشابهه » ، صوابه في ع .

وكلُّ كلامٍ خرج من التعارف فهو رجيحٌ بهرجٌ ، ولغوٌ ساقط .

وقد نجد الصبيَّ الذكيَّ يَعْرِفُ من العُرُوض وجهاً ، ومن النُحُو صدرًا ، ومن الفرائض أبواباً ، ومن الغناء أصواتاً . فأمَّا العلمُ بأصول الأديانِ ، ومَخارجِ المللِ^(١) وتَأويلِ الدينِ ، والتَحْفُظُ من البدعِ ، وقَبْلَ ذلك الكلامُ في حُججِ العقولِ ، والتعديّلِ والتجويزِ^(٢) ، والعلمُ بالأخبارِ وتقديرِ الأشكالِ ، فليس هذا موجوداً إلَّا عند العلماءِ . فأمَّا الحشَوُ والطَّعامُ^(٣) ، فإنَّما هم أداةٌ للقادة ، وجوارحُ للسَّادة^(٤) ؛

وإنَّما يعرفُ شدةَ الكلامِ في أصولِ الأديانِ مَنْ قد صَلَّيَ به ، وسالَ في مضايِقِهِ^(٥) ، وجائى الأضدادَ^(٦) ونازَعَ الأكفَاءَ .

٢ - فصل منه^(٧)

وقد علمتم ماصنع أبو بكر في ماله ، وكان المالُ أربعين ألفاً ، فأنفقَه على نوائبِ الإسلامِ وحُقوقه ، ولم يكن ماله ميراثاً لم يكدِّ فيه ، فهو غزيرٌ^(٨) لا يشعر بعُسُرِ اجتماعه ، وامتناعِ رُجوعه ، ولا كان هبةً

(١) في النسختين : « الملك » ، صوابه في ع .

(٢) في النسختين : « التجويد » ، صوابه في ع .

(٣) الحشو من الناس ، بفتح الحاء ، والحشوة بضمها : الرذال منهم ومن لا يعتمد عليه . ومثله الطعام ، بالفتح .

(٤) أى بمنزلة الجوارح من البدن . وجوارح الإنسان : أعضاؤه وعوامل جسده ، كيديه ورجليه ، لأنهن يخرجن الخير والشر ، أى يكسبته . وفي النسختين : « خوارج » ، صوابه في ع . وسيأتى في أوائل الفصل الرابع : « ومقام العامة من الخاصة مقام جوارح الإنسان من الإنسان » .

(٥) ع : « وسلك في مضايقه » .

(٦) جائاه : جلس معه على ركبتيه للخصومة . وفي النسختين : « وحافى » ، صوابها

بالجيم كما في ع .

(٧) انظر الثمانية ٣٥ .

(٨) في النسختين : « غرير » براءين ، صوابه في ع .

(٣ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

ملك^(١) فيكون أسمح لطبيعته ، وأخرق في إنفاقه^(٢) . بل كان ثمرة كدّه وكسب جَوْلانه وتعرّضه .

ثم^(٣) لم يكن خفيف الظّهر ، قليل النّسل ، قليل العيال ، فيكون قد جمع اليَسَارَيْن ؛ لأنّ المثل الصحيح السَّائِرَ المَعْنَى : « قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ » ، بل كان ذا بنين وبنات وزوجة ، وخدم وحشم ، يَعُولُ^(٤) مع ذلك أبويه وما ولدا . ولم يكن فتى حدثا فتَهَزَّهُ أَرِيحِيَّةُ الشَّباب ، وَغَرَارَةُ الْحَدَاثَةِ . ولم يكن بحداءٍ إِنْفَاقِهِ طَمَعٌ يَدْعُوهُ ، وَلَا رَغْبَةٌ تَحْدُوهُ . ولم يكن للنبيّ صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يدٌ مشهورة فيخاف العار في ترك مواساته ، وإِنْفَاقِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا كَانَ مِنْ رَهْطِهِ دُنْيَا^(٥) فَيَسْبُ بِتَرْكِ مَكَانِفَتِهِ^(٦) ومعاونته وإرفاقه . فكان إِنْفَاقُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي لَا يَجْدُ أَبْلَغَ فِي غَايَةِ الْفَضْلِ مِنْهُ ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى غَايَةِ الْبَصِيرَةِ مِنْهُ^(٧) .

وقد تعلمون ما كان يلقى أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ببطن مكة من المشركين ، وقد تعلمون حُسْنَ صَنِيعِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، كصَنِيعِ حَمْزَةَ حِينَ ضَرَبَ أَبَا جَهْلٍ بِقَوْسِهِ ، فَبَلَغَ فِي هَامَتِهِ ، فِي نَصْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو جَهْلٍ يَوْمَئِذٍ أَمْنَعُ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ^(٨) ، وَهُوَ رَأْسُ الْكُفْرِ .

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « هَيْئَةُ مَلِكٍ » ، وَصَحَّتْهُ فِي ع .

(٢) أَخْرَقَ ، مِنْ الْخَرَقِ ، بِالضَّمِّ وَبِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ ضِدُّ الرِّفْقِ . وَالْخَرَقُ : الْكَرِيمُ السَّخِيُّ ، كَالْخَرَقِ بِالْكَسْرِ . ب : « وَأَحْذَقُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ع .

(٣) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « مِنْ » ، صَوَابُهُ فِي ع .

(٤) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ع . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « يَقُولُ » .

(٥) هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : هُوَ ابْنُ عَمِّ دُنْيَا ، بِكَسْرِ الدَّالِ مَعَ التَّنْوِينِ وَعَدَمِهِ ، وَبِضْمِهَا مَعَ تَرْكِ الصَّرَفِ ، إِذَا كَانَ ابْنُ عَمِّ لِحَاصِلِ النَّسَبِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « دِينَا » ، صَوَابُهُ فِي ع .

(٦) الْمَكَانِفَةُ : الْمَعَاوَنَةُ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « مَكَاتِبَتُهُ » ، تَحْرِيفٌ مَا فِي ع .

(٧) ب ، م : « وَلَا أَدَلَّ عَلَيْهِ » ، صَوَابُهُ فِي ع . وَفِي ب : « الصَّبْرَةُ مِنْهُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ع . لَكِنْ فِي ع : « غَايَةُ الصَّدْقِ وَالْبَصِيرَةِ مِنْهُ » .

(٨) ب ، ع : « أَمْنَعُ الْبَطْحَاءِ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي م . وَبَطْحَاءُ مَكَّةَ وَأَبْطَحَاءُ : مَسِيلٌ وَادِيهَا . وَقَرِيشُ الْبَطْحَاءِ : الَّذِينَ يَزِلُّونَ الْبَطْحَاءَ . وَقَرِيشُ الظُّوَاهِرِ : الَّذِينَ يَزِلُّونَ مَا حَوْلَ مَكَّةَ .

ثُمَّ صَنِيعَ عُمَرَ حَيْثُ يَقُولُ يَوْمَ أَسْلَمَ : « وَاللَّهِ لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سِرًّا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ » ، حَتَّى قَالَ بَعْدَ مَوْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : « وَمَا صَلَّيْنَا ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ » .

٣ - فصل منه^(١)

ولو كان في ذلك الزمان القتال ممكناً ، والوثوب مطمئناً ، لقاتل أبوبكرٍ ونهض كما نهض في الردة^(٢) ، وإنما قاتل عليٌّ في الزمان الذي قد أقرن فيه أهل الإسلام لأهل الشرك^(٣) ، وطمعوا أن تكون الحرب سجالاً ، وقد أعلمهم الله أن العاقبة للمتقين ، وأبو بكر مفتون مفرد^(٤) ومطروود مشرد^(٥) ومضروب معذب^(٦) ، في الزمان الذي ليس بالإسلام^(٧) وأهله نهوض ولا حركة ، ولذلك قال أبو بكر رضى الله عنه : « طوبى لمن مات في نائنة الإسلام » ، يقول : في أيام ضعفه وقيلته ، بحيث كانت الطاعة أعظم لفرط الامتحان ، والبلاء أغلظ لشدة الجهد ، لأن الاحتمال كلما كان أشد وأدوم ، كانت الطاعة أفضل ، والعزم فيه أقوى .

ولا سواء مفتون مشرد لا حيلة عنده ، ومضروب معذب لا انتصار به ، ولا دفع عنه ، ومباطش مقرر^(٨) يشقى غيظه ، ويروى غليله ، وله مقدم يكنفه ويشجعه .

(١) انظر العثمانية ص ٣٩ .

(٢) في النسختين : « كما نقض في الردة » ، صوابه في ع .

(٣) يقال أقرن له ، أى أطاقه وقدر عليه ، كما يقال أقرنت فلاناً : صرت له قرناً .

(٤) في النسختين : « مفتون معذب » .

(٥) ب : « مشروب » وفي م : « مشرود » ، صوابهما في ع .

(٦) في النسختين : « مغرب » ، صوابه في ع . وانظر ما سيأتى في السطر ١٤ .

(٧) م فقط : « في الإسلام » .

(٨) المباطشة - مفاعلة من البطش ، وهو السطوة والأخذ بالعنف . والمقرن : المطبق

القادر . وفي النسختين : « مفرق » ، صوابه في ع .

ولا سواء مَقْهُورٌ لا يُغَاث . ولم يَنْزِلِ القرآنُ بعد بظْفَرِهِ . وقد
هَتَكَ اليأسُ ^(١) لما ألقى حجابَ قلبه ^(٢) ونَقَضَ ^(٣) قوى طمعه حتى بقي
وليس معه إلا احتسابه ؛ ومقاتلٌ في عسكره معه عزُّ الرجال ، وقُوَّةُ
الطَّمَعِ ، وطيب نفسٍ الآمل .

٤ - فصل منه ^(٤)

وإن سأل سائل فقال : هل عليَّ النَّاسُ أَنْ يتَّخذوا إماماً ، وأن
يُقيموا خليفة ؟

قيل لهم : إن قولكم «النَّاسُ» يحتمل الخاصَّة والعامة . فإن كنتم قصدتم
إليهما ، ولم تَفْصِلوا بين حالِيهما ، فإننا نزعُ أَنَّ العامة لا تعرفُ معنى
الإمامة ، وتأويلَ الخلافة ، ولا تفصل بين ^(٥) فضل وجودها ونقص
عدمها ، ولأى شيء ارتدَّت ^(٦) ، ولأى أمر أملت ، وكيف مأتاها والسبيلُ
إليها ، بل هي مع كلِّ ريحٍ تهبُّ ، وناشئة تنجم . ولعلها بالمُبْطِلين
أقرُّ عيناً منها بالمَحِقِّين ، وإنما العامة أداة للخاصَّة تبتذلها للمِهْنِ ،
وتُزجى لها الأمور ^(٧) ، وتَصُولُ بها على العدو ، وتسُدُّ بها الثغور .

ومَقَامُ العامة من الخاصَّة مقام جوارح الإنسان من الإنسان ، فإنَّ
الإنسان إذا فُكِّرَ أَبْصَرَ ، وإذا أَبْصَرَ عَزَمَ ، وإذا عَزَمَ تحرَّك أو سكن .
وهما بالجوارح دون القلب .

(١) في النسختين : « الناس » ، صوابه في ع .

(٢) ألقى : وجد . وفي ع : « لَطُول ما لقي حجاب قلبه » .

(٣) في النسختين : « وبعض » صوابه في ع .

(٤) كتاب العُمانية ص ٢٥٠ .

(٥) في النسختين : « من » ، صوابه في ع .

(٦) في النسختين : « أردت » ، صوابه في ع .

(٧) ع : « بها الأمور » .

وكما أنَّ الجوارحَ لا تعرفُ قَصْدَ النفسِ ، ولا تروى في الأمور ، ولم يخرجها ذلك من الطاعة للعزم ، فكذلك العامة ، لا تعرف قصد القادة^(١) ولا تدبير الخاصة ، ولا تروى معها^(٢) ، وليس يخرجها ذلك من عزمها ، وما أبرمت من تدبيرها .

والجوارحُ والعوامُ ، وإن كانت مسخرة ومدبرة - فقد تمتنع لعل تدخلها ، وأمور تصرفها ، وأسباب تنقضها^(٣) ، كاليد يعرض لها الفالجُ واللسان يعتره الخرس ، فلا تقدر^(٤) النفس على تسديدهما وتقويتهما ، ولو اشتد عزمها ، وحسن تأنيها^(٥) ورفقها . وكذلك العامة عند نفورها وتهيجها^(٦) ، وغلبة الهوى والسُّخف عليها ، وإن حسن تدبير الخاصة ، وتعهد الساسة^(٧) . غير أنَّ معصية الجارحة أيسر ضرراً^(٨) ، وأهون أمراً ، لأنَّ العامة إذا انتكثت للخاصة^(٩) ، وتنكرت للقادة ، وتشزنت على الرضاة^(١٠) ، كان البوار الذي لا حيلة له ، والفناء الذي لا بقاء معه .

وصلاح الدنيا ، وتام النعمة في تدبير الخاصة وطاعة العامة ، كما أنَّ كمال المنفعة وتام درك الحاجة بصواب قصد النفس^(١١) ؛ [لأنَّ

(١) في النسختين : « ولا تعرف قصد العامة » تحريف ؛ والواو فيه مقحمة ، والصواب في ع .

(٢) في النسختين : « ولا يروى معها » ، ووجهه من ع .

(٣) في النسختين : « لعل يدخلها وأمور يصرفها وأسباب ينقصها » ، صوابها في ع .

(٤) ب فقط : « يقدر » ، تحريف .

(٥) ب فقط : « تأنيها » ، محرف .

(٦) في النسختين : « عند ثبورها » ، صوابه في ع . وفي ع : « وتهيجها » .

(٧) في النسختين : « السياسة » ، والصواب في ع .

(٨) في النسختين : « طوراً » صوابه في ع .

(٩) في النسختين وع : « انكثت بالخاصة » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(١٠) التشرن : التصعب وعدم الانقياد . والراضة : جمع رائض ، وهو السائس . وفي

النسختين : « تشربت »

(١١) ب فقط : « تصواب قصد النفس »

النَّفْسَ [١] لو أدركت كلُّ بُغْيَةٍ ، وأوفت على كلِّ غَايَةٍ ، وفتحت كلَّ مُستغلقٍ ، واستثارت كلَّ دفينٍ (٨) ، ثمَّ لم يُطعها (٣) اللسانُ بحسن العبارة واليدُ بحسن الكتابة (٤) ، كان [وجودُ (٥)] ذلك المستنبط - وإنَّ جلَّ قدره - وعَدْمُهُ سواءً .

فالخاصَّةُ تحتاج إلى العامَّةِ كحاجة العامَّةِ إلى الخاصَّةِ ، وكذلك القلب والجراحة ، وإنَّما همُ جندٌ للدَّفعِ (٦) ، وسلاحٌ للقطعِ ، وكالثُّرسُ للرأى ، والفأسُ للنَّجارِ . وليس مُضَيٌّ سيفٌ صارمٌ بكفٍّ امرئٍ صارمٍ ، بأمضى من شجاعٍ أطلع أميره ، وقَلَّدَ إمامه .

وما كَلَبُ أَشْلَاهُ رَبَّهُ ، وأَحْمَشُهُ كَلَّابُهُ (٧) ، بأفراطٍ نَزَقاً ولا أَسْرَعَ تقدُّماً ، ولا أَشَدَّ تَهَوُّراً من جنديٍّ أَغْرَاهُ طَمَعُهُ ، وصاح به قائده .

وليس في الأعمالِ أَقلُّ من الاختيارِ ، ولا في الاختيارِ أَقلُّ من الصَّوابِ ، فلبابُ (٨) كلِّ عملٍ اختياره ، وصَفْوَةُ كلِّ اختيارٍ صوابه . ومع كثرة الاختيارِ يكثر الصوابُ ، وأكثر النَّاسِ اختياراً أَكثرُهم صواباً ، وأكثرهم أَسْبَاباً (٩) مُوجِبَهُ أَقلُّهم اختياراً ، وأَقْلُهُم اختياراً أَقلُّهم صواباً .

(١) التكلة من ع .

(٢) استثارته : حاجته واستخرجته . وفي النسختين : « واستثارت » ، صوابه في ع .

(٣) ب فقط : ثمَّ لم يطعها ، تحريف .

(٤) ب فقط : « لحسن الكتابة » ، محرف .

(٥) التكلة من ع .

(٦) هم ، ساقطة من م . وفي ع : « وإنَّما العامة جند للدفع » .

(٧) ع : « أحشه » بالشين المعجمة ، أى حرصه .

(٨) ب : « فلباب » م : « فليأت » ، صوابهما في ع .

(٩) ب . « أساباً » ، صوابه في م ، ع .

فإن قالوا : فقد ينبغى للعوام أن لا يكونوا مأمورين ولا منهيين ،
ولا عاصين ولا مطيعين .

قيل لهم : أما فيما يعرفون فقد يعصون ويطيعون .

فإن قالوا : فما الأمر الذى يعرفون من الأمر الذى يجهلون ؟ .

قيل لهم : أما الذى يعرفون ، فالتنزيل^(١) المجرد بغير تأويله ،
وجملة الشريعة بغيرها^(٢) ، وما جَلَّ من الخبر واستفاد^(٣) ، وكثر
ترداده على الأسماع ، وكرّره على الأفهام .

وأما الذى يجهلون فتأويل المنزل وتفسير المجمل ، وغامض السنن
التي حملتها الخواص عن الخواص ، من حملة الأثر وطلاب الخبر مما
يُتكلّف معرفته ، ويتّبع^(٤) فى مواضعه ، ولا يهجم^(٥) على طالبه ، ولا
يقهر سمع القاعد عنه .

والخير خبران : خبر ليس للخاصة فيه فضل على العامة ، وهو
كما سنّ الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحلال والحرام ، وأبواب القضاء
والطلاق ، والمناسك ، والبيوع ، والأشربة ، والكفارات ، وأشباه ذلك .

وباب آخر يجهله العوام ، ويخبط فيه الحشّو ولا تشعّر بعجزها^(٦)
ولا موضع دأبها^(٧) . ومتى جرى سببه ، أو ظهر شيء منه تسنمت

(١) فى النسختين : « كالتنزيل » ، صوابه فى ع .

(٢) ب « تفسيره » ، صوابه فى م ، ع .

(٣) ب فقط : « واستفاد » ، تحريف .

(٤) ع : « ويتّبع » .

(٥) ب فقط : « ولا يهجم » .

(٦) هذا ما فى ع . وفى النسختين : « بسرّها » .

(٧) ب فقط : « دأبها » ، تحريف .

أعلاه . وركبت حَوْمته ^(١) . كالكلام ^(٢) في الله . وفي التشبيه . والوعد . والوعيد ؛ لأنها قد عجزت ^(٣) عن دعوى الفتيا ، ولا تنهافت فيها . ولا تنسكع ^(٤) فيما لا يُعرف منها ، ولا تتوحش من الكلام في التعديل والتجوير ^(٥) ، ولا تفرغ من الكلام في الاختيار والطباع ، ومجىء الآثار . وكل ما جرى سببه من دقيق الكلام وجليله ، في الله تعالى وفي غيره .

ولو برز عالم ^(٦) على جادةٍ منهجٍ وقارعة طريق . فنازع في النحو واحتج في العروض ، وخاض في الفتيا ، وذكر النجوم والحساب ، والطب والهندسة ، وأبواب الصناعات ، لم يعرض له ، ولم يفتحه ^(٧) إلا أهل هذه الطبقات .

ولو نطق بحرفٍ في القدر حتى يذكر العلم والمشئة ، والتكليف والاستطاعة ، وهل خلق الله تعالى الكُفْرَ وقدره أو لم يخلقه ولم يقدره . لم يبق ^(٨) حمالٌ أغثر ^(٩) ، ولا بطلٌ غث ^(١٠) . ولا حاملٌ غفل ^(١١) ولا غبيٌّ

(١) حومة البحر والرمل والقتال ونحوه : معظمه أو أشد موضع فيه .

(٢) في النسختين : « فالكلام » ، صوابه في ع .

(٣) ع : « قد تحجم » .

(٤) التسكع : أن يمضى متعسفاً لغير وجهه . وفي النسختين : « تسع » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٥) في النسختين : « التعديد والتحرير » ، والوجه ما أثبت .

(٦) في النسختين : « عالماً » ، صوابه في ع .

(٧) في النسختين : « ولم يفتحه » ، صوابه في ع .

(٨) في النسختين : « ولم يبق » ، والوجه حذف الواو كما في ع .

(٩) الأغثر : الأحمق الجاهل . وفي النسختين : « جمال أغبر » .

(١٠) البطل : ذو الباطل . والتبطل : فعل ابطالة . وهو اتباع اللهو والجهالة . وفي

النسختين وع : « يطاف » ، ولعل وجهه أثبت

(١١) في النسختين : « ولا حامل » باحاء المهملة . صوابه في ع .

كهام^(١) ، ولا جاهلٌ سفيهٌ ، إِلَّا وَقَفَ عَلَيْهِ ولاحاهُ^(٢) وصوبه وخطاهُ^(٣) ثم لا يرضى حتى يتوَلَّى من أرضاه ، ويكفر من خالف هواه ، فإن جازاه^(٤) محقٌ ، وأغلظَ له واعظٌ ، وأتفق أن يكون بحضرته أشكاله^(٥) استغوى أمثاله ، فأشعلوها فتنةً وأضرموها ناراً .

فليس لمن كانت هذه حاله أن يتحيز مع الخاصة ، مع أنه لو حسنت نيته ، لم تحتمل فطرته معرفة الفصول ، وتمييز الأمور .

فإن قالوا : ولعلهم لا يعرفون الله ورسوله ، كما لا يعرفون عدله من جوره ، وتشبيهه بخلقه^(٦) مِنْ نَفْيِ ذَلِكَ عنه . وكما لا يعرفون القرآن وتفسير جملة ، وتأويل منزه .

قيل لهم : إن قلوب البالغين^(٧) مسخرة لمعرفة رب العالمين^(٨) ، ومحمولة على تصديق المرسلين ، بالتنبيه على مواضع الأدلة ، وقصر النفوس على الروية ، ومنعها عن الجولان والتصرف ، وكل ما ربت عن التفكير^(٩) ، وشغل عن التحصيل ، من وسوسة أو نزاع شهوة ؛ لأن الإنسان مالم يكن معتوهاً أو طفلاً ، فمحجوجٌ على ألسنة المرسلين ، عند

(١) الكهام : الثقيل الذي لا غناء عنده . في النسختين : « ولا غبي » ، والصواب في ع .

(٢) الملاحاة : المنازعة والمدافعة . في النسختين : « لاجاه » ، بالجيم تحريف .

(٣) خطاه : مسهل خطاه . وفي النسختين : « وخطاؤه » صوابه في ع .

(٤) في النسختين : « جازاه » بالزاي ، تحريف .

(٥) ب فقط : « أشكال » .

(٦) في النسختين : « وتشبيهه من يخلقه » ، صوابه في ع .

(٧) في النسختين : « التابعين » ، صوابه في ع .

(٨) يقان سخره للأمر ، أى كلفه به وقهره عليه . وفي الكتاب العزيز : « وسخر لكم

الشمس والقمر » ، أى ذللهما ، وكذلك « سخر لكم الفلك » . وفي النسختين : « مسخرة بمعرفة » ، صوابه في ع .

(٩) ربه عن الأمر : حبسه وصرفه . وفي النسختين : « وكلما ريب » والصواب في ع .

جميع المسلمين . ولا يكون محجوجاً حتى يكون علماً بما أمَرَ به . عارفاً بما نُهِى عنه ؛ لأنَّ من لم يعلم^(١) في أىّ الضربين سُخِطَ الله ، وفي أىّ نوعٍ رضاه ، ثم ركبَ السُّخْطَ أو أتى الرِّضَا^(٢) لم يكن ذلك منه إلا على اتِّفاق . وإنَّما الاستحقاق مع القصد . والله تبارك يتعلَّى عن أن يعاقب من لم يُردِّ خلافه ، ولم يَعْرِفْ رضاه . أو يَحْمَدَ من لم يعتمد رضاه ، ولم يَقْصِدْ إليه . ولم يكن الله تعالى ليعدِّلَ صنْعته ويسوَّى أَدَاتِهِ^(٣) ويفرق^(٤) بينه وبين المنقوص في بنيته وتركيبه^(٥) ، إلا ليفرق بين حاله وبين الطفل والمعتوه . وليس للمعرفة وجهٌ إلا لتبصيره وتخييره^(٦) ، ولولا ذلك لم يكن للذي خُصَّ به من الإبانة وتعديل الصَّنعة ، وإحكام البنية معنى . والله تعالى^(٧) عن فعل ما لا معنى له .

وفي قول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٨) دليلٌ على ماقلنا . وليس لأحدٍ أن يُخرجَ بعضَ الجنِّ والإنس من أن يكونَ خلقاً للعبادة إلا بحجَّةٍ ، ولا حُجَّةٍ إلا في عقلٍ ، أو في كتابٍ ، أو خبرٍ .

فإن قالوا : فإن كان الله إنَّما أبانهم بالتعديل والتسوية للعبادة^(٩) والاختيار ، فلم قلتم : إنَّهم غير مأمورين بإقامة الأئمة والاختيار مع

(١) ب فقط : « لا لمن لم يعلم » ، تحريف .

(٢) في النسختين : « أو أبى الرضا » ، صوابه في ع .

(٣) في النسختين : « آدابه » ، والوجه ما أثبت من ع .

(٤) هذا الصواب من ع . وفي النسختين : « ويسوى » .

(٥) في النسختين : « في سنه وتركيبه » ، تحريف .

(٦) في النسختين : « وتجره » ، صوابه في ع .

(٧) ع : « يتعالى » .

(٨) الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

(٩) في النسختين : « إنما أثابهم بالتعديل والتسوية للعباد » ، صوابه في ع .

الأمّة . وحكمهم حكمُ المسلمين المتعبّدين . وإنّما الإمام إمام المسلمين المتعبّدين ؟

قلنا : إنّما يلزم الناس الأمرُ فيما عَرَفُوا سبيله . وليس للعوامُ - خاصة - معرفةٌ بسبيل إقامة الأئمة ^(١) فيلزمها ، أو يجرى عليها أمرٌ أو نهى .
والعامّة وإن كانت تعرف جُمْل الدين بقدر ما معها من العقول ، فإنّه لم يبلغ من قوّة عقولها ، وكثرة خَواطرها أن ترتفع إلى معرفة العلماء ولم يَبْلُغ من ضعف عقولها أن تَنحطَّ إلى طبقة المجانين والأطفال .
وأقْدَارُ طبائع العوامِ والخواصِّ ، ليست مجهولة ^(٢) فيحتاج ^(٣) إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها ؛ لأنّكم تعلمون أنّ طبائع الرُّسل فوق طبائع الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء ، وكذلك النَّاسُ على منازلهم من الفضل ، وطبقاتهم من التركيب ، في البخل والسَّخاء ، والبلادة والذكاء ، والغدر والوفاء ، والعُجب والنَّجدة ، والصُّبر والجَزَع ، والطَّيش والحِلْم ، والكِبَر والتَّيّه ، والحِفْظ والنُّسيان ، والعِيّ والبيان .

ولو كانت العامّة تعرف من الدِّين والدُّنيا ما تعرف الخاصّة ، كانت العامّة خاصّةً ، وذهب التَّفاضُّل في المعرفة ، والتَّبَيّن في البنية .
ولو لم يخالف بين طبائعهم لسقط الامتحان وبطل الاختيار ، ولم يكن في الأرض اختيار ، وإنّما خولف بينهم في الغريزة ليَصْبِرَ بها صابر ^(٤) ، ويشكُرُ شاكِر ، وليتَّفِقُوا على الطَّاعة ، ولذلك كان الاختلاف ، وهو سبب الائتلاف .

(١) ب : « معرفة السبيل إقامة الأئمة » م : « معرفة لسبيل » ، وأثبت ما في ع .

(٢) في النسختين : « وليست مجهولة » ، والواو مقحمة .

(٣) ع : « فنحتاج » .

(٤) ع : « ليصبر صابر » .

١٣

من كتابه في

المسائل والجوابات في المعرفة

١ - فصل

من صدر كتاب المسائل والجوابات في المعرفة^(١)

بِالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وما توفيقنا إلا بالله .

اختلف الناس في المعرفة اختلافاً شديداً ، وتباينوا فيها تبايناً مُفْرطاً . فزعم قومٌ أَنَّ المعارفَ كُلَّها فعلُ الفاعلين إِلَّا معرفةً [لم^(٢)] يتقدمها سبب منهم^(٣) ، ولم يوجبها علّة^(٤) من أفعالهم . ولم يرجعوا إلى معرفة الله ورسوله ، والعلم بشرائعه ، ولا إلى كل ما فيه الاختلاف والمنازعة ، وما لا يُعرف حقائقه إِلَّا بالتفكر والمناظرة ، دون درك الحواس الخمس .

فزعموا أَنَّ ذلك أَجْمَعَ فَعْلُهُمْ ، على الأسباب الموجبة^(٥) ، والعِلَل المتقدمة ، وجعلوا مع ذلك سبيلَ المعرفة بصدق الأخبار ، كالعلم بالأمصار القائمة ، والأيام الماضية ، كبدر وأحد والخندق ، ، وغير ذلك من الوقائع والأيام ، كالعلم بفرغانة^(٦) والأندلس ، والصّين والحَبشة ، وغير ذلك من القُرى والأمصار - سبيلَ الاكتساب^(٧) والاختيار ؛ إِذ كانوا^(٨) هم الذين نظّروا حتّى عرفوا فَصَّل ما بينَ المجرى الذي لا يكذب مثله ، والمجرى الذي يمكن الكذب في مثله .

-
- (١) هذا الكتاب لم ينشر من قبل ، كما سقط من نسخة ط ، فالمقابلة هنا بين نسختي المتحف البريطاني والتيمورية فقط : ب ، م
 (٢) تكلمة يقتضيها الكلام .
 (٣) ب : « سبب منه » .
 (٤) ب : « عليه » .
 (٥) ب : « المرجية » ، صوابه في م .
 (٦) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متخة لبلاد تركستان ، كما ذكر ياقوت . وهي بفتح الفاء .
 (٧) ب ، م : « وسبيل الاكتساب » ، والوجه ما أثبت .
 (٨) ب : « إِذا كانوا » .

فزعموا أَنَّ جميع المعارف سبيلُها سبيلُ واحد ، ووجوه دلائلها وعللها متساوية ، إِلَّا ما وَجَدَ الحواسَّ بَغْتَةً ، ووردَ على النفوس في حال عجز أو غفلة ، وكان هو القاهر ، للحاسة ، والمستولى على القوة ، من غير أن يكون من البصر فتحٌ ، ومن السمع إصغاءٌ^(١) ومن الأنف شمٌ ، ومن الفم ذوقٌ ومن البشرة مسٌ^(٢) ، فإن ذلك الوجود فعلُ الله دونَ الإنسان ، على ما طُبِعَ عليه البشر . وركَّبَ عليه الخلق .

قالوا : فإذا كان دَرَكُ الحواسِّ الخَمْسِ إذا تقدَّمته الأسبابُ ، وأوجِبَتْه العللُ فِعْلَ المتقدم فيه والموجب له ، ودَرَكُ الحواسِّ أَصْلَ المعارف ، وهو المستشهدُ على الغائب^(٣) ، والدليلُ على الخفيِّ ، وبقدر صحته تصحُّ المعارف ، ويقدرُ فسادُه تَفْسُدُ^(٤) - فالذى تستخرجه الأذهانُ منه ، وتستشهد به عليه ، كعلم التوحيد ، والتعديل والتجوير^(٥) ، وغامض التأويل ، وكلُّ ما أظهرته العقولُ بالبحث ، وأدركته النفوسُ بالفكر من كلِّ علم ، وصناعة الحساب والهندسة ، والصِّياغة^(٦) والفلاحة - أَجْدَرُ أن يكونَ فِعْلُهُ والمنسوبَ إلى كَسْبِهِ .

قالوا : فالدليلُ على دَرَكِ الحواسِّ فِعْلُ الإنسانِ على ما وصفنا واشترطنا^(٧) ، من إيجاب الأسباب ، وتقدُّم العلل : أَنَّ الفاتحَ بَصَرَهُ لو لم يَفْتَحْ لم يُدْرِك . فلمَّا كان البصر قد يوجد مع عدم الإدراك ، ولا يُعَدَم الإدراك مع

(١) ب : « الصفا » م : « صفاء » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) البشرة : ظاهر الخلد ، وجمعه بشر . و في ب : « ومن البشر » .

(٣) ب : « وهو المتشهد على الغائب » ، صوابه في ع .

(٤) في النسختين : « وبعد صحته » وكذلك : « وبعد فساد » ، والوجه ما أثبت مما هو

لغة الجاحظ .

(٥) في النسختين : « والتجوير » ، والوجه أثبت وانظر ما سبق في ص ٣٣ ، ٤٠ .

(٦) ب : « والصباغة » بالباء الموحدة .

(٧) ب : « واشترطا » ، صوابه في م .

وجود الفتح ، كان ذلك دليلاً على أَنَّ الإدراك إِنَّمَا كان لعلّة الفتح ، ولم يكن لعلّة البصر ؛ لأنّه لو كان لعلّة صحّة البصر كانت الصّحة لا تُوجد أبداً إلّا والإدراك موجوداً^(١) . فإذا كانت الصّحة قد تُوجد مع عدم الإدراك ، ولا يُعدم الإدراك^(٢) مع وجود الفتح ، كان ذلك شاهداً على أنّه إِنَّمَا كان لعلّة الفتح دون صحّة البصر .

وقالوا : ولأنّ طبيعة البصر قد كانت غير عاملة حتّى جعلها الفاتح بالفتح عاملة ، ولأنّ الفتح علّة الإدراك ومقدّمة بين يديه ، وتوطئة له . وليس الإدراك علّة للفتح ولا مقدّمة بين يديه ، ولا توطئة له ، فواجب أن يكون فعل الفاتح ، لأنّ السبب إذا كان موجباً فالمسبب تبع له .

٢ - فصل منه

ثم قالوا بعد الفراغ من درك الحواس في معرفة الله ورسوله وكلّ ما فيه الاختلاف والتنازع ، أنّ ذلك أجمع لا يخلو من أحد أمرين :
إمّا أن يكون يحدث من الإنسان لعلّة النظر المتقدّم ، أو يكون يحدث على الابتداء ، لا عن علّة موجبة وسبب متقدّم .
فإن كانوا أحدثوه على الابتداء ، فلا فعل^(٣) أولى بالاختيار ، ولا أبعد من الاضطرار منه .

وإن كان إِنَّمَا كان لعلّة النظر المتقدّم ، كما قد دلّلنا في صدر الكلام على أنّ درك الحواس فعل الإنسان إذا تقدّم في سببه ، فالعلم

(١) في النسختين : « موجوداً » ، صوابه ما أثبت .

(٢) ب : « ولا يعجم الإدراك » ، صوابه في م .

(٣) في النسختين : « ولا فعل » ، وإنما هو جواب ما تقدم .

بالله وكتبه ورسله أجدر أن يكون فعله . إذ كان^(١) من أجل نظره علم ،
ومن جهة بحثه أدرك .

فهذه جمل دلائل هؤلاء القوم . ورئيسهم بشر بن المعتز .

ثم هم بعد ذلك مختلفون في درك الحواس إلا ما اعتمد إدراكه بعينه
وقصد إليه بالفتح والإرادة ؛ لأنَّ الفتح نفسه لو لم يكن معه قصد وإرادة
ما كان فعل الفاتح . فكيف يجوز أن يكون الإدراك فعله من غير قصد .

ولو جاز أن يكون الفتح فعل الإنسان من غير أن يكون أراده وقصد
إليه ، ما كان بين فعل الإنسان وبين فعل غيره فرق ؛ لأنَّه كان لا يجوز
أن يكون ذهاب الحجر إذا لم يدفعه ، ولم يقصد إليه ، ولم يخطر له على
بال ، فعله . فكذلك الإدراك إذا لم يخطر على باله ، ولم يقصد إليه ،
ولم يتعمده ، لا يكون فعله .

٣ - فصل منه

وليس على المخبر بقصة خصمه^(٢) والواصف لمذهب غيره^(٣) ،
أن يجعل باطلهم حقاً ، وفاسدهم صحيحاً ، ولكن عليه أن يقول بقدر
ما تحتمله التحلة . وتتسع له المقالة ، وعليه أن لا يحكى عن خصمه
ويُخبر عن مخالفه إلا وأدنى منازله ألا يعجز عما بلغوه ، ولا يغبي^(٤)
عما أدركوه .

(١) في النسختين : « أو كان » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسختين : « المخبر نفسه خصمه » . تحريف . وسيأتي في آخر الفصل : « ألا يحكى عن

عن خصمه » . فهذا أقرب تصحيح .

(٣) ب : « مذهب غيره » .

(٤) ب : « يغبا » م « يغبا » ، والوجه ما أثبت .

٤ - فصل منه

وقد زعم آخرون أَنَّ المَعَارِفَ ثمانية أجناس : واحدٌ منها اختيارٌ، وسبعةٌ منها اضطرار . فخمسة منها دَرَكُ الحواسِّ الخمس ، ثم المعرفة بِصِدْقِ الأخبار ، كالعلم بالقُرَى والأَمْصار ، والسَّيَرِ والآثار ، ثم معرفة الإنسان إذا خاطَبَ صاحبه أَنَّهُ مَوْجَّهٌ^(١) بكلامه إليه ، وقاصدٌ به نحوه .

وأما الاختيار فكالعلم بالله ورُسُلِهِ، وتَأْوِيلِ كتابِهِ، والمستنبط من علم الفتيا وأحكامِهِ ، وكلُّ ما كان فيه الاختلاف والمنازعة^(٢) . وكان سبيلُ علمه النَّظَرَ والفِكْرَةَ . ورئيس هؤلاء أبو إسحاق .

وزعم مُعَمَّرٌ^(٣) أَنَّ العلم عشرة أجناس : خمسة منها دَرَكُ الحواسِّ، والعلم السادس كالسَّيَرِ الماضية والبلدان القائمة ، والسَّابِعُ : علمك بقصد المخاطب إليك وإرادته إِيَّاكَ ، عند المحاورَةِ والمُنَازَعَةِ . وقبل ذلك : وجود الإنسان لنفسِهِ، وكان يجعلهُ أَوَّلَ العلوم، ويقدمُهُ على دَرَكِ الحواسِّ. وكان يقول : ينبغي أَنْ يقدِّمَ وجودُ الإنسانِ لنفسِهِ على وجودِهِ لغيرِهِ . وكان يجعلهُ علماً خارجاً من دَرَكِ الحواسِّ ؛ لِأَنَّ الإنسانَ لو كان أصمَّ^(٤) لَأَحَسَّ نفسَهُ ولم يحسَّ [صوته ، ولو كان أَخْشَمَ^(٥) لَأَحَسَّ نفسَهُ ولم يُحسَّ^(٦) رائحته . وكذلك سبيل المذاقات والمَلَامَسِ . فلما كان المعنى

(١) ب : « أن موجه » ، م : « أنه موجه » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) في النسختين : « اختلاف والمنازعة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) معمر بن عباد السلمي ، بتشديد الميم ، كما سبق في ترجمته ٣ : ٢٨٧ .

(٤) في النسختين : « لو كان عمى » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الأخشم من الخشم ، بالتحريك ، وهو ألا يجد ريح طيب ولا نتن .

(٦) التكملة من م فقط .

كذلك وجب أن يُفرد من درك الحواس ، ويُجعل علماً ثامناً على حياله^(١) وقائماً بنفسه^(٢) .

ثم جعل العلم التاسع : علم الإنسان بآئنه^(٣) لا يخلو من أن يكون قديماً أو حديثاً .

وجعل العلم العاشر : علمه بآئنه مُحَدَّثٌ وليس بقديم .

٥ - فصل منه

ولست آلو جهداً في الكلام والإيجاز^(٤) في الإدخال على بشر بن المعتمر في درك الحواس ، ثم على أبي إسحاق^(٥) في ذلك ، وفي غيره ممّا ذكرت من مذهبيه ، وتركه قياساً ما بنى عليه إن شاء الله ، لنصير إلى الكلام في المعرفة ، فإنني إليه أجريت ، وإياه اعتقدت ، ولكنني أحببت أن أُنبدى فسادَ أصولهم^(٦) قبل فروعهم ، فإنّ ذلك أقتل للذمّ^(٧) وأبلغ في الشفاء ، وأحسم للعرق ، وأقطع للمادة ، وأخف في المؤونة على من قرأ الكتاب . وتدبر المسألة والجواب . وبالله ذي المنّ والطول نستعين .

(١) على حياله ، أي وحده . وأصل الخيال خيط يشد من حزام البعير المقدم إلى حزامه المؤخر . وفي النسختين : « خياله » ، تحريف .

(٢) ب : « وقائلاً بنفسه » ، صوابه في م .

(٣) في النسختين : « فإنه » ، تحريف ما أثبت .

(٤) في النسختين : « ولست الواجد ذا الكلام والإيجاز » .

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ .

(٦) ب : « أن أبرأ فساد أصولهم » م : « أن أبرأ فساد أصولهم » ، والوجه ما أثبت .

(٧) في النسختين : « أقبل للذم » ، تحريف .

٦ - فصل

من رده على أبي إسحاق النظام وأصحابه

يقال لهم : حدّثونا عن العلم بالله ورسوله وتأويل كتبه ، وعن علم القدر وعلم المشيئة ، والأسماء والأحكام . أباكتساب هو أم باضطرار ؟
فإن زعموا أنّه باكتساب قيل لهم : فخبّرونا عن علمكم بأنّ ذلك أجمع اكتساب ، أباكتساب هو أم باضطرار ؟ فإن قالوا : باكتساب . قيل لهم : أو ليس اعتقاد خلاف ذلك أجمع باكتساب ؟
فإن قالوا : نعم . قيل لهم : فإذا كان اعتقاد الحق واعتقاد الباطل باكتساب أفليس كل واحد من المكتسبين عند نفسه على الصواب ؟
فإذا قالوا : نعم . قيل لهم : [أو ليس كل واحد منهما ساكن القلب إلى مذهبه واختياره ؟

فإذا قالوا نعم قيل لهم ^(١) : فما يؤمن الحق من الخطأ ؟ وليس سكون القلب وثقته علامة للحق ، لأنّ ذلك لو كان علامة لكان المبطل محققاً ، إذ كان ^(٢) قد يجد من السكون والثقة ما لا يجد الحق .

وقلنا ^(٣) : وما معنى خلافه إلّا أنّ يكون المبطل شاكاً ، أو يكون عارفاً بتقصيره ، أو يكون مكترثاً لوهمي يجده . فإذا لم يكن كذلك فلا فرق بين المعقودين .

(١) التكملة من م .

(٢) ب : « إذا كان فيه » ، تحريف .

(٣) وقلنا ، استمرار للكلام السابق . وفي النسختين « قلنا » بدون واو .

فإن قالوا : إنَّ فرق ما بينهما أنَّ سَكُونًا^(١) قلبِ المحقِّ حقٌّ في عينه ، وسكُونٌ قلبِ المبطل باطلٌ في عينه .

قلنا : أو ليس ذلك غيرَ محوّل لسكونِ المبطل عن الثِّقة إلى الاضطراب ولا مغيّره إلى الاكتراث ؟

فإذا قالوا ذلك ، قيل لهم : فما يُؤمنُ المحقُّ أنَّ يكون سَكُونُهُ أيضاً باطلاً في عينه إذا كان سَكُونُهُ لا ينقص^(٢) عَنْ سكونِ المُبطل . ولئن كان [فرق^(٣)] السُّكونَ بينهما ظاهرَ الاجتهاد والعبادة^(٤) ، فمن أظهرَ اجتهاداً من الرُّهبان في الصَّوامع ، والخوارج في بَدَل النفوس ؟

فإن قالوا : الفرقُ بينهما أنَّ المحقَّ قد استشهدَ الضرورات ، والمبطل لم يستشهدها^(٥) .

قلنا : فهل يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهدَ الضرورات^(٦) . حتّى لو سأله سائلٌ فقال : ما يؤمنك من الخطأ ؟ لقال : استشهدى للضرورات .

فإن زعموا أنَّ المبطل لا يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهدَ الضرورات ، لأنَّ ذلك هو علامةُ الحقِّ ، والفَضْلُ بينه وبين الباطل .

قلنا : وهل رأيتم أحداً اكتسب علماً قطُّ ، أو نظر في شيءٍ^(٧) إلّا وأوّلُ نظره إنّما هو على أصل الاضطراب ؛ لأنَّ المفكر لا يبلغ من جهله

(١) في النسختين : « أن سيكون » صوابه ما أثبت .

(٢) ب : « لا ينفصل عن » م : « لا ينفصل من » ، والوجه ما أثبت .

(٣) بمثلها يلتزم الكلام .

(٤) في النسختين : « والعبادة » ، تحريف .

(٥) ب : « لم يستشهدا » تحريف . والكلام بعده إلى : « الضرورات » التالية ساقط من ب .

(٦) بعده في ب فقط : « أو لم يستشهدا » وهو تكرار لما سبق .

(٧) ب : « ونظر في بشيء » ، صوابه في م .

أَن يَسْتَشْهَدَ الْخَفِيُّ . بل من شَأْنِ النَّاسِ أَن يَسْتَدْلُوا بِالظَّاهِرِ عَلَى الْبَاطِنِ إِذَا أَرَادُوا النَّظَرَ وَالْقِيَاسَ ؛ ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْطِئُونَ أَوْ يَصِيبُونَ .

وقلنا^(١) : فَيَنْبَغِي أَن يَكُونَ كُلُّ مَبْطُلٍ فِي الْأَرْضِ قَدْ عَلِمَ حِينَ يُقَالُ لَهُ : مَا يُؤْمِنُكَ أَن تَكُونَ مَبْطُلًا ؟ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَشْهَدْ الضَّرُورَاتِ . وَأَنْكَرَ أَصْلَهُ الَّذِي قَاسَ عَلَيْهِ وَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ ضَرُورَةً ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ بِالْعَسْفِ أَوْ بِالتَّقْلِيدِ . وَإِذَا كَانُوا كَذَلِكَ فَهَلْ يَخْلُو أَمْرُهُمْ مِنْ أَن يَكُونُوا قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ عَلَى خَطَأٍ^(٢) أَوْ يَكُونُوا شُكَّاكًا ، أَوْ يَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مُسْتَشْهِدِينَ لِلضَّرُورَاتِ ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ تَرَكَوا ذَلِكَ عِنْدَ بَعْضِ الْمَقْدِمَاتِ . فَإِنْ كَانُوا قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَشْهَدُوا الضَّرُورِيَّاتِ ، وَإِنْ كَانُوا شُكَّاكًا فِيهَا ؛ فَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مَخْطِئٌ إِلَّا وَهُوَ عَالِمٌ بِمَوْضِعِ خَطَايِهِ ، أَوْ شَاكٌ فِيهِ . أَوْ كَانُوا عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مُسْتَشْهِدِينَ لِلضَّرُورَاتِ ، فَمَا يُؤْمِنُكُمْ أَن تَكُونُوا كَذَلِكَ ؟

فَإِنْ قَالُوا : لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَنَّ عَلَامَةَ الْحَقِّ اسْتِشْهَادُ الضَّرُورَاتِ غَيْرَنَا .

قلنا : أَوَلَسْتُمْ^(٣) مَعِشَرَ أَبِي إِسْحَاقَ النَّظَامِ تَخْتَلِفُونَ^(٤) فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، وَقَدْ كُنْتُمْ تَخَالِفُونَ صَاحِبَكُمْ خِلَافًا كَثِيرًا ، وَكُلُّكُمْ إِذَا سَأَلَهُ سَائِلٌ : مَا يُؤْمِنُكَ أَن تَكُونَ عَلَى بَاطِلٍ^(٥) ؟ قَالَ : لَأَنْتَى مُسْتَشْهِدٌ لِلضَّرُورَاتِ . فَهَلْ

(١) استمرار للكلام السابق . وفي النسختين : « قلنا » بدون واو .

(٢) الخطأ ، كسحاب : الخطأ ، وهي كثيرة في لغة الجاحظ . ب : « خطأ » .

(٣) في النسختين : « ولستم » ، وإنما هو استفهام .

(٤) ب : « يختلفون » ، صوابه في م .

(٥) في النسختين : « إذا سأل سائل يؤمنك أن يكون على باطل » . والوجه ما أثبت .

يخلو أمركم من أحد وجهين : إما أن تكونوا صادقين على أنفسكم ،
أو كاذبين عليها ؟

فإن كنتم صادقين فقد صار قلبُ المحقِّ كقلبِ المُبطل ؛ إذ كان
كلُّ واحدٍ عندَ نفسه مستشهداً للضرورات .

وإن كنتم كاذبين فهل منكم محقٌّ إلا وهو يلقى الخصمَ بمثلِ دعواه
في استشهاد الضرورات ؟ وهل منكم واحدٌ على حياله ^(١) محقاً أو مبطلاً
إلا وجوابه لنا مثلُ جوابِ صاحبه . فإذا كانت ^(٢) القلوب قد تكون
عند أنفسها مستشهادة للضرورات ، وهي غيرُ مستشهادة لها ، وكونُ
القلب كذلك هو علامة الحق ، فما الفرق بين قلب المحقِّ والمبطل ^(٣) ؟
ومع ذلك إننا وجدنا صاحبكم قبلكم ووجدناكم بعده قد رجعتُم عن أقاويلِ
كثيرة . بعد أن كان جوابكم لمن سألكم مأيؤمِّنكم أن تكونوا على باطل ،
أن تقولوا ^(٤) : استشهدنا للضرورات ^(٥) . ونحن لو سألناكم عما رجعتُم
عنه ، فقلنا لكم : لعلكم على خطأ ، ولعلكم من هذه الأقاويلِ على غرر ،
لم يَعدُ جوابكم استشهادَ الضرورات .

(١) ب : « حيله » بالموحدة ، صوابه في م . وانظر ما سبق في ٥٢ س ١ .

(٢) ب : « إذا كانت » ، وأثبت م في م .

(٣) ب : « القلب الحق والمبطل » .

(٤) ب : « أن يقولوا » تحريف .

(٥) ب : « استشهدنا للضرورات » ، صوابه في م .

٧ - فصل

من هذا الكتاب في الجوابات

ثم إنني واصل^(١) قولي في المعرفة ومجيب خضمي في معنى الاستطاعة وفي أي أوجهها^(٢) يحسن التكليف وتثبت الحجة ؛ ومع أيها يسمح التكليف^(٣) وتسقط الحجة .

فأولي ما أقول في ذلك : أن الله - جل ذكره - لا يكلف أحداً فعل شيء ولا تركه إلا وهو مقطوع العذر ، زائل الحجة .

ولن^(٤) يكون العبد كذلك إلا وهو صحيح البنية ، معتدل المزاج ، وافر الأسباب ، مخلصي السرب ، عالم بكيفية الفعل ، حاضر النوازع ، معتدل الخواطر ، عارف بما عليه وله .

ولن يكون العبد مستطيعاً في الحقيقة دون هذه الخصال المحدودة ، والحالات المعروفة ، التي عليها مجاري الأفعال ، ومن أجلها يكون الاختيار ولها يحسن التكليف ، ويجب الفرض^(٥) ، ويجوز العقاب ، ويحسن الثواب .

ولو كان الإنسان متى كان صحيحاً كان مستطيعاً ، لكان^(٦) من لا سلم له للصعود مستطيعاً .

(١) في النسختين : « واصل » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسختين : « وجهها » ، صوابه ما أثبت .

(٣) في النسختين : « ومع أنها يسمح التكليف » والوجه ما أثبت .

(٤) في النسختين : « وإن » ، تحريف .

(٥) ب : « ويجب » ، صوابه في م .

(٦) في النسختين : « لكن » ، صوابه ما أثبت .

ولن يكون أيضاً مع ذلك كله للفعل مختاراً ، وله في الحقيقة دون المجاز مستطيعاً . إلا وجميع أوامره في وزن جميع زواجره ، حتى إذا ما قابلت بين مرجوهما ومخوفهما ، وبين تقديم اللذة وخوف الآخرة ، وبين تعجيل المكروه وتأجيل العاقبة ، وجدتهما في الحذر^(١) والرفع ، وفي القبض والبسط سواء .

ولا يكون أيضاً كذلك إلا وبقاؤه في الحال الثانية معلوم ، لأن الفعل حارس والطباع محروسة ، والنفس عليها موقفة . فإن كان الحارس أقوى من طباعها كان ميل النفس معه طباعاً ، لأن من شأن النفس الميل إلى أقوى الحارسين ، وأمتن السبيين^(٢) .

ومتى كانت القوتان متكافئتين كان الفعل اختيارياً ، ومن حد الغلبة خارجاً^(٣) ، وإن كانت الغلبة تختلف في اللين والشدّة ، وبعضها أخفى وبعضها أظهر ، كفرار الإنسان من وهج السموم إذا لم يحضره دواعي الصبر ، وأسباب المكث . وهو من لهب الحريق أشد نفرة ، وأبعد وثبة ، وأسرع حركة .

ومتى قويت الطبيعة على العقل أوهنته وغيّرتة ، ومتى توهّن وتغيّر تغيّرت^(٤) المعاني في وهمه^(٥) ، وتمثلت له على غير حقيقتها . ومتى كان

(١) الحذر : نقيض الرفع . وفي النسختين : « الحذر » ، ووجه ما أثبت . وفي م قبلها : « وجدتها » ، صوابه في ب .

(٢) ب : « أقوى الحارس وأمتن السبيين » ، م : « أقوى الحارس وأمتن السبيين » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ب : « ومن وجد الغلب خارجاً » م : « ومن جد الغلبة خارجاً » و « الغلب » و « الغلبة » بمعنى واحد . وفي الكتاب العزيز : « وهم من بعد غلبهم سيفلون » . وصواب ما قبلها « ومد حد » بالحاء المهملة كما أثبت .

(٤) في النسختين : « وتوهنت » ، وإما هي جواب « متى » .

(٥) الوهم : غطرات القلب والعقل والفكر . ب : « وهنت » صوابه في م .

كذلك كل^(١) عن إدراك ما عليه في العاقبة ، وزينت له الشهوات رُكوبَ مافي العاجلة .

ومتى - أيضاً - فَضَلَتْ قُوَى عَقْلِهِ عَلَى قُوَى طَبَائِعِهِ أَوْهَنْتْ طَبَائِعَهُ ، ومتى كانت كذلك آثر الحزْمَ والآجلة^(٢) على اللذة العاجلة ، طبعاً لا يمتنع منه ، وواجباً^(٣) لا يستطيع غيره .

وإنما تكون النَّفْسُ مختارةً في الحقيقة - ومجانبةً لفعل الطبيعة إذا كانت أخلاطها معتدلةً ، وأسبابها متساوية ، وعللها متكافئةً ، فإذا عدل الله تركيبه وسوى أسبابه ، وعرفه ما عليه وله ، كان الإنسان للعقل مستطيعاً في الحقيقة ، وكان التكليف لازماً له بالحجة .

ولولا أَنَّكَ تحتاج إلى التعريف بأنَّ المأمور المنهى^(٤) لا بدَّ له من التسوية والتعديل لما قال الله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاها . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ ﴾^(٥) .

ولو جاز أن يعلم موضع غيِّها ورُشدها من غير أن يسويها ويهيئها^(٦) لكان ذكر التسوية فضلاً من القول . والله يتعالى^(٧) عن هذا وشبهه علواً كبيراً .

(١) كل كلالا : ضعف وأعيا . وفي ب : « ومتى كان كذلك كان » وفي م : « ومتى كان كذلك » فقط . ووجهها ما أثبت .

(٢) الآجلة : الآخرة ، والمراد لذائد الآخرة .

(٣) ب : « وواجب » ، صوابه في م .

(٤) ب : « المأمور والمنهى » . والمراد أن الإنسان مأمور منهي معاً ، لا واحد منهما .

(٥) الآيات ٦-٨ من سورة الشمس .

(٦) ب : « ويهيئها » ، صوابه في م .

(٧) م : « تعالى » . وانظر ما سبق في ٢٤ : ٥ و ٤٢ : ٤ .

٨ - فصل

في جواب من يسأل عن المعرفة باضطرار هي أم باكتساب

قلنا : إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْرِفُوا اللَّهَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ الرُّسُلِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ مِنْ قَبْلِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ، وَالْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقِ ، وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ .

على أَنَّا لَا نَشْكُ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُوحِدِينَ قَدْ عَرَفُوا وَجُوهاً مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوهُ مِنْ قَبْلِ الرُّسُلِ ، فَتَكَلَّفُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ ، وَأَصَابُوا مِنْ غَامِضِ الْعِلْمِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ عَوَامُهُمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا تَكَلَّفُوا ذَلِكَ لَشَكٍّ وَجَدُوهُ ، أَوْ خَيْرَةٍ خَافُوهَا ؛ لِأَنَّ أَعْلَامَ الرُّسُلِ مُقْنَعَةٌ ، وَدَلَالَتُهَا وَاضِحَةٌ ، وَشَوَاهِدُهَا مُتَجَلِّيةٌ ، وَسُلْطَانُهَا قَاهِرٌ ، وَبُرْهَانُهَا ظَاهِرٌ .

فَإِنْ قَالَ : أَبَا كِتَابٍ عِلْمُوا^(١) صَدَقَ الرُّسُلُ أَمْ بِاضْطِرَارٍ ؟

قلنا : بِاضْطِرَارٍ .

فَإِنْ قَالُوا : فَخَبِّرُونَا عَنْ مَنْ عَايَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُجَّتَهُ ، وَالْمُتَنَبِّئِيَّ وَحِيلَتَهُ ، كَيْفَ يَعْلَمُ^(٢) صَدَقَ النَّبِيُّ مِنْ كَذِبِ الْمُتَنَبِّئِي ، وَهُوَ لَمْ يَنْظُرْ وَلَمْ يَفْكُرْ ؟

فَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّهُ نَظَرَ ، وَفَكَّرَ ، فَقَدْ رَجَعْتُمْ إِلَى الْاِكْتِسَابِ .

وَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ وَلَمْ يَفْكُرْ فَلَمْ يَعْرِفَ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا دُونَ أَنْ يَجْهَلَ ؟ وَكَيْفَ عِلْمَ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ الْحُجَّةَ مِنَ الْحِيلَةِ ؟ وَمَا يُؤْمِنُهُ

(١) ب : « عملوا » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « نعلم » بالنون .

أن يكون مبطلاً إذا كان لم ينظر في أمور الدنيا ، ولم يختبر معانيها حتى يعرف الممتنع من الممكن ، وما لا يزال يكون بالاتفاق مما لا يمكن ذلك فيه ؟

وكيف ولم يعرف العادة ومجرى الطبيعة وإلى أين تبلغ الحيلة وأين تعجز الحيلة^(١) ، وعند أي ضرب يسقطان ، وعلى أي ضرب يقومان ؟ ولم عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم حين عين شاهده وأبصر أعاجيبه ، من غير امتحان لها^(٢) وتعقب لمعانيها ، دون أن يعتقد^(٣) صدق النبي إذا أورد عليه أعاجيبه وخدعه وحيله ؟

بل كيف لم يعرف الله حين وقع بصره على الدنيا من غير فكرة فيها وتقلب لأمرها .

والدنيا بأسرها دلالة عما عرف صدق النبي حين أبصر دلالاته من غير تفكير فيها أو تقلب لأمرها^(٤) .

وقد علمنا أن الدنيا دالة على أن شواهد النبي دالة ، ومتى كان ظاهر أحدهما يغني عن التفكير كان الآخر مثله ، إذ لم يكن في القياس بينهما فرق ، ولا في المعقول فضل .

قلنا : إن تجارب البالغ قبل أن يهجم على دلالات الرسل تأتي على جميع ذلك^(٥) . ولعمري أن لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري وتصريف الدهور وعلاقات الدنيا ، والتجربة لتصريف أمورها ، لَمَا

(١) ب : « الحيلة » ، صوابها في م .

(٢) ب : « من غير أي امتحان لها » . (٣) ب : « يعتقد » .

(٤) ب : « وتقلب لأمرها » ، صوابه في م . والكلام بهذه إلى « لأمرها » التالية

ساقطة من م .

(٥) في النسختين : « يأتي على جميع ذلك » ، والوجه ما أثبت .

وصل إلى معرفة صدق النبيؐ إلا بعد مقدمات كثيرة ، وترتيبات منزلة ؛ لأنَّ مُشاهدَ الشواهد إنما تَضطرُّه المشاهدة لها إذا كان قد جَرَّبَ الدنيا ، وعَرَفَ تصرفها وعادتها قبل ذلك .

ولو لم يكن جَرَّبَهَا قَبْلَ ذلك حين عرف منتهى قُوَّةِ بطشِ الإنسان وحيلته ، وعرف الممكن من الممتنع ، وما يمكن قوله بالاتفاق مما لا يمكن ، لما عَرَفَ ذلك .

فإن قالوا : وكيف جَرَّبَ ذلك وعقله ، وأتقنه وحفظه ، وهو طفلٌ غَرِيرٌ وَحَدَثٌ صغير ؛ لأنَّ غير البالغ طِفْلٌ إلى أن يبلغ ، وحين يبلغ فقد هجم على النبيؐ صلى الله عليه وسلم وشواهد ، أو هجم عليه النبيؐ بشواهد ، إما بخبرٍ مُقنِعٍ أو بعيانٍ شاف . ففي آية الحالين جَرَّبَ وعَرَفَ ، وميَّز وحفظ ، في حال الطُفولة والغرارة ؟ وهذا غير معروف في التجربة والعادة ، والذي عليه رُكِّبَت الطَّبِيعَةُ .

أما (١) في حال البلوغ والتَّمام فحال البلوغ (٢) هي الحال التي أبلغه الله الرسالة ، وقاده إلى رؤية الحُجَّة ، واستماع البرهان ومُخْرَج الرسالة .

فإذا كان الأمر ، كما تقولون فقد كان ينبغي أن لا يصل إلى العلم بصدق النبيؐ وقد أراه برهانه ، وأسمعه حُججه ، حتَّى يمكن بعد ذلك دهرًا يمتحن الدنيا ويتعقَّب أمورها ، ويُعَمِّل التجربة فيها . فإن كان ذلك كذلك فلم سَمِّيتموه بالغاً ، وليس في طاقته بعد العلمُ يَفْضُل ما بين النبيؐ والمتنبئ ؟

(١) في النسختين : « أم » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسختين : « وحال البلوغ » صوابه ما أثبت .

قلنا : إِنَّ التَّجَرِبَةَ عَلَى ضَرَبَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَقْصِدَ الرَّجُلُ إِلَى
امْتِحَانِ شَيْءٍ لِيَعْرِفَ مَخْبِرَهُ عَمَّا عَرَفَ مَنْظَرَهُ .

وَالْآخَرُ : أَنْ يَهْجُمَ عَلَى عِلْمٍ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .

وقد يسمَّى الإنسان مجرَّباً ، قاصداً أو هاجماً ، فيزعم أَنَّ البالغ قد سَقَطَ
من بطن أمِّه إلى أَنْ يَبْلُغَ ، مُقَلِّباً في الأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ ^(١) ، وَمُضَرِّفاً في
خِلَالِ الْحَالَاتِ ، بِالْمَعْرِفَةِ ^(٢) الَّتِي تُلْقِحُهُ الدُّنْيَا ، بِمَا تُورِدُ عَلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِهَا ،
ويزدادُ في كُلِّ سَاعَةٍ مَعْرِفَةً ، وَتَفِيدُهُ الْيَّامُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَجَرِبَةً ، كَمَا
يَزْدَادُ لِسَانُهُ قُوَّةً ، وَعَظْمُهُ صَلَابَةً ، وَلَحْمُهُ شِدَّةً ، مِنْ أُمَّ تُنَاغِيهِ ، وَظَنِّ
تَلْهِيِهِ ، وَطِفْلِ يَلَاعِبُهُ ، وَطَبِيبٍ يَعَالِجُهُ ، وَنَفْسٍ تَدْعُوهُ ، وَطَبِيعَةٍ
تُعِينُهُ ، وَشَهْوَةٍ تَبْعُهُ ، وَوَجَعٍ يُقْلِقُهُ ، كَمَا يَزِيدُهُ الزَّمَانُ فِي قُوَّتِهِ ،
وَيَشُدُّ مِنْ عَظْمِهِ وَلَحْمِهِ ، وَيَزِيدُهُ الْغِذَاءَ عِظَماً ، وَكَثْرَةَ الْغَضَبِ وَالتَّقْلِيبِ
جَلْدًا . فَإِذَا دَرَجَ وَحَبَا ، وَضَحَكَ وَبَكَى ، وَأَمَكَنَهُ أَنْ يَكْسِرَ لِنَاءً
أَوْ يُكْفِئُهُ ، أَوْ يَسُوِّدَ ثَوْبًا ، أَوْ يَضْرِبَ دَابِرَةَ الْخَادِمِ ^(٣) ، وَانْتَهَرَهُ
الْقَيِّمُ ^(٤) . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَأْبَهُ وَدَأْبُهُمْ حَتَّى يَفْهَمَ الْإِغْرَاءَ وَالزَّجْرَ ،
وَالتَّغْذِيَةَ وَالْإِنْتِهَارَ ، كَمَا يَعْرِفُ الْكَلْبُ اسْمَهُ إِذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ الْكَلَّابُ بِهِ .
وَكَمَا يَعْرِفُ الْمَجْنُونُ لِقَبَهُ ، وَكَمَا يُحْضِرُ الْفَرَسُ مِنَ وَقَعِ السَّوْطِ مِنْ
كَثْرَةِ وَقْعِهِ بَعْدَ رَفْعِهِ عَلَيْهِ ^(٥) .

(١) في النسختين : « المختلة » ، تحريف ، وفي م : « مقلب » .

(٢) في النسختين : « المعرفة » .

(٣) كلمة « الخادم » ساقطة من م . وفي النسختين : « دبره » .

(٤) القيم : من يقوم على تربيته . والانتهار : شدة الزجر . وفي م : « وأن تهزه »

تحريف .

(٥) انظر الحيوان ٧ : ٨٧ .

٩ - فصل منه في هذا المعنى

فإذا استحكمت هذه الأمور في قلبه ، وثبتت في خَلَدِهِ ^(١) وصَحَّتْ في معرفته ، فهو حينئذٍ بالغٌ محتمل . وعند ذلك يسخرُ الله سَمْعَهُ للخبر المثليج ، أو بَصَرَهُ لمعاينة الشاهد المُقنِع ، على يَدَيِ الرسول الصادق ، ولا يَتَرُكُهُ هَمَلًا ، ولا يَدْعُهُ غُفْلًا ^(٢) ، وقد عَدَّلَ طَبْعَهُ وَأَحْكَمَ صُنْعَهُ ، ووَفَّرَ أَسْبَابَهُ ، فلا يحتاجُ عند معاينته رسولًا يُحْيِي الموتى ، ويُبرئ الأَكْمَه والأَبْرَص ، وَيَفْلِقُ البحر ، إلى تفكير ، ولا تَمِيل ^(٣) ولا امتحانٍ ولا تجربة ، لأنَّه قد فرغ من ذلك أجمع ، واستحكم عنده العلم الذي أدب به ، وهَبَّيَّءَ له وأوردَ عليه .

فإن كان لم يكن لذلك عامدًا ، ولا إليه قاصدًا ولا به مَعْنِيًا ^(٤) ، وإنَّما هو عبدٌ عَبَّاهُ سيِّده ، ورَشَّحه مولاه ، وهَيَّاهُ خالفَهُ لَأَمْرٍ لا يَشْعُرُ به من مصلحته ، ولا يَخْطُرُ على بَالِهِ من الصُّنْعِ له حين غَذَاهُ به ، وقاده إليه ، وهَيَّاهُ له .

فإذا أُورِدَ عليه دعوى رسولٍ ^(٥) ، وأُمَّتُهُ تشهدُ له بإحياء الموتى وفَلْقِ البحر ، وبكلِّ شَيْءٍ قد عُرِفَ عَجْزُ البَشَرِ عن فعلِهِ والقُوَّةُ عليه ، علم بتجارِبِهِ المتقدِّمة بِعادة الدنيا ، أَنَّ ذلك [ليس ^(٦)] من صنع البشر ، وأنَّ مثله

(١) الخلد ، بالتحريك : البال ، والقلب ، والنفس ، ب : « وثبت » ، صوابها في م .

(٢) الغفل ، بالضم : من لا يرجي خيره ولا يخشى شره . وفي النسختين : « مغفلا » ، وما أثبت هو لغة الجاحظ .

(٣) التميل : أن يتردد بين الأمرين ويوارن بينهما . م : « تمثيل » .

(٤) عني بالأمر : اهتم به وشغل ، فهو معني . وفي النسختين : « معنيًا » ، صوابه ما أثبت .

(٥) ب : « رسوله »

(٦) تكله يفتقر الكلام إليها .

لا يقعُ اتِّفَاقًا ، وأنَّ الحِيلَ لا تَبْلُغُه ، فلا يمتنعُ مَعَ رُؤية البرهان^(١) وفهمِ الدَّعوى ، أن يعلم أنَّ الرسولَ صادقٌ ، وأنَّ الرادَّ عليه كاذبٌ .

١٠ - فصل منه

ولولا أنَّ هذا كلامٌ لم يكن من ذكره بُدٌ ، لأنَّه تأسيسٌ لما بَعْدَه^(٢) ، ومقدمة^(٣) لما بين يديه ، وتوطئةٌ له ، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضابا ، ولكن بمنعنى عَجَزُ أَكْثَرِ النَّاسِ عن فهم غايته فيه إلا بتنزيله وترتيبه^(٤) .

وكلُّ كلامٍ أَتَيْتَ على فَرْعِهِ ، ولم تُخَبِّرْ عن أصله فهو خِداجٌ لاغْناءُ عنده^(٥) ، وواهنٌ لا ثباتَ له .

(١) في النسختين : « من رؤية البرهان » . والوجه ما أثبت .
 (٢) ب : « بد لأنه لا تأسس لما بعده » م : « بدلالة لا تأسيس لما بعده » والصواب ما استخرجت منهما .
 (٣) ب : « ومقدمته » ، صوابه في م .
 (٤) في النسختين : « إلا تنزيله وترتيبه » ، تحريف .
 (٥) الخِداج : الناقص . وفي الحديث : « كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خِداج » ، أى ذات خِداج ، وهو النقصان . والغناء ، بالفتح : النفع والكفاية . ب : « لاغنى عنده » م : « لاغيا عنده » ، تحريف .

١٤

من رسالة في
المعاد والمعاش

فصل

١ - من صدر كتابه في المعاد والمعاش^(١)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ جَمَاعَاتِ أَهْلِ الْحِكْمَةِ قَالُوا :

وَأَجِبْ عَلَى كُلِّ حَكِيمٍ أَنْ يُحَسِّنَ الْارْتِيَادَ لِمَوْضِعِ الْبُغْيَةِ ، وَأَنْ يَتَبَيَّنَ
أَسْبَابُ الْأُمُورِ ، وَيَمْهَدَ لِعَوَاقِبِهَا .

فَإِنَّمَا حُمِدَتْ الْعُلَمَاءُ بِحَسَنِ التَّثْبُتِ فِي أَوَائِلِ الْأُمُورِ ، وَاسْتَشْفَاقِهِمْ^(٢)
بِعَقُولِهِمْ مَا تَجَيَّءَ بِهِ الْعَوَاقِبُ^(٣) ، فَيَعْلَمُونَ عِنْدَاسْتِقْبَالِهَا مَا تَوَوَّلُ بِهِ
الْحَالَاتُ فِي اسْتِدْبَارِهَا . وَبِقَدْرِ تَفَاوُتِهِمْ فِي ذَلِكَ تَسْتَبِينُ فَضَائِلُهُمْ .

فَأَمَّا مَعْرِفَةُ الْأُمُورِ عِنْدَ تَكْشُفِهَا ، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ خَفِيَّاتِهَا . فَذَلِكَ أَمْرٌ
يَعْتَدِلُ فِيهِ الْفَاضِلُ وَالْمَفْضُولُ ، وَالْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ .

وَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - فِي أَيَّامِ الْحَدَاثَةِ ، وَحَيْثُ^(٤)
سُلْطَانُ الْهَوَى الْمَخْلُطُ لِلْأَعْرَاضِ أَغْلَبُ عَلَى نَظَرَاتِكَ ، وَشُكْرُ الشَّبَابِ

(١) هذا الكتاب مما سقط من نسخة ط . وقد سبق نشره كاملاً في الجزء الأول من رسائل
٨٧ - ١٣٤ . وعنوانه فيما سبق « المعاش والمعاد » . وقد لحظت في الفصل الثاني من هذه الاختيارات
أن الجاحظ قد قدم « المعاد » على « المعاش » كما هنا . والنص فيه : « فرأيت أن أجمع لك كتاباً
من الأدب جامعاً لعلم كثير من المعاد والمعاش . وقد وجدت أن أكثر تصويباتي مطابقة لما في
الرسائل .

(٢) ب : « واشتقاقهم » ، صوابه في م والرسائل .

(٣) في النسختين : « ماتحجى به العواقب » ، و«وجه ما أثبت » ، كما في الرسائل .

(٤) في النسختين : « وخبث » ؛ صوابه ما أثبت من الرسائل .

والجدة^(١) المتحيفين للدين والمروعة مستولٍ على لذاتك^(٢) . ففقتهم^(٣) ببسطة المقدرة ، وحُمياً الحدأة ، وفضلِ الجدة^(٤) . مع ما^(٥) تقدمتهم به من الوسامة في الصورة ، والجمال في الهيئة .

وهذه أسباب تكاد أن توجب الانقياد للهوى . وتُلجج في المهالك^(٦) ولا يسلم معها إلا المنقطع القرين في صحّة الفطرة ، وكمال العقل . فاستعبدتهم الشهوات حتى أعطوها أزيمة أديانهم . وسلطوها على مروءاتهم وأبأخوها أعراضهم ، فآلت بأكثرهم الحال إلى ذلّ العدم . وفقد عزّ الغنى في العاجل ، مع الندامة الطويلة والحسرة في الآجل .

وخرجت نسيجَ وَحْدِكَ أَوْحِدِيًّا^(٧) في نفسك . حكمت وكيّل الله عندك - وهو عَقْلُكَ - على هواك ، وألقيت إليه أزيمة أمرِكَ ، فسلك بك طريق السلامة ، وأسلمك إلى العاقبة المحمودة ، وبلغ بك من نيل اللذات أكثر مما بلغوا^(٨) ، ونال بك من الشهوات أكثر مما نالوا . وصرفك

(١) الجدة : الثنى الذى لا فقر بعده ، يقال وجد يجد جدة : أيسر واتسعت حاله . يقول أبو العتاهية في ديوانه ٤٤٨ :

- * علمت ياجماشع بن مسعوده *
- * أن الشباب والفراغ والجدة *
- * مفسدة للمرء أى مفسده *

وفي النسختين : « الحدة » ، تحريف .

(٢) اللذات : جمع لذة ، وهو الترب المقارب في العمر والولادة . وفي النسختين : « لذاتك » ، تحريف ماقى الرسائل .

(٣) ب « ففقتهم » ، صوابه في م .

(٤) في النسختين : « الحدة » بالمهمله . وانظر ماسبق في الحواشى .

(٥) ب : « من » ، صوابه في م .

(٦) المعروف لجج تلجيحاً : خاض اللجة . وكذلك لججت السفينة : أى خاضت اللجة . فهو

فعل لازم . وقد استعمله الجاحظ هنا متعدياً . وفي الرسائل : « ولجج من المهالك » .

(٧) الأوحى : نسبة إلى الأوحى . أى الوحيد الجوهري : « يقال لست في هذا . في هذا الأمر بأوحد ، ولا يقال للأثنى وحداً » . وفي النسختين : « أوحداً ، بالياء الموحدة ، صوابه ما أثبت من الرسائل .

(٨) في النسختين : « أكثر ما يبلغوا » ، صوابه في رسائل .

من صُنُوف النعم في أَكْثَرَ ممَّا تصرفوا . وَرَبَطَ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي خَوَّلَكَ مَا أَطْلَقَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِيشَارُ اللَّهْوِ ^(١) . وَتَسْلِيْطُهُمُ الْهَوَى [عَلَى أَنْفُسِهِمْ] ^(٢) . فَخَاضَ بِكَ تِلْكَ اللَّجَجَ . وَاسْتَنْقَذَكَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَاطِبِ ^(٣) ، فَأَخْرَجَكَ سَلِيمَ الدِّينِ ، وَافَرَ الْمُرُوءَةَ ، نَقَّى الْعِرْضَ ، كَثِيرَ الشَّرَائِ ، بَيَّنَّ الْجِدَّةَ ^(٤) . وَذَلِكَ سَبِيلُ مَنْ كَانَ مَيْلُهُ إِلَى اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى هَوَاهُ .

فَلَمْ أَزَلْ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا تِلْكَ بِفَضِيلَتِكَ عَارِفًا ، وَلَكَ بِنِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ غَابِطًا ، أَرَى ظَوَاهِرَ أَمْرِكَ الْمَحْمُودَةِ تَدْعُونِي إِلَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ ، وَأَسْأَلُ عَنْ بَوَاطِنِ أَحْوَالِكَ ^(٥) فَيَزِيدُنِي رَغْبَةً فِي الْإِتِّصَالِ بِكَ ، ارْتِيَادًا مَنَى لِمَوْضِعِ الْخَيْرَةِ ^(٦) فِي الْأُخُوَّةِ ، وَالتَّمَسُّا لِإِصَابَةِ الْإِصْطِفَاءِ فِي الْمُوَدَّةِ ، وَتَخِيرًا لِمُسْتَوْدَعِ الرَّجَاءِ فِي النَّائِبَةِ .

فَلَمَّا مَحَصَّتْكَ الْخَبْرَةُ ^(٧) ، وَكَشَفَ الْإِبْتِلَاءُ عَنِ الْمَحْمُودَةِ ، وَقَضَتْ لَكَ التَّجَارِبُ بِالْتَّقَدِّمَةِ ، وَشَهِدَتْ لَكَ قُلُوبُ الْعَامَّةِ بِالْقَبُولِ وَالْمَحَبَّةِ ، وَقَطَعَ اللَّهُ عُذْرَ مَنْ كَانَ يَطْلُبُ الْإِتِّصَالَ بِكَ . طَلَبْتُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ وَالْإِتِّصَالَ بِحَبْلِكَ ، وَمَتَّ بِحَرَمَةِ الْأَدَبِ ^(٨) وَذِمَامِ كَرَمِكَ ^(٩) .

(١) في النسختين : « من إيشار اللهو » ، والوجه ما أثبت من الرسائل .

(٢) التكملة من الرسائل .

(٣) المعاطب : المهالك . م : « المعاطف » ، صوابه من الرسائل .

(٤) ب : « كثير البر من الجدة » م : « كثير أكثر من الجدة » ، صوابها ما أثبت من الرسائل .

(٥) هذا ما يقابل « ظواهر أمرك » السابقة . وفي النسختين : « تواطىء أحوالك » ، تحريف ما أثبت من الرسائل .

(٦) الخيرة : الاختيار . وفي النسختين : « لموضوع الخيرة » ، وإنما يرتاد الموضوع والمكان ، فالصواب ما أثبت من الرسائل .

(٧) محصه محصاً ومحصة تمحصاً . خالصه مما يشوبه أو يعيبه . ومثله محضه محضاً فهو محض ومحض . وفي الرسائل « محضتك الخيرة » .

(٨) المت : التوسل بفرابة أو بحرمة . وفي النسختين : « وهت » ، صوابه في الرسائل .

(٩) الذمام : الحق والحرمة . ب فقط : « وزمام كرمك » ، تحريف .

وكان من نعمة الله عندي أن جعل أبا عبد الله^(١) ... حفظه الله -
وسيلتي إليك ، فوجدتُ المطلبَ سهلاً ، والمُرَادَ محموداً . وأفضيتُ
إلى ما يَجُوزُ الأُمْنِيَّةُ^(٢) وَيَقُوتُ الأَمَلُ . فوصلتُ إِخَايَ بِمُودَّتِكَ ، وَخَلَطْتَنِي
بِنَفْسِكَ ، وَأَسَمْتَنِي فِي مَرَاغِي ذَوِي الْخَاصَّةِ بِكَ^(٣) تَفَضُّلاً لَامِجَازَةً .
وَتَطَوُّلاً لَا مُكَافَاةَ ، فَأَمِنْتُ الْخُطُوبَ ، وَاعْتَلَيْتُ عَلَى الزَّمَانِ ، وَاتَّخَذْتُكَ
لِلْأَحْدَاثِ عُدَّةً ، وَمِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ حِصْنًا مَنِعًا .
فلما جَرَتْ الْمُؤَانَسَةُ^(٤) ، وَتَقَلَّبْتُ مِنْ فَضْلِكَ فِي صَنُوفِ النِّعَمَةِ ،
وَزَادَ تَصَرُّفِي فِي مَوَاهِبِكَ^(٥) فِي السُّرُورِ وَالْحَبِيرةِ^(٦) ، أَرَدْتُ خِبرَةَ الْمَشَاهِدَةِ
فَبَلَوْتُ أَخْلَاقَكَ ، وَامْتَحَنْتُ شَيْمَكَ ، وَعَجَمْتُ مَذَاهِبَكَ ، عَلَى حِينِ
غَفْلَاتِكَ ، وَفِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَقْلُ فِيهَا تَحْفَظُكَ ، أُرَاعِي حَرَكَاتِكَ^(٧) ،
وَأُرَاقِبُ مَخَارِجَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، فَأَرَى [مِنْ^(٨)] اسْتِصْغَارِكَ الْعَظِيمِ النِّعَمَةِ
الَّتِي تَنْعَمُ بِهَا ، وَاسْتِكْثَارِكَ لِقَابِلِ الشُّكْرِ مِنْ شَاكِرِيكَ ، مَا أَعْرِفُ بِهِ
وَبِمَا قَدْ بَلَوْتُ مِنْ غَيْرِكَ^(٩) وَمَا قَدْ شَهِدْتُ لِي بِهِ عَلَيْكَ التَّجَارِبَ^(١٠) ،
أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ طَبِيعٌ غَيْرُ تَكْلُفٍ .
هيهاتَ مَا يَكَادُ ذُو التَّكْلُفِ أَنْ يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْغَبَاوَةِ ، فَكَيْفَ
عَلَى مِثْلِي مِنَ التَّصَفِّحِينَ ؟

(١) الظاهر أنه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد .

(٢) في النسختين : « تجوز الأمنية » ، صوابه في الرسائل .

(٣) في النسختين : « بل » ، صوابه في الرسائل .

(٤) في الرسائل : « حزت المؤانسة » .

(٥) في الرسائل : « وزاد بصري من مواهبك » .

(٦) الخبرة ، بفتح الحاء ، وبالتحريك : السرور ، كالجور . وفي النسختين :
« الخبرة » ، صوابه في الرسائل .

(٧) ب : « جرأتك » م : « حراتك » ، صوابهما في الرسائل .

(٨) التكلمة من الرسائل .

(٩) في النسختين : « أعرف بما قد بلوت من غيرك » ، فقط . وتكملة العبارة من الرسائل .

(١٠) م : « وما قد شهدت لي به التجارب عليك » . و « عليك » ساقطة من الرسائل .

٢ - فصل منه

ولم أزل - أبقاك الله - بالموضع الذي عرفت من جَمْعِ الكُتُبِ ودراستها والنَّظَرِ فيها . ومعلومٌ أَنَّ طُولَ دراستِها إِنَّمَا هو تصفُّحُ عقولِ العالمين ، والعلمُ بِأَخلاقِ النَّبِيِّينَ - صلوات الله تعالى عليهم أَجمعين - وذَوِي الحِكمةِ من الماضينَ والباقيينَ من جميعِ الأُمَمِ ، وكتبِ أَهلِ المللِ .

فرأيتُ أَنَّ أَجْمَعَ لك كتاباً من الأدبِ ، جامعاً لعلمٍ كثيرٍ من أمرِ المعاد والمعاش ، أَصِفُ لك فيه عِلَلِ الأشياءِ ، وأُخْبِرُكَ بِأَسْبَابِها ، وما اتَّفقت عليه مَحَاسِنُ الأُمَمِ . وعلمتُ أَنَّ ذلك من أعظمِ ما أَبرَّكَ به ^(١) ، وأرجحُ ما أَتَقَرَّبُ به إليك .

وكان الذي حداني إلى ذلك ^(٢) ما رأيت الله تعالى قَسَمَ لك من العَقْلِ والفهمِ ، ورَكَّبَ فيك من الطبعِ الكريمِ .

وقد اجتمعت الحكماءُ على أَنَّ العَقْلَ المطبوعَ والكرمَ الغريزيَّ ، لَا يَبْلُغان غايةَ الكمالِ إِلَّا بِمَعَاوَنَةِ العَقْلِ المكتسبِ ^(٣) ، ومثَّلوا ذلك بالنارِ والحَطَبِ ، والمِصْبَاحِ والدُّهْنِ ، وذلك أَنَّ العَقْلَ الغريزيَّ آلةٌ والمكتسَبُ مادةٌ ، وإِنَّمَا الأدبُ عَقْلٌ غيرُكَ تزيدهُ في عقلِكَ .

ورأيتُ كثيراً من واضعي الأدبِ ^(٤) قبلي ، قد عهدوا إلى الغابرينَ بعدهم في الآدابِ عهداً قاربوا فيها الحقَّ ، وأحسنوا فيها الدَّلالةَ . إِلَّا

(١) ب : « ما أترك به » م : « ما ترك به » ، والوجه ما أثبت من الرسائل .

(٢) الرسائل : « على ذلك » .

(٣) في النسختين : « إِلَّا بِمَعَايِنَةِ العَقْلِ المكتسبِ » ، صوابه في الرسائل .

(٤) في الرسائل : « الآداب » .

أَنْتَى رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَا رَسَمُوا مِنْ ذَلِكَ فَرُوعاً لَمْ يَبَيِّنُوا عِلْلَهَا . . وصفاتٍ
حسنةً لَمْ يَكْشِفُوا أَسْبَابَهَا ، وَأُمُوراً مَحْمُودَةً لَمْ يَدُلُّوا عَلَى أَصُولِهَا .

فَإِنْ كَانَ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ رَوَايَاتٍ رَوَّاهَا عَنْ أَسْلَافِهِمْ . وَوَرِثَاتٍ
وَرِثُوهَا عَنْ أَكْبَرِهِمْ فَقَدْ قَامُوا بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَلَمْ يَبْلُغُوا فَضِيلَةَ مَنْ
[طَبَّ لِمَنْ ^(١)] اسْتَطَبَّ ، وَإِنْ كَانُوا تَرَكَوا الدَّلَالََةَ عَلَى عِلَلِ الْأُمُورِ ،
الَّتِي ^(٢) بِمَعْرِفَةِ عِلْلِهَا يُوصَلُ إِلَى مَبَاشَرَةِ الْيَقِينِ فِيهَا ، وَيُنْتَهَى إِلَى غَايَةِ
الاسْتَبْصَارِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَعْدُوا فِي ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الظَّنِّ بِهَا ^(٣) .

وَلَمْ تَجِدْ ^(٤) وَصَايَا أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَبَداً إِلَّا مَبِينَةَ الْأَسْبَابِ ،
مَكْشُوفَةَ الْعِلَلِ ، مَضْرُوبَةً مَعَهَا الْأَمْثَالُ .

٣ - فصل منه

وَلَنْ أَدْعَ ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الْخَفِيَّةِ مَوْضِعاً إِلَّا أَقَمْتُ لَكَ بِهَا ^(٦)
بِإِزَاءِ كُلِّ شَبْهَةٍ مِنْهُ دَلِيلاً ، وَمَعَ كُلِّ خَفِيٍّ مِنَ الْحَقِّ حُجَّةً ظَاهِرَةً ،
تَسْتَنْبِطُ بِهَا ^(٧) غَوَامِضَ الْبِرْهَانِ ، وَتَسْتَثِيرُ بِهَا ^(٨) دِفَاقِ الصَّوَابِ .
وَتَسْتَشْفُ بِهَا سَرَائِرَ الْقُلُوبِ ^(٩) ، فَتَأْنِي بِمَا تَأْنِي عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَتَدْعُ مَا تَدْعُ

(١) تَكْلَفُ ضَرُورِيَّةٌ . طَبَّ : وَصَفَ الدَّوَاءَ وَالْعِلَاجَ . وَاسْتَطَبَّ : طَلَبَ ذَلِكَ .

(٢) فِي النُّسخَتَيْنِ : « وَالَّتِي » ، وَالْوَاوُ مَقْتَحَةٌ .

(٣) فِي النُّسخَتَيْنِ : « الضَّنُّ بِهَا » ، صَوَابُهَا فِي الرَّسَائِلِ .

(٤) فِي الرَّسَائِلِ : « وَلَنْ تَجِدُوا » .

(٥) الرَّسَائِلُ : « فَلَمْ أَدْعُ » .

(٦) بِهَا ، مِنْ م . وَلَيْسَتْ فِي ب وَلَا الرَّسَائِلُ .

(٧) فِي النُّسخَتَيْنِ : « يَسْتَنْبِطُ بِهِ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ . وَقَدْ اسْتَمَرَّتِ الْعِبَارَةُ فِي النُّسخَتَيْنِ
إِلَى آخِرِ هَذَا الْفَصْلِ بِالتَّعْيِيرِ بِالْفِيئَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَطَابٌ كَمَا فِي الرَّسَائِلِ .

(٨) ب : « وَيَسْتَفْتِي بِهَا » ، م : « وَيَسْتَثِيرُ بِهَا » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ . وَفِي الرَّسَائِلِ :
« وَتَسْتَبِينُ بِهَا دِفَاقِ الصَّوَابِ » .

(٩) فِي النُّسخَتَيْنِ : « وَيَسْتَشْفُ بِهَا سَوَائِرَ الْقُلُوبِ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

عن خِبرة . ولا يكون بك وحشةٌ إلى معرفة^(١) كثيرٍ ما يغيب عنك إذا عرفتَ العللَ والأسبابَ ، حتَّى كأنَّكَ مشاهدٌ لِضميرِ كلِّ امرئٍ لمعرفتكِ بَطْبَعِهِ ومارُكَّبِ عليه .

٤ - فصل منه^(٢)

اعلمْ أنَّكَ إذا أهملتَ ما وصفتُ لك عرضتَ تدبيرَكَ إلى الاختلاط ، وإنَّ آثَرَ الهَوَيْنَى ، واتَّكلتَ على الكفاية في الأمر الذي لا يجوز فيه إلَّا نظركَ ، وزَجَّيتَ^(٣) أمركَ على رأيٍ مدخولٍ ، وأصلٍ غيرٍ معكم ، رَجَعَ ذلكَ عليك بما لو حُكِّمَ فيه عدوكَ^(٤) كان ذلكَ غايةَ أمنيته وشفاء غيظه .

واعلمْ أنَّ إجراءاتِ الأمورِ مجاريها ، واستعمالك الأشياءِ على وجوهها ، يجمعُ لك ألفةَ القلوبِ ، فيعاملُك^(٥) كل من عاملك بمودةٍ ، وأخذٍ وإعطاءٍ^(٦) ، وهو على ثقةٍ من بَصْرِكَ^(٧) بمواضعِ الإنصافِ^(٨) ، وعلمِكَ بمواردِ الأمورِ .

(١) التكملة من الرسائل .

(٢) انظر الرسائل ١ : ١٠٥ .

(٣) الترجية : السوف والدفع . في النسختين : « ورجيت » بالراء المهملة ، صوابه من الرسائل .

(٤) الرسائل : « فيك عدوك » .

(٥) في النسختين : « ويعاملُك » ، والوجه ما في الرسائل .

(٦) في الرسائل : « أو أخذ أو إعطاء » .

(٧) في النسختين : « من نصرُك » ، تحريف .

(٨) ما بعده إلى نهاية هذا الفصل منظم في التيمورية .

٥ - فصل منه^(١)

فإن ابتليتَ في بعض الأوقات بمن يتقرب بحرمة^(٢) ، ويمتُ بدالة ، يطلب المكافأة^(٣) بأكثر مما يستوجب ، فدعاك الكرم والحياء إلى تفضيله على^(٤) من هو أحقُّ به ، إمّا خوفاً من لسانه ، أو مداراةً لغيره ، فلا تدعُ الاعتذارَ إلى مَنْ هو فوقه من أهل البلاء والنصيحة^(٥) وإظهاراً ما أردتَ من ذلك لهم^(٦) ؛ فإنَّ أهلَ خاصَّتِكَ والمؤتمنينَ على أسرارِكَ ، هم شركاؤك في العيش ، فلا تستهين^(٧) بشيءٍ من أمورهم ، فإنَّ الرجلَ قد يترك الشيءَ من ذلك اتكالاً على حُسنِ رأيِ أخيه ، فلا يزال ذلك^(٨) يجرح في القلب وينمو ، حتَّى يولّد ضِعْناً ويحولَ عداوةً .

فتَحَفَّظْ من هذا الباب ، واحملْ إخوانك عليه بجهدك .

وستجد من يتصل بك ممن يغلبه إفراط الحرص^(٩) ، وحُميّا الشرِّ ، ولينُ جانبِكَ له ، على أَنْ يَنْقِمَ العافية ، ويطلبَ اللُّحوقَ بمنازل من ليس مثله^(١٠) ، ولا له مثلُ دالّته ، فتلقاه لما تصنع به مستقيلاً . ولعروفك مُستصغراً .

وصلاحُ مَنْ كانت هذه حاله بخلافٍ ما فسَدَ عليه أمره .

(١) الرسائل ١ : ١٠٨ .

(٢) الرسائل : « بمن يضرب بحرمة » .

(٣) ب فقط : « المكافآت » .

(٤) ب فقط : « إلى » ، تحريف .

(٥) م : « البلاد والنصيحة » ، تحريف .

(٦) في النسختين : « من ذلك لهم » ، صوابه في الرسائل .

(٧) في النسختين : « لا تستهين » ، وإثبات الفاء من الرسائل .

(٨) في النسختين : « كذلك » .

(٩) في النسختين : « الحزم » ، صوابه في الرسائل .

(١٠) في الرسائل : من ليس هو مثله » .

فاعرف طرائفهم وشيمهم ، وداوكل من لا يد لك من معاشرته ،
بالدواء^(١) الذى هو أنجع فيه ، إن لنا فليناً ، وإن شدة فشدّة ، فقد
قيل فى مثل :

مَنْ لَا يُؤدُّهُ الْجَمِيْلُ — لُ فِى عُقُوبَتِهِ صِلَاٰهُ^(٢)

٦ - فصل منه^(٣)

واعلم أنّ المقادير ربّما جرّت بخلاف ما تُقدّر الحكماء^(٤) ، فينال
بها الجاهل فى نفسه ، المختلط فى تدبيره ، ما لا ينال الحازم الأريب
الحذر ، فلا يدعونك^(٥) ما ترى من ذلك إلى التّضييع والاتّكال على
مثل تلك الحال ؛ فإنّ الحكماء قد اجتمعت على [أنّ^(٦)] من أخذ بالحزم
وقدّم الحذر ، فجاءت المقادير بخلاف ما قدّر^(٧) ، كان عندهم أحمد
رأياً ، وأوجب عذراً ممن عمل بالتّفريط ، وإن اتّفقت له الأمور على
ما أراد .

ولا تكوننّ بشيء ممّا فى يدك أشدّ ضيقاً . ولا عليه أشدّ حدباً منك
بالآخر الذى قد بلوته بالسّراء والضّراء^(٨) . فعرفت مذاهيته ، وخبرت
شيمه ، وصحّ لك غيبه ، وسلمت لك ناحيته ، فإنّه شقيق رُوحك ،
وباب الرّوح إلى حياتك ، ومُستمدُّ رأيك وتوأم عقلك .

(١) فى النسختين : « فالدواء » ، صوابه من الرسائل .

(٢) ورد البيت بهيئة النثر فى النسختين . وقد نسب إلى هارون الرشيد فى العقد ٥ : ٦٠
أو لعله تمثّل به . ورواية العقد : « من لم يؤدبه » .

(٣) الرسائل ١ : ١٢١ .

(٤) ب : « ما يقدر الحكماء » .

(٥) فى النسختين : « لا يدعونك » ، وأثبت ما فى الرسائل .

(٦) التكملة من الرسائل .

(٧) فى الرسائل : « بخلاف ما قدر » .

(٨) الرسائل : « فى السراء والضراء » .

ولست منتفعاً بعيشٍ مع الوَحْدَةِ ، ولا بدَّ من المُؤانسةِ .

وكثرة الاستبدالِ يَهْجُمُ بِصاحبه على المكروه .

فإن صفا لك أخ فكن به أَشَدَّ ضِنًّا منك بنفائس أموالك ، ثم لا يُزهدنك فيه أن ترى خلقاً أو خُلُقَيْنِ تكرهُهُما ، فإنَّ نَفْسَكَ التي هي أخصُّ النفوس بك لا تُعْطِيكَ المَقَادَةَ في كلِّ ما تريد ^(١) ، فكيف ^(٢) بنفيس غيرك .

وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره . وقد قالت الحكماء :
« من لك بأخيك كله ^(٣) » . و : « أيُّ الرُّجَالِ المُهْذَبُ ^(٤) » .

٧ - فصل منه ^(٥)

واعلم أنَّك موسومٌ بِسِيِّمًا من قَارَنْتَ ، ومنسوبٌ إليك أفاعيلُ مَنْ صاحبت . فتحرز من دُخلاء السَّوءِ ، وأظهرَ مجانبَةَ أهل الرِّيب ^(٦) ، وقد جَرَتْ لك في ذلك الأمثال ، وسُطِّرَتْ فيه الأقاويل ^(٧) ، فقالوا :
« المرءُ حيثُ يجعلُ نَفْسَهُ ^(٨) » .

(١) في النسختين : « التي لا تعطيك » وكلمة « التي » مقحمة . وفي ب « القارة في كلما تريد » م : « القادة في كل ما تريد » ، صوابهما ما أثبت من الرسائل . والمقادة : الانقياد والمطاوعة .

(٢) في النسختين : « وكيف » .

(٣) قائله أكرم بن صبيح ، كما في المعمرين للسجستاني ١٢ . وورد في جمهرة العسكري ١ : ٢ / ٢٨٣ بدون نسبة . ونظمه أبو تمام فقال :

ما غبن المغبون مثل عقله من لك يوماً بأخيك كله

(٤) من قول النابغة الذبياني في ديوانه ١٤ :

ولست بمستبق أخاً لاتلمه على شعث أي الرجال المهذب

(٥) رسائل الجاحظ ١ : ١٢٦ .

(٦) الرسائل : « ومجالسة أهل الريب » .

(٧) الرسائل : « وسطرت لك فيه الأقاويل » .

(٨) ومنه قول منقر بن فروة في البيان ٢ : ١٠٣ و ٣ : ٢٢٨ :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه في صالح الأخلاق نفسك فاجعل

وقالوا : « يُظَنُّ بالمرء ما يُظَنُّ بقريته » .

وقالوا : « المرءُ بشكله » ، و « المرءُ بأليفه » .

ولن تقدِرَ أن تتحرَّزَ من الناس^(١) ، ولكن أقلَّ الموانسةَ إلا بأهل البراعةِ من كلِّ دَنَسٍ .

واعلم أنَّ المرءَ بقَدْرِ ما يسبقُ إليه يُعرَفُ . وبالمستفيض من أفعاله يُوصَفُ . فإنَّ كان بين ذلك كثيرٌ من أخلاقه^(٢) ألغاه النَّاسُ ، وحكموا عليه بالغالبِ من أمره .

فاجتهد أن يكون^(٣) أغلبُ الأشياءِ على أفعالكِ كلِّ ما يحمدهُ العوامُّ ولا تذمهُ الجماعاتُ ، فإنَّ ذلك يُعْفَى على [كلِّ^(٤)] خللٍ إن كان .

فبادِرْ ألسنةَ النَّاسِ واشغَلْها^(٥) بمحاسنِكَ ، فإنَّهم إلى كلِّ سيِّئٍ^(٦) سراعٌ ، واستظهروا على مَنْ دونك بالتفضلِّ ، وعلى نظرائك بالإنصافِ ، وعلى كلِّ مَنْ فوقك بالإجلالِ ، تأخُذْ بوثائقِ الأمورِ وبأزمَةِ التدبيرِ .

(١) ب : « تتحرَّز من الناس » . الرسائل : « ولن تقدِر على التحرز من جماعة الناس » .

(٢) الرسائل : « من أفعاله » .

(٣) في النسختين : « أن تكون » .

(٤) التكملة من الرسائل .

(٥) الرسائل : « فاشغلها » .

(٦) الرسائل : « إلى كل شيء » ، وصحَّحها هناك بما أثبت هنا . وفي النسختين : « إلى

كل شر » .



١٥

من رسالة في
الحمد والهزل

١ - فصل

من صدر رسالته إلى محمد بن عبد الملك
في الجد والهزل^(١)

جُعِلَتْ فداك ، ليس من اختياري^(٢) ، النَّخْلَ عَلَى الزَّرْعِ^(٣) .
أَقْصَيْتَنِي ، وَلَا عَلَى مَيْلِي إِلَى الصَّدَقَةِ دُونَ إعْطَاءِ الْخَرَاجِ عَاقِبَتَنِي ،
وَلَا لِبُغْضِ دَفْعِ الْإِثَاوَةِ وَالرِّضَا بِالْجِزْيَةِ حَرَمَتَنِي . وَلَسْتُ أَدْرِي لِمَ كَرِهْتَ
قُرْبِي ، وَهَوَيْتَ بُعْدِي . وَاسْتَنْقَلْتَ رَوْحِي وَنَفْسِي . وَاسْتَطَلْتَ عُمرِي
وَأَيَّامَ مُقَامِي ؟ وَلَمْ سَرَّتْكَ سَيِّئَتِي وَمَصِيبَتِي . وَسَاعَتِكَ حَسَنَتِي وَسَلَامَتِي ؟
نَعَمْ . حَتَّى سَاعَتِكَ عَزَائِي وَتَجَمُّلِي ، بِقَدَرِ مَا سَرَّكَ جِزْعِي وَتَضَجُّرِي ، وَحَتَّى
تَمَنَيْتَ أَنْ أُخْطِئَ عَلَيْكَ ، فَتَجْعَلَ خَطَأِي^(٤) حِجَّةً لَكَ فِي إِبْعَادِي^(٥) ،
وَكَرِهْتَ صَوَابِي فِيكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَجْعَلَ ذَرِيعَةً إِلَى تَقْرِبِي^(٦) .

فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَغْضَبَكَ . وَكَانَ هُوَ السَّبَبَ لِمَوْجِدَتِكَ ،
فَلَيْسَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - هَذَا الْحَقْدُ فِي طَبَقَةِ هَذَا الذَّنْبِ . وَلَا هَذِهِ الْمُطَالَبَةُ
مِنْ شَكْلِ هَذِهِ الْجَرِيْمَةِ .

(١) هذه الرسالة مما سقط أيضاً من نسخة ط . وسبق نشرها كاملة في ١ : ٢٢٧ - ٢٧٨ .

(٢) في الرسائل : « ليس من أجل اختياري » .

(٣) ألف الجاحظ كتاب (الزرع والنخل) لإبراهيم بن العباس الصولي المتوفى سنة ٢٤٣
فمنحه خمسة آلاف دينار ، كما ألف كتاب (الحيوان) لمحمد بن عبد الملك الزيات فمنحه مثلها .
وكتاب (البيان والتبيين) للقاضي أحمد بن أبي دواد فمنحه كذلك . معجم الأدباء ١٦ : ١٠٦ .
وجاء في الحيوان ١ : ٤ نظير هذا النص موجهاً إلى محمد بن عبد الملك الزيات : « وعبتني
بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب » .

(٤) الخطأ ، كسحاب : الخطأ ، ضد الصواب . وانظر الرسائل ١ : ٣٥٣ . كما استعمل
الجاحظ الكلمة بهذه الصورة في الحيوان ١ : ٢١٣ / ٣ : ٢٥٨ ، ٣٠٠ . وفي النسختين : « فتعجل ،
صوابه في الرسائل .

(٥) م فقط : « إبعادي » .

(٦) هذا ما في الرسائل . وفي النسختين : « تقرّب » ، تعريف .

٢ - فصل منها^(١)

فَأَيُّ شَيْءٍ أَبْقَيْتَ لِلْعَدُوِّ الْمَكَاشِفَ . وَلِلْمُؤَافِقِ الدَّلَاطِفَ^(٢) ،
وَلِلْمُعْتَمِدِ الْمُصِرَّ ، وَلِلْقَادِرِ الدَّلِيلَ ؟

وَمَنْ عَاقَبَ عَلَى الصَّغِيرِ بِعُقُوبَةِ الْكَبِيرِ ، وَعَلَى الْهَفْوَةِ بِعُقُوبَةِ
الْإِصْرَارِ ، وَعَلَى الْخَطَا بِعُقُوبَةِ الْعَمْدِ . وَعَلَى مَعْصِيَةِ الْمَتَسَتِّرِ بِعُقُوبَةِ
الْمُعْلِنِ . وَمَنْ لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ الْأَعَالَى وَالْأَسَافِلِ . وَبَيْنَ الْأَقَاصِي وَالْأَدَانِي .
عَاقَبَ عَلَى الزُّنَى بِعُقُوبَةِ السَّرْقَةِ . وَعَلَى الْقَتْلِ بِعُقُوبَةِ الْقَذْفِ . وَمَنْ خَرَجَ
إِلَى ذَاكَ فِي بَابِ الْعِقَابِ . خَرَجَ إِلَى مِثْلِهِ فِي بَابِ الثَّوَابِ .

وَمَنْ خَرَجَ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْزَانِ . وَخَالَفَ جَمِيعَ التَّعْدِيلِ كَانَ بَغَايَةً^(٣)
الْعِقَابِ أَحَقُّ ، وَبِهِ أَوْلَى .

وَالدَّلِيلُ عَلَى شِدَّةِ غَيْظِكَ وَغَلِيَانِ صَدْرِكَ ، قُوَّةُ حَرَكَتِكَ . وَإِبْطَاءُ
فَتْرَتِكَ ، وَبُعْدُ الْغَايَةِ فِي احْتِيَالِكَ .

وَمَنْ الْبُرْهَانَ عَلَى بَيَانِ الْغَضَبِ وَعَلَى عِظَمِ الذَّنْبِ ، تَمَكَّنَ الْحَقْدُ
وَرَسُوخُ الْغَيْظِ ، وَبُعْدُ الْوَثْبَةِ وَشِدَّةُ الصَّوْلَةِ . وَهَذَا الْبُرْهَانُ صَحِيحٌ مَا صَحَّ
النَّظْمُ . وَقَامَ التَّعْدِيلُ ، وَاسْتَوَتْ الْأَسْبَابُ .

وَلَا أَعْلَمُ نَاراً أَبْلَغَ فِي إِحْرَاقِ أَهْلِهَا مِنْ نَارِ الْغَيْظِ ، وَلَا حَرَكَةً
أَنْقَضَ لِقُوَى الْأَبْدَانِ مِنْ طَلَبِ الطَّوَائِلِ^(٤) ، مَعَ قَلَّةِ الْهَدْوِ . وَالْجَهْلِ
بِمَنَافِعِ الْجَمَامِ^(٥) ، وَإِعْطَاءِ الْحَالَاتِ أَقْسَامَهَا مِنَ التَّدْبِيرِ .

(١) ب : « منها » فقط . يسقط كلمة « فصل » .

(٢) في الرسائل : « والمناطق الملائف » .

(٣) ب : « في غاية » .

(٤) الطوائف : جمع طائفة ، وهي الأثر والدحر . يفر طلب بني فلان بطائفة . أي بوتر

كان له فيهم . م : « من طلب التعديل » ، صوابه في ب والرسائل .

(٥) الجمام : كسحاب . الراحة . وفي النسختين : « انهم » تصحيف .

ولا أعلم تجارةً أكثرُ خسراناً ولا أخفَّ ميزاناً . من عداوةِ العاقلِ العالمِ . وإطلاقِ لسانِ الجلييسِ والمُداخِلِ . والشُّعارِ دونَ الدُّثارِ ^(١) ، والخاصِّ دونَ العامِّ .

والطالبُ - أبقاك الله ^(٢) - بِعَرَضِ ظفِرٍ مالم يَخْرُجِ المطلوبُ ، وإليه الخيارِ ^(٣) ما لم تَقَعِ المُنازلةُ .

ومن الحَزْمِ أَلَّا تَخْرُجَ [إلى ^(٤)] العدوِّ إِلَّا ومعك من القُوَى ما يَغْمُرُ الفضلة التي يُتِيحُهَا له ^(٥) الإخراج . ولا بدَّ - أيضاً - من حزمٍ يحذِّركَ مَصَارِعَ البَغْيِ ، ويخوِّفُكَ ناصرَ المطلوبِ ^(٦) .

٣ - فصل منها

واللهِ لقد كنتُ أكرهه لك سَرَفَ الرِّضا ، مخافة جواذبه إلى سَرَفِ الهوى ، فما ظَنُّكَ بِسَرَفِ الغَضَبِ . وبِغَلَبَةِ الغَيْظِ ، ولا سِيَّما مَن تعود [إهمال ^(٧)] النَّفْسِ ولم يَعُوْذْهَا ^(٨) الصَّبْرُ . ولم يَعْرِفْهَا مَوْضِعَ الحِظِّ في تجرُّعِ مرارةِ العفو ^(٩) . وإنَّما المرادُ ^(١٠) من الأمور عواقبُها لا عواجلُها .

(١) ب : « الدسار » ، تحريف . والشعار : ماولى شعر جسّد الإنسان ، دون ما سواه من الثياب . والدثار : ما كان من الثياب فوق الشعار . وفي المثل : « هم الشعار دون الدثار » وصف بالمودّة والقرب . وفي حديث الأنصار : « أنتم الشعار والناس الدثار » .

(٢) في الرسائل : « جعلت فدك » .

(٣) في النسختين : « إليه الخيار » بإسقاط الواو الثابتة في الرسائل .

(٤) التكملة من الرسائل .

(٥) الرسائل : « ينتجها له » .

(٦) أى من تطلّبه من الأعداء .

(٧) التكملة من الرسائل .

(٨) ب : « ولن يعوْذْها » م . « ولا يعوْذْها » ، ووجهه من الرسائل .

(٩) في النسختين : « مرارة » فقط ، صوابه في الرسائل .

(١٠) الرسائل : « وأن المراد » .

وقد كنتُ أَشْفِقُ عليك من إفراط السرور ، فما ظنُّكَ بإفراط الغيظ . وقد قال الناس : « لا خَيْرَ في طول الرَّاحة إذا كان يورث الغفلة ، ولا في طول الكفاية ^(١) إذا كان يُؤدِّي إلى المعجزة . ولا في كثرة الغنى إذا كان يُخرج إلى البلدة ^(٢) .

جُعِلَتْ فِدَاكَ - إِنَّ دَاءَ الْحُزْنِ . وإن كان قاتلاً . فَإِنَّهُ دَاءٌ مِمَّا طَلَّ ^(٣) ، وَسُقْمُهُ سَقَمٌ مُطَاوِلٌ . ومعه من التمهيل ^(٤) بقدر قِسْطِهِ من أناة المِرَّةِ السوداء . وداءُ الْغَيْظِ سَفِيهُ طِيَّاشٍ ، وَعَجُولٌ فَحَّاشٍ ، يُعَجِّلُ عن التَّوْبَةِ ، ويقطع دون الوصِيَّةِ .

٤ - فصل منها ^(٥)

وَرُبَّتْ ^(٦) كَلِمَةٌ لا تَوْضِعُ إِلَّا على معناها الذي جُعِلَتْ حَظُّهُ وصارت هي حَقُّهُ ، والدَّالَّةُ عَلَيْهِ دونَ غيره ، كالعزم والحلم والرفق ^(٧) ؛ والأناة والمداواة ، والقصد والعدل . وكالانتهاز والاهتبال ^(٨) ، وكاليأس والأمل ^(٩) ، وكالخرق والعجلة ^(١٠) ، والمُداهنة والتسرُّع ، والغلو والتقصير .

-
- (١) الرسائل : « ولا في الكفاية » .
 (٢) البلدة ، بفتح الباء وضمها : البلادة ، ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور .
 (٣) ب : « داء طل » ، تحريف .
 (٤) في النسختين : « التمهيل » . وإنما المراد التَّهْيُّلُ ، أي البطء ، كما في الرسائل .
 (٥) رسائل الجاحظ ١ : ٢٤٣ .
 (٦) في النسختين : « دربت » ، صوابه في الرسائل .
 (٧) ب : « كالعزم والحلم والعلم والرفق » ، تحريف ما في م والرسائل .
 (٨) في النسختين : « والاهتبال » صوابه في الرسائل ، وسقطت كلمة . وكالانتهاز من الرسائل حين الطبع ، فثبتت هناك .
 (٩) في النسختين : « والأمن » ، تحريف .
 (١٠) الخرق بالضم : ضد الرفق ، وألا يحسن الرجل العمل ويتصرف في الأمور . ب : « وكالخدق » تحريف .

وَرُبَّ^(١) كلمة تدور مع واصلتها^(٢) . وَتَتَقَلَّبُ مع جَارَتِهَا . وَإِذَا صاحِبَتِهَا^(٣) ، وعلى قَدَرٍ مَا تُقَابِلُ من الحالات وتُلاقى من الأسباب^(٤) ، كَالْحَبِّ والبغض ، والغَضَبِ والرضا . والعَزَمِ والإرادة . والإقبال والإدبار ، والجِدِّ والفتور . لَأَنَّ كُلَّ هذا البابِ الْآخِرِ يكون في الخير والشر ، ويكون محموداً ويكون مذموماً .

وصاحبُ الْعَجَلَةِ - أَبِيقَاكَ اللهُ^(٥) - صاحبٌ لتغريبٍ ومُخاطرةٍ^(٦) ، إِنَّ ظَفِيرَ لَمْ يَحْمَدِهِ عَاقِلٌ^(٧) ، وَإِنْ لَمْ يَظْفِرْ قَطَّعَتْهُ الْمَلَاوِمُ . والرَّيْثُ أَخُو الْمَعْجَزَةِ ، ومَقْرُونٌ بِالْحَسْرَةِ ، وعلى مَدْرَجَةِ اللَّائِمَةِ .

وصاحبُ الْأَنَاءَةِ ، إِنَّ ظَفِيرَ نَفَعَ^(٨) غَيْرَهُ بِالْغَنَمِ ، وَنَفَعَ نَفْسَهُ بِشَمَرَةِ الْعِلْمِ ، وَطَابَ ذِكْرُهُ وَدَامَ شُكْرُهُ ، وَحُفِظَ فِيهِ وَلَدُهُ . وَإِنْ حُرِمَ فَمَبْسُوطٌ عِذْرُهُ وَمَصُوبٌ رَأْيُهُ^(٩) مع انتفاعه بِعِلْمِهِ ، وَمَا يَجِدُ مِنْ عِزِّ حَزْمِهِ . وَنُبُلُ صَوَابِهِ^(١٠) .

(١) الرسائل : « وربت » .

(٢) الرسائل : « مع خلتها » .

(٣) في النسختين : « وإرادة صاحبها » ، صوابه من الرسائل .

(٤) في النسختين : « ما يقابل » و « يلاق » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الرسائل : أعزك الله » .

(٦) م : « صاحب التغريب ومخاطرة » . صوابه في ب . وفي الرسائل : « تغريب ومخاطرة » .

(٧) الرسائل . لم يحمد عاله » .

(٨) في النسختين : « يقع » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في الرسائل .

(٩) في النسختين : « ومصور رأي » تحريف ما في الرسائل .

(١٠) ب : « من عز عزمه وبن صوابه » . صوابه في م والرسائل .

٥ - فصل منها^(١)

ومن كانت طبيعته مأمونةً عليه عند نفسه ، وكان دواؤه رائده
الذي لا يكذبه ، والمتأمر عليه دون عقله^(٢) . ولم يتوكل لما لا يهواه على
ما يهوى ، ولم ينصّر^(٣) تالد الإخوان على الطارف ، ولم ينصف المملول
المبعد^(٤) من المستطرف المقرب^(٥) . ولم يخف أن تجتذبه العادة^(٦)
وتنحكم عليه الطبيعة - فليرسم حجبهما ويصور صورهما في كتاب
مقروء^(٧) أو لفظ مسموع ، ثم يعرضهما على جهابذة المعاني وأطباء أدواء
العقول . على أن لا يختار إلا من لا يدري أي النوعين يتقى ، وأيهما
يحمي ، وأيهما دأؤه^(٨) ، وأيهما دواؤه . فإن لم يستعمل ذلك لم يزل
متورطاً في الخطأ^(٩) مغموراً بالذنب .

سمعتك وأنت تريدني وكأنك تريد غيري ، أو كأنك تُشير على
من غير أن تُصنني ، وتقول : إني لأعجب ممن ترك دفاتر علميه
متفرقة ، وكراريس درسه غير مجموعة ولا منظومة . كيف يعرضها

(١) الرسائل ١ : ٢٤٥ . والكلام مسبق هناك بقول الجاحظ : « وقل أيضاً » يعني الدهقان الذي كان يخاطب أسد بن عبد الله القسري .

(٢) في النسختين : « حقه » ، صوابه في الرسائل .

(٣) في النسختين : « ولم ينصر » ، تحريف .

(٤) في النسختين : « المملوك » ، صوابه في الرسائل . وفي ب : « على المبعد » . و « على » مقحمة .

(٥) ب : « من المستطرف » ، صوابه في م والرسائل . وفي النسختين : « والمقرب » ، بزيادة واو .

(٦) ب فقط : « تجذب العادة » .

(٧) ب : « مقرر » تحريف ، صوابه في م . وفي الرسائل : « مفرد » .

(٨) في النسختين : « يدأوه » ، صوابه في الرسائل . وب كان النص فيها : « وأيهما دواؤه وأيهما دأؤه » .

(٩) في النسختين : « الخط » ، وأوجه ما أثبت . وانظر ماضي في حو - ١٣

للتخرم^(١) ، وكيف لا يَمْنَعُهَا مِنَ التَّخْرِقِ^(٢) ؟ ! .

وعلى أَنَّ الدَّفْترَ إِذَا انْقَطَعَتْ حِرَامَتُهُ^(٣) وانحَلَّ شِدَادُهُ^(٤) ، وَتَخَرَّمَتْ رُبُطُهُ^(٥) ، وَلَمْ تَكُنْ دُونَهُ وِقَايَةً ، وَلَا دُونَهُ جُنَّةً ، تَفَرِّقُ وَرْقَهُ ، وَاشْتَدَّ جَمْعُهُ^(٦) ، وَعَسَرُ نَظْمُهُ . وَامْتَنَعَ تَأْلِيفُهُ . وَضَاعَ أَكْثَرَهُ^(٧) .

وَالدَّفَّتَانِ أَجْمَعِ ، وَصَمَّ الْجُلُودَ لَهَا أَصْوَنَ وَالْحَزَمَ لَهَا أَصْلَحَ .
وَيَنْبَغِي لِلْأَشْكَالِ أَنْ تُنْظَمَ^(٨) ، وَالْأَشْيَاءُ أَنْ تُؤَلَّفَ^(٩) ؛ فَإِنَّ التَّأْلِيفَ يَزِيدُ الْأَجْزَاءَ الْحُسْنَى حُسْنًا ، وَالْاجْتِمَاعَ يَحْدُثُ لِلْمَتَسَاوَى^(١٠) فِي الضَّعْفِ قُوَّةً .

٦ - فصل منها^(١١)

أَنْتَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - شَاعِرٌ وَأَنَا رَاوِيَةٌ ، وَأَنْتَ طَوِيلٌ وَأَنَا قَصِيرٌ ،
وَأَنْتَ أَصْلَحُ وَأَنَا أَنْزَعُ^(١٢) . وَأَنْتَ صَاحِبُ بَرَازِينَ وَأَنَا صَاحِبُ حَمِيرٍ ،

(١) في الرسائل ١ : ٢٤٦ : « للتخرم » ، من قولهم تجرم الليل ، إذا ذهب . وفي ب : « للتخرم » ، تحريف .

(٢) في الرسائل : « من التفرق » .

(٣) الخرامة والخزام : اسم لما شديده . ب : « خرامته » صوابه في م والرسائل .

(٤) في النسختين : « سداذه » ، صوابه في الرسائل .

(٥) هذا ما في الرسائل . وفي النسختين : « وكرمت ربطه » .

(٦) في الرسائل : « وإذا تفرق ورقه اشتد جمعه » .

(٧) الرسائل : « وربما ضاع أكثره » .

(٨) ب : « وينبغي الأشكال أن ينظم » م : « وينبغي أن ينظم » ، صوابهما في الرسائل .

(٩) أن ، ساقطة من ب . وفي الرسائل : « وللأشياء » .

(١٠) ب : « لحدث المتساوي » م : « لحدث المتساوي » ، صوابهما من الرسائل .

(١١) الرسائل ١ : ٢٦٥ .

(١٢) الترخ : بالتحريك : انحسر مقدم شعر الرأس عن حدي الجبهة . والصلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس إلى مؤخره . وكذلك إن ذهب وسطه . والنوضع منهما النزعة والصلعة بالتحريك فيهما ، وبالضم أيضاً في الصنعة .

وَأَنْتَ رَكِيزٌ وَأَنَا عَجُولٌ . وَأَنْتَ تَدَبَّرُ نَفْسَكَ ^(١) وَتَقِيمُ أَوْدَ غَيْرِكَ ،
وَتَتَّسِعُ لَجَمِيعِ الرِّعْيَةِ ، وَتَبْلُغُ بِتَدْبِيرِكَ ^(٢) أَقْصَى الْأُمَّةِ . وَأَنَا أَعْجَزُ عَنْ
تَدْبِيرِي ^(٣) وَعَنْ تَدْبِيرِ أَمْتِي وَعَبْدِي . وَأَنْتَ مِنْعٌ وَأَنَا شَاكِرٌ ^(٤) ، وَأَنْتَ
مَلِكٌ وَأَنَا سَوْقَةٌ . وَأَنْتَ مُصْطَنِعٌ وَأَنَا صَنِيعَةٌ ^(٥) ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ وَأَنَا
أَصِفُ . وَأَنْتَ مُتَقَدِّمٌ ^(٦) وَأَنَا تَابِعٌ ، وَأَنْتَ إِذَا نَازَعْتَ الرِّجَالَ وَنَاهَضْتَ
الْأَكْفَاءَ لَمْ تَقُلْ بَعْدَ فَرَاغِكَ وَانْقِطَاعِ كَلَامِكَ : لَوْ كُنْتُ قُلْتُ كَذَا لَكَانَ
أَجُودَ ، وَلَوْ تَرَكْتُ قَوْلَ كَذَا كَانَ أَحْسَنَ . وَأَمْضَيْتَ الْأُمُورَ عَلَى حَقَائِقِهَا .
وَسَلَّمْتُ إِلَيْهَا أَقْسَاطَهَا . عَلَى مَقَادِيرِ حَقُوقِهَا ، فَلَمْ تَنْدَمْ بَعْدَ قَوْلٍ ، وَلَمْ
تَأْسَفْ بَعْدَ سُكُوتٍ . وَأَنَا إِنْ تَكَلَّمْتُ نَدِمْتُ ، وَإِنْ جَارَيْتُ أَبْدَعْتُ ^(٧) .

٧ - فصل منها ^(٨)

وَقَدْ مَنَحْتُكَ [جَلَدٌ ^(٩)] شَبَابِي كَمَلًا ؛ وَغَرَبَ نَشَاطِي مُقْتَبَلًا ،
فَكَانَ لَكَ مَهْنَاهُ ، وَثَمَرُهُ قُوَاهُ . وَاحْتَمَلْتُ دُونَكَ عُرَامَهُ وَغَرَبَهُ ^(١٠) ، فَكَانَ
لَكَ غُنْمُهُ وَعَلَى غُرْمِهِ .

(١) في الرسائل : « انفسك » .

(٢) في النسختين : « ويبلغ تدبيرك » صوابه في الرسائل .

(٣) في الرسائل : « عن نفسي » .

(٤) ب فقط : « شاعر » ، تحريف .

(٥) في النسختين : « صنيعه » بالهاء ، وأثبت ما في الرسائل

(٦) في الرسائل : « وأنت مقدم »

(٧) المجازاة : مفاعلة من جرى في امتي وغيره . وفي النسختين : « حازيت » صوابه

في الرسائل . وأبدع الرجل ، بلقاء للمجهول والمعلوم أيضاً : كنت راحته أو عطبت . وفي

النسختين . « بدعت » ، صوابها في الرسائل

(٨) الرسائل ١ : ٢٧٤

(٩) التكلة من رسائل .

(١٠) العرام ، بالضم : الشدة . والغرب الحدة . في النسختين : « عرامه » . تحريف ما في

الرسائل . وفي ب فقط : « وعزبه » ، تحريف

وأعطيْتُكَ عند إِدْبَارِ بدنِي قُوَّةَ رَأْيِي، وعند تَكَامُلِ معرفتي نَتِيجَةَ تجربتي ، واحتملتُ دونكَ وَهْنَ الكِبَرِ وإِسْقَامَ الهرم .

وخيرُ شركائك مَنْ أَعْطَاكَ ^(١) ما صفا وأَخَذَ لِنَفْسِهِ ما كَدَرَ . وأَفْضَلُ خُلَطَائِكَ مَنْ كَفَّاكَ مَوْوَنَتَهُ وَأَحْضَرَكَ مَعُونَتَهُ . وكان كَلالُهُ عليه ونشاطُهُ لك .

وأَكْرَمَ دُخَلَائِكَ وأشكر مَوَالِيكَ ^(٢) مَنْ لا يَظُنُّ أَنَّكَ تَسْمَى جَزِيلَ ما تَحْتَمِلُ في بَدَلِكَ ^(٣) ومَوَانِسَتِكَ مَوْوَنَةً ، ولا تَتَابِعُ ^(٤) إِحْسَانَكَ إِلَيْهِ نِعْمَةً . بل يرى أَنَّ نِعْمَةَ الشَّاكِرِ فَوْقَ نِعْمَةِ الوَاهِبِ ، ونِعْمَةُ الوَادِ ^(٥) الْمُخْلِصِ ، فوق [نِعْمَةٍ ^(٦)] الجَوَادِ الْمُغْنَى .

(١) ب : « إعطائك » م : « إعطاء » ، صوابهما في الرسائل .

(٢) في الرسائل : « مؤمليك » .

(٣) في النسختين : « ما يحتمل » وفي م : « في ذلك » ، صوابهما من الرسائل .

(٤) في النسختين : « تباع » ، تحريف .

(٥) في النسختين : « الوارد » ، صوابه من الرسائل .

(٦) التكلة من الرسائل .

١٦

من كتابه في
التكلا

١ - فصل

من صدر كتابه في الوكلاء^(١)

وَفَقَّكَ اللَّهُ لِلطَّاعَةِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الشُّبْهَةِ ، وَأَفْلَجَكَ بِالْحُجَّةِ^(٢) ،
وَحَتَمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ .

غَبَرَتْ^(٣) - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - أَزْمَانٌ^(٤) وَأَنْتَ عِنْدِي مِمَّنْ لَا يُمَضَى
الْقَوْلَ إِلَّا بَعْدَ التَّثْبُتِ ، وَلَا يُخْرَجُ الْكِتَابَ إِلَّا بَعْدَ التَّنْصُفِ ، وَكُنْتَ
حَرِيًّا بِتَهْيِئَةٍ^(٥) الرَّأْيِ الْفَطِيرِ ، جَدِيرًا أَنْ تُمِيلَ بِنَفْسِكَ عَاقِبَةَ التَّفْرِيطِ^(٦) .
وَلَوْلَا^(٧) كَثْرَةُ مُرُورِ أَيَّامِ الْمُطَالَبَةِ عَلَيْكَ لَمَا ثَقُلَ عَلَيْكَ التَّثْبُتُ ، وَلَوْلَا^(٨)
قِصَرُ أَيَّامِ التَّحْصِيلِ لَمَا وَثِقْتَ بِأَوَّلِ خَاطِرٍ ، وَلَوْلَا سُوءُ الْعَادَةِ لَمَا
كَذَّبَكَ رَائِدُ النَّظَرِ وَاتَّهَمْتَ الرَّأْيَ .

وَاعْتَرَامِ الْغَضْبَانِ^(٩) يُهَوِّرُ الْأَعْمَارَ^(١٠) ، فَإِنَّ الْغَضْبَانَ^(١١) أَسْوَأُ أَثَرًا

(١) نشر شيئاً منه ريشر ص ١٩٤ - ١٩٥ وفي مجموعة ساسي ثلاث صفحات منه ١٧٠ -
١٧٢ باسم (الوكلاء) تنتهى بنهاية الفصل الثانى من هذا الاختيار . ويبدو أن نسخة الساسي
مبتورة . وقد رمزت لها كالمألوف بالرمز (مج) .

(٢) أفلجه : أظفراه ، من الفلج بالفتح ، وهو الظفر . م فقط : « أفلحك » ، تحريف .

(٣) غبرت : مضت وانقضت ، وفي النسختين : « عبرت » والوجه من مج .

(٤) في النسختين : « زمان » ، صوابه في مج .

(٥) في النسختين : « نهيه » ، صوابه في مج .

(٦) التميل بين الشيئين كالترجيح بينهما ، كأنه ميل بين التفريط والإفراط . في النسختين :
« أن يميل » ، صوابه في مج .

(٧) في النسختين : « وليس » ، صوابه في مج .

(٨) م فقط : « ولو » .

(٩) الاعتزام : الشدة والشراسة . وفي حديث على : « على حين فترة من الرسل » واعتزام
من الفتن . وفي النسختين : « اغرام العصيان » وبدون واو . وفي مج : « واعتزام
العصيان » . والوجه ما أثبت .

(١٠) يهورها . يذهب بها . في النسختين : « وتهور الأعمار » مع زيادة الواو ،
صوابه في مج .

(١١) في جميع النسخ : « العصيان » ، صوابه ما أثبت .

على نفسه من السكران ، ولولا أَنَّ نار الغَضَب تخبو قبل إفاقة المعتوه .
وضباب السكر ينكشف قبل انكشاف غروب عقل المدلّه . وأنَّ حكم
الظاعن خلاف حكم المقيم ، وقضية المجتاز^(١) خلاف قضية الماكث ،
لكانت حال الغضبان^(٢) أسوأ مغبةً ، وجهله أوبى . على أَنَّ الحكم له ألزم
والناس له ألوم .

وما أكثر ما يُقحم الغضب المَفاحم التي لا يبلغها جناية الجنون ،
وفرط جهل المضروع .

٢ - فصل منه

وإنَّ الغمر لا يكون إلاَّ عديم الآلة ، منقطع المادة ، يرى الغيَّ رُشداً
والغلوَ قصداً . فلو كنتَ إذا جنيت لم تُقيم على الجناية ، وإذا عزمت
على القول لم تُخلِّده في الكتب ، وإذا خلّدتَه لم تُظهر التبجُّح به ،
والاستبصار فيه ، كان علاجُ ذلك أيسرَ ، وكانت أيامُ سقمك أقصرَ^(٣) .
فأخزى^(٤) الله التصميم إلاَّ مع الحزم ، والاعتزام إلاَّ بعد التثبت
والعلم إلاَّ مع القريحة المحمودة ، والنظر إلاَّ مع استقصاء الروية .
وأخلق بمن كان في صفتك ، وآخر^(٥) بمن جرى على دربك^(٦) ،
ألاَّ يكون سببُ تسرُّعه ، وعلّةُ تشحُّنه إلاَّ من ضيق الصدر .
وجميعُ الخير راجعٌ إلى سعة الصدر . فقد صحَّ الآن أنَّ سعة الصدر
أصل ، وما سوى ذلك من أصناف الخير فرع .

(١) في جميع النسخ : « المختار » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في جميع النسخ : « عصيان » . (٣) السقم ، بضم وبالتحريك : المرض .

(٤) في النسختين : « فأجرى » ، صوابه في مج .

(٥) ب : « وأخرى » ، م : « وأجر » ، صوابهما في مج .

(٦) الدرب : الطريق . وفي جميع النسخ : « عن دربك » .

وقد رأيتك - حفظك الله - خَوَّنتَ جميع الوكلاء وَفَجَّرْتَهُمْ ،
 وشَنَّعتَ على جميع الورَّاقين وظَلَمْتَهُمْ ، وجمعتَ جميعَ العلَّامين وهجَوْتَهُمْ ،
 وحَفِظْتَ مساوِيَهُمْ ، وتَناسَيْتَ محاسنَهُمْ ، واقتصرتَ ^(١) على ذكر مثالب
 الأعلام ^(٢) والجلَّة ، حتَّى صَوَّبَ نفسَكَ عند السَّامع ^(٣) لكلامك ، والقارئ
 كتابَكَ ^(٤) ، أَنَّكَ ممن يُنكر الحقَّ جهلاً ^(٥) ، أو يتركه معاندةً له ^(٦) . وقد
 علم النَّاسُ أَنَّ من تركه جهلاً به أَصْغُرُ إِثْمًا ^(٧) ممن تركه عمداً .

ولعمري إِنَّ العلمَ لَطَوْعٌ يديك ، والمتصرِّفُ مع خواطرك ، والمُستملي
 من بديهتك ، كما يَسْتَملي من ثمرة فكرك ، والمحصلُ من رويَّتِكَ . ولكنَّ
 الرأى لك أَن لا تثقَ بما يرسمه العِلْمُ في الخَلَا ، وتتوقَّاه في الملا .

اعلم أَنَّكَ متى تَفَرَّدْتَ ^(٨) بعلمك استرسلتَ إليه . ومتى ائْتَمَنْتَ على
 نفسك نواجِمَ خواطِرِكَ ، فقد أَمَكَنْتَ العدوَّ من رِبْقَةٍ عنقك . وبنيةُ
 الطَّبائِعِ وتركيبُ النفوسِ ، والذي جَرَّتْ عليه العادة ، إهمالُ النَّفسِ
 في الخَلَا ، واعتقالُها في المَلَا ^(٩) .

فتوقَّفْ عند العادة ، وأتَّهِمِ النَّفْسَ عند الاسترسال والثَّقة . قال ابن

هرْمَةُ :

(١) ب : « واستبصرت » م : « وابتصرت » ، صوابهما في مج .

(٢) ب فقط : « مسالب » ، تحريف .

(٣) في النسختين : « السامع » ، صوابه في مج .

(٤) م ، مج : « ولقارئ كتابك » صوابه ما أثبت . وفي ب : « وقارئ كتابك » .

(٥) ب : « مما تنكر » م ، مج : « ممن تنكر » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ب ، مج : « أو تركه » م : « أو يتركه » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) ب فقط : « اسماً » .

(٨) في النسختين : « تفررت » وفي مج : « تغرت » وأرى الصواب فيما أثبت .

(٩) الملا : جماعة الناس . وفي ب : « واغفلها » ، وفي م ، مج . « وإغفلها » ، والوجه

ما أثبت . وانظر ما سبق من قوله : « وتتوقاه في الملا » ، فالمراد حجبها في مواجهة الناس .

(٧ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرُّ الْقَوْمِ خَلَوْتُهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ عِيٌّ وَإِكْتِنَارٌ^(١)

وبئس الشيء العُجْبُ . وحُسْنُ الظَّنِّ بالبديهة !

واعلم أَنَّ هذه الحالَ التي ارْتَضَيْتَهَا لَشَأْنِكَ هِيَ أُمْنِيَّةُ الْعَادُوِّ ، وَتُهُزَةُ الْحَصَمِ ، وَمَتَى أَبرَزْتَ كِتَابَكَ عَلَى هذه الصُّورَةِ وَأَفْرَغْتَهُ هَذَا الْإِفْرَاغَ ، ثُمَّ سَبَّكَتَهُ هَذَا السَّبْكَ ، فَلَيْسَ بَعْدُوكَ حَاجَةٌ إِلَى التَّكْذِيبِ عَلَيْكَ ، وَقَوْلِ الزُّورِ فِيكَ ، لِأَنَّكَ قَدْ مَكَّنْتَهُ مِنْ عَرَضِكَ ، وَحَكَّمْتَهُ فِي نَفْسِكَ .

وبعدُ . فَمَنْ يَعْجِزُ عَنْ عَيْبِ كِتَابٍ لَمْ يُحَرَسْ بِالتَّثْبِيتِ^(٢) ، وَلَمْ يُحَصِّنْ بِالتَّصْنُوحِ ، وَلَمْ يُغَبِّ بِالْمَعَاوِدَةِ وَالنَّظَرِ ، وَلَمْ يُقَلِّبْ فِيهِ الطَّرْفُ مِنْ جِهَةِ الْإِشْفَاقِ وَالْحَذَرِ^(٣) . فَكَيْفَ يُوَفِّقُ اللَّهُ الرَّائِقَ بِنَفْسِهِ ، وَالْمُسْتَبِدَّ بِرَأْيِهِ^(٤) لِأَدَبِ رَبِّهِ ، وَلَمَّا وَصَّى بِهِ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [حِينَ قَالَ لِرَجُلٍ خَاصِمٍ عَنْده رَجُلًا فَقَالَ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : حَسْبِيَ اللَّهُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥)] : « أَبْلِ اللَّهَ مِنْ نَفْسِكَ عُذْرًا^(٦) » ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ »

(١) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « يَغْرِزُ الْيَوْمَ » وَفِي مَج : « يَغْرِزُ الْقَوْمَ » ، صَوَابُهُمَا مِنَ الْبَيَانِ ١ : ٢٠٣ وَالْحَيَوَانُ ١ : ٨٨ / ٤ : ٢٠٧ وَأَدَبُ الْكِتَابِ لِلصُّوْلِ ١٥٧ لَكِنْ عِنْدَ الصُّوْلِ : إِنَّ الْحَدِيثَ يَقِفُ الْقَوْمَ خَلَوْتُهُ حَتَّى يَعْبِرَهُ بِالسَّبْقِ مَضْمَارٌ

وَالْبَيْتُ مُفْرَدٌ فِي الدِّيَوَانِ ١١٩ . خَلَوْتُهُ ، أَيِ حِينَ يَخْتَلِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِمُدَاوَرَتِهِ وَتَبَادُلِهِ .

(٢) ب : « كِتَابُكَ لَمْ يُحَرَسْ » م : « كِتَابُكَ يُحَرَسُ » بِسُقُوطِ « لَمْ » ، صَوَابُهُمَا فِي مَج .

(٣) ب : « الْإِشْفَاقُ » صَوَابُهُ فِي م ، مَج .

(٤) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « وَانْزَالِ » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ مَج .

(٥) التَّكْلَةُ مِنْ م ، مَج .

(٦) أَبْلَيْتَهُ عُذْرًا : أَدَيْتَهُ إِلَيْهِ فَقَبِلَهُ ، أَيِ بَيَّنْتَ لَهُ وَجْهَ الْعُذْرِ لِأَزِيلِ عَنِ الْيَوْمِ . وَفِي حَدِيثِ

بِرِ الْوَالِدَيْنِ أَيْضًا : « أَبْلِ اللَّهَ عُذْرًا فِي بَرِّهِ » ، أَيِ أَحْسَنِ وَجْهًا يَبِيْتُ وَبَيْنَ اللَّهِ بِرَكَ إِيَّاهُ .

وزعمت في أوّل تشنيعك عليهم . فقلت : قال يعقوب بن عبيد
لبعض ولده حين قال له في مرضه : أيّ شيء تشتهي ؟ قال : كَيْدٌ
وَكَيْلٌ^(١) .

وقد كان ترك التجارة من سوء معاملتهم وفُحْش خبائثهم .

(١) بمعنى أن يلوّك كده . وفي نسخة : « كيد وكيل » ووجهه في م .

٣ - فصل (١)

من جوابه عن الوكلاء

قد فهمنا عذرك وسمعنا قولك ، فاسمع الآن ما نقول :

اعلم أن الوكيل ، والأجير ، والأمين ، والوصي ، في جملة الأمر ،
يَجْرُونَ مَجْرَى واحدًا . فَأَيْشٍ لَكَ ^(١) أَنْ تَقْضِيَ عَلَى الْجَمِيعِ بِإِسَاءَةِ
الْبَعْضِ . وَلَوْ بَهْرَجْنَا ^(٢) جَمِيعَ الْوُكَلَاءِ وَخَوَّنَا جَمِيعَ الْأُمْنَاءِ ، وَاتَّهَمْنَا
جَمِيعَ الْأَوْصِيَاءِ وَأَسْقَطْنَاهُمْ ، وَمَنَعْنَا النَّاسَ الْارْتِفَاقَ بِهِمْ ، لَظَهَرَتِ الْحَلَّةُ
وَشَاعَتِ الْمَعْجَزَةُ ، وَبَطَلَتِ الْعُقْدُ ^(٣) وَفَسَدَتِ الْمُسْتَعْلَاتُ ، وَاضْطَرَبَتِ
التَّجَارَاتُ ، وَعَادَتِ النُّعْمَةُ بِلِيَّةِ وَالْمَعُونَةُ جِرْمَانًا ، وَالْأَمْرُ مَهْمَلًا ، وَالْعَهْدُ
مَرِيحًا ^(٤) .

ولو أَنَّ التَّجَارَ وَأَهْلَ الْجِهَازِ ^(٥) صَاحَبُوا الْجَمَّالِينَ وَالْمُكَارِينَ ^(٦)

(١) هذا الفصل مما انفردت به النسختان إذ لم يرد في مجموعة الساسي ولا في نسخة الكامل .
وقد تعرض ريشر في ١٩٤ - ١٩٥ للقول في الوكلاء .

(٢) أيش ، في معنى أى شيء ، كما يقال في ويل لأمه : ويلمه ، على التخفيف . وهو استعمال قديم ، وجدته في صحيح البخاري : « قيل يارسول الله ، أيش هو ؟ قال : القتل القتل » .
انظر فتح الباري ١٣ : ١١ . ومن الخطأ ضبط همرته بالكسر . وانظر ابن يعيش ٤ : ١٠٢ .
وتاريخ بغداد ٢ : ٨٨ والأغانى ١ : ١٧٤ وشفاء الغليل ١٥ وتحقيقات وتنبيهات في معجم
لسان العرب من تأليفي ٤٩ ، ١٤٥ .

(٣) البهجة : الإهمال والإهدار .

(٤) العقد : جمع عقدة ، بالضم ، وهو كل ماعقد عليه .

(٥) المريج ، من المرج ، بالتحريك ، وهو الفساد والاختلاط والاضطراب . ومنه في
الكتاب العزيز : « بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج » . الآية الخامسة من ق . ب :
« مريحا » بالمهملة ، تحريف .

(٦) الجهاز ، بالفتح والكسر ، أو الكسر لغة رديئة : كل ما يهيا لعروس أو
مسافر ، أو مجاهد ، أو ميت .

(٧) جمع مكار ، وهو من يكريك دابته أو نفسه بالأجر . والكراء . ككتاب : أجرة
المستأجر . في النسختين : « والمكاريين » بيامين ، صوابه بياء واحدة .

والملاحين، حتى يعاينوا ما نَزَلَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ وَالْمِيَاهِ، وَالْمَسَالِكِ
وَالْخَانَاتِ، لَكَانَ عَسَى أَنْ يَتَرَكَ أَكْثَرَهُمُ الْجَهَازَ .

٤ - فصل منه

وقد قال الله عز وجل : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، وقال : ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ﴾^(٢) وقال : ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا
فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣) .

وقال يوسف النبي صلى الله عليه وسلم لِفِرْعَوْنَ وَفِرْعَوْنُ كَافِرٌ :
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾^(٤) .

وقالت بنت شُعَيْبٍ فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ
خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٥) : فَجَمَعَ جَمِيعَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي
الْكَلِمَتَيْنِ .

وفي قياسك هذا إسقاطُ جميع ما أَدَبَنَا اللَّهُ بِهِ ، وجعلَهُ رِبَاطًا لِمُرَاشَدِنَا
فِي دِينِنَا ، وَنِظَامًا لِمَصَالِحِنَا فِي دُنْيَانَا .

والَّذِي يَلْزُمُنِي لَكَ أَنْ لَا أَعْمَهُم بِالْبِرَاءَةِ ، وَالَّذِي يَلْزُمُكَ أَنْ لَا تَعْمَهُمُ
بِالْتُّهْمَةِ ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ نَفْعَهُمْ عَامٌّ ، وَخَيْرُهُمْ خَاصٌّ .

وقالوا : مَثَلُ الْإِمَامِ الْجَائِرِ مَثَلُ الْمَطَرِ ، فَإِنَّهُ يَهْدِمُ عَلَى الضَّعِيفِ ،
وَيَمْنَعُ الْمَسَافِرَ .

(١) من الآية ٣٤ في سورة النساء . واقتصر النص في ب على : « الرجال قوامون على النساء » .

(٢) من الآية ٦ من النساء . وفي ب : « فن كان غنيا » ، تحريف .

(٣) من الآية ٦ في سورة النساء .

(٤) من الآية ٥٥ في سورة يوسف .

(٥) من الآية ٢٦ من سورة القصص .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « حوالينا ولا علينا ^(١) » .
والمطر وإن أفسدَ بعضَ الثَّمار - وأضرَّ ببعض الأكره ^(٢) فإنَّ نفعه
غامرٌ لضرره ^(٣) .

وليس شيءٌ ^(٤) من الدنيا يكون نفعه محضاً - وشره صِرَفاً . وكذلك
الإمامُ الجائرُ ، وإن استأثرَ ببعض الفَيءِ ، وعطَّلَ بعضَ الحُكْمِ . فإنَّ
مضارَّه مغمورةٌ بمنافعه .

قالوا : وكذلك أمر الوُكلاء والأوصياء والأمناء . لا تعلم قوماً
الشرُّ فيهم أعمُّ ولا الغشُّ فيهم أكثر من الأكره ^(٥) . وما يجوز لنا مع
هذا أن نعمَّهم بالحُكْم مع أنَّ الحاجة إليهم شديدة . ونزعَ هذه العادة
[وهذا ^(٦)] الخُلُقِ منهم أشدُّ .

٥ - فصل منه

وأنا أظنُّ أنَّ الذنبَ مقسومٌ بينك وبين وكلائك . فارجعْ إلى نفسك
فلعلَّكَ أن ترى أنَّكَ إنما أُتيتَ ^(٧) من قِبَلِ الفِراسة ، أو من قبل أنَّكَ
لم تقطع لهم الأجرةَ السنيَّةَ ، وحملتهم على غاية المشقة في أداء الأمانة
وتعامر النصيحة .

(١) أخرجه البخارى في كتابي الجمعة والاستسقاء ، من حديث مطول لأنس بن مالك . كما
أخرجه مسلم في صلاة الاستسقاء . وفي المسان. (حول) : « يريد : اللهم أنزل الغيث علي في مواضع
النبات لا في مواضع الأبنية » .

(٢) الأكره : جمع للأكر ، بالتشديد ، وهو الخراث والزراع للأرض . قال الجوهري :
« كأنه جمع أكر في التفدير » . وفي ب : « الأكر » وفي م : « الأكرار » ، والوجه
ما أثبت . وانظر ما سيأتى .

(٣) أى غالب عليه . وفي النسختين : « غامر لضرره » ، تحريف .

(٤) ب : « لشيء » ، صوابه في م .

(٥) انظر ما سبق في الحاشية الثانية .

(٦) التكله من م

(٧) ب : « أنك أتيت » وفي م . « إنما أتيت » ، والوجه ما أثبت .

٦ - فصل منه

ولابد^(١) في باب البصر بجواهر الرجال من صديق الحس ، ومن
 صيحة الفراسة . ومن الاستدلال في البعض على الكل^(٢) . كما استدلت
 بنت شعيب - صلوات الله عليه - حين قضت لموسى - عليه السلام
 بالأمانة والقوة ، وهما الركنان اللذان تبنى عليهما الوكالة .

٧ - فصل منه

وقد قالوا : ليس ممّا يستعمل الناس كلمة أضّر بالعلم والعلماء ،
 ولا أضّر بالخاصّة والعامة : من قولهم^(٣) : « ماترك الأول للآخر شيئاً » .
 ولو استعمل الناس معنى هذا الكلام فتركوا جميع التكلف ، ولم
 يتعاطوا إلا مقدار ما كان في أيديهم لفقدوا^(٤) علماً جمّاً ومرافق لا تُحصى ،
 ولكن أبى الله إلا أن يُقسّم نعمة بين طبقات جميع عباده قسمة عدل ،
 يُعطى كل قرن وكل أمة حصّتها ونصيبها . على تمام مرشد الدين ،
 وكمال مصالح الدنيا .

فهؤلاء ملوك فارس نزلوا على شاطئ الدجلة . من دون الصّراة^(٥)

(١) ولا بد . ساقطة من ب .

(٢) هذا من شواهد الاستعمال القديم لكلمتي « كل » و « بعض » مقرونتين بأل . وانظر
 الرسائل ١ : ٢٤٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٧ .

(٣) تكررت هذه العبارة من أول الفصل إلى هنا في النسختين ، والوجه حذفها كـ
 صنعت .

(٤) في النسختين : « أفقدوا » ، صوابه ما أثبت .

(٥) قال ياقوت . هرا نهران ببغداد . الصراة الكبرى والصراة الصغرى ، ولا أعرف
 أن إلا واحداً . هو سرّ نهر من نهر سيبر من سدّ لئدة يقال لها المحول ، بينها وبين بغداد
 فرسخ . وبنه نهر آخر إلى أن يصل إلى بغداد

إلى فوق بغداد ؛ في القصور والبساتين ؛ وكانوا أصحابَ نظيرٍ وفكر ،
واستخراجٍ واستنباط ، من لدنْ أزدشير بن بابك إلى فيروز بن يزدجرد .

وقبل ذلك مانزها ملوك الأشكان ، بعد ملوك الأرذوان^(١) .

فهل رأيتم أحداً اتَّخَذَ حَرَّاقَةً^(٢) ، أو زَلَّالَةً^(٣) ، أو قَارِبًا ؟ !

وهل عرفوا الخيش^(٤) مع حرِّ البلاد ووقع السموم ؟ !

وهل عرفوا الجمَّازاتِ^(٥) لأسفارهم ومُنْتَزَهاتهم ؟ !

(١) الأشكان، من ملوك الطوائف في فارس، حكموا بعد الإسكندر بمائة وستين سنة .
ويسمى المسعودي : « الأشغان » و « الأشغانيين » . التنبيه والإشراف ٨٣ ، ٩٣ ، وفي معجم استينجاس
٦٦ : « أشكانيان » . ومثلهم « الأرذوان » بفتح الدال كما في معجم استينجاس . وملوك الطوائف
هؤلاء : جماعة بين الفرس الأولى والثانية ظهرت بعد قتل الإسكندر الأكبر دارا بن دارا وتغلبه
على الفرس ، وقد نصب الإسكندر كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد الفرس والعراق ،
واستبدل كل منهم بتاحيته ، واستمر ملكهم ١٥٧ سنة إلى أن ظهر عليهم أردشير بن بابك وأسس
دولة الفرس الثانية . قال المسعودي في مروج الذهب ١ : ٢٣٤ : « وهم ملوك الجبال من بلاد
الدينور ، ونهاوند ، وهذان ، وماسيدان ، وأذربيجان . وكان كل ملك منهم يلى هذا الصقع يسمى
بالاسم الأعم : أشغان ، فليل لسائر ملوك الطوائف : « الأشغانيون » . ثم ذكر أيضا أن
الأرذوان هم ملوك التبيط وكانوا من ملوك الطوائف ، وكانوا بأرض العراق » .

(٢) في الصحاح والقاموس أن الحراقات سفن بالبصرة ، وفيها مراى نيران للعدو ،
وذكر المعجم الوسيط من معانيها السفينة الخفيفة الممر . وهى المرادة هنا . وكان لظاهر بن الحسين
حراقه في بغداد ، فركبها يوماً ، فقال في ذلك مقدس بن صبيح الخلوقي الشاعر :

عجبت لحراقه ابن الحسين لا غرقت كيف لا تغرق

وبجران من فوقها واحد وآخر من تحته مطبق

وأعجب من ذاك أعوادها وقد مسها كيف لاتورق

وانظر وفيات الأعيان في ترجمة طاهر بن الحسين وزير المأمون .

(٣) يبدو أنها ضرب من السفن الخفيفة السريعة ، من قولهم زل زليلا وزلولاً : مر سريعاً .

(٤) الخيش : ثياب رقاق النسيج ، غلاظ الخيوط ، تتخذ من مشاقة الكتان . وانظر ما سبق

في ١ : ٣٩٣ . وفي النسختين : « وهل عرف الخيش » ، صوابه ما أثبت .

(٥) الجمَّازات : النجايب من الإبل تسرع في سيرها . وانظر الجيوان ١ : ٨٣ / ٤

١ : ٤٥٩ / ٧ : ٢٤٢ .

وهل عرف فَلَاحُوهُم الثَّمارَ المَطْعَمَةَ ، وَغِرَاسَ النخل على الكُردات
المسْطَرَّة^(١) ؟ .

وَأَيْنَ كانوا عن استخراج فُوهِ العُصْفُر^(٢) ؟ وَأَيْنَ كانوا عن
تغليق^(٣) الدُّور والمُدن ، وإقامة ميل الحيطان والسَّوَارِي المائلة الرُّوس ،
الرفيعة السُّموك المركَّبة بعضُها على بعض ؟ !

وَأَيْنَ كانوا عن مراكب البحر في مُمارسة العدو الذى فى البحر ، إن
طارَت البوارج أَدْرَكْتَهَا^(٤) ، وإن أَكْرَهْتَهَا فانتَهتْها^(٥) بعد أن كان القومُ
أَسْرَى فى بلاد الهند ، يتحكَّمون عليهم ويتلَّعون بهم ؟

وَأَيْنَ كانوا عن الرَّمى بالنيران ؟ !

نعم ، وكانوا يَتَّخِذُونَ الأحْصَارَ وينفقون عليها الأموال ، رجالُهم
دَسَمَ العِمامَ ، وَسَبَّخَةَ القِلائِيسَ ، وكان الرَّجُلُ منهم إذا مرَّ بالعطار ، أو
جلسَ إليه ، فَرَّادَ كرامته دَهَنَ رأسه ولحيته ، لا يحتشم من ذلك
الكبير ، وكان أهل البيت إذا طبَّخُوا اللَّحْمَ غَرَفُوا للجار والجارة غَرَفَةً
غَرَفَةً .

(١) الكردات : جمع كردة ، بالضم . وهى القناة بين المزارع . وفى النسختين :
« الكردوت » ، ولا وجه لها .

(٢) الفوه بالضم : واحد الأفواه ، وهى التوابل ، وتجمع الأفواه على أفوايه . وفى
النسختين : « قوة العصفور » .

(٣) فى النسختين : « تعليق » بالعين المهملة .

(٤) السموك : جمع سمك بالفتح ، وهو السقف ، والعلو والارتفاع . ومنه فى الكتاب
العزیز : « رفع سمكها فسواها » .

(٥) البوارج . السفن الكبر ، أو سفن البحر تتخذ للقتال ، واحدها بارجة . وفى
النسختين : « البوارج » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٦) أَكْرَهه على أمر : حمَّله عليه وهو له كاره . وفى النسختين : « كرهتها » تحريف .

١٧

من كتابه في

الأوطان والبلدان

١ - فصل

من صدر كتابه في الأوطان والبلدان^(١)

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى ، وكفاك المَهْمَّ من أمر الآخرة والأولى ، وأثلج
صدرك باليقين ، وأعزك بالقناعة ، وختَمَ لك بالسَّعادة ، وجعلك
من الشاكرين .

سَأَلْتُ - أبقاك الله - أَنْ أكتب لك كتاباً في تفاضل البلدان ،
وكيف قناعة النفس بالأوطان ، وما في لزومها من الفشل والنقص^(٢) ،
وما في الطلب من علم التجارب والعقل .

وذكرتَ أَنَّ طُولَ المَقَامِ من أسباب الفقر ، كما أَنَّ الحركة من
أسباب اليسر ، وذكرتَ قول القائل : « الناس بأزمانهم أشبهُ منهم
بآبائهم » .

ونسيتَ - أبقاك الله - عملَ البلدان، وتصرفَ الأزمان، وآثارهما
في الصُّور والأخلاق، وفي الشُمائل والآداب، وفي اللُّغات والشُّهوات، وفي
الهمم والهيئات ، وفي المكاسب والصِّناعات ، على مادَّبَرَهُ اللهُ تعالى من ذلك
بالحكمة اللطيفة ، والتدابير العجيبة .

فسبحانَ من جَعَلَ بعضَ الاختلافِ سبباً للائْتِلافِ ، وجعلَ الشكَّ
داعيةً إلى اليقين ، وسُبحانَ مَنْ عَرَّفَنَا ما في الحَيْرَةِ من الدَّلَّةِ ، وما في

(١) لم يرد في غير هذه المجموعة ، وهو غير كتابه « الحنين إلى الأوطان » الذي تقدم
نشره في الرسائل ٢ : ٣٨٣ - ٣١٢ . وقد تعرض ريشر لبحث كتاب الحنين إلى الأوطان في
ص ٤٨٨ . وقد حمل المسعودي في مروج الذهب ١ : ٩٩ - ١٠٠ على هذا الكتاب وسماه « كتاب
الأمصار وعجائب البلدان » .

(٢) ب : « والنفس » ، صوابه في م .

الشَّكُّ مِنَ الْوَحْشَةِ ، وَمَا فِي الْيَقِينِ مِنَ الْعِزِّ . وَمَا فِي الْإِخْلَاصِ مِنَ الْأُنْسِ .
وقلت : أبدأُ لى بالشَّامِ ومصر ، وفضلُ ما بينهما ، وتحصيلُ جمالهما .
وذكرتَ أَنَّ ذلكَ سيجرُّ العراقَ والحجازَ ، والنَّجودَ ^(١) والأغوارَ ، وذكرَ
القرى والأمصارَ ، والبرارى والبحارَ .

واعلمْ - أَبِيقَاكَ اللَّهُ . أَنَا مَتَى قَدَمْنَا ذَكَرَ الْمُؤَخَّرَ وَأَخَّرْنَا ذَكَرَ الْمَقْدَمَ .
فَسَدَ النَّظَامُ وَذَهَبَتِ الْمَرَاتِبُ . وَلَسْتُ أَرَى أَنَّ أَقْدَمَ شَيْئًا مِنْ ذَكَرِ الْقَرْىِ
عَلَى ذَكَرِ أُمَّ جَمِيعِ الْقَرْىِ . وَأَوَّلَى الْأُمُورِ بِنَا ذَكَرُ خِصَالِ مَكَّةَ ، ثُمَّ خِصَالِ
الْمَدِينَةِ .

ولولا ما يجبُ من تقديمِ ما قدَّم اللهُ وتأخيرِ ما أُخِّرَ لكانَ : الغالبُ على
النفوسِ ذَكَرَ الْأَوْطَانِ وموقعِها من قلبِ الإنسانِ .

وقد قال الأولُ ^(٢) : « عَمَّرَ اللَّهُ الْبُلْدَانَ بِحُبِّ الْأَوْطَانِ » . وقال ابنُ
الزُّبَيْرِ : « لَيْسَ النَّاسُ بِشَيْءٍ مِنْ أَقْسَامِهِمْ أَقْتَنَعَ مِنْهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ ^(٣) » .

[و] لولا ما منَّ اللهُ به على كلِّ جِيلٍ مِنْهُمْ من التَّغْيِيبِ ^(٤) في كلِّ ما تحتَ
أيديهم ، وتزيينِ كلِّ ما اشتملت عليه قدرتهم . وكان ذلكَ مفوضاً
إلى العقولِ ، وإلى اختياراتِ النفوسِ - ماسْكِنَ أَهْلَ الْغِيَاضِ والأَدْغَالِ
فِي الْغَمَقِ والْتِّقِ ^(٥) ، وَلَمَّا سَكَنُوا مَعَ الْبُعُوضِ وَالْهَمَجِ ^(٦) ، وَلَمَّا سَكَنَ سُكَّانُ

(١) ب : « والنَّجود » ، صوابه في م .

(٢) هو عمر بن الخطاب كما في رسالة الحنين إلى الأوطان ٣٨٩ ونسب هذا القول في
مناقب التُّرك ٦٤ إلى « العبدى » .

(٣) رسائل الجاحظ ١ : ٦٤ والحيوان ٣ : ٢٢٧ .

(٤) م : « التَّزْيِيب » ، صوابه في ب .

(٥) الغمق ، بالتحريك : البدى يورث ثقلًا ووخامة . وأرض غمقة : فسد ريحها
وخم من كثرة الأنداء فصارت موبئة . وفي النسختين : « العمق » صوابه بالغين المعجمة :
والثَّق : البدى والحر ، ويقال لهاء الطين لثق أيضاً .

(٦) الهمج : ذباب صغير كالبعوض ، يسقط على وجود الغنم والحدير .

القِلاع^(١) في قُلل الجبال، ولما أقام أصحاب البراري مع الذئاب والأفاعي
وحيث من عزّ بَزّ، ولا أقام أهل الأطراف في المخاوف والتغزير^(٢) ،
ولما رضى أهل الغيران ويطون الأودية بتلك المساكن ، ولاتمس^(٣)
الجميع السكنى في الواسطة ، وفي بيضة العرب^(٤) ، وفي دار الأمن
والمَنعة . وكذلك كانت تكون أحوالهم في اختيار المكاسب والصناعات
وفي اختيار الأسماء والشّهوات . ولا اختاروا^(٥) الخطير على الحقيق ،
والكبير على الصغير .

ألا تراهم قد اختاروا ماهو أقبح على ماهو أحسن من الأسماء والصناعات ،
ومن المنازل والديارات ، من غير أن يكونوا خُدعوا أو استُكِرّوا .

ولو اجتمعوا على اختيار ماهو أرفع ، ورَفُض ماهو أَوْضَع من اسمٍ
أو كُنية ، وفي تجارة وصناعة ، ومن شهوة وهمة ، لذهبت المعالات ،
وبَطَل التمييز ، ولوقع التجاذب^(٦) والتغالب^(٧) ، ثم التَّحارب ، ولصاروا
غَرَضاً للتَّفانى ، وأَكَلَةً للبَوَار^(٨) .

فالحمد لله أَكْثَرَ الحمدِ وأَطْيَبَه على نعمه ، ماظَهَر منها وما بَطَنَ ،
وما جُهِل منها وما عُلِمَ !

(١) ب : « سكال » . صوابه في م . وفي النسختين بعده : « القلاح » ، صوابه ما أثبت .
والقلاع : جمع قلعة ، وهى الحصن فى الجبل .

(٢) ب : « والتغزير » ، صوابه بالراء المهملة . غرر بنفسه تغزيراً : عرضها للهلكة .

(٣) فى النسختين : « ولا التمس » . صواب رسمه ما أثبت ، إذهى لام الجواب
وليست « لا » النافية .

(٤) بيضة العرب : موضع سبطانهم ومجتمعهم .

(٥) فى النسختين : « ولا اختاروا » . وانظر التنبيه السابق .

(٦) فى النسختين : « التَّحارب » صوابه بالذال . والتجاذب : التنازع ، مفاعلة من
الجذب .

(٧) ب : « ثم التغالب » .

(٨) البوار : الهلاك . والأكلة ، بالضم والفتح : المأكول .

ذكر الله تعالى الديار فخبّر عن موقعها من قلوب عباده ، فقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ^(١) ﴾ . فسوّى بين موقع قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم . وقال : ﴿ وَمَالَنَا إِلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ^(٢) ﴾ . فسوّى بين موقع الخروج من ديارهم وبين موقع هلاك آبائهم .

٢ - فصل منه

فقسم الله تعالى المصالح بين المُقَام والطَّعن ، وبين العُربة وإلف الوطن ، وبين ماهو أربح وأرفع ، حين جعل مجارى الأرزاق مع الحركة والطلب . وأكثر ذلك ^(٣) ما كان مع طول الاغتراب ، والبُعد في المسافة ، ليُفيدك الأمور ، فيمكن الاختبار ^(٤) ويحسن الاختيار .

والعقل المولود متناهى الحدود ، وعقل التجارب لا يُوقَف منه على حدّ . ألا ترى أنّ الله لم يجعل إلف الوطن عليهم مفترضاً ^(٥) ، وقيداً مُصمّناً ، ولم يجعل كفاياتهم مقصورةً عليهم ، محتسبة لهم في أوطانهم ؟ ألا تراه يقول : ﴿ فَاقرءُوا مَا نَسَرَ مِنَ الْقُرْآنِ ، عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٦) ﴾ . فقسّم الحاجات فجعل أكثرها في البُعد . وقال عزّ ذكره : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ

(١) الآية ٦٦ من النساء .

(٢) الآية ٢٤٦ من البقرة .

(٣) في النسختين : « وأكثر من ذلك » .

(٤) م : « الاختيار » بالياء المثناة من أسفل .

(٥) م : « مترصاً » . والمترص : المحكم المقوم ، كما يترص العقْد والميزان ونحوهما .

(٦) الآية ٢٠ من سورة المزل .

فَقَضِلَ اللهُ^(١) فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ وَالْإِطْلَاقَ عَلَى مُخْرَجِ الْعُمُومِ ، فَلَمْ يَخْصُصْ
أَرْضاً دُونَ أَرْضِ ، وَلَا قُرْباً دُونَ بُعْدِ .

٣ - فصل منه

ونحن ، وإنْ أَطْنَبْنَا فِي ذِكْرِ جُمْلَةِ الْقَوْلِ فِي الْوَطَنِ . وَمَا يَعْمَلُ فِي
الطَّبَائِعِ ، فَإِنَّا لَمْ نَذْكُرْ خِصَالَ بِلَدَةٍ بَعَيْنِهَا ، فَتَكُونُ قَدْ خَالَفْنَا إِلَى
تَقْدِيمِ الْمُؤَخَّرِ وَتَأْخِيرِ الْمَقْدَمِ .

قالوا : ولم نجعل ولم ننكر^(٢) أَنَّ نَفْسَ الْإِلْفِ يَكُونُ^(٣) مِنْ صَلَاحِ
الطَّبِيعَةِ ، حَتَّى إِنَّ أَصْحَابَ الْكِلَابِ^(٤) لِيَجْعَلُونَ هَذَا مِنْ مَفَاخِرِهَا عَلَى
جَمِيعِ مَا يُعَاشِرُ النَّاسَ فِي دُورِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الطَّيْرِ وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ : وَذَلِكَ
أَنَّ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ إِذَا هَجَمَ مَنْزِلَهُ^(٥) وَاخْتَارَ غَيْرَهُ . لَمْ يَتَّبِعْهُ فَرَسٌ
وَلَا بَغْلٌ وَلَا حِمَارٌ ، وَلَا دَيْكٌ وَلَا دَجَاجَةٌ ، وَلَا حَمَامَةٌ وَلَا حِمَامٌ ، وَلَا هِرٌّ
وَلَا هَرَّةٌ ، وَلَا شَاةٌ ، وَلَا عُصْفُورٌ ؛ فَإِنَّ الْعَصَافِيرَ تَأْلُفُ دُورَ النَّاسِ .
وَلَا تَكَادُ تَقِيمُ فِيهَا إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا . وَالخَطَاطِيفُ تَقْطَعُ إِلَيْهِمْ لِتَقِيمَ فِيهَا
إِلَى أَوَانِ حَاجَتِهَا إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِهَا . وَلا يَسْ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ
مِمَّا تَبَوَّأَ فِي الدُّورِ بِاجْتِلَابِهِمْ لَهَا ، وَلَا مَاتَبَوَّأَ فِي دُورِهِمْ مِمَّا يَنْزِعُ إِلَيْهِمْ
أَحْنٌ مِنَ الْكَلْبِ ، فَإِنَّهُ يُؤْثِرُهُ عَلَى وَطَنِهِ . وَيَحْمِيهِ مِمَّنْ يَغْشَاهُ .

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة . وفي النسختين : « فإذا قضيت الصلاة » تحريف قرآن .

(٢) في النسختين : « ولم نذكر » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في النسختين : « تكون » .

(٤) في النسختين : « الكلاب » ، والوجه ما أثبت .

(٥) هجم منزله هجما : هدمه . وهجم البيت ، إذا فوض . ومنه قول عذمة :

صعل كان جاحجه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقة مهجوم

(٨ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

فذكروا الكلبَ هذا المخلَق الذى تفرَّد به دونَ جميع الحيوان .
 وقالوا فى وجه آخر : أكرم الصفايا أشدها وَلَهَا إلى أولادها ^(١) ،
 وأكرم الإبل أحنها إلى أعطانها ^(٢) ، وأكرم الأفلاء ^(٣) أشدها ملازمةً
 لأمهاتها ، وخير الناس آلفهم للناس .

٤ - فصل منه

وقلتم : خبرونا عن الخصال التى بانَتْ بها قريشٌ عن جميع الناس .
 وأنا أعلم أنك لم تُرد هذا ، وإنما أردتَ الخصالَ التى بانَتْ بها قريشٌ
 من سائر العرب . كما ذكرنا فى الكتاب الأول الخصالَ التى بانَتْ بها
 العرب عن العجم ؛ لأنَّ قريشاً والعرب قد يَسْتَوُونَ فى مناقبَ كثيرة . قد
 يُلقَى فى العرب الجوادُ المبرِّ ^(٤) وكذلك الحليم والشجاع ، حتى يأتى
 على خصالٍ حميدة ؛ ولكننا نريد الخصائصَ التى فى قُريشٍ دون العرب .
 فمن ذلك أننا لم نر قريشياً انتسب إلى قبيلة من قبائل العرب ، وقد
 رأينا فى قبائل العرب ^(٥) الأشرافَ رجالاً - إلى الساعة - ينتسبون فى
 قريش ، كسحو الذى وجدنا فى بنى مُرة بن عوف ، والذى وجدنا من
 ذلك فى بنى سُلَيم ، وفى خزاعة ، وفى قبائل شريفة .

(١) الصفايا : جمع صفية ، وهى الناقة والشاة الغزيرة اللبن .

(٢) العطن للإبل كالوطن للناس . وقد غلب على مبركها حول الحوض . ب : « أعطانها » ،
 صوابه فى م .

(٣) الأفلاء : جمع فلو بالكسر ، أو فلو كمدو ، أو فلو بضمسين مع التشديد ، وهو
 المهر الذى لم يرض ، أو الذى بلغ السنة .

(٤) المبر : الغالب . وفى اللسان (برر ١١٩) : « وسئل رجل من بنى أسد : أتعرف
 الفرس الكريم ؟ قال : أعرف الجواد المبر من البطء المقرف » . ب : « المبرن » م : « المبرن »
 والوجه ما أثبت .

(٥) ب : « كباثر العرب » ، صوابه فى م .

ومما بانّت قريش أنّها لم تلِدْ في الجاهلية ولدًا قطّ [لغيرها^(١)]
ولقد أخذ ذلك منهم سُكَّانُ الطائف ، لقُرب الجوارِ وبَعْضِ المصاهرة ،
ولأنّهم كانوا حُمْسًا ، وقُريش حَمَسْتهم .

ومما بانّت^(٢) به قريش من سائر العرب أنّ الله تعالى جاء بالإسلام
وليس في أيدي جميع العرب سبيّة^(٣) من جميع نساء قريش ، ولا وُجدوا
في جميع أيدي العرب ولدًا من امرأة من قريش .

ومما بانّت^(٤) به قريش من سائر العرب أنّها لم تكن تزوّج أحدًا
من أشراف العرب إلّا على أن يتحمّس . وكانوا يُزوّجون من غير أن
يُشترطَ عليهم . وهى عامر بن صعصعة ، وثقيف ، وخزاعة ، والحارث
ابن كعب ، وكانوا ديانين^(٥) ، ولذلك تركوا الغزو لما فيه من الغضب^(٦)
والعشم^(٧) ، واستحلال الأموال والفروج .

ومن العجب أنّهم مع تركهم الغزو كانوا أعزّ وأمثل ، مثل أيام
الفِجار^(٨) وذات كهف^(٩) .

(١) بها أو بنحوها يصح الكلام . وانظر ما سيأتى في نهاية الفقرة التالية .

(٢) في النسختين : « وما بانّت » ، والوجه ما أثبت .

(٣) السبية : المسبية التي لحقها السباء ، وهو الأسر والنهب . ب : « نسية » م : « سنية » ،
صوابهما ما أثبت . (٤) في النسختين : « وما بانّت » ، تحريف .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي النسختين : « ديانين » . والديان : الحاكم والقاضى ،
ولا وجه له هنا . وانظر الحيوان ٤ : ١٩٧ .

(٦) في النسختين : « الغضب » بالضاد المعجمة ، صوابها ما أثبت .

(٧) العشم : الظلم . ب : « القشم » م : « العشم » صوابهما بالعين المعجمة .

(٨) أيام الفجار ، بكسر الفاء : حروب أربعة كانت أولاها وثالثتها بين كنانة
وهوازن وثانيتهما بين قريش وهوازن ورابعتهما بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن . وكانت كلها
قبل البعثة بست وعشرين سنة . وانظر العقد ٥ : ٢٥١ ٢٥٧ . ب : « مثل أُنم الفجار » م :
« أنام الفجار » ، وبإسقاط ، « مثل » والوجه ما أثبت .

(٩) ذات كهف : موضع كانت فيه وقعة لهم . وفيه يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :
يرومون الصلاح بذات كهف وما فيها لهم سلع وقار

الصلاح ، بالكسر : الصلح . وانظر المفضليات ٣٤١ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ عِنْدَ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ قَالَ رُؤَسَاؤُهُمْ : لَا تُخْرِجُوا فِي
نَفَقَاتِكُمْ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ إِلَّا مِنْ صَدَقَاتِ نَسَائِكُمْ^(١) ، وَمَوَارِيثِ آبَائِكُمْ !
أَرَادُوا مَالاً لَمْ يَكْسِبُوهُ وَلَا يَشْكُونُ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُ مِنَ الْحَرَامِ شَيْءٌ .

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ كَسْبَهُمْ لَمَّا قَلَّ مِنْ قِبَلِ تَرْكِهِمُ الْغَزْوِ . وَمَالُوا إِلَى
الْإِيْلَافِ وَالْجِهَادِ ، لَمْ يَغْتَرِّهِمْ مِنْ بُخْلِ التَّجَارِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، وَالْبُخْلُ
خِلْقَةٌ فِي الطَّبَاعِ . فَأَعْطَوْا الشُّعْرَاءَ كَمَا يُعْطَى الْمُلُوكُ . وَقَرَأُوا الْأَضْيَافَ .
وَوَصَلُوا الْأَرْحَامَ ، وَقَامُوا بِنَوَائِبِ زَوَارِ الْبَيْتِ . فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَحْيِسُ
الْحَيْسَةَ فِي الْأَنْطَاعِ^(٢) فَيَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ ، وَالرَّاجِلُ وَالرَّاكِبُ^(٣)
وَأَطْعَمُوا بَدَلَ الْحَيْسِ الْفَالُودَجَ^(٤) . أَلَا تَرَى أُمِيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ يَقُولُ .
وَيَذْكُرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ^(٥) :

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مَشْمَعُلٌ وَحَفْصٌ فَوْقَ دَارَتِهِ يَنَادِي^(٦)

(١) الصَّدَقَاتُ : الْمُهَوَّرُ ، وَهِيَ بَضْمُ الدَّالِ وَفَتْحُهَا مَعَ فَتْحِ الصَّادِ ، وَمِثْلُهَا الصَّدَقَةُ بِضْمِ الصَّادِ
وَبِضْمَتَيْنِ ، وَكَذَلِكَ الصَّدَاقُ كَسْحَابٍ وَكَكْتَابٍ . وَفِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ : « وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ
نَحْلَةً » ، لَمْ تَقْرَأْ فِي الْقَرَاءَاتِ الْأَرْبَعِ عَشْرَةَ إِلَّا يَفْتَحُ الصَّادُ وَضَمُّ الدَّالِ . وَانْظُرْ تَفْسِيرَ أَبِي حَيَّانٍ
٣ : ١٦٦ وَالْإِتْحَافَ ١٨٦ .

(٢) الْحَيْسُ : طَعَامٌ يَتَخَذُ مِنَ التَّمْرِ وَلاَقُطٍ يَدْقَانِ ثُمَّ يَعْجَنَانِ بِالسَّمَنِ عَجْنًا شَدِيدًا حَتَّى
يَنْدَرِ النَّوَى مِنْهُ نَوَاطِئُ ثُمَّ يَسْوِي كَالثَّرِيدِ . وَالنَّطْمُ بِتَثْلِيثِ النَّونِ : بَسَاطٌ مِنَ الْجَنْدِ .
(٣) الرَّاجِلُ : مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ ، مُقَابِلُ الرَّاكِبِ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « الدَّاخِلُ » ،
صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٤) الْفَالُودَجُ : طَعَامٌ يَتَخَذُ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْمَاءِ وَالْعَسَلِ ، مُعَرَّبٌ . وَانْظُرْ صِنْعَهُ
مُتَقَدِّمَةً مِنْهُ فِي كِتَابِ الطَّبِيبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٧٦ .

(٥) جُدْعَانُ بِضْمِ الْجِيمِ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ (جَدْع) . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « جُدْعَانُ » تَصْحِيفٌ .
وَعَبْدُ اللَّهِ هَذَا جَوَادٌ مَعْرُوفٌ مَاتَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَاسْمُهُ عَدَاةُ بْنُ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ
ابْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بَنٍ مَرَّةٍ . وَقَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَهِدْتُ مُأَدَّبَةً فِي دَرِّ ابْنِ
جُدْعَانَ » . وَفِي الْإِسَابَةِ ٥٧٨ هـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « إِذَا اشْتَرَيْتَ نَعْلًا فَاسْتَجِدْهَا ،
وَإِذَا اشْتَرَيْتَ دَابَّةً فَاسْتَفْرِهْهَا ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَكَ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمْهَا » . وَسَأَلَتْ عَائِشَةُ عَنْهُ
رَسُولُ اللَّهِ وَذَكَرَتْ لَهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجُودِ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ رَبُّ أَعْمَرٍ لِي خَطِيبَتِي يَوْمَ الدِّينِ » .
وَانْظُرْ الْأَغَانِي ٨ : ٢-٥ وَالْعَقَدَ ١ : ٥٤ / ٢ : ٢٣ / ٤ : ٤٧ . وَالْمَحَرَّ لَابْنِ حَبِيبٍ ١٣٧ ١٣٩ .

(٦) الرِّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ : « وَآخِرُ فَوْقَ دَارَتِهِ » . دِيوَانُ أُمِيَّةَ ٢٧ وَالْبَيْدِ ١٧ : ١٧ وَالْأَغَانِي ٨ : ٣ .

إلى رُدُحٍ من الشَّيزَى مِلاءٍ لُبَابَ الْبُرِّ يُلَبِّكَ بِالشَّهَادِ^(١)

فَلُبَابُ الْبُرِّ هُوَ هَذَا النَّشَا . وَالشَّهَادُ يَعْنِي بِهِ الْعَسَل .

أَلَا تَرَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : « أَتُرُونِي لَا أَعْرِفُ طَيِّبَ الطَّعَامِ ؟

لُبَابُ الْبُرِّ بِصِغَارِ الْمِعْزَى » ، يَعْنِي خُبْزَ الْحُوَارَى بِصِغَارِ الْجَدَاءِ^(٢) .

وَلَقَدْ مَدَحَتْهُمْ الشُّعْرَاءُ كَمَا يُمدَحُ الْمُلُوكُ ، وَمَدَحَتْهُمْ الْفَرَسَانُ وَالْأَشْرَافُ

وَأَخَذُوا جَوَائِزَهُمْ ؛ مِنْهُمْ : دَرِيدُ بْنُ الصَّمَّةِ . وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ .

وَمِنْ خِصَالِهِمْ أَنََّّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ فِي شَيْءٍ مِنْ جَفَائِهِمْ ،

وَعَلِظَ شَهَوَاتِهِمْ ؛ وَكَانُوا لَا يَأْكُلُونَ الضَّبَابَ ، وَلَا شَيْئاً مِنَ الْحَشَرَاتِ ؛

أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَوْا خِوَانَهُ بِضَبٍّ فَقَالَ :

« لَيْسَ مِنْ طَعَامِ قَوْمِي » ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَحْرِشُونَ الضَّبَابَ^(٣) ، وَيَصِيدُونَ

الْيَرَابِيعَ . وَيَمْلُؤُونَ الْقَنَافِدَ^(٤) ، أَصْحَابُ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ ، وَخُبْزَ التَّنَانِيرِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بِيَدِ

أَنْثَى مِنْ قُرَيْشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » .

وَذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِنَّمَا كَانَتِ الْقَبِيلَةُ لِاتِّكَادِ تَرَى

(١) رُدُحٌ ، أَيْ قِصَاعٌ عَظِيمَةٌ ، الْوَاحِدَةُ رِدَاحٌ كَسَحَابٍ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « رُوحٌ »

تَحْرِيفٌ . وَالشَّيزَى : خَشَبٌ أَسْوَدٌ تَتَّخِذُ مِنْهُ الْقِصَاعُ . يُلَبِّكَ : يَخْلُطُ . وَالشَّهَادُ : جَمْعُ شَهْدٍ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ . وَهُوَ يَعْسَلُ مَا دَامَ يَمُوعُ مِنْ شَمْعِهِ .

(٢) الْحُوَارَى : بِصَمِّ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ ، مَنْصُورٌ : الدَّقِيقُ الْأَبْيَضُ ، وَهُوَ لُبَابُ الدَّقِيقِ

وَأَحْوَدُهُ وَأَخْصَصُهُ . وَالْجَدَاءُ : جَمْعُ جَدَى . كَمَا يَجْمَعُ أَيْضاً عَلَى أَجْدٍ وَجَدْيَانِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ :

« الْجَدَى » ، تَحْرِيفٌ

(٣) حَرَسَ الضَّبَّ يَحْرِشُهُ ، دَلَّكَسَ . حَرَشَأْ . صَدَدَ . كَحَرَشَهُ . وَذَلِكَ بِأَنْ

يَحْرِكُ يَدَهُ عَلَى دَبِّ حَجَرٍ سَطَنَهُ حَبَسَ ، فَخَرَجَ ذَنَبُهُ مَخْرُجاً فَيَأْخُذُهُ .

(٤) يَمْلُؤُونَهُ : يَجْعَلُونَهُ فِي الْمَلَأَةِ . وَهُوَ لِرَمَادِ الْحَارِ وَالْجَمْرِ . يَتَتَوَّهُ لِيُؤْكَلَ .

وَتُسْمَعُ إِلَّا مِنْ قَبِيلَتِهَا وَرَجَالِهَا ، فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ ، إِلَّا عِنْدَ قَبِيلٍ وَاحِدٍ ، مِنْ
الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ وَالرَّأْيِ وَالْأَخْلَاقِ ، وَالشَّائِلِ ، وَالْحِلْمِ وَالنَّجْدَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ،
إِلَّا فِي الْفَرْطِ .

وكانت العرب قاطبة ترد مكة في أيام الموسم ، وترد أسواق عكاظ
وذا المجاز ، وتقيم هناك الأيام الطوال ، فتعرف قريش^(١) . لاجتماع
الأخلاق لهم [و] الشمائيل والألفاظ ، والعقول والأحلام ، وهي وادعة^(٢)
وذلك قائم لها ، رهن عندها في كل عام ، تملك عليهم^(٣) فيقتسمونهم ،
فتكون غطفان للميرة^(٤) ، وبنو عامر لكذا ، وتيم لكذا ، تغلبها المناسك^(٥)
وتقوم بجميع شأنها .

٥ - فصل منه

وفتح مكة يسمى فتح الفتوح ؛ وهو بيت الله ، وأهله وحججته زوار
الله ؛ وهو البيت العتيق والبيت الحرام ؛ وفيه الحجر ، والحجر الأسود .
وله زمزم ، وهي هزمة جبريل^(٦) - صلوات الله عليه - ، ومقام
إبراهيم . وماء زمزم لما شرب له ، العاكف فيه والبادي سواء^(٧) .

(١) عرف يعرف عرافة : صار عريفاً ، أي سيداً .

(٢) ب : « وداعة » ، صوابه في ش .

(٣) في النسختين : « يملك عليهم » .

(٤) الميرة : الطعام يمتاره المرء ، أي يجلبه . وفي النسختين : « للميرة » ، تحريف .

(٥) لعلها : « وتغلب للمناسك » .

(٦) من أسماء زمزم : هزمة جبريل « لأنه صرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء ،
أو أنه هزم الأرض ، أي كسر وجهها عن عينها حتى فاضت بالماء الرواء . وتسمى زمزم
أيضاً : « ركضة جبريل » . وفي ب : « وهو زمزمة جبريل » وفي م : « وهو مرم جبريل » ،
صوابهما ما أثبت .

(٧) البادي : المقيم بالبادية . ب : « والباء » ، وهي لغة صحيحة جائزة قرأ بها جهرة القراء
في الوقف والوصل ، وأثبت الباء في الوصل فقط ورش وأبو عمرو وأبو جعفر . أما يعقوب
 وابن كثير فقد أثبت الباء في الحالين جميعاً . بتحاف فضلاء البشر ٣١٤ في الآية ٢٥ من سورة الحج .

وبسبب كرامته أرسل الله طَيْرَ الْأَبَابِيلِ^(١) وحجارة السَّجِيلِ . وأهله
حُمَسَ وَلَقَّاحَ^(٢) لَا يُوَدُّونَ إِتَاوَةً ، وَلَهُمُ السَّقَايَةُ ، وَدَارُ النَّدْوَةِ . وَالرَّفَادَةُ ،
وَالسَّدَانَةُ .

قال : وأقسم الله تعالى بها ، قال : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ
بِهَذَا الْبَلَدِ^(٣) ﴾ . وقوله جل ذكره : (لَا أُقْسِمُ) أى : أقسم ، وإنما
قوله « لا » فى هذا الموضع صلة . ليس على معنى « لا » الذى هو خلاف
« نعم » .

وقالوا : ولو كان قوله : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ^(٤) ﴾ يراد به
تقدُّمُ البنيان . وما تعاوَرَهُ^(٥) من كُرُورِ الزَّمان ، لم يكن فضله على
سائر البلدان ، لَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَحُلْ مِنْ بَيْتٍ وَدَارٍ ، وَسُكَّانٍ وَبُنْيَانٍ . وَقَدْ
مَرَّتْ الْأَيَّامُ عَلَى مِصْرَ ، وَحَرَّانَ ، وَالْحِجِرَةِ ، وَالسُّوسِ الْأَفْصَى^(٦) ، وَأَشْبَاهِ
ذلك ، فجعل البيت العتيق صفةً له ، ولو كان ذهب إلى ما يعنون . كان
من قَبْلِ أَنْ يَعْتَقَ وَتَمَرَّ عَلَيْهِ الْأَرْمَنَةُ لَيْسَ بَعْتِيقَ . وهذا الاسم قد أُطْلِقَ
له إطلاقاً . فاسمه البيت العتيق ، كما أَنَّ اسْمَهُ بَيْتُ اللَّهِ .

ومن زعم أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَقَوْلُنَا
هَذَا مُصَدِّقٌ لَهُ^(٧) .

-
- (١) هذا ما فى م . والأبَابِيلُ : الجماعات . وفى ب : « طير أبابيل » .
(٢) حمس : جمع أحمس ، وهو الشديد الصلب فى الدين والقتال . ويفعل قوم لقاح ،
بفتح اللام ، وحق لقاح : لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصحبهم فى الجاهلية ساء . وفى انسختين :
« لقاح ، بالنون ، صوابه ما أثبت .
(٣) الآية ١ ، ٢ من سورة البلد .
(٤) الآية ٢٩ من سورة الحج .
(٥) تعاوَره : تداول عليه وتعاقب . وفى ب : تعاوَدَه : بدل ، صوابه فى م .
(٦) السُّوسُ الْأَفْصَى : كورة سمعرب - قصبب طرفه . وأما السُّوسُ الْأَدْنَى فهى
مدينة بخورستان . وبين السُّوسَيْنِ مدينتان سهرين . كما ذكر ياقوت .
(٧) ب : « مصدق . ومع سقوط له ، .

ومن زعم أنه إنما صار حراماً منذ حرّمه إبراهيم . كان قد زعم أنه قد كان ولا يقال له عتيقٌ ولا حرام .

قالوا : وممّا يصدّق تأويلنا أنه لم يُعرف إلا وهو لقاح ^(١) . ولا أدّى أهله إتاوة قط ^(٢) ، ولا وطّته الملوكة بالتّملك : أن سابورذا الأكتاف ، وبُيُخت نصر وأبا يكسوم وغيرهم . قد أرادوه ^(٣) فحال الله تعالى دونه ، فتلك عادة فيه . وسنة جارية له .

ولولا أن تبع أتاها حاجاً ، على جهة التعظيم والتدين بالطواف ، فحجّه وطاف به ، وكساه الوصائل ^(٤) . لأخرجه الله منه .

وحجّه بعض ملوك غسان ولخم ، وهم نصارى ، تعظيماً له . ولما جعل الله له في القلوب .

والعتيق يكون من رقّ العبوديّة ، كالعبد يعتقه مولاه . ويكون عتيقاً من النار . كالتائب من الكبائر ، وكالرجل يدعو إلى الإيمان فيستجاب له ، ويتعلم ^(٥) ناسٌ على يده . فهم أيضاً عتقاء ^(٦) .

ويكون الرجل عتيقاً من عتق الوجه .

وربّما كان عتيقاً كما يقال للفرس عتيقٌ وليس بهجين ولا مُتّرف . وقد سُمّي أبو بكر بن أبي قحافة - رضوان الله عليه - عتيقاً . من طريق عتق الوجه . ومن طريق أنهم طلبوا المثالب والعيوب التي كانت تكون

(١) انظر ماضى في . الحاشية لثبوت من ص ١١٩ .

(٢) في النسختين : « فقط » .

(٣) في النسختين : « قد أدوه » .

(٤) الوصائل : ثوب بمانية . وفي ثوب حر مخططة بحد . و « أحاط به وصبه » .

(٥) في النسختين : « وتعلم » .

(٦) ب : « فهو أيس عتقاؤه » . م : « فهو أيس عتقاؤه » . و « وحده ما أنت » .

في الأمّهات والآباء قلم يجدوها . قالوا^(١) : ما هذا إلا عتيق .

٦ - فصل منه

قد قلنا في الخصال التي بانّت بها قريش دون العرب . ونحن ذاكرون
- وبالله التوفيق - الخصال التي بانّت بها بنو هاشم دون قريش .
فأول ذلك النبوة . التي هي جِماعُ خصال الخير^(٢) ، وأعلاها
وأفضلها ، وأجلّها وأسناها .

ثم وجدنا فيهم ثلاثة رجال بنى أعمام في زمان واحد ، كلهم يسمّى
علياً ، وكل واحد من الثلاثة سيّد فقيه ، عالم عابد ، يصلح للرياسة
والإمامة ؛ مثل عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ،
وعليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعليّ
ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

ثم وجدنا ثلاثة رجال بنى أعمام ، في زمان واحد ، كلهم يسمّى
محمّداً . وكلهم سيّد وفقيه عابد . يصلح للرياسة والإمامة . مثل محمّد
ابن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ومحمّد بن
عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ومثل
محمّد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

وهذا من أغرب ما انتهى^(٣) في العالم ، ويتفق في الأزمنة . وهذه^(٤)
لا يشركهم فيها أحد . ولا يستطيع أن يدعى مثلها أحد .

(١) ب : « قال » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين « خصال جماع الخير » . وأوجه ما أثبت . وجماع الشيء بالكسر :
مجمعه ومطنته . يقال : « الحر جماع الإثم » . وفي قول الحسين رضى الله عنه : « اتقوا
هذه الأهواء التي جماعها الضلال وميادها النار » . النسب (جم ٤٠٥) .

(٣) والنسختين : « نها » .

(٤) م : « وهذا » . صوابه في ب .

ولبنى هاشم واحدة^(١) مبرزة . وثانية نادرة . يتقدمون بها على جميع الناس . وذلك أننا لا نعرف في جميع مملكة العرب . وفي جميع مملكة العجم . وفي جميع الأقاليم السبعة . ملكاً واحداً ملكه من نصاب واحد^(٢) . وفي مغرس رسالة . إلا من بنى هاشم . فإن ملكهم العباس ابن عبد المطلب . عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم . والعم وارث ، والعم أب . ولا نعلم أمة تدعى مثل هذا لملكها .

وهذا شيء سمعته من أبي غبيدة . ومنه استملت هذا المعنى .
ولبنى هاشم - مذ ملكوا هذه الدفعة - دون أيام علي بن أبي طالب والحسين بن علي إلى يومنا هذا مائة وست عشرة سنة^(٣) . كان أول بركتهم أن الله - تعالى - رفع التواعين والموتان الجارف ، فإنهم كانوا يحصدون حصداً بعد حصد .

ثم الذي تهيأ وانفق . وخُصَّ به آل أبي طالب من الغرائب والعجائب والفضائل ، ما لم نجده في أحد سواهم : وذلك أن أول هاشمي هاشمي الأبوين كان في الدنيا وليد لأبي طالب ، لأن أباهم عبد مناف . وهو أبو طالب بن شيبه . وهو عبد المطلب - بن هاشم - وهو عمرو - وهو أبو شيبه . وشيبه هو عبد المطلب . وهو أبو الحارث وسيد الوادي غير مدافع . بن عمرو . وهو هاشم بن المغيرة ، وهو عبد مناف .

ثم الذي تهيأ لبنى أبي طالب الأربعة : أن أربعة إخوة كان بين كل واحد منهم وبين أخيه في الميلاد عشر سنين سواة . وهذا عجيب .

(١) أي خصلة ، أو ميزة . ب : « واحد » تحريف ما في م .

(٢) في نسخة . « واحدة » تحريف .

(٣) هذا يؤرخ زمن تأليف هذا الكتاب ، وهو سنة ٢٤٨ ، أي قبل وفاة الجاحظ بسبع

ومن الغرائب التي خُصُّوا بها ، أغنى ولدَ أبي طالب ، أننا لا نعلم الإذكار في بلدٍ من البلدان . وفي جيلٍ من الأجيال ، [إلّا^(١)] أهل خراسان فمن دونهم ، فإنَّ الإذكار فيهم فاش ؛ كما أنك لا تجد من وراء بلاد مصر إلّا مِثْنًا ، ثم لا ترى فيهنَّ مُفِذاً^(٢) بل لا ترى إلّا التَّوَامَ ومن البنات .

فتهيأ في آل أبي طالب من الإذكار ما لم نعرفه^(٣) في قديم الدهر وحديثه ، ولا فيما قُرب من البلدان ولا فيما بُعد .

وذلك أنَّ آل أبي طالب أحصوا منذ أعوامٍ وحُصِّلوا ، فكانوا قريباً من ألفين وثلثمائة ، ثم لا يزيد عددُ نسائهم على رجالهم إلّا دون العُشْرِ^(٤) . وهذا عَجَب .

وإن كنتَ تريد أن تتعرَّف^(٥) فضل البناتِ على البنين ، وفضل إناثِ الحيوانات على ذكورها ، فابدأ فخذُ أربعين ذراعاً عن يمينك ، وأربعين ذراعاً عن يسارك ، وأربعين خلفك ، وأربعين أمامك ، ثم عدَّ الرجالَ والنساءَ حتَّى تعرف ما قُلْنَا^(٦) ، فتعلم أنَّ الله تعالى لم يُحلِّل للرجل الواحدِ من النساءِ أربعاً ثم أربعاً ، متى وقع بهن موتٌ أو طلاق ، ثم كذلك للواحد^(٧) مابين الواحدة من الإماء إلى ما يشاء من العدد ، مجموعاتٍ ومفترقات ، لثلاث يَبْقَيْن إلّا ذواتِ أزواج^(٨) .

(١) تكلمة يفتقر إليها صحة الكلام .

(٢) أفذت : ولدت ولداً واحداً ، وإن كان من عدتها أن تند واحداً فهي مفذاذ .

(٣) في النسختين : « يعرفه » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب : « لادون العشر » ، صوابه في م .

(٥) م : « أن تعرف » .

(٦) ب : « بما قلنا » .

(٧) في النسختين : « الواحد » .

(٨) ب : « لادوات أزواج » م . « لاذات أزواج » ، والوجه ما أثبت .

ثم انظر في شأن ذَوَاتِ الْبَيْضِ^(١) وذوات الأولاد فإنك ستري في دارِ خمسين دجاجةً وديكاً واحداً ، ومن الإبلِ الحَجمَةَ وفحلاً واحداً ، ومن الحميرِ العانةَ وعيراً واحداً . فلماً حصلوا كل مثنائ وكل مذكّار ، فوجدو آل أبي طالبٍ قد برّعوا على الناس وفضلوهم^(٢) ، عرف الناس موضعَ الفضيلةِ له والخصُوصيةَ .

وفي ولدِ أبي طالبٍ - أيضاً - أعجوبةٌ أخرى ؛ وذلك أنه لم يُوجد قطُّ في أطفالِهِمْ طفلٌ يَحْبُو ، بل يَزحفُ زحفاً ثلثاً ينكشفُ منه عن شيءٍ يَسُوئه ، ليكونَ أوفرَ لبهائه ، وأدَلَّ على ماخُصوا به .

ولهم من الأعاجيب خصلةٌ أخرى : وذلك أن عُبيدَ الله بنَ زيادٍ قَتَلَ الحُسَيْنَ في يومِ عاشوراءَ . وقَتَلَهُ اللهُ يومَ عاشوراءَ في السَّنةِ الأُخرى .

وقالوا : لا نعلم موضعَ رجلٍ من شُجعانِ أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، كان له من عَدَدِ الْقَتْلِ^(٣) ما كان لعلِّ رضوانِ الله عليه ، ولا كان لأحدٍ مع ذلك من قَتْلِ الرُّؤساءِ والسَّادةِ ، والمتبوعين والقادةِ ، ما كان لعلِّ بنِ أبي طالبٍ . وقَتَلَ رئيسٍ واحدٍ ، وإن كان دون بعضِ الفُرسانِ في الشَّدةِ ، أشدُّ ؛ فإنَّ قَتْلَ الرُّئيسِ أَرَدُّ على المسلمين وأَقْوَى لهم من قتلِ الفارسِ الذي هو أشدُّ من ذلك السَّيِّدِ .

وأيضاً - أنه قد جمع بين قتلِ الرُّؤساءِ وبين قَتْلِ الشُّجعانِ .

وله أعجوبةٌ أخرى ؛ وذلك أنه مع كثرةِ ما قَتَلَ وما بارزَ ، وما مَشَى بالسيفِ إلى السَّيْفِ ، لم يُجَرَّحْ قطُّ^(٤) ولا جَرَحَ إنساناً إلَّا قَتَلَهُ .

(١) في النسختين : « ولادات البيض » ، صوابه ما أثبت .

(٢) م : « وفضلوهم » .

(٣) في النسختين : « من عدد القتل » ، و « نصاب ما أثبت » ، والمراد عدد من قتل من نسله .

(٤) م : « لم يخرج قط » ، صوابه في ب .

ولا نعلم في الأرض متى ذُكر السَّيْقُ في الإسلام والتَّقدُّم فيه ، ومتى ذُكر الفِقه في الدِّين . ومتى ذُكر الزُّهد في الأموال التي تَشَاجَرُ النَّاسُ عليها ، ومتى ذُكر الإِعْطَاءُ في المَاعُون ، كان مذكوراً في هذه الحالاتِ كُلِّهَا - إِلَّا عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .

قالوا : وكان الحسن يقول : قد يكون الرجل عالماً وليس بعابد ، وعابداً وليس بعالم ، وعابداً وليس بعاقل ، وعاقلاً وليس بعابد . وسليمان ابن يسار^(١) عالمٌ عاقل عابد ، فانظرُ أين يقع خصالُ سليمان من خصالِ عليٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ولم يكن قصْدُنَا في أوَّلِ هذا الكتابِ إلى ذكرِ هاشم ، وقد كان قصْدُنَا الإِخبارَ عن مَكَّةَ بما قد كتبناه في صدرِ هذا الكتاب ، ولكنَّ ذكرَ خصالِ مَكَّةَ جَرَّ ذِكْرَ^(٢) خِصَالِ قَرِيش ، وذكرِ خِصَالِ قَرِيشِ جَرَّ ذِكْرِ^(٣) خِصَالِ بَنِي هَاشِم .

فإنَّ أَحَبَّتْ أَنْ تَعْرِفَ جُمْلَةَ الْقَوْلِ فِي خِصَالِ بَنِي هَاشِم فانظر في كتابي هذا الذي فَرَّقْتُ فِيهِ بَيْنَ خِصَالِ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَبَيْنَ بَنِي مَخْزُوم ، وفَرَّقْتُ^(٤) ما بَيْنَ عَبْدِ شَمْسٍ ؛ فَإِنَّهُ هُنَاكَ أَوْفَرُ وَأَجْمَعُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) هو أبو أيوب ، أو أبو عبد الرحمن ، أو أبو عبد الله ، سليمان بن يسار الهلالي المدني ، مولى ميمونة ، ويقال كان مكاتباً لأم سلمة . روى عن ميمونة وأم سلمة وعائشة وزيد ابن ثابت وابن عباس وغيرهم . وعنه عمرو وعبد الله ابنا دينار ، وأبو الزناد والزهرى ونافع وغيرهم . وكان ثقةً عابداً ، يصوم يوماً ويفطر يوماً . ولد سنة ٢٧ وتوفي سنة ١٠٧ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٢ : ٤٥ .

(٢) ب : « جر ذلك » ، صوابه في م .

(٣) ب : « جر ذلك » ، صوابه في م .

(٤) م : « وفرق » ، واثبت ما في ب .

٧ - فصل منه

قالوا: وقد تعجبَ الناسُ من ثباتِ قريشٍ ، وجزالةِ عطاياهم ، واحتمالهم المؤنَّ الغلاظ^(١) في دوامِ كَسْبِهِم من التجارة ، وقد علموا أنَّ البُخْلَ والبَصَرَ^(٢) في الطَّفِيفِ مقرونٌ في التجارة ؛ وذلك خُلُقٌ من أخلاقهم . وعلى ذلك شاهدُ أهلِ الترقِيعِ^(٣) والتكسبِ والتدنيقِ^(٤) .

فكان في ثباتِ جُودهم العالی على جُود الأجواد ، وهم قومٌ لا كسبَ لهم إلَّا من التجارة ، عَجَبٌ من العَجَبِ .

ثُمَّ جاء ما هو أَعْجَبُ من هذا وأَظْمُ^(٥) . وذلك أَنَّا قد علمنا أَنَّ الرُّومَ قَبْلَ التَّيْدِينَ بالنَّصْرَانِيَّةِ ، كانت تنصفُ من ملوكِ فارس ، وكانت الحروبُ بينهم سِجَالًا . فَلَمَّا صارت لا تَدِينُ بِالْقَتْلِ والقتال ، والقَوَد والقِصاص ، اعتراهمُ مثلُ ما يعتري الجُبْنَاءَ حتَّى صاروا يتكلَّفون القتالَ تكلُّفًا . وَلَمَّا خامرتُ طبائعهم تلكَ الديانةَ ، وسَرَتْ في لحومهم ودمائهم فصارت^(٦) تلكَ الديانةُ تَعْرِضُ عليهم . خَرَجُوا من حدودِ الغالبيةِ إلى أَنَّ صاروا مغلوبين .

وإلى مثل ذلك صارت حَالُ التُّغْرُغِ^(٧) من التُّركِ . بعد أَن كانوا

(١) ب : « المومن الغلاظ » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « والبطر » .

(٣) ترقيع المال : إصلاحه والقيام عليه . م : « الترجيع » ، تحريف .

(٤) في النسختين : « والمكسب » ، والوجه ما أثبت . والتدنيق : البخر والشح ،

مأخوذ من الدائق بكسر النون وفتحها ، وهو سدس الدينار والدرهم .

وفي حديث الحسن : « لعن الله الدائق ومن دقق » . والمراد به هنا الحرص والدقة في المعاملة .

(٥) أي أكثر وأعظم . ومنه الطامة ، وهي القيامة ، والداهية .

(٦) م : « فسارت » ، صوابه في ب .

(٧) التفرغز : جيل من التُّرك كانوا يعيشون في بقاع موعمة نحو الغرب ، وكانوا

جيرانًا للفرنج ، أو القرقي . وقد انحدر من نسبهم أحمد بن طولون . انظر دائرة المعارف الإسلامية

في رسمها . ب : « التفرغز » م : « التفرغز » صوابها ما أثبت . وانظر حواشي الكامل لابن

الأثير ١١ : ١٧٨ بيروت .

أنجادهم وحُماتهم ، وكانوا يتقدمون الخُرْلُجِيَّةُ^(١) ، وإن كانوا في العدد أضعافهم ، فلما دانوا بالزُنْدَقَة - ودينُ الزُنْدَقَة في الكُفِّ والسُّلَمِ - أسوأ من دين النَّصَارَى - نَقَصَتْ تلك الشُّجَاعَة . وَذَهَبَتْ تلك الشهامة .

وقريشٌ من بين جميع العرب دانوا بالتحُمُس . وتشددوا في الدين ، فتركوا الغزو كراهةً للسَّيِّ واستحلّال الأموال واستحسان العُصْب ؛ فلما تركوا الغزو لم تبقَ مكسبةٌ سوى التجارة ، فضربوا في البلاد إلى قيصرَ بالروم ، وإلى النجاشي بالحِمْشَة . وإلى المُقَوِّس بِمِصر ، وضاروا بأجمعهم تَجَّاراً خُلَطَاءً . وبانوا بالديانة والتحُمُس ، فحمَّسوا بني عامر ابن صعصعة ، وحمَّسوا الحارثَ بنَ كعب ، فكانوا - وإن كانوا حُمُساً - لا يتركون الغزو والسَّيِّ ووطء النساء ، وأخذَ الأموال ، فكانت نجدتهم - وإن كان أنقصَ - فإنَّها على حالِ النُّجْدَة ، ولهم في ذلك بقية^(٢) .

وتركت قريشُ الغزو بَتَّةً ، فكانوا - مع طُولِ تركِ الغزو - إذا غزوا كالأسود على برائنها ، مع الرأي الأصيل ، والبصيرة النافذة .

أفليسَ من العَجَبِ أن تبقَى نجدتهم ، وتثبتَ بسالتهم ، ثم يعلون الأنجاد والأجواد ، ويفرغون الشُّجْعان^(٣) ؟ ! وهاتان الأعجوبتان بيئتان^(٤) .

وقد عُلِمَ أنَّ سببَ استفاضةِ النجدة^(٥) في جميع أصناف الخوارج

(١) في ب : « الخرجية » م : « الخرجية » ، صوابهما ما أثبت . وانظر دائرة المعارف (خرلج) و (قرلق) .

(٢) البقية : الفضل فيها يمدح به .

(٣) في النسختين : « ويعرفون الشُّجْعان » ، ووجه ما أثبت . فرع القوم : علام وفاتهم .

(٤) في النسختين : « بليتان » .

(٥) ب : « أن السبب استفاضة النجدة » ، صوابه في م .

وتقدّمهم في ذلك ، إنّما هو بسبب الديانة ، لأنّ نجد عبيدهم ومواليهم ونساءهم ، يقاتلون مثل قتالهم ، ونجد السّجستانيّ وهو عجميّ ، ونجد اليماميّ والبخرانيّ والخوزيّ^(١) [وهم غير^(٢)] عرب ، ونجد إياضيّة عُمان وهي بلادُ عربٍ ، وإياضيّة تاهرت وهي بلاد عجم ، كلّهم في القتال والنّجدة ، وثبات العزيمة ، والشّدّة في البأس سواء . فاستوت حالاتهم في النّجدة مع اختلاف أنسابهم وبلدانهم . أفما في هذا دليلٌ على أنّ الذي سوى بينهم التّدبّر بالقتال ، وضروبٌ كثيرة من هذا الفنّ ؟ !
وذلك كلّهُ مُصوّرٌ في كتبي ، والحمدُ لله .

وقد تجِدون عُمومَ السُّخف والجهل والكذب في المواعيد ، والغشّ في الصناعة ، في الحاكّة^(٣) ، فدلّ استواء حالاتهم في ذلك على استواء عِلَلهم . ليست هناك عِلّةٌ إلّا الصّناعة ؛ لأنّ الحاكّة في كل بلد شيءٌ واحد . وكذلك النّخّاس وصاحب الخُلُقان^(٤) ، وبيّاع السّمك . وكذلك الملاحون وأصحاب السّماذ ، أولّهم كآخَرهم ، وكهولهم كشبانهم ، ولكن قُلْ في استواء الحجاجمين في حُبّ النبيذ^(٥) !

٨ - فصل منه

في ذكر المدينة

وأمرُ المدينة عَجَبٌ ، وفي تربيها وتُربّاهَا^(٦) وهوائها ، دليلٌ وشاهدٌ

(١) م : « والخوارزني » . والخوز هم أهل خوزستان .

(٢) تكلّة يفتقر الكلام إليها .

(٣) ما بعده إلى « الحاكّة » التالية ، ساقط من م .

(٤) انظر لأصحاب الخُلُقان ما مضى في ١ : ٥٢ والحيوان ٢ : ١٠٥ .

(٥) أي حدث عنهم ولا حرج .

(٦) التربة : ظاهر الأرض . ومثله في الحيوان ٣ : ١٤٢ : « وفي ريح تراه وبنة تربّتها » .

وبرهاناً على قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهَا طَيْبَةٌ تَنْفِي حَشَّهَا وَتَنْصَعُ طَيْبُهَا»^(١) لَأَنَّ مَنْ دَخَلَهَا أَوْ أَقَامَ فِيهَا . كَانَتْ مِنْ كَانِ^(٢) مِنَ النَّاسِ . فَإِنَّهُ يَجِدُ مَنْ تُرِبَتْهَا وَحِيطَانُهَا رَائِحَةً طَيِّبَةً . لَيْسَ لَهَا اسْمٌ فِي الْأَرَايِيحِ^(٣) ، وَبِذَلِكَ السَّبَبِ طَابَ طَيْبُهَا وَالْمَعْجُونَاتُ مِنَ الطَّيِّبِ فِيهَا . وَكَذَلِكَ الْعُودُ وَجَمِيعُ الْبَخُورِ ، يَضَاعَفُ طَيْبُهَا فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ . عَلَى كُلِّ بَلَدٍ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ الطَّيِّبَ بَعِينَهُ فِيهَا .

وَكَذَلِكَ صَيَّاحُهَا^(٤) وَالْبَلَحُ^(٥) وَالْأَتْرُجُ وَالسَّفَرَجُلُ ، أَغْنَى الْمَجْعُولُ مِنْهَا سُخْبًا لِلصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ^(٦) .

فَإِنْ ذَكَرُوا طَيْبَ سَابُورٍ^(٧) فَإِنَّمَا طَيْبُ سَابُورٍ بِطَيْبِ أَرِيَاكِحِ الرِّيَّاحِينَ ، وَذَلِكَ مِنْ رِيحِ رِيَّاحِينِهَا وَبَسَاتِينِهَا وَأَنْوَارِهَا . وَلِذَلِكَ يَقْوَى فِي زَمَانٍ ، وَيَضَعُفُ فِي زَمَانٍ .

وَنَحْنُ قَدْ نَدْخُلُ دِجْلَةَ^(٨) فِي نَهْرِ الْأَبْلَةِ بِالْأَسْحَارِ ، فَنَجِدُ مِنْ تِلْكَ

(١) فِي السَّانِ (نَصْعَ) : « وَفِي الْحَدِيثِ : الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ ، تَنْفِي خَبْثُهَا وَتَنْصَعُ طَيْبُهَا ، أَيْ تَخْلُصُهُ » . وَانْظُرِ الْأَلْفَ الْمُخْتَارَةَ الْحَدِيثَ ١٥٩ . فَفِيهِ رَوَايَةٌ أُخْرَى .

(٢) م : « مَا كَانَ » .

(٣) وَكَذَا فِي الْحَيَوَانَ ٧ : ٢٣٠ : « وَجَدَ مِنْهَا عَرَفًا طَيِّبًا وَبَنَةً عَجِيْبَةً لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمِعَهَا » .

(٤) الصِّيَّاحُ ، بِوزْنِ كَنَانَ : عَطَرٌ أَوْ غَسْلٌ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ : « صَبَّاحُهَا » ، تَعْرِيفٌ . وَانْظُرِ الْحَيَوَانَ ٣ : ١٤٢ - ١٤٣

(٥) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَالتَّلِيحُ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْحَيَوَانَ ٣ : ١٤٤ ، وَفِيهِ : « وَإِنْ الْجَوِيرِيَّةُ السُّودَاءُ لَتَجْمَلُ فِي رَأْسِهَا شَيْئًا مِنْ بَلَحٍ وَشَيْئًا مِنْ نَضُوحٍ مِمَّا لَا قِيَمَةَ لَهُ لِهَوَانِهِ عَلَى أَهْلِهِ ، فَتَجِدُ لَذَلِكَ خَمْرًا طَيِّبَةً ، وَطَيْبَ رَائِحَةٍ لَا يَعْذِلُهَا بَيْتُ عُرُوسٍ مِنْ ذَوِي الْأَقْدَارِ » .

(٦) السُّخْبُ ، بِفَتْحَتَيْنِ : جَمْعُ سَخَابٍ كَكِتَابٍ ، وَهُوَ خِيَطٌ يَنْظُمُ فِيهِ خَرْزٌ وَتَلْبِسُهُ الصَّبِيَّانُ وَالْجَوَارِي .

(٧) سَابُورٌ : كَوْرَةٌ بِأَرْضِ فَارَسٍ ، مَدِينَتُهَا الْوَبَنْدَجَانُ ، أَوْ شَهْرُ سَتَانٍ . وَهِيَ كَوْرَةٌ نَزْهَةٌ كَمَا ذَكَرَ يَاقُوتٌ .

(٨) ب : « دَخَلَةُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

الحدائق ، ونحن في وَسَطِ النهر ، مِثْلَ ما يجد أهل سابورَ من تلك الرائحة .

وطَيْبَةٌ^(١) التي يسمونها المدينة ، هذا الطَّيْبُ خِلْقَةٌ فيها ، وجوهريةٌ منها ، وموجودٌ في جميع أحوالها . وإنَّ الطَّيْبَ والمعجوناتِ لَتُحْمَلُ إليها فتزداد فيها طيباً ، وهو ضدُّ^(٢) قَصْبَةِ الأهواز وأنطاكية ، فإنَّ الغَوَالِيَّ تستحيل الاستحالة الشَّديدة^(٣) .

ولسنا نشكُّ أَنَّ ناساً ينتابون^(٤) المواضع التي يباع فيها النَّوى المُنْفَع ، فيستنشقون تلك الرائحة ، يُعْجَبُونَ بها ويلتمسونها ، بقدر فرارنا نحن من مواقع النَّوى عندنا بالعراق ، ولو كان من النَّوى المعجوم ومن نَوَى الأفواه^(٥) .

ونحن لا نشكُّ أَنَّ الرجل الذي يأكل بالعراق أربعَ جَرَادِقٍ^(٦) في مقعد واحد من المَيْسَانِي^(٧) والمَوْصِلِيَّ ، أَنَّهُ لا يأكل من أَقْراس المدينة قُرَصَيْنِ ؛ ولو كان ذلك لغلظ فيه أو لفساد كان في حبه وطَحِينِه لَظَهَرَ ذلك في التَّخَمِ وسوء الاستمرار ، ولتولَّد على طول الأَيَّام من ذلك أوجاعٌ وفساد كثير .

ولم يكن بها طاعونٌ قطُّ ولا جُذام .

(١) طيبة ، بالفتح : اسم للمدينة ، وبالكسر : اسم من أسماء زمزم .

(٢) ب : « عند » ، صوابه في م .

(٣) الغالية : ضرب من الطيب ، وقد تغل ، أى تخنق به .

(٤) ب : « يتناوبون » .

(٥) المعجوم : المدقوق . والأفواه : جمع فوه كسوق ، وهى التوابل ونوافح الطيب .

وانظر الحيوان ٣ : ١٤٤

(٦) الجرذقة : الرغيف ، فارسي معرب . ويقال جردق أيضاً .

(٧) نسبة إلى ميسان ، بالفتح ، وهى كورة بسواد العراق .

وليس لبلدة من البلدان من الشهرة^(١) في الفقه مألهم ولرجالهم .
وذكر عبد الملك بن مروان رُوح بن زنباع^(٢) فمدحه فقال : جمع
أبو زُرعة فقه الحجاز ، ودهاء العراق ، وطاعة أهل الشام^(٣) .

٩ - فصل منه

في ذكر مصر

قال أبو الخطّاب^(٤) : لم يذكر الله جلّ وعزّ شيئاً من البلدان باسمه
في القرآن كما ذكر مصر ، حيث يقول : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ
لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ^(٥) 》 . وقال : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ
أَبْوَتِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ^(٦) 》 وقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ^(٧) 》
وقال تعالى : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ^(٨) 》 وقال في آية :
﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ^(٩) 》 .

(١) في النسختين : « الشهوة » ، صوابه ما أثبت .

(٢) هو أبو زرعة روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي . قال ابن حجر في الإصابة :
ذكره بعضهم في الصحابة ولا يصح له صحبة ، بل يجوز أن يكون ولد في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم . وكان أحد ولاية فلسطين أيام يزيد بن معاوية . الأغاني ١٧ : ١١١ . وزوجه عبد الملك
ابن مروان أم جعفر بنت النعمان بن بشير . الحيوان ١ : ٢٢٦ . وكان سيد جذام . البيان ١ : ٣٤٦ .
(٣) الخبر في الإصابة ٢٧٠٧ .

(٤) أبو الخطّاب هذا هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري . وهو من ولد أعمى ، وكان
تابعياً عالماً كبيراً نسابه ، وذاعلم في القرآن والحديث والفقه . أخذ عن الحسن وابن سيرين ،
وعنه أيوب السخيتاني وهشام الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم . وروى له البخاري ومسلم
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ في أيام هشام بن الملك .
تهذيب التهذيب ، ووفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، والمعارف ، ونكت الهميان .

(٥) الآية ٢١ من سورة يوسف . (٦) الآية ٩٩ من سورة يوسف .

(٧) الآية ٨٧ من سورة يوسف . والكلام بعدها إلى « تجري من تحتي » ساقط من ب .

(٨) الآية ٦١ من سورة البقرة . وقرأ الحسن والأعمش : « مصر » بلا تنوين . وانظر
إتحاف فضلاء البشر ١٣٧ .

(٩) الآية ٥١ من سورة الزخرف .

وذكر مصرَ في القرآن بالكِنَاية عن خاصّة اسمِها . فمن ذلك :
﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾^(١) قالوا^(٢) :
هي مدينة مَنْف^(٣) ، وهو موضعُ منزل فرعون .

وأخبرني شيخُ من آل أبي طالبٍ من ولد عليٍّ صحيحُ الخبرِ : مَنْفُ دارُ فرعون ، ودُرْتُ في مجالسِهِ ومثاويه^(٤) وعُرفه ووصفاه ، فإذا كلُّه حجرٌ واحدٌ منقور ، فإن كانوا هَنَدَمُوهُ وأَحْكَمُوا بِنَاءَهُ حتَّى صار في المِلاسة واحدًا لا يُسْتَبَانُ فيه مَجْمَعُ حَجَرَيْنِ ، ولا مُلتَقَى صَخْرَتَيْنِ فهذا عَجَبٌ . ولئن كان جَبَلًا واحدًا ، ودَكَّا واحدًا ، فنَقَرْتَهُ الرِّجَالُ بِالمناكير حتَّى خرقت فيه تلك المخاريق ، إنَّ هذا لأَعْجَبُ .

وفي القرآن : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾^(٥) .

قال : والأَرْضُ ها هنا مِصر . وفي هذا الموضع كلامٌ حَسَنٌ ، ولكنَّا ندْعُهُ مخافة أن نَخْرُجَ إلى غير الباب الذي أَلْفَنَّا له هذا الكتاب .

قالوا : وسمَّى الله تعالى مَلِكَ مِصر «العَزِيز» ، وهو صاحبُ يوسف ، وسمَّى صاحبَ موسى «فِرْعَوْنَ» .

قالوا : وكان أصلُ عُتُوِّ فِرْعَوْنَ مُلْكَهُ العَظِيمَ ، ومملكته التي لا تُشَبَّهها مملكة .

(١) الآية ٣٠ من سورة يوسف .

(٢) ب : « قال » .

(٣) في النسختين : « مرو » ، صوابه ما أثبت . وانظر ما سبق .

(٤) المثوى : المنزل ، وموضع الإقامة . وفي النسختين : « ومساويه » ، وهو تصحيف

ما أثبت .

(٥) الآية ٨٠ من سورة يوسف .

قالوا : ومنهم مؤمن آل فرعون . وهى آسية بنت مزاحم .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيدة نساء العالم خديجة بنت
خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت
مزاحم » .

قال ^(١) : ولما هم فرعون بقتل موسى قالت آسية : لا تقتله عسى
أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . وقالت : وكيف تقتله ، والله ما يعرف الجمره
من التمره .

ومنهم السحرة الذين كانوا قد أبروا على أهل الأرض ^(٢) ، فلما
أبصروا بالأعلام ، وأيقنوا بالبرهان ، استبصروا وتابوا توبة ماتابها
ما عز بن مالك ^(٣) ، ولا أحد من العالمين ، حتى قالوا لفرعون : ﴿ اقض
ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنت بربنا ليغفر لنا
خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾ ^(٤) .

وجاء في الحديث : « من أخرب خزائن الله فعليه لعنة الله » . قالوا ^(٥) :

(١) أى شيخ من آل أبي طالب . أو لعلها : « قالوا » .

(٢) أبروا عليهم إبراء : غلبوهم . ومنه قول طرفة :

يكشفون الضر عن ذى ضرهم ويبرون عسل الآبى المسير
وفى النسختين : « قد أبروا على أهل الأرض » ، صوابه ما أثبت .

(٣) ماعز بن مالك : أحد الصحابة ، كان قد زنى فأقر على نفسه ، وانطلق إلى رسول الله
يطلب منه إقامة الحد عليه ، وألح فى ذلك إلحاحاً . فأمر الرسول برجه فرجم ، فلما عضه
مس الحجارة انطلق يسعى ، فعاجله رجل بلحى جزور فضربه فصرعه . وقال صلى الله عليه وسلم
فى شأنه : « لقد تاب توبة لوتابها طائفة من أمتى لأجزأت عنهم » ، كما قال : « والذى نفسى
بيده إنه الآن لى أنهار الجنة يتقمس فيها » . انظر مسند أحمد ٥ : ٢١٧ والسنن الكبرى
للبيهقى ٨ : ٢٢٥ - ٢٢٨ ومسم ٢ : ٣٣ - ٣٥ والإصابة ٧٥٨١ وتأويل مختلف الحديث لابن
قتيبة ٢٢٨ - ٢٤١

(٤) الآية ٧٢ من سورة طه . ونصها : « فاقض ما أنت قاض » ، والاقْتِباس من القرآن

الكريم مع ترك حرف جائر لا بأس به . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص ٥١ .

(٥) ب : « قال » ، وأثبت ما فى م .

خزائن الله هي مصر ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ يَوْسُفَ : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾^(١) ؟

وقال عبد الله بن عمرو : « البركة عَشْرُ بَرَكَاتٍ : تسعٌ بمصر والواحدة في جميع الأرض » .

١٠ - فصل منه

وقال أهل العراق : سَأَلْنَا بِطْرِيْقَ خَرْشَنَةَ^(٢) عَنْ خَرَاكِ الرُّومِ ، فَذَكَرَ مَقْدَاراً^(٣) مِنَ الْمَالِ ، وَقَالَ . هُوَ كَذَا وَكَذَا قِنْطَاراً . فَنَظَرَ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ إِذَا خَرَاكِ مِصْرَ وَحَدَّه يُضْعِفُ عَلَى خَرَاكِ بِلَادِ الرُّومِ إِذَا جُمِعَتْ أَبْوَابُ الْمَالِ مِنَ الْبِلَادِ جَمِيعاً .

وَزَعَمَ أَبُو الْخَطَّابِ^(٤) أَنَّ أَرْضَ مِصْرَ جُبَيْتٌ أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفَ دِينَارٍ .

١١ - فصل منه

وَلَا أَعْلَمُ الْفُرْقَةَ فِي الْمَغْرِبِ إِلَّا أَكْثَرَ مِنَ الْفُرْقَةِ فِي الْمَشْرِقِ ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْمَغْرِبِ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَزِيدُوا عَلَى الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ ، وَالْخَارِجِيُّ فِي

(١) الآية ٥٥ من سورة يوسف .

(٢) خَرْشَنَةُ : بَلَدٌ قَرِيبٌ مِلْطِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ . كَمَا فِي يَاقُوتَ . وَانْظُرِ الْجِيَوَانَ ٣ : ٢١٥ وَالْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ٢ : ٤٤ ، ٢٦٥ . وَفِي النُّسَخَتَيْنِ : « حَرْسُهُ » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ .

(٣) ب : « مَقْدَارٌ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٤) أَبُو الْخَطَّابِ قِتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ الْمَثَرَحِمِيُّ فِي ص ١٣١ .

المشرق لا يرضى بذلك حتى يجوزَه إلى الكفر ، مثل المقنَّع^(١) وشيَّان^(٢) والإصْبَهْد^(٣) وبابك^(٤) ، وهذا الضَّرب .

١٢ - فصل منه

وقد علمنا أنَّ لِجَماعَةِ بنى هاشم^(٥) طابَعاً^(٦) في وجوههم يستبين به كرمُ العِتيق وكرمُ النَّجار^(٧) ، وليس ذلك لغيرهم .

ولقد كادت الأهواز تُفسد هذا المعنى على هاشميَّة الأهواز ، ولولا

(١) هذا هو المقنَّع الخراساني ، وكان قد خرج على المهدي بخراسان سنة ١٦١ . وكان أعور قصاراً ، من قرية يقال لها « كازه كيمردان » ، وكان قد عرف شيئاً من الهندسة والحيل والنير نجات فادعى لنفسه الإلهية عن طريق التناسخ ، واحتجب عن الناس ببرقع من حرير ، ودامت فتنته على المسلمين أربع عشرة سنة ، أباح لهم فيها كثيراً من المحرمات ، فوجه إليه المهدي عدة من قواده ، وجعل المقنَّع يجمع الطعام عدة للحصار في قلعة بكش ، وقد تمكن سعيد الحرثي من تشديد الحصار عليه ، فلما أحس بالهلكة شرب سماً وسقاه نساءه وأهله فأتوا جميعاً ، ودخل المسلمون قلعة سنة ١٦٣ واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي . الطبري في حوادث ١٦١ - ١٦٣ والفرق بين الفرق ٢٤٣ - ٢٤٥ والآثار الباقية للبغوي ٢١١ وشروح سقط الزند ١٥٤٥ .

(٢) هو شيَّان بن عبد العزيز الخروزي اليشكري ، الذي خرج في أيام مروان بن محمد بعد مقتل الضحاك بن قيس الشيباني رأس الخوارج ، وقد طارده مروان حتى صار شيَّان إلى عمان فقتله بها جلندي بن مسعود سنة ١٢٩ . الطبري في حوادث سنة ١٢٩ . وفي النسختين : « سيفاد » .

(٣) هو الفرخان ، إصْبَهْد خراسان على طبرستان . وقد جرى فتح طبرستان على يد سويد ابن مقرن سنة ٢٢ ، وذلك بعد عهد بالصلح تاريخه سنة ١٨ . انظر الطبري . والإصْبَهْد هو بالفارسية « إسبهد » بتفخيم الباء الأولى فقط ، ومعناه : القائد العام . استينجاس ٤٨ . وفي ب : « والإصْبَهْد » وفي م : « والإصْبَهْد » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) هو بابك الخرمي ، رئيس الخرمية بعد موت زعيمهم جاويدان بن سهل ، واشتدت شوكته في أيام المعتصم ، وحاربه الأفشين واستولى على معقله مدينة البذ ، ثم وقع في يد سهل بن سنباط بطريق أرمينية وقبض عليه وهو يصطاد ، وسسلمه إلى الأفشين ، وصلبه المعتصم سنة ٢٢٣ . الطبري ، ودائرة المعارف الإسلامية .

(٥) ب : « أن الجماعة بنى هاشم » ، صوابه في م .

(٦) ب : « طابَعاً » ، صوابه في م . والطابع ، بالفتح والكسر : الخاتم الذي يختم به ، وكذا الجسم الذي توضع به الدواب ، والمراد هنا العلامة .

(٧) النجار ، بكسر النون : الأصغر والحسب . ب : « الشجر » ، م : « البخار » صوابهما ما أثبت .

أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ لَقَدْ كَادَتْ ^(١) طَمَسَتْ عَلَى ذَلِكَ الْعِتْقُ وَمَحَتْهُ ^(٢) .
فَتَرَبُّتُهَا خِلَافُ تَرْبَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ
تَخَرَّقَ طُرُقَ الْمَدِينَةِ ^(٣) وَجَدَ رَائِحَةً طَيِّبَةً لَيْسَتْ مِنَ الْأَرَائِيحِ الْمَعْرُوفَةِ الْأَسْمَاءِ .

١٣ - فصل منه

قال زياد : الكوفة جارية جميلة لا مالَ لها ، فهي تُخَطَّبُ لجمالها .
والبصرة عَجُوزٌ شوهاء ذاتُ مالٍ فهي تُخَطَّبُ لمالِها .

١٤ - فصل منه

والفراتُ خَيْرٌ مِنْ مَاءِ النَّيْلِ ^(٤) . وَإِمَّا دِجْلَةٌ فَإِنَّ مَاءَهَا يَقْطَعُ شَهْوَةَ
الرَّجَالِ - وَيَذْهَبُ بِصَهِيلِ الْخَيْلِ ، وَلَا يَذْهَبُ بِصَهِيلِهَا إِلَّا مَعَ ذَهَابِ
نَشَاطِهَا ، وَنَقْصَانِ قَوَاهَا ؛ وَإِنْ لَمْ يَتَنَسَّمْ ^(٥) النَّازِلُونَ عَلَيْهَا أَصَابَهُمْ قَحُولٌ
فِي عِظَامِهِمْ ^(٦) ، وَيُيَسُّ فِي جُلُودِهِمْ .

وَجَمِيعُ الْعَرَبِ النَّازِلِينَ عَلَى شِشَاطِي دِجْلَةٍ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى بِلَدِ ^(٧)

(١) في النسختين : « لولا أن الله غالب على أمره ولقد كادت » ، والوجه إثبات الواو في أول الكلام وحذفها في آخره .

(٢) في النسختين : « ومحه » ، صوابها ما أثبت .

(٣) تخرق ، أراد يتخلل . ولم أجد نصاً على هذا الفعل إلا ما ورد في اللسان ١١ : ٣٦ :
« قال أبو عدنان : المخارق : الملاصق يتخرقون الأرض ، بينما هم بأرض يداهم بأخرى » . وكذا ما ورد في الحيوان ٢ : ٣٣١ من قوله : « يتخرق السنائر » .

(٤) يعني نيل الكوفة ، وهو خليج كبير يتخلل من الفرات ، حفره الحجاج بن يوسف وسماه باسم نيل مصر .

(٥) التنسم : طلب التنسيم واستنشاقه . في النسختين : يتيسم ، ولا وجه له .

(٦) القحول : اليبس . م : « القحول » صوابه في ب .

(٧) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، بينهما سبعة فراسخ ، وينسب إليهما جماعة كبيرة من العلماء . ويقال لها أيضاً « بلط » بالطاء . قال ياقوت : « وبلد أيضاً : بليدة معروفة من نواحي دجيل قرب الحظيرة وحرى ، من أعمال بغداد ، لا أعرف من ينسب إليها » .

لا يَرَعُونَ الخَيْلَ فِي الصَّيْفِ عَلَى أَوَارِيهَا^(١) عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ ، وَلَا يَسْقُونَهَا مِنْ مَائِهَا ، لَمَّا يَخَافُ عَلَيْهَا مِنَ الصُّدَامِ^(٢) ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ . وَأَصْحَابُ الْخَيْلِ مِنَ الْعِتَاقِ وَالْبَرَادِيزِ إِنَّمَا يَسْقُونَهَا بُسْرًا مِنْ رَأْيِ^(٣) ، مِمَّا احْتَفَرُوهَا مِنْ كَارِبَاتِهِمْ^(٤) وَلَا يَسْقُونَهَا مِنْ مَاءِ دِجْلَةٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَاءَ دِجْلَةٍ مُخْتَلِطٌ ، وَلَيْسَ هُوَ مَاءً وَاحِدًا ، يَنْصَبُ فِيهَا مِنَ الزَّابِينَ^(٥) وَالنَّهْرَوَانَاتِ^(٦) وَمَاءِ الْفِرَاتِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمِيَاهِ .

وَاخْتِلَافُ الطَّعَامِ إِذَا دَخَلَ جَوْفَ الْإِنْسَانِ مِنْ أَلْوَانِ الطَّبِيخِ وَالْإِدَامِ غَيْرِ ضَارٍّ^(٧) ، وَإِنْ دَخَلَ جَوْفَ الْإِنْسَانِ مِنْ شَرَابٍ مُخْتَلَفٍ كَنَحْوِ الْخَمْرِ وَالسَّكَّرِ وَنَبِيدِ التَّمْرِ وَالْدَّاذِيِّ كَانَ ضَارًّا . وَكَذَلِكَ الْمَاءُ ، لِأَنَّهُ مَتَى أَرَادَ أَنْ يَتَجَرَّعَ جُرْعَةً مِنَ الْمَاءِ الْحَارِّ لَصَدْرِهِ أَوْ لَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَعَجَلَهُ أَمْرٌ فَبَرَدَهُ بِمَاءٍ بَارِدٍ ثُمَّ حَسَّاهُ ضَرَّهُ ذَلِكَ ، وَإِنْ تَرَكَهُ حَتَّى يَفْتُرَ بِبَرْدِ الْهَوَاءِ لَمْ يَضُرَّهُ . وَسَبِيلُ الْمَشْرُوبِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمَأْكُولِ .

فَإِنْ كَانَ هَذَا فَضِيلَةً مَائِنَا عَلَى مَاءِ دِجْلَةٍ فَمَا ظَنُّكَ بِفَضْلِهِ عَلَى مَاءِ

(١) الأوارى : جمع آرى ، على وزن فاعول . وهو محبس الدابة . ب : « أوارئها » صوابه في م .

(٢) الصدام ، بضم الصاد وكسر ها : داء يأخذ في رموس الدواب . وقال ابن شميل : داء يأخذ الإبل فتخمس بطونها وتدع الماء وهي عطاش أياماً حتى تبرا أو تموت .

(٣) م : « ببئر من رأى » ، تحريف .

(٤) كذا في النسختين . ولعلها « كرابهم » . والكراب : مجارى الماء في الوادى .

(٥) الزابين : مثني الزاب ، الزاب الأعلى والزاب الأسفل . فالأعلى بين الموصل وإربل . والأسفل نخرجه من جبال السلق ، وبينه وبين الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة . ب : « الزابين » صوابه في م .

(٦) هي ثلاث نهروانات : الأعلى ، والأوسط ، والأسفل . وهي كورة واسعة بين بغداد وراسل من الجانب الشرقى .

(٧) ب : « غير ضاره » .

البصرة ، وهو ماءٌ مختلط من ماء البحر ومن الماء المستنقع في أصول القصب والبردي؟ قال الله تعالى: ﴿هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(١). والفرات أعذبها عُذوبةً ، وإنما اشتقَّ الفُرات لكلِّ ماءٍ عذب ، من فُرات الكوفة .

١٥ - فصل منه

في ذكر البصرة

كان يقال : الدنيا البصرة^(٢) .

وقال الأحنف لأهل الكوفة : « نحن أعزى منكم بريّة^(٣) ، وأكثر منكم بحريّة ، وأبعد منكم سريّة ، وأكثر منكم ذريّة^(٤) » .

وقال الخليل بن أحمد في وصف القصر المذكور بالبصرة^(٥) :

زُرْ وادى القصر نعم القصر والسواى

لا بدّ من زورة عن غير ميعاد^(٦)

ترقى بها السفن والظلمان واقفة

والضّب والنون والملاح والحادى^(٧)

(١) الآية ٥٣ من سورة الفرقان . (٢) في النسختين : « الدنيا والبصرة » .

(٣) في النسختين : « أعلى » ، تحريف . « وأعزى » بالذال من العذاة بفتح العين ، وهى الأرض الحصبة . وانظر البيان ٢ : ٩٣ - ٩٤ . وفي محاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ : « أعذب منكم بريّة » ، تحريف .

(٤) نظير هذا القول في معجم البلدان في رسم الكوفة ، منسوب إلى عبد الملك بن الأهمم السعدي بلفظ : « نحن والله يا أمير المؤمنين أوسع منهم بريّة ، وأعد في السرية ، وأكثر منهم ذرية ، وأعظم منهم نفراً . يأتينا ماؤنا عفواً صفواً ، ولا يخرج من عندنا إلا سائق أو قائد » .

(٥) انظر نسبة الشعر في حواشى الحيوان ٦ : ٩٨ . والقصر الذى يشير إليه هو قصر أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعه ، وكان ولى خراسان في الدولة الأموية . وبالبصرة أيضاً قصر أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله وسلم . وانظر معجم البلدان .

(٦) ب : « من غير ميعاد » .

(٧) الظلمان ، بالكسر والضم أيضاً : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . ب « والظلمات » ، صوابه في م و عيون الأخبار ١ : ٢١٧ حيث ورد بهذه الرواية . وفي الحيوان : « ترى به السفن كالظلمان واقفة » . وفي اليتيمة ١ : ٩٦ وثمار القنوب ٤١٨ : « ترقى به السفن والظلمان حاضرة » .

ومن أتى هذا القصرَ وأتى قصر أنس^(١) رأى أرضاً كالكاפור^(٢) ،
 وتربة ثرية ، ورأى ضباً يُحترش ، وعزلاً يُقتنص ، وسمكاً يُصاد ،
 ما بين صاحب شيص وصاحب شبكة ، ويسمع غناءً ملأح على سُكَّانه ،
 وحُداء جَمالٍ على بغيره .

قالوا : وفي أعلى جَبَانَةِ البصرة موضعٌ يقال له الخزيز^(٣) يذكر
 الناس أنَّهم لم يروا قطُّ هواءً أَعَدَلَ ، ولا نسيماً أَرَقَّ ، ولا ماءً أَطْيَبَ
 منها في ذلك الموضع .

وقال جعفر بن سليمان^(٤) : « العراق عَيْنُ الدُّنْيَا ، والبصرة عَيْنُ
 العراق ، والمِربِدُ عَيْنُ البَصْرَةِ ، ودَارِي عَيْنُ المِربِدِ » .

وقال أبو الحسن وأبو عبيدة : « بُصِّرَتِ البَصْرَةُ سنة أربع عشرة ،
 وكُوِّفَتِ الكوفة سنة سبع عشرة »

١٦ - فصل منه

زعم أهل الكوفة أَنَّ البصرة أَسْرَعُ الأَرْضِ خَرَاباً ، وأَخْبَثُهَا تُرَاباً ،
 وأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ وَأَسْرَعُهَا غَرَقاً ، ومَقْيِضُ مائها البحر ، ثم يخرج ذلك
 إلى البحر الأعظم .

وكيف تَغْرَقُ^(٥) ، وهم لا يستطيعون أَنْ يُوصِلُوا ماءَ الْفَيْضِ^(٦) إِلَى

(١) هو قصر أنس بن مالك ، كما سبق في الحواشي ص ١٣٨ .

(٢) الكافور ، ضرب من الطيب . ب : « كالكاפור » ، صوابه في م .

(٣) الخزيز ، براءين معجمتين ، كما في معجم البلدان . وفي م : « الخزير » ، تحريف .

(٤) العقد ٦ - ٢٤٩ .

(٥) ب : « يعرف » ، صوابه في م .

(٦) ب : « الغيظ » بالذنين المعجمة .

حيّاضهم إلّا بعد أن يرتفع ذلك الماء في الهواء ثلاثين ذراعاً ، في كلّ سقاية بعينها ، لا لحوض بعينه ^(١) .

وهذه أرض بغداد في كلّ زيادة ماء ينبع الماء في أجواف قصورهم الشّارعة بعد إحكام المسنّيات ^(٢) التي لا يقوى عليها إلّا الملوك ، ثم يهدمون الدّار التي على دجلة فيكسّون ^(٣) بها تلك السّكك ، ويتوقّعون الغرق في كلّ ساعة .

قال : وهم يعيبون ماء البصرة ، وماء البصرة رقيقٌ قد ذهب عنه الطّين والرّمْل المشوّب بماء بغداد والكوفة ، لطول مُقامه بالبطيخة ، وقد لَانَ وصفا ورقّ .

وإنّ قلتم : إنّ الماء الجارى أمرأ من الساكن ، فكيف يكون ساكناً مع تلك الأمواج العظام والريّاح العواصف ، والماء المنقلب من العلوّ ^(٤) إلى السّفْل ؟ ومع هذا إنّّه إذا سار ^(٥) من مَخرجه إلى ناحية المَذار ^(٦) ونهر أبي الأسد ^(٧) وسائر الأنهار ، وإذا بُعدَ من مدخله إلى البصرة من الشّقّ القصير ، جَرى منقُضاً إلى الصُّخور والحجارة ، فراسخَ وفراسخَ ، حتّى ينتهى إلينا .

(١) ب : « لا بحوض » .

(٢) المسنّيات : جمع مشنة ، وهو سد يبني لحجز ماء السيل أو النهر ، به مفاتيح لماء تفتح على قدر الحاجة . م : « المبنيات » .

(٣) م : « فيكسّون » ب : « فيكسّون » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب : « من العوالى » .

(٥) في النسختين : « : « صار » .

(٦) المذار : بلدة في ميسان بين واسط والبصرة ، فتحها عتبة بن غزوان في أيام عمر بن الخطاب بعد البصرة . وفي النسختين : « الدار » ، صوابه ما أثبت .

(٧) ذكره ياقوت وقال : « أحد شعوب دجلة بين المذار ومطارة في طريق البصرة ، يصب هناك في دجلة العظمى » .

ويدلُّ على صلاح ماثم كثرة دُورهم . وطولُ أعمارهم ، وحُسْنُ عقولهم . ورفقُ أكفِّهم . وحذقُهم لجميع الصناعات . وتقدُّمُهم في ذلك لجميع الناس .

ويُسْتَدَلُّ على كرم طينهم ببياض كيزانهم^(١) وعذوبة الماء البائت في قِلالهم ، وفي لون آجرهم ، كأنَّما سُبِكَ من مِخِّ بِيض^(٢) . وإذا رأيت بناءهم وبياضَ الجصِّ الأبيض بين الآجرِّ الأصفر لم تجد لذلك شبيهاً أقرب من الفِضة بين تضاعيف الذهب .

فإذا كان زمانَ غلبةِ ماء البحر فإنَّ مُستَقاهم من العذب الزُّلال الصافي ، التَّمِير في الأبدان^(٣) ، على أَقلِّ من فرسخ ، وربَّما كان أَقلَّ من ميل .

ونهر الكوفة الذي يسمُّونه إِنَّمَا هو شُعْبَةٌ من أنهار الفرات . وربَّما جَفَّ حتَّى لا يكون لهم مُستَقَى إِلَّا على رأس فرسخ^(٤) ، وأكثرَ من ذلك ، حتَّى يَحْفِرُوا الآبَارَ في بُطُون نُهُرهم^(٥) ، وحتَّى يضرَّ ذلك بِحُضْرِهِم وأشجارهم . فليَنظُرُوا أَيُّمَا أَضَرُّ وَأَيُّمَا أَغْيَبَ .

وليس نهرٌ من الأنهار التي تَصْبُ^(٦) في دجلة إِلَّا هو أعظم وأكبر وأعرض من موضع الجسر^(٧) من نهر الكوفة ، وإنَّما جسره سبع سفائن ،

(١) ب : « بياض كيزانهم » ، صوابه في ش .

(٢) مخ البيض : ما في داخله من أصفر وأبيض . والمخ أيضاً : صفرة البيض ، وبياضه هو الفرق . وفي النسختين : « مخ » بالمعجمة ، صوابه ما أثبت .

(٣) التَّمِير : الزَّاكِي النَّاَجِع في الرِّى .

(٤) في النسختين : « فرس » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٥) النهر ، بضمين : جمع نهر . وفي الكتاب العزيز : « إن المتقين في جنات ونهر » في قراءة زهير ، والأعشى ، وأبي نهيك ، وأبي مجلز البخاري ، وهو كرهن ودرهن . تفسير أبي

حيان ٨ : ١٨٤ . وقراءة الجمهور : « ونهر » بفتحيتين

(٦) في النسختين : « يَحْضِب » ، صوابه ما أثبت

(٧) في النسختين : « والجسر » باقحام الواو .

لا تمرُّ عليه دابةٌ لأنَّها جُدوعٌ مقيدةٌ بِلَا طينٍ، وما يمشى عليه الماشى إلا بالجهد ؛ فما ظنُّك بالحوافر والخفاف والأظلاف ؟ !

وعامةُ الكوفة خرابٌ يَبابٌ^(١) ، ومن بات فيها علم أنَّه في قريةٍ من أنفري ورُستاقٍ من الرساتيق ، بما يسمعُ من صياحِ بناتِ آوى . وضباحِ الثعالبِ ، وأصواتِ السباعِ^(٢) . وإنَّما الفرات دما^(٣) إلى ما اتَّصل به إلى بلاد الرِّقَّة ، وفوق ذلك .

فإنَّما نهرهم فالنَّيل أكبرُ منه ، وأكثرُ ماءً ، وأدومُ جريَّة^(٤) . وقد تعلمون كثرةَ عددِ أنهارِ البصرة ، وغلبةَ الماءِ ، وتطْفُحُ الأنهارِ^(٥) . وتبقى النَّخلةُ عشرين ومائةَ سنةٍ وكأنَّها قدحٌ^(٦) . وليس يُرى من قُربِ القرية التي يقال لها « النَّيل » إلى أقصى أنهارِ الكوفة نخلةٌ طالت شيئاً إلا وهي معوجةٌ كالمنجل . ثم لم نر غارسَ نخلي قطُّ في أطراف الأرض يرغب في فسيل كوفي^(٧) ، لعلَّه يخبث مغرسه ، وسوءُ نشوئه ، وفَسادُ تربته ، ولؤومُ طبعه .

وليس لليالي شهرِ رمضان في مسجدِهم غَضارةٌ ولا بهاءٌ ، وليس منارُ مساجدِهم^(٨) على صُورِ منارِ البصرة ، ولكن على صُورِ منارِ الملكانية واليعقوبية^(٩) .

(١) اليباب : إتياع للخراب بمعناه . وفي النسختين : « نباب » ، تحريف .

(٢) ب : « الثعالب » ، وهو تكرار ، والوجه ما أثبت من م .

(٣) كذا في النسختين .

(٤) في النسختين : « جرة » ، والوجه ما أثبت .

(٥) التطفح : مطاوع طفحه تطفيحاً : ملاءه . ولم تذكر المعاجم هذا انطواع .

(٦) القدح ، بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . وانظر محاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ .

(٧) في النسختين : « لوفى » ، صوابه ما أثبت .

(٨) ب : « مسجدِهم » . والمنار : جمع منارة ، وهي المنذرة .

(٩) انظر ما مضى في ٣ : ٣١٠ .

ورأينا بها مسجداً خراباً تأويهِ الكلابُ والسُّباع ، وهو يضاف إلى
عليّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليه .

ولو كان بالبصرة بيتٌ دخله عليّ بن أبي طالب ماراً لتمسّحوا به
وعَمّروه بأنفسهم وأموالهم .

وخبرني من بات أنّه لم يركواكبها زاهرةً قطُّ ، وأنّه لم يَرها إلّا
ودونها هبوة^(١) ، وكانَ في مائهم مِزاجٌ دُهن . وأسواقُهم تشهد على أهلها
بالفقر . وهم أشدُّ بغضاً لأهل البصرة من أهل البصرة لهم ؛ وأهل البصرة
هم أحسن جواراً ، وأقلُّ بذخاً ، وأقلُّ فخراً .

ثم العَجَب من أهل بغداد وميلِهِم معهم ، وعيبيهِم إيّانا في استعمال
السَّماذ في أرضنا ولنخلنا ، ونحن نراهم يُسمّدون بُقُولَهم بالعذرة^(٢)
اليابسة صرفاً ، فإذا طلع وصار له ورقٌ ذَرَّوا عليه من تلك العذرة اليابسة
حتّى يسكنَ في خلال ذلك الورق .

ويريد أحدهم أن يبنّى داراً فيجىء إلى مَزبلة^(٣) ، فيضرب منها
لِيناً ، فإن كانت داره مطمئنّة ذات قعرٍ حشا من تلك المَزبلة التي
لو وَجَدَها أصحابُ السَّماذِ عندنا لباعوها بالأموال النفسية .

ثم يَسْجُرُون تَنانيرَهم بالكُسّاحات التي فيها من كلّ شيء ، وبالأبعار
والأخشاء ، وكذلك مواقد الكيران^(٤) .

(١) الهبوة : الغبرة . وفي النسختين : « هفوة » ، تحريف .

(٢) في النسختين : « بعذرة » ، تحريف .

(٣) المَزبلة ، بفتح الميم والباء ، وبفتحةا مع ضم الباء : الموضع الذي يلقى فيه الزبل .

(٤) الكيران : جمع كور ، بالضم ، وهو مجسرة المداد . م : « الكيزان » ، صوابه

وتمتلي ركاباً^(١) دُورهم عَذِرَةٌ فلا يصيبون لها مكاناً. فيحفرون لذلك في بيوتهم آباراً. حتّى ربما حَفَرَ أَحَدُهُمْ في مجلسه. وفي أنبل موضع من داره. فليس ينبغي لمن كان كذلك أن يعيب البصريين بالتسميد.

١٧ - فصل منه

وليس في الأرض بلدة أرفق بأهلها من بلدة لا يعزُّها النّقد. وكلُّ مبيع بها يمكن.

فالشّامات وأشباهها الدّينار والدّرهم بها عزيزان، والأشياء بها رخيصة لبعْدِ المنقَل، وقلة عدد من يبتاع. ففي ما^(٢) يخرج من أرضهم أبداً فضل عن حاجاتهم^(٣).

والأهواز. وبغداد، والعسكر. يكثر فيها الدّراهم ويعزُّ فيها المبيع لكثرة عددِ الناس وعدد الدراهم.

وبالبصرة الأثمان ممكنة والمُثمنات ممكنة، وكذلك الصناعات، وأجور أصحاب الصناعات. وما ظنُّك ببلدة يدخلها في البادية^(٤) من أيام الصّرام إلى بعد ذلك بأشهر، ما بين ألفى سفينة تمرّ أو أكثر في كلّ يوم، لا يبيت فيها سفينة واحدة، فإن باتت فإنما صاحبها هو الذي يُبيتها، لأنّه لو كان حطّ^(٥) في كلّ ألف رطلٍ قيراطاً لانتُسِفَت انتسافاً^(٦). ولو أنّ رجلاً ابتنى داراً يُتمّمها ويكملها ببغداد، أو بالكوفة.

(١) الركابا : جمع ركية ، وهى البئر .

(٢) ب : « فيها » . م : « ففيا » .

(٣) م : « حاجتهم » .

(٤) أى البادى ، وهو الأول .

(٥) أى وضع من الثمن وأرخصه .

(٦) القيراط بالعراق : نصف عشر الدينار . ب : « لا انتسفت » ، صوابه في م .

أو بالأهواز . وفي موضعٍ من هذه المواضع . فبلغت نفقتها مائة ألف درهم ، فإنَّ البصريَّ إذا بنى مثلها بالبصرة لم يُنفق خمسين ألفاً ؛ لأنَّ الدَّارَ إنما يتمُّ بناؤها بالطَّين واللِّين . وبالأجرَّ والجصَّ^(١) . والأجذاع والسَّاج والخشب . والحديد والصُّنَّاع . وكلُّ هذا يُمكن بالبصرة على الشَّطرِ مما يُمكن في غيرها . وهذا معروف .

ولم نر بلدةً قطُّ تكون أسعارها ممكنة^(٢) مع كثرة الجماعم بها إلاَّ البصرة : طعامهم أجودُ الطَّعام . وسِعَرهم أرخصُ الأسعار ، وتمرهم أكثرُ الثُّمور . ورَبْع دِيسِهِم أكثرُ^(٣) . وعلى طُول الزَّمان أُصِبر ، يَبْقَى تمرهم الشَّهرين^(٤) . ثم بعد ذلك يُخلط بغيره فيجىء له الدُّنس الكثير . والعذبُ الحلو . والخاثر القوي^(٥) .

ومن يطعم من جميع أهل النَّخل أن يبيع فسيلةً بسبعين ديناراً . أو بحوثة^(٦) بمائة دينارٍ ، أو جريباً بألف دينار^(٧) غير أهل البصرة ؟

١٨ - فصل منه

ولأهل البصرة المدُّ والجَزْر على حسابِ منازل القمر لا يغادران من ذلك شيئاً . يأتِيهم الماءُ حتَّى يقف على أبوابهم ؛ فإن شاءوا أَذِنُوا . وإن شاءوا حَجَبُوهُ .

(١) ب : « والآجر والجص » .

(٢) في السخطين : « يكون أسعارها ممكن » ، ووجه ما أثبت .

(٣) أربع ، بالفتح : فضل كل شيء ، كريع العجين والقيق والبرز ونحوها .

(٤) الشهرين بكسر التين وضمها : ضرب من التمر ، ويقال أيضاً شهرين بالسین المهملة وبكسر السین وضمها . ب : « بقاء » ، ووجه ما أثبت .

(٥) احدث : الغليظ . ب : « والخاثر » تصحيف .

(٦) البحوثة بفتح الباء و نواو : ضرب من التمر .

(٧) الجريب : مساحة تربو على ثلاثة آلاف وسبعمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان .

(١٠ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

ومن الْعَجَبَ لقومٍ يعيبون البصرةَ لقُرب البحر والبَطِيحَةِ^(١) ،
ولو اجتهد أعلمُ النَّاسِ وأنطقُ النَّاسِ أن يجمعَ في كتابٍ واحدٍ منافعَ
هذه البطيحة ، وهذه الأجمة ، لما قَدَرَ عليها .

قال زياد : قَصَبَةٌ خير من نَخْلَةٍ .

وبحقُّ أقول : لقد جَهِدَت جَهْدِي أن أجمعَ منافعَ القصبِ ومرافقَه
وأجناسَه ، وجميعَ تصرفِهِ وما يجيئ منه . فما قَدَرَت عليه حتَّى قطعتَه
وأنا معترفٌ بالعجزِ ، مستسلمٌ له .

فأما بحرُنَا هذا فقد طمَّ على كلِّ بحرٍ وأوفى عليه ؛ لأنَّ كلَّ بحرٍ
في الأرض لم يجعلِ الله فيه من الخيرات شيئاً ؛ إلَّا بحرُنَا هذا . الموصولُ
ببحر الهند إلى مالا تذكر .

وأنت تسمع بملوحة ماء البحر ، وتستسقطه وتزري عليه . والبحر
هو الذي يخلقُ الله تعالى منه الدرَّ الذي بيعت الواحدة منه بخمسين
ألفَ دينارٍ؛ ويخلقُ في جوفه العنبرُ، وقد تعرفون قَدْرَ العنبرِ . فشيءٌ
يولِّد هذين الجوهريين^(٢) كيف يُحقَّر ؟

ولو أنا أخذنا خصالَ هذه الأجمة وما عَظَمْنَا من شأنها . فقدَفْنَا بها
في زاوية من زوايا بحرِنَا هذا لَضَلَّتْ حتَّى لا نجد لها حِسًّا . وهما لنا
خالصانِ دونكم . وليس يصلُ إليكم منهما شيءٌ إلَّا بسببِنَا^(٣) وتعدينا
فضل غنا^(٤) .

(١) البطيحة : أرض واسعة بين واسط البصرة ، جمعها بطائح ، سميت بذلك لأن المياه
تبطحت فيها ، أى سالت واتسعت في الأرض .

(٢) م : « الجوهرية » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « بسبنا » ، صوابه في م .

(٤) كذا في النسختين .

وقال بعض خطبائنا^(١) : نحن أكرمُ بلاداً . وأوسع سواداً^(٢) ،
وأكثر ساجاً وعاجاً وديباجاً . وأكثر خراجاً .

لأنَّ خراجَ العراق مائة ألف ألفٍ واثنا عشر ألفَ ألفٍ ، وخراج
البصرة من ذلك ستون ألفَ ألفٍ . وخراج الكوفة خمسون ألفَ ألفٍ .

١٩ - فصل منه

في ذكر الحيرة

ورأيت الحيرة البيضاء وما جعلها^(٣) الله بيضاء ، وما رأيت فيها
داراً يُذكر^(٤) إلا دار عَوْنِ النَّصْرَانِيَّ الْعِبَادَانِيَّ^(٥) .

ورأيت التربة التي بينها وبين قَصَبَةِ الكوفة ، ورأيت لون الأرضِ
فإذا هو أكْهَبُ^(٦) كثير الحَصَى ، خَشِنُ الْمَسِّ .

والحيرة أرضٌ باردةٌ في الشَّتَاءِ ، وفي الصَّيْفِ يَنْزِعُونَ سُتُورَ بيوتهم
مخافةً إْحْرَاقِ السَّمَائِمِ لها .

(١) هو أبو بكر الهذلي ، كما في البيان ١ : ٣٥٧ / ٢ : ٩٤ . ونسب بعض هذا القول

إلى خالد بن صفوان في معجم البلدان (رسم البصرة) ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ .

(٢) السواد : القرى والريف . وفي النسختين : « سوداً » .

(٣) في النسختين : « وما جعله » .

(٤) في النسختين : « يذكر » ، والدار مؤنثة .

(٥) ذكره الجاحظ في الحيوان ٤ : ٢٧ قال - « وكان طيمانو رئيس الجاثليق ، قد هم

بتحريم كلام عون العادي عند ما بلغه من اتحاد السراي ، . والمعروف في النسبة إلى « العباد » :
عادي

(٦) الكهبة ، بالصم . عبرة مشربة سواداً

١٨

من رسالة في
البيان والبيان

١ - فصل

من صلب رسالته في البلاغة والإيجاز^(١)

قال عمرو بن بحر الجاحظ : درجت الأرض من العرب والعجم على إيثار الإيجاز ، وحمد الاختصار ، وذم الإكثار والتطويل والتكرار ، وكل ما فضل عن المقدار .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت ، دائم السكوت^(٢) يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضل ولا تقصير ، وكان يفيض الثرائين المتشدقين^(٣) .

وكان يقال : أفصح الناس أسهلهم لفظاً ، وأحسنهم بديهة .
وبلاغة إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز^(٤) ، ومعرفة الفصل من الوصل .

وقيل : العاقل من خزن لسانه . ووزن كلامه ، وخاف الندامة .
وحسن البيان محمود ، وحسن الصمت حكم^(٥) .

(١) هي مما سقط من نسخة هامش الكامل . وليس لها موضع غير نسختي المتحف البريطاني والتيمورية ، فاقترنت المقابلة عليهما .

(٢) السكت : السكوت . ب : « السم » ، ولا وجه له هنا .

(٣) المتشدقون : المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز .

(٤) كلمة « الإيجاز » فقط ساقطة من م .

(٥) الحكم ، بالضم : الحكمة . وفي الحكم : « الصمت حكم وقيل فاعله » . الميداني

١ : ٣٦٧ وجمهرة الأمثال ١ : ٥٩٦ والمستقصى ١ : ٣٢٨ مع نسبه في الميداني والمستقصى إلى لقمان الحكيم . وأورده العسكري حديثاً من حديث ابن عمر ، وأورده كذلك السيوطي في الجامع الصغير رقم ٥١٥٧ وذكر أنه حديث ضعيف . وأورده في اللسان (حكم) بهيئة شطر من بيت .

وربما كان الإيجاز محموداً . والإكثار مذموماً . وربما رأيت
الإكثار أحمد من الإيجاز . ولكل مذهب وجه عند العاقل . ولكل
مكان مقال^(١) ، ولكل كلام جواب . مع أن الإيجاز أسهل مراماً^(٢)
وأيسر مطلباً من الإطناب ، ومن قدر على الكثير كان على القليل
أقدر .

والتقليل للتخفيف . والتطويل للتعريف . والتكرار للتوكيد ،
والإكثار للتشديد .

٢ - فصل منه

وأما المذموم من المقال ، فما دعا إلى الملال ، وجاوز المقدار ،
واشتمل على الإكثار ، وخرج من مجرى العادة .

وكل شيء أفرط في طبعه ، وتجاوز مقدار وسعه ، عاد إلى ضد
طباعه ، فتحول البارد حاراً ، ويصير النافع ضاراً ، كالصندل البارد
إن أفرط في حكه^(٣) عاد حاراً مؤذياً ، [و^(٤)] كالثلج يطق قليله
الحرارة ، وكثيره يحركها .

وكذلك القرد لما فرط قبحه . وتناهت ساجته^(٥) استملح
واستظرف .

وإلى هذا ذهب من عد الإكثار عيباً . والإيجاز بلاغة .

(١) المعروف « لكل مقام مقال » . ومنه قول الخطيب فيما أنشده ابن ربي في اللسان (حين) .

تحن على هداك المسك فإن لسكر مقام مقـ

وليس في قصيدته التي على هذا الروي في ديوانه ٣١ - ٣٤ .

(٢) المرام : المطلب والبقية . ب : « مري » ، صوابه في م .

(٣) ب : « في حكه » ، صوابه في م .

(٤) ليست في النسختين .

(٥) م : « سحته » ، صوابه في ب .

من کتابہ فی

تفضیل البطن علی الظهر

١ - فصل

من صدر كتابه في تفضيل البطن على الظهر^(١)

عَصَمْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ مِنَ الشُّبْهَةِ . وَأَعَاذْنَا وَإِيَّاكَ مِنْ زَيْغِ الْهَوَى .
وَفَضَّلَاتِ الْمُنَى . وَوَهَبَ لَنَا وَلَكَ تَأْدِيباً^(٢) مُؤَدِّياً إِلَى الزِّيَادَةِ فِي
إِحْسَانِهِ^(٣) ، وَتَوْفِيقاً مُوجِباً لِرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ .

وَقَدْ كَانَ كِتَابُكَ يَا ابْنَ أَخِي - وَفَّقَكَ اللَّهُ - وَرَدَّ عَلَيَّ ، تَصِفُ فِيهِ
فَضِيلَةَ الظُّهُورِ وَصِفَاءَ يَدُلُّ عَلَى شَغَفِكَ بِهَا ، وَحُبِّكَ إِيَّاهَا ، وَحَنِينِكَ إِلَيْهَا
وَإِشَارِكَ لَهَا ، وَفَهْمَتُهُ .

فَلَمْ تَمْنَعْ - أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّكَ^(٤) - مِنَ الْإِجَابَةِ عَنْ كِتَابِكَ فِي
وَقْتِ زُرُودِهِ ، إِلَّا عَوَارِضُ أَشْغَالٍ مَانِعَةٍ ، وَحَوَادِثُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالِانْتِقَالِ
مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ عَائِقَةٍ .

وَلَمْ آمَنْ أَنْ لَوْ تَأَخَّرَ الْجَوَابُ عَلَيْكَ أَكْثَرَ مِمَّا تَأَخَّرَ . أَنْ يَسْبِقَ
إِلَى قَلْبِكَ أَنِّي رَاضٍ بِاخْتِيَارِكَ^(٥) ، وَمُسَلِّمٌ لِمَذْهَبِكَ . وَمُوَافِقٌ لَكَ فِيهِ .
مُسَاعِدٌ لَكَ عَلَيْهِ . وَمُنْقَادٌ مَعَكَ فِيمَا اعْتَقَدْتَ مِنْهُ . وَمُجِدٌّ فِي طَلْبِهِ ،
وَمُحَرِّضٌ عَلَيْهِ^(٦) .

(١) هذا الكتاب أيضاً مما سقط من نسخة الكمل . فالمقالة هنا على النسختين : المتحف ،
والتيورانية .

(٢) ب : « بأدب » ، صوابه في م

(٣) في النسختين : « إلى الزيادة المؤدية في إحسانه » بإحسان كلمة « المؤدية »

(٤) ب : أعاد « تحريف » . وفي النسختين : « من عذمت » . ووجه ما أثبت .

(٥) ب : « في أرضي » ، م : « أني أرضي » . ووجه ما ثبت

(٦) في النسختين : « ومحرض عليه » بالحاء المهملة

فبادرتُ بكتابي ١٠٨ . منبهاً لك من سنة رقدتكَ^(١) . وداعياً إلى
رشدك . فإنك تعلم : وإن كنتَ لي في مذهبي مخالفاً . وفي اعتقادي
مبائناً^(٢) . أن اجتماع المتباينين فيما يقع بصلاحيهما أولى في حكم العقل ،
وطريق المعرفة [منه^(٣)] فيما أبادهما . وعاد بالضرر في اختيارهما
عليهما .

وأنا ، وإن كنتُ كشفتُ لك قناع الخلاف . وأبديت^(٤) مكنون
الضمير بالمضادة^(٥) . وجاهدتني بنصرة الرأي والعقيدة^(٦) في حُبِّ
الظهور ، وتلفيق الفضائل لها . غيرُ مُستشيرٍ لليأس^(٧) من رجعتك ،
ولا شاك في لطائف حكمتك ، وغوامض فطنتك .

وقد أعلمُ أن معك . بحمد الله - بصيرةً المعتبرين ، وتمييزاً الموفقين
وأنتَ إذا أنعمت^(٨) فكراً وبحثاً ونظراً . رجعتَ إلى أصلٍ قوى الانقياد
والموافقة^(٩) . ولم تتورط^(١٠) في اللجاجِ فَعَلَ الْمُعْجِبِينَ ، ولم يتدخلك^(١١)
غيرةُ المنتحلين : فإننا رأينا قوماً انتحلوا الحكمة وليسوا من أهلها ، بل
هم أعلامُ الدعوى ، وحلفاءُ الجهالة^(١٢) ، وأتباعُ الخطأ ، وشيع

(١) في النسختين : « عن سنة رقدتكَ » .

(٢) في النسختين : « متبايناً » .

(٣) تكملة يفتقر إليها الكلام

(٤) أبديت : أظهرت . وفي النسختين : « أبدأت » ، تحريف .

(٥) المضادة : المخالفة . وفي النسختين : « بالمضارة » ، تحريف .

(٦) ب . « وابعث » م : « والعقيدة » ،

(٧) في النسختين : « لليأس » .

(٨) ب . « أمعت » ، وأنت متى م

(٩) ب . « وامواثقة » دلت ، صوته في م

(١٠) في النسختين : « ولم تتورط »

(١١) ب . ولم يتدخلك

(١٢) م . « وحده الجهالة »

الضَّلالة ، وَخَوَّلَ النَّقْصَ ^(١) ، الَّذِينَ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِمَا نَحَلَّوْهُ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَسْمَافِ . وَسُلِّبُوهُ مِنْ فَهْمٍ عَظِيمٍ قَدَرَهَا ^(٢) وَمَعْرِفَةٍ جَلِيلٍ خَطَرَهَا ، وَلَمْ يَجْلُؤُوا الرِّينَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَالصَّدَأَ عَنْ أَسْمَاعِهِمْ . بِالتَّنْقِيرِ وَالبَحْثِ وَالتَّكْشُفِ ^(٣) ، وَلَمْ يَنْصَبُوا فِي عَقُولِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ أَصْلًا يَثْلُونَ فِي اعْتِقَادِهِمْ عَلَيْهِ ^(٤) . وَيَرْجِعُونَ عِنْدَ الْحَيَرَةِ ^(٥) فِي اخْتِلَافِ آرَائِهِمْ إِلَيْهِ . فَضَلُّوا ، وَأَصْبَحَ الْجَهْلُ لَهُمْ إِمَامًا . وَالسُّفَهَاءُ لَهُمْ قَادَةً وَأَعْلَامًا .

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ وَمَنَّهُ ، أَلَّا يَجْعَلَكَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ ، وَأَنْ يُرِيكَ الْحَقَّ حَقًّا فَتَتَّبِعَهُ ، وَالبَاطِلَ بَاطِلًا فَتَجْتَنِبَهُ ، وَأَنْ يُعَمِّنَا بِبِرْكَةِ هَذَا الدَّعَاءِ ، وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْ يَأْخُذَ [إِلَى ^(٦)] الْخَيْرِ بِنَوَاصِينَا ، وَيَجْمَعَ عَلَيَّ أَهْلِي قُلُوبِنَا ، وَيُؤَلِّفَ فِيهِ ذَاتَ بَيْنِنَا ، فَإِنَّكَ مَا عَلِمْتُ . وَأَتَقَلَّدُ فِي ذَلِكَ أَمَانَةَ الْقَوْلِ - مِمَّنْ أُحِبُّ مُوَافَقَتَهُ وَمُخَالَطَتَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ فِي فَضْلِهِ مَقْدَمًا ، وَعَنْ كُلِّ عَضِيهَةٍ مَنْزَعًا .

وَمَا أَعْلَمُ حَالًا أَنَا عَلَيْهَا فِي الرَّغْبَةِ لَكَ فِيمَا أَرُغِبُ لِنَفْسِي فِيهِ ، وَالسُّرُورِ بِتَكَامُلِ أَحْوَالِكَ ، وَاسْتَوَاءِ مَذْهَبِكَ . وَمَا أَزَايِنُ ^(٧) بِهِ مِنْ إِرْشَادِكَ وَنَصِيحَتِكَ . وَتَسْدِيدِكَ وَتَوْفِيقِكَ . إِلَّا وَصِدْقُ الضَّوِيَّةِ مِنِّي فِيهَا أَبْلَغُ مِنْ إِسْهَائِي فِي فَضْلِ صِفَتِهَا . وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُعِينُ وَالْمُؤَيِّدُ وَالْمَوْفُوقُ ، وَالْمُبْدِعُ ، وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، كَمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا .

(١) الخول ، أصله ما أعطى المرء من نعم وعيب وإمام . والمراد هنا الاتباع .

(٢) ب : « فهم عظيم قدرها » ، صوابه في م . (٣) م : « والتكشيف » .

(٤) في النسختين : « ينون عليه في اعتقادهم عبه » و « عله » الأولى معجمة

(٥) في النسختين : « الخيرة »

(٦) تكله يفتقر الكلام إليها .

(٧) زابن : دافع . وفي ب : « أزبن » م « أزبن » .

يا أخى - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظَّهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن [تذمها . وقدمتها من الجهة التي ينبغي لك أن^(١)] تؤخرها . وآثرتها وهي محقوقة بأن ترفضها .

وما رأينا هلاك الأمم الخالية ، من قوم لوط . وثمود وأشياهم وأتباعهم ، وحلول الخسف والرجفة^(٢) والآيات المثلات^(٣) والعذاب الأليم والريح العقيم^(٤) ، والغير والتكير ووجوب نار السعير ، إلا بما دانوا به من اختيار الظهور . قال الله تعالى ، في قصة لوط : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ^(٥) ﴾ .

فقدمهم الله - تبارك وتعالى - كما ترى ، وبَلَغَ بهم في ذكر ما استعظم من عُتُوِّهم إلى غاية لا تدرك صفتها^(٦) . ولا يُوقَف على حدِّها مع آي كثيرة قد أنزلها فيهم ، وقصص طويلة قد أنبأ بها عنهم . وروايات كثيرة أثرها^(٧) فيمن كان من طبقتهم .

وسنأتي منها بما يقع به الكفاية^(٨) دون است فراغ الجميع ، مما حَمَلَتْهُ^(٩) الرواة ، ونَقَلَهُ الصالحون .

(١) التكلة من م .

(٢) م : « الحسفة والرجفة » .

(٣) المثلثات : جمع مثلة ، بضم الثاء ، وهي العقوبة والنكال . وفي الكتاب العزيز : « ويستعجلونك بالسنة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات » . الرعد ٦ . وفي النسختين : « المنولات » ، وصوابها ما أثبت .

(٤) الريح العقيم : التي لا تلحق شجراً ولا تنشي سحاباً ولا تحمل مطراً ، إنما هي ريح إهلاك . وفي الكتاب العزيز : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » . الذريات ٤١ . وانظر ما سبق في ص ١٨٠ .

(٥) الآيتان ١٦٥ ، ١٦٦ من الشعراء . (٦) م : « صفتهم » ، بحرف

(٧) أثرها يثرها : حكاه ورواه . وفي النسختين : « بأثرها » .

(٨) في النسختين : « ما يقع به الكفاية » . (٩) م : « ما حملته » ، صوابه في ب .

٢ - فصل منه

والحق بين لمن التمسَه ، والمنهج واضح لمن أراد أن يسلكه . وليس في العنودِ دركٌ^(١) ولا مع الاعترام ملجٌ^(٢) . والرجوع إلى الحق خيرٌ من التماسى في الباطل ، وترك الذنب أنسرٌ من التماس الحجة . كما كان غصُّ الطرف أهونَ من الحنين إلى الشهوة . وبالله تعالى التوفيق .

٣ - فصل منه

نبدأ الآن بذكر ما خصَّ الله به البطنون من الفضائل ، ليرجع راجعٌ ، ويُنِيبَ منيبٌ مفكرٌ ، وينتبه راقدٌ^(٣) ، ويُبصِرَ متحيرٌ . ويستغفر مذنبٌ^(٤) ، ويستقبل مخطئٌ^(٥) . وينزع مُصِرٌّ ، ويستقيم عاندٌ^(٦) ، ويتأمل غمرٌ ، ويرشد غوى ، ويعلم جاهلٌ ، ويزداد عالمٌ .

قال الله عز وجل فيها وَصَفَ به النحل : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٧) .

وَبُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في خير بطنونٍ قريش .

ووجدنا الأغلبَ في صفةِ الرجل أن يقال إنه معروف بكذا مُدْخَرَج من بطنِ أمه . ولا يقال من ظهر أبيه .

(١) العنود: الميل عن الحق . والدرك ، بالتحريك : الإدراك والحق .

(٢) الاعترام : من العرام ، وهو الجهل والشدة والشراسة . وفي النسختين : « الإغرام » .

(٣) م : « ويثبته راقد » ، صوابه في ب

(٤) ب : « ويشغف مذنب » ، صوابه في م

(٥) الاستقالة : طلب الإقالة ، وهي العفو والصمح .

(٦) العاند : المائل عن الحق .

(٧) الآية ٦٩ من سورة النحل .

ويقال في صفات النساء: « قُبُّ البطون نواعم » . ويقال: خُمَصَانَةُ
البَطْن ، ولا يقال : خُمَصَانَةُ الظَّهْر .

ويقال : فلَانُ بَطْنٌ بالأُمُور . ولا يقال : ظَهَر . ويقال : بِطَانَةُ
الرَّجُل ^(١) وطيَّهَارَتِهِ . فيُبدَأُ بالبِطَانَةِ .

وبطن القِرطاس خيرٌ من ظهره ، وبطن الصَّحيفة موضعُ النَّفْعِ منها
لا ظهرها ، وبِبطْنِ القَلَمِ يُكْتَبُ لا بظهره . وبِبطْنِ السَّكِّينِ يُقْطَعُ
لا بظهرها .

وخلق الله جُلَّ وعزَّ آدَمَ من طِينٍ . ونَسَلُهُ ^(٢) من بَطْنِ حَوَاءَ .

ورأيُنَا أَكْثَرَ المنافع من الأغذية في البُطُونِ لا في الظُّهُورِ : فبطون
البقر ^(٣) أَطْيَبُ من ظهورها . وبطن الشَّاةِ كذلك .

ومن أَفْضَلِ ^(٤) صفات على رضى الله عنه أَنْ كَانَ أَحْمَصَ بَطِينًا .
وَأَسْمَعُ من غنائِمِهِم :

بطنى على بطنِكِ يا جاريه لا نَمَطًا نَبْغِي ولا باريه ^(٥)

ولم يقل « ظهري على ظهرك » ، فجعل مماسة البطن غانياً عن الوطاء ،
كافياً من الغطاء .

ولو لم يكن في البطن من القَصِيْلَةِ إِلَّا أَنْ الْوَجْهَ الْحَسَنَ . والمنظر ^(٦)

(١) في النسختين : « الرجل » بالجم ، تحريف .

(٢) في النسختين : « ورسله » ، والصواب ما أثبت .

(٣) في النسختين : « البقرة » .

(٤) في النسختين : « فضل » .

(٥) النمط : واحد الأنماط ، وهو ضرب من البسط . والبارية : مخفف البارية بتشديد
الياء ، وهى الحصى المنسوج .

(٦) في النسختين : « والمنطق » ، ووجهه ما أثبت .

الأنيقَ من حيزه ، وفي الظهر من العيب ، إِلَّا أَنَّ الدُّبُرَ في جانبه ، لكان فيها أوضحُ الأدلة على كرم البطن ولُؤم الظهر .

ولم نرهم وصفوا الرجل بالفحولة والشَّجاعة إِلَّا من تلقائِهِ ، وبالحُبث والأُبْنَة إِلَّا من ظَهْرِهِ .

وإذا وصفوا الشَّجاع قالوا : مرَّ فلان قُدُمًا ، وإذا وصفوا الجَبَانَ قالوا : وَلَّى مُدْبِرًا .

ولَشَتَّانَ بين الوَصَفَيْنِ : بَيْنَ من يلقى الحربَ بوجهه وبين من يلقاهُ بقفاه^(١) ، وبين الناكح والمنكوح ، والراكب والمركوب ، والفاعل والمفعول ، والآتِي والمأتَى ، والأسفل والأعلى ، والزائر والمزور ، والقاهر والمقهور .

ولمَّا رأينا الكنوز العاديَّة^(٢) والدُّخائِر النفيسة ، والجواهر الثَّمينة مثل الدرِّ الأصفر ، والياقوتِ الأحمر ، والزُّمُرْد الأخضر ، والمسلِك والعنبر والعقيقان واللُّجين ، والزُّرنيخ والزُّئبق . والحديد والبُورق^(٣) ، والنَّفط والقار ، وصنوفِ الأحجار ، وجميعِ منافع العالمِ وأدواتِهِم وآلاتِهِم ، لحربِهِم وسَلَمِهِم ، وزَرْعِهِم وضرْعِهِم ، ومنافعِهِم ومرافِقِهِم ومصالحِهِم . وسائر ما يأكلونه ويشربونه ، ويلبسونه ويَشْمُونه ، ويتنفعون برائحته وطعمه ، ودائعَ في بطون الأرض ، وإنَّما يُسْتَنْبَطُ منها استنباطًا ، ويُستخرَجُ منها استخراجًا ، وأنَّ على ظهرها الهوامُ القاتلة . والسَّبَاعُ العاديَّة التي في أصغرها تَلَفُ النفوس ودواعي الفناء وعوارضُ البلاء .

(١) الحرب مؤنثة ، وقد تذكر كـ هنا

(٢) العاديَّة : القديمة ، منسوبة إلى عاد

(٣) البورق ، بضم الباء : النظرون . القاموس . ونذكره داود . والمعتمد .

وَأَنَّهُ قُلٌ مَا يَمْشِي عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ . إِلَّا وَهُوَ لِلْمَرْءِ عَدُوٌّ ، وَلِلْمَوْتِ رَسُولٌ ، وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ دَلِيلٌ - لَمْ يَمْتَنِعْ [فِي] عُقُولِنَا ، وَآرَائِنَا وَمَعْرِفَتِنَا ^(١) من الإقرار بتفضيل البطن على الظهر في كل وقت . وعلى كل حال .

ومن فضيلة البطن على الظهر أَنَّ أَحَدًا إِنْ ابْتُلِيَ فِيهِ بِدَاءٍ ^(٢) . كَانَ مُسْتَوْرًا ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَكْتُمَهُ كَتَمَهُ عَنْ أَهْلِهِ ، وَمَنْ لَا يَنْطَوِي عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَغَايِرِ دَهْرِهِ .

وَمِنْ بَلِيَّةِ الظَّهْرِ أَنَّهُ إِنْ كَانَ ذَاكُ ^(٣) ظَهَرَ وَبَانَ ، مِثْلَ الْجَرْبِ وَالسَّلْعِ ^(٤) وَالخِزَابِ وَمَا أَشْبَهَهَا ، مِمَّا سَلِمَتْ مِنْهُ الْبُطُونُ وَجُعِلَ خَاصًّا فِي الظُّهُورِ .

وَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الْبُطُونَ بِأَنَّ جَعَلَ إِيْتِيَانَ النِّسَاءِ . وَطَلَبَ الْوَلَدِ . وَالتَّمَاسِ الْكَثْرَةَ مَبَاحًا مِنْ تِلْقَائِهَا ، مُحَرَّمًا فِي الْمَحَاشِ ^(٥) مِنْ وَرَائِهَا . لِأَنَّهُ حَرَامٌ عَلَى الْأُمَّةِ إِيْتِيَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ ، لَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي مَحَاشِهِنَّ » .

وَقَدْ تَرَى بِطَانَةَ الثُّوبِ تَقُومُ بِنَفْسِهَا . وَلَا تَرَى الظُّهْرَ تَسْتَغْنِي .

وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَطْنَ وَعَاءً لَخَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ جَعَلَ أَوَّلَ دَلَائِلِ نَبَوِّهِ أَنَّ أَهْبَطَ إِلَيْهِ مَلَكًا حِينَ أَيْقَعَ . وَهُوَ يَدْرُجُ ^(٦)

(١) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « لَمْ يَمْتَنِعْ عُقُولِنَا وَآرَائِنَا وَمَعْرِفَتِنَا » . وَقَدْ أَكَلْتُ النِّصَّ وَصَحَّحْتُهُ بِمَا تَرَى .

(٢) ب : « بَدَاءُ إِنْ » م : « بَدَاءُ إِنْ » ، وَ « إِنْ » مُقْحَمَةٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ .

(٣) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « إِنْ كَانَ ذَا » .

(٤) اسْلَعُ : جَمْعُ سَلْعَةٍ ، بِالْكَسْرِ ، وَهِيَ زَيْدَةٌ تَحْدُثُ فِي الْحَسَدِ مِثْلُ الْغَدَةِ . وَفِي ب .

« وَالسَّعِ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٥) الْحَاشِ : جَمْعُ مَحْشَةٍ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الشَّيْنِ . وَهِيَ الدَّرَجَةُ .

(٦) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « وَهُوَ مَعَ تَدْرُجٍ » .

مع غِلْمانِ الحَيِّ في هِوازِن . وهو مُستَرَضَعٌ^(١) في بَني سَعْد ، حينَ شَقٍّ
عن بَطْنِهِ . ثم استَخْرَجَ قلبه فَحُشِيَ نِوْراً . ثم خُتِمَ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ . ولم
يَكُنْ ذلكَ من قَبْلِ الظَّهْرِ .

٤ - فَصْلُ مِنْهُ

وَمِمَّا فَضَّلَتْ بِاِلبَطُونُ : أَنَّ لَحْمَ السُّرَّةِ مِنَ الشَّاةِ أَطْيَبُ اللَّحْمِ ،
وَلَحْمُ السُّرَّةِ مِنَ السَّمَكِ الْمُوصُوفُ ، وَسُرَّةُ حِمَارِ الْوَحْشِ شِفَاءٌ يُتَدَاوَى بِهَا ،
وَمِنْ سُرَّةِ الظُّبَاءِ يُسْتَخْرَجُ الْمَسْكُ . وَهَذَا كُلُّهُ خَاصٌّ لِلْبَطُونِ لَيْسَ لِلظُّهُورِ
مِنْهُ شَيْءٌ .

وَبَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذِكْرِ الْفَوَاحِشِ بِمَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلَمْ يَبْدَأْهُ بِمَا بَطَّنَ
فَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾^(٢) ، فَجَعَلَهُ
إِبْتِدَاءً فِي الدِّمِ^(٣) .

وَالظَّهْرُ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ سَمِجٌ ، وَالْبَطْنُ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ حَسَنٌ .
وَالظَّهْرُ فِي كُلِّ الْأَوَاقَاتِ وَحْشَةٌ وَوَحْشٌ . وَالْبَطْنُ فِي كُلِّ الْأَوَاقَاتِ سَكَنٌ
وَأُنْسٌ .

وَلَمْ نَرَهُمْ حِينَ بَالِغُوا فِي صِفَاتِ النِّسَاءِ يَدْءُوا بِذِكْرِهَا إِلَّا مِنْ جِهَةِ
الْبَطْنِ فَقَالُوا : مُدْمَجَةُ الْخَصْرِ ، لَذِيذَةُ الْعِنَاقِ ، طَيِّبَةُ النَّكْهَةِ ، حُلُوةُ
الْعَيْنَيْنِ ، سَاحِرَةُ الطَّرْفِ ، كَأَنَّ سُرَّتَهَا مُدْهِنٌ^(٤) ، وَكَأَنَّ فَاهَا خَاتَمٌ ،
وَكَأَنَّ ثَدْيَيْهَا حُقَّانٌ ، وَكَأَنَّ عُنُقَهَا إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ . وَلَيْسَ لِلظُّهُورِ فِي شَيْءٍ
مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ حَظٌّ^(٥) .

(١) ب : « مسترضع » ، صوابه في م .

(٢) الآية ٣٣ من الأعراف .

(٣) ب : « ابتداء الدم » .

(٤) المدهن : قارورة الدهن .

(٥) في النسختين : « من ذلك الدهان » .

وَأَنْتَى تَبْلُغُ فِي صِفَةِ الْبَطُونِ . وَإِنْ أَسهَبْنَا . وَكَمْ عَسَى أَنْ نُحْصِيَ
 مِنْ مَعَايِبِ الظُّهُورِ ^(١) وَإِنْ اجْتَهِدْنَا وَبَالَغْنَا . أَلَا تَرَى أَنَّ حَدَّ الزَّائِي ثَمَانُونَ
 جَلْدَةً مَا لَمْ يَكُنْ مُحْصَنًا . وَحَدَّ اللُّوْطِيِّ أَنْ يُحْرَقَ . وَكِلَاهُمَا فَجُورٌ
 وَرَجَاسَةٌ ، وَإِثْمٌ وَنَجَاسَةٌ . إِلَّا أَنَّ أَيْسَرَ الْمَكْرُوهِينَ أَحَقُّ بِأَنْ يَمِيلَ إِلَيْهِ
 مِنْ ابْتِغَالِي ، وَخَيْرَ الشَّرِّينَ أَحْسَنُ فِي الْوَصْفِ مِنْ شَرِّ الشَّرِّينَ .

وَلَوْ أَنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا فِي سَوْقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ يَقْبَلُ امْرَأَةً فَسَأَلْنَاهُ
 عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : امْرَأَتِي . وَسَأَلُوها فَقَالَتْ : زَوْجِي - لَدَرْنَا عَنْهُمَا الْحَدَّ ،
 لِأَنَّ هَذَا حُكْمُ الْإِسْلَامِ . وَلَوْ رَأَيْنَاهُ يَقْبَلُ غُلَامًا لِأَدْبِنَاهُ وَحَبَسْنَاهُ ؛ لِأَنَّ
 الْحُكْمَ فِي هَذَا غَيْرُ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَيْسَ يَمْتَنِعُ فِي الْعُقُولِ وَالْمَعْرِفَةِ أَنْ يَقْبَلَ الرَّجُلُ فِي حُبِّ
 مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ حَتَّى يَقْبَلَهَا فِي الْمَلَا كَمَا يَقْبَلُهَا فِي الْخَلَا ، يَصْدُقُ ذَلِكَ
 حَدِيثُ ابْنِ عُمرَ : « وَقَعْتُ فِي يَدِي جَارِيَةٌ يَوْمَ جُلُولَاءَ كَأَنَّ عُنُقَهَا إِبْرِيْقُ
 فِضَّةٍ فَمَا صَبَرْتُ حَتَّى قَبَّلْتُهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ » .

٥ - فصل منه

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِفْرَاطَكَ فِي وَصْفِ فَضِيلَةِ الظُّهُورِ ،
 وَفِي مَحَلِّ الرِّيبَةِ وَقَعْتُ ، لِأَنَّا رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَظْهَرَ لَنَا
 خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا . وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا » .

وَإِنَّمَا يَصِفُ فَضْلَ الظَّهِيرِ مَنْ كَانَ مُغْرَمًا بِحُبِّ الظُّهُورِ ، وَإِلَى رُكُوبِهِ
 صَبًا . وَبِالنُّومِ عَلَيْهِ مُسْتَهْتَرًا . وَبِالْوَلُوعِ بِطَلْبِهِ مُوَكَّلًا . وَمَنْ كَانَ لِلْحِلَالِ

(١) ب : « أَنْ نَحْصِيَ مِنْ مَعَايِبِ الظُّهُورِ » ، تَحْرِيفٌ

مُبايناً ، ولسبيله مُفارقاً ، ولأهله قالياً ، وللحرام معاوداً ، وبحبله مستمسكاً^(١) وإلى قربه داعياً ، ولأهله موالياً .

وقد اضطررتنا بتصييرك^(٢) المفضول فاضلاً ، والعامَّ خاصاً ، والخسيسَ نفيساً ، والمحمودَ مذموماً ، والمعروفَ منكراً ، والمؤخرَ مقدماً ، والمقدمَ مؤخرًا ، والحلالَ حراماً ، والحرامَ حلالاً ، والبدعةَ سنَّةً ، والسنَّةَ بدعةً ، والحظرَ إطلاقاً ، والإطلاقَ حظرًا ، والحقيقةَ شبهةً ، والشبهةَ حقيقةً ، والشينَ زيناً والزينَ شسيناً ، والزجرَ أمراً والأمرَ زَجْراً ، والوهمَ أصلاً والأصلَ وهماً ، والعلمَ جهلاً والجهلَ فضلاً^(٣) - إلى أن أدخلنا عليك الظنَّ ، وألحقناك التهمةَ ، ونسبناك إلى غير أصلك ، ونحلناك غيرَ عقيدتك ، وقضينا عليك بغير مذهبك . و« يداك أوكتنا ، وفاك نفخ^(٤) » . فلا يبعد الله غيرك !

أوجدنا أيها الضالُّ المضلُّ . المغلوب على رأيه ، المسلوب فهمه ، المؤلَّى على تمييزه . الناكض على عقبه في اختياره^(٥) ، المفارق لأصل عقده^(٦) ، المدبر بعد الإقبال في معرفته ، الساقط بعد الهوى في ورطته ، المتحلَّى من فهمه^(٧) . الغنى عن إفهامه . المضيع لحكمته . المنزوع

(١) مستمسكاً ، ساقطة من م .

(٢) ب : « بتصيرك » ، صوابه في م . وفي م أيضاً : « وقد اضطررنا » .

(٣) ب : « والجهل علماً » ، صوابه في م .

(٤) م : « وفك نفخ » . والمعروف : « وفوك نفخ » . الفاخر ٤٨ والميداني ٢ : ٣٢٥ وجمهرة العسكري ٢ : ٤٣٠ . والوكاء - الخيط الذي يشد به رأس السقاء . وأصله أن رجلاً أراد أن يعبر نهرًا على سقاء ، فلم ينفخه ولم يوكه على ما ينبغي ، فلم توسط النهر انحل الوك . فصاح : الفرق افرق ! فتقيل له هذا المثل ، أي إنك من قبح نفسك أتيت

(٥) في النسختين : « في اختيار » ، ووجهه ما أثبت

(٦) ب « الموافق لأصل عقده » ، صوابه في م .

(٧) في النسختين : « المتحلَّى » بالحاء المهملة ، تحريف .

عَقْلُهُ . المختَلَسُ لُبُهُ ، المستَظَارُ جَنَانُهُ ، المَعدومُ بَيَانُهُ . في الظُّهورِ بعد الفضائل التي أَوْجَدْنَا كَهَا في البُطُونِ ، إِمَّا قِيَاسًا . وإِمَّا اخْتِيَارًا^(١) . وإِمَّا ضَرُورَةً ، وإِمَّا اخْتِبَارًا وإِمَّا اكْتِسَابًا ، أو في كِتَابٍ مَنْزَلٍ ، أو سُنَّةٍ مَأْثُورَةٍ ، أو عَادَةٍ مَحْمُودَةٍ ، أو صِلَاحٍ عَلَى خَيْرٍ .
 أَمْ هَلْ لَكَ فِي مَقَالَتِكَ مِنْ إِمَامٍ تَأْتُمُّ بِهِ . أو أَسَاطِدٍ تَقْتَنِي أَثَرَهُ . وَتَهْتَدِي بِهِدَاهُ . وَتَسْلُكُ سَنَنَهُ .

٦ - فصل منه

وَقَدْ حَضَّنِي^(٢) عَلَيْكَ عِنْدَ انْتِهَائِي إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ رِقَّةً ، وَتَدَاخَلَتْنِي لَكَ رَحْمَةٌ ، وَوَجَدْتُ لَكَ بَقِيَّةً فِي نَفْسِي ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُرْحَمُ أَهْلُ الْبَلَاءِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ . وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا .

فَرَأَيْتُ أَنَّ أَحْتَمَ بِأَبْسَاطِ الدُّعَاءِ لَكَ كِتَابِي ، وَأَنَّ أُحَرِّزَ بِهِ أَجْرِي وَثَوَابِي ، وَرَجَوْتُ أَنَّ تُنِيبَ^(٣) وَتَرْجِعَ بَعْدَ الْجِمَاحِ وَاللَّعْجَاجِ ، فَإِنَّ لِلْجَوَادِ اسْتِقْلَالًا بَعْدَ الْكِبُورَةِ ، وَلِلشُّجَاعِ كَرَّةً بَعْدَ الْكَشْفَةِ^(٤) . وَلِلْحَلِيمِ عَطْفَةً بَعْدَ النَّبُوءَةِ .

وَأَنَا أَقُولُ : جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ أَبْصَرَ رُشْدِهِ ، وَعَرَفَ حَظَّهُ . وَآثَرَ الْإِنْصَافَ وَاسْتَعْمَلَهُ . وَرَفَضَ الْهَوَى وَاطَّرَحَهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْتَلِ بِالْهَوَى إِلَّا مَنْ أَضَلَّهُ . وَلَمْ يُبْعِدْ إِلَّا مَنْ اسْتَبْعَدَهُ .

(١) في النسختين : « أخباراً » .

(٢) م : « خصنتي » .

(٣) من الإنابة ، وهي التوبة والرجوع عن المعصية . ب : « تثبب » ، صوابه في م .

(٤) الكشمة : الهزيمة . كشف القوم ، من باب فرح : انهزموا .

٢٠

من كتابه في

النبل والتنبيل وزوم الكبير

١ - فصل

من صدر كتابه في النبل والتنبيل وذم الكبير^(١)

قد قرأتُ كتابَكَ وفهمتُهُ ، وتتبعْتُ كلَّ ما فيه واستقصيته ، فوجدتُ الذي ترجعُ إليه بعد التَّطويل . وتَقِفُ عنده بعد التَّحصيل ، قد سَلَفَ القولُ مِنَّا في عَيْبِهِ ، وشاعَ الحَبْرُ عَنَّا في ذَمِّهِ^(٢) ، وفي النَّصَبِ لأَهْلِهِ ، والمُبَايَنَةِ لأَصْحَابِهِ ، وفي التعجُّبِ منهم ، وإظهارِ النُّقْصِ عنهم .

والجملةُ أنَّ فرطَ العُجْبِ إذا قارنَ كثرةَ الجهلِ ، والتَّعَرُّضَ للعيبِ إذا وافقَ قِلَّةَ الاكتراثِ ، بطلَّتِ المزاجِرُ^(٣) ، وماتتِ الخواطرُ . ومتى تفاقمَ الداءُ ، وتفاوتَ العلاجُ ، صارَ الوعيدُ لغواً مطَّرحاً ، والعقابُ حكماً مستعملاً .

وقد أصبحَ شيخُكَ . وليس يملكُ من عقابِهِمْ إِلَّا التوقيفُ ، ولا من تَأْديبِهِمْ إِلَّا التعريفُ .

ولو ملَكناهم مُلْكُ السُّلْطَانِ ، وقهرناهم قَهْرَ الوَلَاةِ ، لنهكناهم عقوبةً بالضَّرْبِ^(٤) ، ولقمعناهم بالحِصْرِ^(٥) .

(١) معظم هذا الكتاب ساقط من هامش الكامل ، إذ يبدأ النص فيه من أواخر الفصل الخامس ص ١٧٥ ، بعد قوله : « وإنما عاند الله تعالى » . وجاء الكلام بعده متصلاً مُخْتَلِطاً بمنتصف الكتاب العاشر ، وهو « الرد على النصارى » . وانظر ص ٣٢٩ من الجزء الثالث من الرسائل . والتنبيل : تكلف النبل وادعاؤه .

(٢) ب : « وشاع الخير » ، صوابه في م .

(٣) ب : « بطلب المزاجر » ، صوابه في م .

(٤) نهكه عقوبة : بالغ فيها ، يهكه نهكاً .

(٥) الحصر : الحبس هنا . والحصير : الحبس . وفي التنزيل العزيز : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » .

والكبر - أعزك الله تعالى - بَابٌ لَا يُعَدُّ احْتِمَالُهُ حِلْمًا ^(١) . وَلَا الصَّبْرُ عَلَى أَهْلِهِ خَزْمًا ، وَلَا تَرْكُ عِقَابِهِمْ عَفْوًا ، وَلَا الْفَضْلُ عَلَيْهِمْ مَجْدًا . وَلَا التَّغَافُلُ عَنْهُمْ كَرَمًا ، وَلَا الْإِمْسَاكُ عَنْ ذَمِّهِمْ صَمْتًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ حِمْلَ الْغَنَى ^(٢) أَشَدُّ مِنْ حِمْلِ الْفَقْرِ . وَاحْتِمَالُ الْفَقْرِ أَهْوَنُ مِنْ احْتِمَالِ الذَّلِّ . عَلَى أَنَّ الرِّضَا بِالْفَقْرِ قَنَاعَةٌ وَعِزٌّ . وَاحْتِمَالُ الذَّلِّ نَذَالَةٌ وَسُخْفٌ . وَلَئِنْ كَانُوا قَدْ أَفْرَطُوا فِي لَوْنِ الْعَشِيرَةِ ، وَالتَّكَبُّرِ عَلَى ذَوِي الْحُرْمَةِ ، لَقَدْ أَفْرَطْتَ فِي سُوءِ الْاخْتِيَارِ ، وَفِي طَوْلِ مُقَامِكَ عَلَى الْعَارِ .

وَأَنْتَ مَعَ شِدَّةِ عُجْبِكَ بِنَفْسِكَ . وَرِضَاكَ عَنْ عَقْلِكَ . خَالَطْتَ مِنْ مَوْتِهِ يُضْحِكُ السَّنَّ ، وَحَيَاتِهِ تَوْرَثُ الْحُزْنَ ^(٣) ، وَتَشَاغُلُكَ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْغَبْنِ .

وَشَكْوَتَ تَنْبِلِهِمْ عَلَيْكَ ، وَاسْتِصْغَارَهُمْ لَكَ . وَأَنَّكَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فِي الْمَحْصُولِ . وَفِي حَقَائِقِ الْمَقُولِ ^(٤) . وَلَوْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ لِمَا أَقَمْتَ عَلَى الذَّلِّ وَلَمَّا تَجَرَّعْتَ الصَّبْرَ وَأَنْتَ بِمَنْدُوحَةٍ مِنْهُمْ ، وَبِنَجْوَةٍ عَنْهُمْ . وَلَعَارَضْتَهُمْ مِنَ الْكِبَرِ بِمَا يَهْضُمُهُمْ ^(٥) ، وَمِنْ الْاِمْتِعَاضِ بِمَا يَبْهَرُهُمْ .

وَقُلْتَ : وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الثُّبُلِ عِنْدَ الْمَوَازِنَةِ . أَوْ كَانَ مَعَهُمْ مَا يَغْلُظُ النَّاسُ فِيهِ عِنْدَ الْمَقَاسِيسِ لَعَذَرْتُهُمْ وَاحْتَجَجْتَ عَنْهُمْ ^(٦) ، وَلَسْتَرْتُ عَيْبَهُمْ . وَلَرَقَعْتُ وَهْيَهُمْ . وَلَكِنْ أَمْرُهُمْ مَكْشُوفٌ ، وَظَاهَرُهُمْ مَعْرُوفٌ .

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « إِلَّا حِلْمًا » .

(٢) م : « الْعَنَا » بِالْمُهْمَلَةِ ، صَوَابُهُ فِي ب .

(٣) ب : « وَحَيْرَتُهُ يَوْرَثُ الْحُزْنَ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٤) م : « الْعُقُولُ » .

(٥) الْهَضْ : الْكُسْرُ وَالْذَّقْ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « يَنْهَضُهُمْ » ، وَهُوَ عَكْسُ مَا يُرَادُ .

(٦) ب : « وَاحْتَجَجْتُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أُثْبِتُ مِنْ م .

وإن كان أمرهم كما قلت ، وشأنهم كما وصفت . فذاك ألوم لك ، وأثبت للحجة عليك .

وسأؤخر عدلك إلى الفراغ منهم . وتوقيفك بعد التنبويه بهم .

أقول : وإن كان النبل بالنبل ، واستحقاق العظم^(١) بالتعظيم وبقلة الندم والاعتذار ، وبالتهاون بالإقرار ، فكل من كان أقل حياءً ، وأتم قحةً ، وأشد تصلفاً . وأضعف عدةً ، أحق بالنبل وأولى بالعدو .

وليس الذى يُوجب لك الرفعة أن تكون عند نفسك - دون أن يراك الناس - رفيعاً . وتكون فى الحقيقة وضيعاً .

ومتى كنت من أهل النبل لم يضرَّك التبذل ، ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التنبل .

وليس النبل كالرزق ، يكون مرزوقاً الحرمان^(٢) أليق به . ولا يكون نبيلاً السخافة أشبه به^(٣) .

وكل شئ من أمر الدنيا قد يحظى به غير أهله ، كما يحظى به أهله .

وما ظنك بشئ المروءة خصلة من خصاله ، وبُعْدُ الهمة خلة من خلاله . وبهاء المنظر سبب من أسبابه ، وجزالة اللفظ شعبة من شعبه ، والمقامات الكريمة طريق من طُرُقِه .

(١) فى النسختين : « المعظم » .

(٢) فى النسختين : « مرزوقاً من الحرمان وأليق به » .

(٣) فى النسختين : « نبيلاً من السخافة أشبه به » . يريد أن النبل ينبئ أن يكون كاملاً ، وليس كالرزق قليله وكثيره سواء .

٢ - فصل منه

واعلم أنَّكَ متى لم تأخذ للنبل أهبتَه . ولم تُقيم له أداتَه ، وتأتته من وجهه^(١) ، وتقمَّ بحقه ، كنت مع العناء مُبغضاً . ومع التكلف مُستصلاً . ومن تَبَغَّضَ فقد استهدف للشَّتام^(٢) ، وتصدَّى للملام .

فإن كان لا يحفل بالشَّتم . ولا يجزع من الذم . فعُدّه ميتاً إن كان حياً ؛ وكلباً إن كان إنساناً .

وإن كان ممن يكثرث ويجزع . ويُحسُّ ويألم . فقد خسر الراحة والمحبة ، وريح النَّصبِ والمذمة .

وبعد . فالنبلُ كليفٌ بالمولي عنه ، شِنْفٌ للمُقْبِل عليه . لازقٌ بمن رَفَضَه ، شديدُ النِّفارِ ممن طَلَبَه .

٣ - فصل منه

والسَّيِّدُ المطاعُ لم يسهلْ عليه الكَظْمُ ، ولم يكن له كَنَفُ الجَلْمِ .
إلَّا بعد طولٍ تَجَرُّعٍ للغَيْظِ . ومُقاساةٍ للصَّبْرِ . وقد كان مُعْنَى القَلْبِ
دَهْرَه ، ومكدودُ النَّفسِ عُمرَه . والحربُ سجالٌ بينه وبين الجَلْمِ ،
ودُولٌ بينه وبين الكَظْمِ . فلما انقادتْ له العَشِيرَةُ . وَسَمَحَتْ له بالطَّاعَةِ ،
وَوَثِقَ بظُهورِ القدرةِ خِلافَ المَعْجَزَةِ^(٣) سَهْلٌ عليه الصَّبْرُ . وغَمْرُ^(٤)

(١) ب : « وتأيت من وجهه » م : « وتأديته من وجهه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الشتام : مصدر شاتم ، كالمشامة وفي النسختين : « للأشتام » ، تحريف .

(٣) أى بعد العجز . وفي الكتاب العزيز : « وإذن لا يلبثون خلافتك إلا قليلا » الآية ٧٦ من سورة الإسراء . وقرأ عطاء بن أبي رباح : « بعدك إلا قليلا » . تفسير أبي حيان ٦ : ٦٦ . وانظر اللسان (خلف) ٤٣٤ .

(٤) في النسختين : « عمر » بالعين المهملة ، ولا وجه له .

بعلوّه دواعى الجزع ، بطلت المجاذبة^(١) ، وذهبت المُساجلة .

والذى كان دعاهُ إلى تكثُّف الحلم فى بدء أمره وإلى احتمال المكروه فى أوّل شأنه ، الأملُ فى الرِّئاسة ، والطَّمعُ فى السِّيادة ، ثمّ لم يتمّ له أمره ، ولم يستحكم له عقدهُ إلّا بعد ثلاثة أشياء: الاحتمال ، ثم الاعتياد ، ثم ظهور طاعة الرجال .

ولولا خوفُ جميع المظلومين من أن يُظنَّ بهم العجزُ ، وآلاً يُوجّه احتمالهم إلى الدّل^(٢) لراحَمَ السّادةُ فى الحلم رجالاً ليسوا فى أنفسهم بدونهم ، ولغمرهم بعضُ من ليس معه من أسبابهم .

٤ - فصل منه

ولا يكون المرءُ نبيلاً حتى يكون نبيلَ الرأى ، نبيلَ اللَّفظ ، نبيلَ العقل ، نبيلَ الخلق ، نبيلَ المنظر ، بعيد المذهب فى التنزه ، طاهر الثوب من الفحش ، إن وافق ذلك عرقاً صالحاً ، ومجداً تالداً .

فالخارجى قد يتنبل بنفسه ، والنابئ قد يخرج بطبعه . ولكلّ عزّ أوّل ، وأوّل كلّ قديمٍ حادث .

ومن حقوق النبل أن تتواضع لمن هو دونك ، وتُنصفَ من هو مثلك ، وتتنبّل على من هو فوقك .

(١) فى النسختين : « وبطلت المجاذبة » والواو مفتحة ، وإنما الكلام جواب « هنا » السابقة .

(٢) ب : « الظلم » ، صوابه فى م .

٥ - فصل منه

وكان بعضُ الأشراف في زمان الأحنف . لا يَحْتَقِرُ أَحَدًا^(١) .
ولا يتحرَّكُ لَزائِر ، وكان يقول :

* ثهلان ذو المَهْضَبَاتِ ما يتحلَّحِلُ^(٢) *

فكان الأحنف مايزداد إِلَّا عُلُوءًا ، وكان ذلك الرجل لايزداد إِلَّا تَسْفَلًا .

وقد ذم الله تعالى المتكبرين ، ولعن المتجبرين ، وأجمعت الأمة على عيبه ، والبراءة منه ، وحتى سُمِّيَ المتكبر تَائِهًا ، كالذي يَخْتَبِطُ في التَّيَّةِ بلا أَمَارَةٍ ، ويتعسف الأرض بلا علامة .

ولعلَّ قائلًا أن يقول : لو كان اسم المتكبر قبيحًا . ولو كان المتكبر مذمومًا ، لَمَا وصفَ الله تعالى بهما نَفْسَهُ . وَلَمَّا نَوَّهَ بهما في التنزيل حين قال : ﴿ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾^(٣) ، ثم قال : ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٤) .

قلنا لهم : إِنَّ الْإِنْسَانَ الْمَخْلُوقَ الْمَسْحُورَ ، وَالضَّعِيفَ الْمَيْسَّرَ ، لا يليقُ^(٥) به إِلَّا التَّذَلُّلُ . ولا يجوزُ له إِلَّا التَّوَاضُّعُ .

وكيف يليقُ الْكِبَرُ بمنْ إِنَّ جَاعَ صُرِعَ ، وَإِنَّ شَبَعَ طَغَى ، وما يشبه الْكِبَرُ بمنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ، وَيَبُولُ وَيَنْجُو . وكيف يستحقُّ الْكِبَرُ وَيَسْتَوْجِبُ الْعِظَمَةَ منْ يَنْقُصُهُ النَّصَبُ ، وَيُفْسِدُهُ الرَّاحَةُ ؟ .

(١) م : « يتحقّر » ، صوابه في ب .

(٢) للفرزدق في ديوانه ٧١٧ واللسان (جلد ١٨٤) . و صدره :

* فادفع بكفك إن أردت بنساءنا *

(٣) من الآية ٢٣ من الحشر .

(٤) من الآية ٢٤ من سورة الحشر وهي كذلك في الآية ٨ من سورة طه . وفي النسختين :

« وله » والواو مقحمة في نص الآية . انظر تحقيق النصوص لكتابه ص ٤٨ .

(٥) في النسختين : « لا يليق به » ، صوابه ما أثبت وانظر ما سبق .

فإذا كان الكبير لا يليق بالمخلوق فإنما يليق بالخالق ، وإنما عانده الله تعالى بالكبير^(١) لتعديده طوره^(٢) ، ولجهله لقدره^(٣) ، وانتحاله ما لا يجوز إلا لربه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « العظمة رداء الله ، فمن نازعه رداؤه قصمه^(٤) » .

٦ - فصل منه

والنبيل لا يتنبّل ، كما أنّ الفصيح لا يتفصّح ؛ لأنّ النبيل يكفيه تَبْلُهُ عن التنبّل ، والفصيح تُغْنِيهِ فصاحته عن التفصّح . ولم يتزيّد أحد قط إلا لنقص يجده في نفسه ، ولا تطاول متناول إلا لوْهَن قد أحسن به [في^(٥)] قوّته .

والكبير من جميع الناس قبيحٌ ، ومن كلّ العباد مَسْخُوطٌ^(٦) ، إلا أنّه عند الناس من عظماء الأعراب . وأشباه الأعراب أَوْجَدُ^(٧) ، وهو لهم أسرع ، لجفاهم وبُعْدِهِم من الجماعة ، ولقلّة مخالطتهم لأهل العفة والرعة^(٨) ، والأدب والصنعة^(٩) .

(١) هنا ينتهي السقط الكبير في نسخة هامش الكامل (ط) الذي أشرت إليه في ص ٣٢٩ من الجزء الثالث من الرسائل . وستبدأ المقابلة هنا على النسخ الثلاثة : المتحف البريطاني (ب) والنسخة التيمورية (م) ونسخة الكامل (ط) .

(٢) ب ، م : « ليعديه » ، صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « ويجهله لقدره » ، والصواب من ط .

(٤) ورد في سنن ابن ماجه رقم ٤١٧٤ ، ٤١٧٥ حديثاً قدسياً أوله « يقول الله سبحانه : الكبير رداؤه ، والعظمة إزارى ، من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم » ، من حديث أبي هريرة . ومن حديث ابن عباس بلفظ : « ألقيته في النار » .

(٥) كلمة « في » ساقطة من انسخ الثلاثة . وزدتها تكملة للقول .

(٦) في ط : « والكبر من جميع الناس قبيح مسخوط » .

(٧) أوجد ، أى أكثر وجوداً . وفي جميع النسخ : « أجود » .

(٨) الرعة بالراء المكسورة : الورع . وفي ب ، م « الدعة » .

(٩) هذا ما في ط . وفي ب ، م : « الضعة » .

٧ - فصل منه

ولم نَرَ الكبر يَسُوغُ عندهم وَيُسْتَحْسَنُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ :

من ذلك أَن يكون المتكبرُ صعباً بدوياً ، وَذَا عُرْضِيَّةً وَحَشِيًّا^(١) . ولا يكون حضرياً ولا مَدْرِيًّا ، فيحمل ذلك منه على جهة الصُّعُوبَةِ ومذهب الجاهليَّةِ ، وعلى العُنْجُهيَّةِ^(٢) والأعرابيَّةِ .

أو يكونَ ذلك منه على جهة الانتقام والمُعَارَضَةِ ، والمكافأة والمقابلة^(٣) .

أو على أَن لا يكون تكبرُهُ إِلَّا على الملوك والجبابرة ، والفراعنة وأشباه الفراعنة .

وصاحبُك هذا خارجٌ من هذه الخصال . مُجَانِبٌ لهذه الخِلَالِ . إن أَصابَ صديقاً تَعَظَّمَ عليه^(٤) ، وإن أَتاه ضيفٌ تغافل عنه^(٥) ، وإن أَتاه ضعيفٌ منَّ عليه ، وإن صادفَ حليماً اعتمر به^(٦) .

وينبغي أَن يكون خضوعُهُ لمن فوقه^(٧) على حَسَبِ تكبرِهِ على مَنْ دونه .

ومن صفة اللِّئيم أَن يَظْلِمَ الضَّعيفَ ، وَيَظْلِمَ نَفْسَهُ للَقَوَى . وَيَقْتُلُ

(١) ب : « وإذا » ، صوابه في م ، ط . والعرضية ، بضم العين : العجرفية والصعوبة ، وأن يركب رأسه من النخوة . اللسان (عرض ٤١) . والكلمة محرفة في الأصول . فني ب : « عارضته » ، وفي م : « عرضته » وفي ط : « غطرسه » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب : « ولا العنجهية » ، صوابه في م . وفي ط : « وعلى الهمحة » .

(٣) ب : « المقالة » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « يعظم عليه » ، صوابه في ط .

(٥) ب : « ضعيف » ، صوابه في م ، ط . وفي ب ، م : « تخفض به » ، صوابه في ط .

(٦) به ، ساقطة من ب . وفي ط : « اعتمل به » .

(٧) هذا ما في ط . وفي ب ، م : « لمن رفعه » .

الصَّريع . ويُجْهَزَ على الجريح . وَيَطْلُبُ المارِبَ ، وَيَهْرُبُ من الطَّالِبِ ،
ولا يَطْلُبُ من الطَّوائِلِ إِلَّا ما لا خِطَارَ فيه ^(١) ولا يتكَبَّرُ إِلَّا حيث لا يرجع
مَضْرَتُهُ عليه ^(٢) ، ولا يَقْفُو التَّقِيَّةَ ولا المروءة ^(٣) ، ولا يعمل على
حقيقته ^(٤) .

ومن اختار أَنْ يَبْغِيَ تَبَدَّى ^(٥) . ومن أَرَادَ أَنْ يُسَمِعَ قَوْلَهُ ساء خلقه ،
إِذْ كان لا يحفل ببُغْضِ النَّاسِ له وَوَحْشَةِ قُلُوبِهِم منه ، واحتيايلهم في
مُبَاعَدَتِهِ ، وَقَلَّةِ مَلابِستِهِ ^(٦) .

وليس يَأْمَنُ اللَّئِيمَ على إتيان جميع ما اشتمل عليه اسمُ اللُّؤْمِ إِلَّا
حاسد .

فإِذَا ^(٧) رَأَيْتَهُ يَعْقُ أَبَاهُ . وَيَحْسُدُ أَخَاهُ ، وَيَظْلُمُ الضَّعِيفَ ، وَيَسْتَخْفُ
بِالْأَدِيبِ . فلا تُبْعِدُهُ من الخيانة ، إِذْ كانت ^(٨) الخيانة لَوْماً ؛ ولا من
الكذب . إِذْ كان الكذب لَوْماً ؛ ولا من النَّمِيمة ، إِذْ كانت النَّمِيمة
لَوْماً . ولا تَأْمَنُهُ على الكُفْرِ فَإِنَّهُ أَلَأَمُ اللُّؤْمِ ، وَأَقْبَحُ الْعَذْرِ ^(٩) .

وَمَنْ رَأَيْتَهُ مَنْصَرِفاً عن بعض اللُّؤْمِ . وتاركاً لبعض القبيح . فَإِيَّاكَ
أَنْ تَوَجَّهَ ذَلِكَ منه على التَّجَنُّبِ له . والرَّغْبَةِ عنه ، والإِثَارِ لَخلافه ،

(١) ط : « ما لا خطر فيه » .

(٢) ط : « معرفته عليه » .

(٣) يقفو : يتبع . والتقوى : التقوى ، وهي أيضاً المصانعة . ب ، م : « يقف القبة » ،
صوابها في ط .

(٤) ط : « حقيقة » .

(٥) ب : « يبق يبدى » م : « يبق يبدى » ، وأرى الوجه فيما أثبت . تبدى سكن
البدية . على أن هذه العبارة ساقطة من ط

(٦) الملابس : الخلفة . م ، ط : « مساعدته »

(٧) ب : « إذا » بغير فاء .

(٨) ب : « إذا » هنا وفي الموضعين التامتين .

(٩) ب فقط : « العذر » ، تحريف .

ولكن على أنه لا يشتهيهِ أو لا يَقْدِرُ عليه^(١) . أو يخاف من مرارة العقابة^(٢) أمرأ يعفَى على حلاوة العاجل ؛ لأنَّ اللُّؤْمَ كُلَّهُ أصلٌ واحدٌ وإن تفرَّقت فروعه . وجنسٌ واحدٌ وإن اختلفت صُورُهُ ، والفِعْلُ محمولٌ على غلبته^(٣) ، تابعٌ لسمته . والشَّكْلُ ذاهِبٌ عَلَى شكله . منقطعٌ إلى أصله ، صائرٌ إليه وإن أَبْطَأَ عنه ، ونازِعٌ إليه وإن حِيلَ دونه . وكذلك تناسُبُ الكرمِ وحنينُ بعضِهِ لبعضٍ^(٤) .

ولم ترَ العيونُ . ولا سَمِعَتِ الآذانُ . ولا توهَّمتِ العقولُ عملاً اجتنباهُ ذو عقلٍ ، أو اختارَه ذو علمٍ ، بأوبأ^(٥) مَغَبَّةً ، ولا أنكَدَ عاقبةً . ولا أَوْحَمَ مرعى ، ولا أَبْعَدَ مَهْوًى . ولا أَضَرَّ على دينٍ . ولا أَفْسَدَ لِعرضٍ . ولا أَوْجَبَ لِسُخْطِ اللَّهِ ، ولا أَدْعَى إلى مَقَتِ النَّاسِ ، ولا أَبْعَدَ من الفلاح ، ولا أَظْهَرَ نُفُورًا عن التَّوبَةِ ، ولا أَقْلَّ دَرَكَاً عندَ الحَقِيقَةِ ، ولا أَنْقَضَ لِلطَّبِيعَةِ^(٦) . ولا أَمْنَعَ من العِلْمِ . ولا أَشَدَّ خِلَافاً على الحِلْمِ ، من التَّكْبُرِ في غير موضعه ، والتَّنبُّلِ في غير كُنْهِهِ .

وما ظنُّكَ بشيءٍ العُجْبُ شَقِيقُهُ ، والبَذْخُ صَدِيقُهُ ، والنَّفَجُ أَلِفُهُ^(٧) ، والصَّلَفُ عَقِيدُهُ^(٨) .

والبَذْخُ مَتَزَيِّدٌ^(٩) ، والنَّفَّاجُ كَذَّابٌ ، والمتكبرُ ظالمٌ ، والمُعْجَبُ

(١) ب ، م : « أو لا يقدر عليه » . (٢) ب : « مراة العقابة » ، تحريف .

(٣) ب ، م « غلبة » ، صوابه في ط .

(٤) م : « ببعض » ، تحريف . وفي ط : « إلى بعض » .

(٥) ما بعد هذه الكلمة إلى « على دين » التالية ، ساقط من ط .

(٦) النقص : الإفساد والقلب ، وأصله ضد الإبرام . وفي جميع النسخ : « أنقص »

بالصاد ، تحريف .

(٧) في اللسان : « رجل نفاج : ذو نفج يقول ما لا يفعل . ويفتخر بما ليس له ولا فيه » .

(٨) العقيد : الصاحب . كأنك تعاقدته وتحالفه . وفي قول أبي حراش :

كَمِ مِنْ عَقِيدٍ وَجَارٍ حَلَّ عَنْدهُمْ وَمِنْ مِجَارٍ بَعْدَ اللَّهِ قَدْ قَتَلُوا

(٩) ب فقط : « متزايد » ، تحريف .

صغيرُ النَّفْسِ . وإذا اجتمعت هذه الخصالُ ، وانتظمت هذه الخصالُ
في قلبٍ طال خرابُهُ ، واستغلق بابُهُ .

وشرُّ العيوبِ ما كان مضمناً بعيوبٍ ، وشرُّ الذنوبِ ما كان عِلَّةً
لِلذُنُوبِ^(١) .

والكبرُ أَوَّلُ ذَنْبٍ كان في السماوات والأرض ، وأعظمُ جُرْمٍ كان
من الجنِّ والإنس ، وأشهرُ تعصُّبٍ كان في الثَّقَلَيْنِ ، وعنه لجَّ إبليسُ
في الطُّغيان ، وعَتَا على ربِّ العالمين ، وخطأ ربَّهُ في التدبير^(٢) ، وتلقَّى
قوله بالردِّ . ومنَّ أجلِّهِ استوجب السَّخَطَ ، وأخرج من الجنَّة ، وقيل
له : ﴿ ما يكونُ لك أن تتكبرَ فيها ﴾^(٣) .

ولإفراطه في التَّعْظِيمِ خرج إلى غاية القسوة ، ولشدَّة قسوته اعتزم
على الإصرار ، وتنايَع^(٤) في غاية الإفساد ، ودعا إلى كلِّ قبيح ، وزينَ
كلَّ شرٍّ^(٥) ، وعن معصيته أخرج آدمُ من الجنَّة ، وشُهر في كلِّ أفق
وأمة ، ومن أجلِّهِ نَصَبَ العداوةَ^(٦) لذريَّته ، وتفرَّغ^(٧) من كلِّ شئٍ
إِلَّا من إهلاك نسلِهِ^(٨) ، فعادى من لا يرجوه ولا يخافه ، ولا يضاهيه

(١) ب : « للذنوب » م : « يذنوب » ط : « الذنوب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب فقط : « في التهذير » تحريف . وهو قول إبليس : « أَسْجِدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً » ،
« خلقتني من نار وخلقته من طين » .

(٣) من الآية ١٣ من الأعراف : « قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها » .

(٤) التنايع ، بالياء التحتية المثناة : التساقط والتهافت . وفي الأصول : « تنايع » ،
والوجه ما أثبت من لغة الجاحظ .

(٥) ب ، م : « شئ » ، صوابه في ط .

(٦) في الأصول : « نصبت العداوة » .

(٧) ب ، م : « وتفرغ » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « أهلك نسله » ، صوابه في ط .

في نسب^(١) ، ولا يُشاكله في صناعة ، وعن ذلك^(٢) قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وظلم القويُّ الضَّعِيفَ ، ومن أَجَلِه أَهْلَكَ اللَّهُ الْأُمَمَ بِالْمَسْخِ وَالرَّجْفِ ، وبِالْخَسْفِ وبِالطُّوفَانِ ، وَالرَّيْحِ الْعَقِيمِ^(٣) ، وَأَدْخَلَهُم النَّارَ : وَأَقْنَطَهُم مِنَ الْخُرُوجِ .

والكِبَرُ هو الذي زَيْنَ لِإِبْلِيسَ تَرْكَ السُّجُودِ ، وَوَهَّمَهُ شَرَفَ الْأَنْفَةِ^(٤) ، وَصَوَّرَ لَهُ عِزَّ الْإِنْتِقَاضِ^(٥) ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْمَخَالَفَةَ ، وَأَنَسَهُ بِالْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ سَخَطَ الرَّبِّ . وَسَهَّلَ عَلَيْهِ عِقَابَ الْأَبَدِ ، وَوَعَدَهُ الظَّفَرَ ، وَمَنَاءَ السَّلَامَةِ ، وَلَقَّنَهُ الْاِحْتِجَاجَ بِالْبَاطِلِ ، وَزَيَّنَ لَهُ قَوْلَ الزُّورِ ، وَزَهَّدَهُ فِي جِوَارِ الْمَلَائِكَةِ^(٦) ، وَجَمَعَ لَهُ خِلَالَ السَّوِّ ، وَنَظَّمَ لَهُ خِلَالَ الشَّرِّ ؛ لِأَنَّهُ حَسَدَ وَالْحَسَدُ ظَلَمٌ ، وَكَذَبَ وَالْكَذِبُ ذُلٌّ ، وَخَدَعَ وَالْخَدِيعَةُ لُؤْمٌ . وَحَلَفَ عَلَى الزُّورِ ، وَذَلِكَ فَجُورٌ . وَخَطَّأَ رَبَّهُ ، وَتَخَطَّأَهُ اللَّهُ جَهْلٌ ، وَأَخْطَأَ فِي جَلِّيِّ الْقِيَاسِ^(٧) وَذَلِكَ غَيٌّ ، وَلَجَّ وَاللَّجَاجُ ضَعْفٌ . وَفَرَّقَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّبْدِيلِ^(٨) . وَجَمَعَ بَيْنَ الرَّغْبَةِ عَنْ صَنِيعِ الْمَلَائِكَةِ^(٩) وَبَيْنَ الدُّخُولِ فِي أَعْمَالِ السُّفْلَةِ .

وَاحْتَجَّ بِأَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ . وَمَنَافِعَ الْعَالَمِ نَتَائِجَ أَرْبَعَةٍ

(١) هذا الصواب من ط . وفي ب ، م : « ولا يضاره » . والمضاهاة : المشابهة .

(٢) ط : « ومن ذلك » .

(٣) انظر ما مضى في ص ١٥٨ .

(٤) ط : « وأوهمه شر الألفة » ب ، م : « ووهمه سرف الألفة » ، والوجه فيهما ما أثبت . أى جملة يتوهم الشرف في الأنفة والكبر .

(٥) عز ، ساقطة من ط . وهى في م : « عن » ، تحريف . والانتقاض : المخالفة . وفي

جميع الأصول : « الامتعاض » .

(٦) ب فقط : « الملكية » ، تحريف .

(٧) الجلى : الظاهر الواضح . م : « حليل القياس » .

(٨) ب : « والتبذل » م : « والتبد » ، وأثبت ما في ط .

(٩) رسمت في ب « المليكة » .

أركان : نارٌ يابسة حارّة ، وماءٌ باردٌ سيّال ، وأرضٌ باردة يابسة ، وهواءٌ حارٌ رطب . ليس منها شيءٌ مع مُزاوجته لخلافه إلا وهو مُخَيِّ مُبْتَنٍ ^(١) . على أَنَّ النارَ نِقْمَةُ اللَّهِ من بين جميع الأصناف ، وهي أسرعُ إتلافاً لما صار فيها . وأمحقهنَّ لما دنا منها .

هذا كله ثمرةُ الكبر ، ونتائجُ النّية . والتكبرُ شرٌّ من القسوة ، كما أَنَّ القسوة شرٌّ المعاصي . والتواضعُ خيرُ الرحمة ^(٢) ، كما أَنَّ الرّحمة خيرُ الطّاعات .

والكبر معنًى ينتظم به جماعُ الشرِّ ، والتواضع معنًى ينتظم به ^(٣) جماعُ الخير ، والتواضع عَقِيبُ الكِبَرِ ، والرّحمة عَقِيبُ القسوة . فإذا كان للطّاعة قدرٌ من الثّواب فلتتركها وعقبها ، ولما يُوازِنُها ^(٤) ويكايِلُها ، مثلُ ذلك القدر من العقاب . وموضع الطّاعة من طبقات الرّضا ، كموضع تركها من طبقات السُّخْطِ ^(٥) إذ ^(٦) كانت الطّاعة واجبةً . والترك معصية .

والكبر من أسباب القسوة . ولو كان الكبر لا يعتري إلا الشّريفَ والجميلَ . أو الجوادَ . أو الوفيَّ أو الصّدوقَ . كان أهونَ لأمره ، وأقلَّ لُشْنِه . وكان ^(٧) يعرض لأهل الخير ، وكان لا يغلَطُ فيه إلا أهلُ الفضل ،

(١) ب فقط : « مجي » تحريف .

(٢) ب ، م : « خير من الرحمة » . والمراد خير أنواع الرحمة ، كما قيل : « خير البر عاجله » .

(٣) به ، ساقطه من م . وبدلها في ط : « فيه » .

(٤) في جميع الأصول : « ويوازينا » .

(٥) ب فقط : « وموضع الطّاعة من طبقات السُّخْطِ » . والتكلمة من م ، ط .

(٦) ب : « إذا » ، تحريف .

(٧) هذا اصواب من ب . وفي م ، ط : « أو كان » .

ولكنّا نجده في السّفلة ، كما نجده^(١) في العلية . ونجده في القبيح
كما نجده في الحسن ، وفي الذّميم^(٢) كما نجده في الجميل . وفي الدنيّ
الناقص ، كما نجده في الوفيّ الكامل ، وفي الجبان كما نجده في
الشجاع ، وفي الكذّوب كما نجده في الصّدوق ، وفي العبد كما نجده
في الحرّ . وفي الذمّيّ ذى الجزية والصّغار والذّلة ، كما نجده في
قابض جزيته والمسلّط على إذلاله .

ولو كان في الكبر خيرٌ لما كان في دهر الجاهلية أظهرَ منه في دهر
الإسلام ، ولما كان في العبد أفشى منه في الحرّ^(٣) ، ولما كان في السّند
أعمّ منه في الروم والفرس .

وليس الذى كان فيه آل ساسان^(٤) وأنو شروان وجميع ولد أزدشير
ابن بابك كان^(٥) من الكبر في شيء . تلك سياسة للعوام ، وتفخيم لأمر
السلطان ، وتسديد للملك .

ولم يكن^(٦) في الخلفاء أشدّ نخوة من الوليد بن عبد الملك . وكان
أجهلهم وألحنهم^(٧) . وما كان في ولاة العراق أعظم كبراً من يوسف
ابن عمر ، وما كان^(٨) أشجعهم ولا أبصرهم ، ولا أتمهم قواماً ،
ولا أحسنهم كلاماً .

(١) ب : « كما أن نجده » .

(٢) الذميم ، من الدمامة ، وهى القبح والقصر . وفي جميع الأصول : « الذميم » بالذال
المعجمة ، تحريف .

(٣) ب ، م : « المدر » ، صوابه في ط .

(٤) في الأصول : « كان فيه آل ساسان » . و « عن » مقحمة .

(٥) سقطت « كان » هذه من ط فقط .

(٦) ب ، م : « ولو لم يكن » و « لو » مقحمة ليست في ط .

(٧) ب فقط : « وكان أجهلهم » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « ولا كن » ، والوجه ما أثبت من .

ولم يدع الرُبُوبِيَّةَ ملكاً قَطُّ^(١) إِلَّا فِرْعَوْنُ . ولم يك مقدماً في مُرْكَبِهِ^(٢) ، ولا في شَرَفِ حَسَبِهِ . ولا في نُبُلِ مَنْظَرِهِ . وَكَمَالِ خَلْقِهِ ، ولا في سَعَةِ سُلْطَانِهِ وشرف رِعْيَتِهِ وكرم ناحيته . ولا كان فوق المُلُوكِ الأعَاضِمِ والجلَّةِ الأكابرِ ، بل دون كثيرٍ منهم في الحَسَبِ وشرفِ المُلْكِ^(٣) وكرم الرعيَّةِ . وَمَنَعَةَ السُّلْطَانِ ، والسَّطَوَةِ على المُلُوكِ .

ولو كان الكبيرُ فضيلةً وفي التَّيِّهِ^(٤) مروعةً ، لما رغب عنه بنو هاشمٍ . ولكان عبدُ المطلبِ أَوْلَى النَّاسِ منه بالغاية ، وأحقَّهم بأقصى النهاية .

ولو كان محمودَ العاجِلِ ومَرجو الآجِلِ^(٥) ، وكان من أسباب السَّيَادَةِ أو من حُقوقِ الرِّيَاسَةِ ، لبَادَرَ إِلَيْهِ سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ ، وهو الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ؛ ولشَحَّ عَلَيْهِ سَيِّدُ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ^(٦) وهو ملكٌ ؛ ولاستولى عليه سَيِّدُ الْأَزْدِ وهو المهلب .

ولقد ذكر أبو عمرو بنُ العلاءُ جميعَ عُيوبِ السَّادَةِ ، وما كان فيهم من الخِلَالِ المذمومة . حيث قال : « ما رأينا شيئاً يمنع من السُّودُدِ إِلَّا وقد وجدناه في سَيِّدٍ : وجدنا البخل يمنع^(٧) من السُّودُدِ . وكان

(١) ب ، م : « ولا يدع » ب : « ملكاً » ، والصواب في الأولى من ط ، وفي الثانية من م ، ط .

(٢) في اللسان : « والمركب أيضاً : الأصل والمنبت ، تقول فلان كريم المركب ، أى كريم أصل منصبه في قومه » . ب ، ط : « موكبه » وفي م : « موكبه » بالواو أيضاً مع ضبطه بضم الميم وفتح الواو وتشديد الكاف المفتوحة ، وصوابها بالراء كما أثبت . وانظر ٢٠٣

(٣) م : « بل دون كثيرٍ منهم وشرف الملك » بهذا النقص الذي أكملته من ب ، ط .

(٤) في ، ساقطة من ب ، م .

(٥) ب ، م : « أو مرجو الآجل » .

(٦) هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب ابن علي بن بكر بن وائل ، الذي يضرب به المثل فيقال : « أعز من كليب وائل » ، قتله جساس ابن مرة الشيباني ، فكان ذلك سبب الحرب بين بكر وتعبس أربعين عاماً .

(٧) كلمة « يمنع » ساقطة من ب .

أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِخِيَلًا . وَالْعِهَارُ ^(١) يَمْنَعُ مِنَ السُّودِّ . وَكَانَ عَامِرُ بْنُ
الطَّفِيلِ سَيِّدًا . وَكَانَ عَاهِرًا . وَالظُّلَمُ يَمْنَعُ مِنَ السُّودِّ . وَكَانَ حُذَيْفَةُ
ابْنُ بَدْرِ ظَلُومًا ، وَكَانَ سَيِّدُ غُطْفَانَ . وَالْحُمُقُ يَمْنَعُ مِنَ السُّودِّ . وَكَانَ
عُتَيْبَةُ بْنُ حِصْنٍ مُحَقَّقًا ^(٢) . وَكَانَ سَيِّدًا . وَالْإِمْلَاقُ يَمْنَعُ مِنَ السُّودِّ ،
وَكَانَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ^(٣) مُمْلِقًا . وَقَلَّةُ الْعَدَدِ تَمْنَعُ مِنَ السُّودِّ وَكَانَ
شِبْلُ بْنُ مَعْبُدٍ سَيِّدًا . وَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَشِيرَتِهِ بِالْبَصْرَةِ رَجُلَانِ . وَالْحَدَاثَةُ
تَمْنَعُ مِنَ السُّودِّ ، وَسَادَ أَبُو جَهْلٍ وَمَا طَرَّ شَارِبُهُ ^(٤) . وَدَخَلَ دَارَ النَّدْوَةِ
وَمَا اسْتَوَتْ لِحِيَّتَهُ ^(٥) .

فَذَكَرَ الظُّلَمَ ، وَالْحُمُقَ ، وَالْبُخْلَ ، وَالْفَقْرَ ، وَالْعِهَارَ ، وَذَكَرَ الْعُيُوبَ
وَلَمْ يَذْكُرِ الْكِبَرَ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ وَإِنْ كَانَتْ دَاءً فَإِنَّ فِي فَضُولِ
أَحْلَامِهِمْ وَفِي سَائِرِ أُمُورِهِمْ مَا يُدَاوِي بِهِ ذَلِكَ الدَّاءُ . وَيُعَالِجُ بِهِ ذَلِكَ
السَّقَمَ ؛ وَلَيْسَ الدَّاءُ الْمُتَمَكِّنُ كَالدَّاءِ الْمُعْضِلِ ، وَلَيْسَ الْبَابُ الْمُغْلَقُ
كَالْمُسْتَبْهِمِ ؛ وَالْأَخْلَاقُ الَّتِي لَا يُمْكِنُ مَعَهَا السُّودُّ ^(٦) ، مِثْلُ الْكِبَرِ وَالْكَذِبِ
وَالسُّخْفِ ، وَمِثْلُ الْجَهْلِ بِالسِّيَاسَةِ .

(١) العهار والمعاهرة : الفجور . وأصل المعاهرة الإتيان ليلا للفجور . ثم غلب على
الزنى مطلقاً .

(٢) عتيبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفراري . وكان اسمه حذيفة فلقلب عتيبة ، لأنه
كان قد أصابته شجة فحفظت عيناه . شهد حنيناً والطائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة
٦١٤٦ . ب ، م : « عتيبة بن حصن » ، صوابه في ط .

(٣) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . قتل يوم بدر كفراً ، هو وأخوه شيبة
ابن ربيعة ، وهو والد هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان . جهرة أنساب العرب ٧٦ ٧٧
والسيرة ٥٠٧ جوتنجن . وفي ب : « عتيبة » ، صوابه في م ، ط .

(٤) يقال طرشاربه : طلع ونبت . ويقال أيضاً طر ، بالبناء المجهول ، قال الأزهري :
والأول أفصح . ب : « ساربه » ، صوابه في م ، ط .

(٥) في جميع الأصول : « واستوت لحيته » ، وأوجه ما أثبت .

(٦) ب : « التي لم يكن معها السودد » ، صوابه في م ، ط .

وخرجت خارجةً بخُرَّاسَانَ فقيلاً لقتيبة بن مُسلم : لو وجَّهت إليهم
وكيع بن أبي سُودٍ لكفاهم^(١) فقال : وكيعٌ رجلٌ عظيمُ الكبر ، في أنفه
خُنْزُوانة ، وفي رأسه نُعْرة ، وإنَّما أنفه في أسلوب^(٢) ؛ ومن عَظُمَ كبرُهُ
اشتدَّ عُجْبُهُ^(٣) ، ومن أعجِبَ برأيه لم يشاور كَفِيًّا ، ولم يُؤامر نصيحاً ،
ومن تبجَّح^(٤) بالانفراد وفَخَّرَ بالاستبداد كان من الظَّفر بعيداً ، ومن
الخِلْلان قريباً ، والخطاء^(٥) مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة .
وإن كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا نصيب .

ومن تكبر على عدوِّه حقَّره ، وإذا حقَّره تهاوَّنَ بأمِّره . ومن تهاوَّنَ
بخصمه ووثق بفضل قوته قلَّ احتراسه ، ومن قلَّ احتراسه كثر عِثارُهُ .

وما رأيتُ عظيمَ الكبر صاحبَ حربٍ إلَّا كان منكوباً ومهزوماً
ومخدوعاً . ولا يشعر^(٦) حتَّى يكون عدوُّه عنده ، ونخصمه فيما يغلب
عليه أسمعُ من فرس ، وأبصرُ من عقاب ، وأهدى من قطاة ، وأحذرُ
من عَقَق^(٧) ، وأشدُّ إقداماً من الأسد ، وأوثبُ من فهد ، وأحقْدُ من

(١) ب ، م : « كفاهم » .

(٢) يقال إن أنفه في أسلوب ، إذا كان متكبراً . وأصل الأسلوب : الطريق . قال :
أنوفهم بالفخر في أسلوب وشعر الأستاه بالجبوب
وفي ط : « وإنما أنف في أسلوب » ، تحريف .

(٣) ب : « شيد عجه » ، والصواب في م ، ط .

(٤) ب ، م : « تنجح » ، صوابه في ط . والتنجح : الفخر .

(٥) الخطاء . الخطأ ، وتكثر في لغة الجاحظ . م ، ط « والخطأ » .

(٦) يشعر موضعها بياض في ب ، م . وكلمة « ولا » ساقطة من ب فقط .

(٧) انظر الحيوان ١ / ٢٢٠ - ٢ / ١٧٤ - ٣ / ١٨ : ٥ / ٥٣٥ . والعقق بفتح
العينين ، وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ، على قدر الحمامة وشكله الغراب .
وانظر معجم العلوف ١٥٥ ، ١٨٨ .

جَمَلٌ ، وَأَرْوُغٌ مِنْ ثَعْلَبٍ . وَأَعْدَرٌ مِنْ ذَنْبٍ ^(١) ، وَأَسْخَى مِنْ لَافِظَةٍ ^(٢) ،
وَأَشَحُّ مِنْ صَبِيٍّ ، وَأَجْمَعٌ مِنْ ذَرَّةٍ . وَأَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ ^(٣) ، وَأَصْبَرُ مِنْ
ضَبٍّ . فَإِنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَسْمَحُ ^(٤) بِالْعِنَايَةِ عَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ ، وَتَتَحَفَّظُ ^(٥)
عَلَى قَدَرِ الْخَوْفِ ، وَتَطْلُبُ عَلَى قَدَرِ الطَّمَعِ ، وَتَطْمَعُ عَلَى قَدَرِ السَّبَبِ .

٨ - فصل منه

وأقول بعد هذا كله : إِنَّ النَّاسَ قَدْ ظَلَمُوا أَهْلَ الْحِلْمِ وَالْعَزْمِ .
حِينَ زَعَمُوا أَنَّ الَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيْهِمُ الاحْتِمَالَ معرفةَ الناسِ بِقُدْرَتِهِمْ عَلَى
الانتقامِ . فكيفَ والمذكورُ بالحِلْمِ والمَشْهُورُ بالاحتمالِ يقيضُ له من
السُّفْهَاءِ ، وَيُوَثِّقُ له من أَهْلِ الْبَدَاءِ مَا لَا يَقُومُ له صَبْرٌ . وَلَا يَنْهَضُ به
عَزْمٌ . بَلْ عَلَى قَدَرِ حِلْمِهِ يُتَعَرَّضُ له ^(٦) . وَعَلَى قَدَرِ عَزْمِهِ يُمْتَحَنُ صَبْرُهُ ^(٧)
وَلِأَنَّ الَّذِي سَهَّلَ عَلَيْهِ الْحِلْمَ ^(٨) . وَمَكَّنَهُ مِنَ الْعَزْمِ ، معرفةُ الناسِ
بِقُدْرَتِهِ عَلَى الانتقامِ ، واقتداره ^(٩) عَلَى شَفَاءِ الْغَيْظِ ؛ فَإِنَّ مَنْعَهُ لِنَفْسِهِ .
وَمَجَادِبَتَهُ لَطَبْعِهِ مَعَ الْغَيْظِ الشَّدِيدِ ، وَالْقُدْرَةِ الظَّاهِرَةِ ، أَشَدُّ عَلَيْهِ فِي الْمَزَالَةِ

(١) ب : « وأعدر » صوابه في م ، ط .

(٢) اللافة : الديك ، لأنه يعض على الحبة بطرفي منقاره ثم يحذف بها قدام الدجاجة ،
والثاء فيه للمبالغة كراوية . وانظر الحيوان ٢ : ١٤٨ حيث أ جرى فيه بحثاً . ط : « لاقطة » ؛
بالقاف ، تحريف . وفي م : « الألفة » ، صوابها في ب .

(٣) في جميع الأصول : « أحرص » بالسين ، وإنما هي بالصاد ، كما في الحيوان
١ : ٢٢٦ - ٢٢٧ . وفيه بحث .

(٤) ب ، م : « تسمع » ، صوابه في ط .

(٥) ب : « ويتحفظ » تحريف . ورسمت في م بناء ويا في أولها ، لتقرأ بالوجهين ،
والصواب في ط .

(٦) ب ، م : « بل على قدر حلمهم يتعرض لهم » ، صوابه في ط .

(٧) ب ، م : « وعلى قدر عزمهم يمتحن صبرهم » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « عليهم الحلم » ، صوابه في ط .

(٩) ب : « واقتداه » صوابه في م ، ط .

وَأَبْلَغُ فِي الْمَشَقَّةِ وَالْمَكَايِدَةِ^(١) ، مِنْ صَبْرِ الشُّكْلِ عَلَى أَذَى شِكْلِهِ ، وَاحْتِمَالِ
الْمَظْلُومِ عَنْ مِثْلِهِ . وَإِنْ خَافَ الطَّمَسَ ، وَتَوَقَّعَ الْعَيْبَ .

٩ - فصل منه

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا ، فَمِنْ شَأْنِ الْأَيَّامِ أَنْ يُظْلَمَ الْمَرْءُ أَكْثَرَ مُحَاسِنِهِ مَا كَانَ
تَابِعاً . فَإِذَا عَادَ مَتَّبِعُ عَادَتِ عَلَيْهِ مِنْ مُحَاسِنِ غَيْرِهِ بِأَضْعَافٍ مَا مَنَعَتْهُ
مِنْ مُحَاسِنِ نَفْسِهِ ، حَتَّى يُضَافَ إِلَيْهِ مِنْ شَوَارِدِ الْأَفْعَالِ^(٢) ، وَمِنْ شَوَادِّ
الْمَكَارِمِ إِنْ كَانَ سَيِّدًا ، وَمِنْ غَرِيبِ الْأَمْثَالِ إِنْ كَانَ مِنْطِيقًا^(٣) ، وَمِنْ
خِيَارِ الْقِصَائِدِ إِنْ كَانَ شَاعِرًا ، مِمَّا لَا أَمَارَاتٍ لَهَا ، وَلَا سِمَاتٍ عَلَيْهَا .
فَكَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءٍ وَصَنِيعَةٍ غَرَاءٍ^(٤) ، ضَلَّتْ فَلَمْ يَقُمْ بِهَا نَاشِدٌ ، وَخَفِيَتْ
فَلَمْ يُظْهَرْهَا شَاكِرٌ . وَالَّذِي ضَاعَ لِلتَّابِعِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا^(٥) ، أَكْثَرَ
مِمَّا حُفِظَ . وَالَّذِي نُسِيَ^(٦) أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ ، وَمَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ بَقِيَّتُهُ^(٧)
تَهَبُّ السِّيَادَةَ ، وَمَشْكُورُهُ يَهَبُ الرِّيَاسَةَ^(٨) ، عَلَى قِلَّةِ الشُّكْرِ ، وَكَثْرَةِ
الْكَفْرِ .

وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ تَامًا النَّفْسَ نَاقِصَ الْأَدَاةِ ، فَلَا يُسْتَبَانُ فَضْلُهُ ،
وَلَا يُعْظَمُ قَدْرُهُ ، كَالْمُفْرَجِ الَّذِي لَا عَشِيرَةَ لَهُ^(٩) ، وَالْإِنَاوَى الَّذِي

(١) المكايدة : المقاساة والمعاناة . ب ، م : « المكايدة » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « حتى تضاف » . م ، ط : « ومن شوارِد الأفعال » .

(٣) ب : « منطبقاً » م : « منطبقاً » ، صوابه في ط .

(٤) ب : « وصنيعه غراء » ، تحريف .

(٥) ب : « مترعاً » م : « مترعاً » ، صوابهما في ط .

(٦) ط فقط : « كتم » .

(٧) ب ، م : « يقنيه » ، صوابه ما أثبت . وفي ط : « مذكورة » .

(٨) م : « ومشكورة تهب الرياسة » .

(٩) المفرج : الذي لا مال له ولا عشيرة ، فإذا جنى جنائيه كانت جنائيه على بيت المال .

لَا قَوْمَ لَهُ ^(١) . وَقَدْ يَعْظُمُ الْمُفْرَجُ الدِّيَّ لَا وِلَاءَ لَهُ وَلَا عَقْدُ جَوَارٍ ، وَلَا عَهْدُ حِلْفٍ ، إِذَا بَرَعَ فِي الْفِقْهِ وَبَلَغَ فِي الزُّهْدِ . بِأَكْثَرٍ مِنْ تَعْظِيمِ السَّيِّدِ . كَجَهَةِ تَعْظِيمِ الدِّيَّانِ . كَمَا أَنَّ طَاعَةَ السُّلْطَانِ غَيْرُ طَاعَةِ السَّادَةِ ، وَالسُّلْطَانُ إِنَّمَا يَمْلِكُ أَبْدَانَ النَّاسِ . وَلَهُمُ الْخِيَارُ فِي عَقُولِهِمْ ، وَكَذَلِكَ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدُ . وَطَاعَةُ النَّاسِ لِلْسَّيِّدِ ، وَطَاعَةُ الدِّيَّانِ طَاعَةً مُحَبَّةً وَدِينُونَةً ، وَالْقُلُوبُ أَطْوَعُ لَهَا مِنَ الْأَبْدَانِ ، إِلَّا أَنَّ يَكُونُ السُّلْطَانُ مَرْضِيًّا ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنَ السَّيِّدِ ، وَأَوْجَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الدِّيَّانِ .

وَرَبِّمَا سَادَ الْأَتَاوَى لِأَنَّهُ عَرَبِيٌّ ^(٢) عَلَى حَالٍ . وَالْمُفْرَجُ لَا يَسْوَدُ أَبَدًا لِأَنَّهُ عَجَمِيٌّ لَا حِلْفَ لَهُ ، وَلَا عَقْدُ جَوَارٍ ، وَلَا وِلَاءٌ مَعْرُوفٌ . وَلَا نَسَبٌ ثَابِتٌ . وَلَيْسَ التَّسْوِيدُ إِلَّا فِي الْعَرَبِ ، وَالْعَجَمُ لَا تُطِيعُ إِلَّا لِلْمُلُوكِ .

وَالَّذِي أَحْوَجَ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى تَسْوِيدِ الرِّجَالِ وَطَاعَةِ الْأَكْبَابِ . بَعْدَ دُورِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ ^(٣) وَالْقُضَاةِ . وَأَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ^(٤) ، وَالْمَسَالِحِ وَالْعُمَالِ . فَكَانَ السَّيِّدُ . فِي مَنْعِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ وَمَنْعِ غَيْرِهِمْ مِنْهُمْ ، وَوُثُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، فِي كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِي السُّلْطَانِ .

(١) الْأَتَاوَى : الْغَرِيبُ الَّذِي هُوَ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ . وَهُوَ بِتَثْلِيثِ الْهَمْزَةِ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « عَرَبِيٌّ » ، وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٣) ب : « وَالْأَحْكَامُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط .

(٤) هُمُ الرُّؤَسَاءُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانُوا إِذَا غَزَوْا وَغَنِمُوا أَخَذَ الرَّئِيسُ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ ، فَيَقَالُ عِنْدَ ذَلِكَ : قَدَرُ بَعْضِهِمْ ، وَمَا يَأْخُذُهُ هُوَ الْمَرْبَاعُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْضَبِّيُّ (الْأَصْمَعِيَّاتُ ٣٧) :
لَكَ الْمَرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكُّكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفَضُولُ

٢١

من رسالة في

المودة والمخالطة، إلى أئمة الفرج

١ - فصل

من رسالته إلى أبي الفرج الكاتب في المودة والخلطة^(١)

أطال الله بقاءك ، وأعزك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك .

زعم - أبقاك الله - كثير ممن يقرض الشعر ويروي معانيه ،
ويتكلف الأدب ويحبب^(٢) ، أنه قد يمدح المرجو المأمول ، والمغشى
المزور^(٣) ، بأن يكون مخدوعاً ، وعي الطرف مغفلاً^(٤) ، وسليم الصدر
لرغابين ، وحسن الظن بالطالبيين^(٥) ، قليل الفطنة لأبواب الاعتذار ،
عاجزاً عن التخلص إلى معاني الاعتلال^(٦) ، قليل الحذر برد الشفعا ،

(١) هذه الرسالة غير رسالته إليه التي كتب بها إليه يذكر فيها من كانت كنيته « أبا عثمان »
مطابقة لكنية الجاحظ . وسبق نشرها في الجزء الأول من الرسائل ٣٢١ - ٣٣٢ . وأبو الفرج هذا
هو محمد بن نجاح بن سلمة ، كما في جمع الجواهر للخصري ١٢١ . وأبوه نجاح بن سلمة كان على
ديوان التوقيع في خلافة المتوكل ، وقتله سنة ٢٤٥ ووجه إلى ابنه : أبي الفرج هذا وأبي محمد ،
فأخذ أبو الفرج ، وهرب أبو محمد ، كما ذكر الطبري في حوادث تلك السنة .
وقد نشرها السندوني في رسائل الجاحظ ٣٠٣ - ٣١٠ كما سبق نشرها في هامش الكامل .
والمقابلة هنا على النسخ الثلاثة ب ، م ، ط .

(٢) يحبب : يختاره ويصطفيه . ب ، م : « ويكلف الأدب » ، صوابه في ط .

(٣) ط : « المرجو المأمول والمفتي المزور » . صوابه في ب ، م .

(٤) العمى ، على وزن حدر وفرح : الأعمى . يقال رجل عم وامرأة عمية . وفي قول زهير :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله
واكنى عن علم ما في غد - - -

(٥) ب ، م : « بالظالمين » ، صوابه ما أثبت .

(٦) الاعتلال : بيان العلة . وفي الأصول : « الاعتدال » ولا رجه له .

شديدَ الخوف من مَيَّاسم الشعراء^(١) . حَصِرُ^(٢) عند الاحتجاج للمنع .
سلسَ القياد إذا نَبِهته للبدل^(٣) . واحتجُّوا بقول الشاعر :

إيتِ الخليفةَ فاخذعهُ بمسألةٍ إنَّ الخليفةَ للسؤالِ ينخدعُ .

فانتحالُ المأمولِ للعَفْلةِ التي تَعْتَرِي الكرامَ ، وانخداع^(٤) الجوادِ
لُخدَعِ الطالبينَ ومَخَارِقِ المُستَمِيعِينَ^(٥) ، بابٌ من التكرُّمِ . ومن
استدعاءِ الرَّاغِبِ ، والتعرضِ للمجتدِ . والتلطفِ لاستخراجِ الأموالِ ،
والاحتتيالِ لحلِّ عُقَدِ الأشْخَاءِ ، وتهيجِ طبائعِ الكرامِ .

وَأَنَا أَزْعُمُ - أَبْقَاكَ اللهُ - أَنَّ إقرارَ المسئولِ بما يَنْحَلُّ من ذلكِ نوكٌ^(٦) ،
وإضماره لُومٌ . حَتَّى تصحَّ القسمة^(٧) . ويعتدلُ الوزنُ .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَذْكِيرٍ يُنَاسِبُ^(٨) الاقتضاءَ ، ومن اقتضاءِ

(١) في جميع الأصول: « مياسم » ، صوابه ما أثبت . والمياسم : جمع ميسم . وهو المكواة
أو الأداة التي تؤسم بها الدواب ، ويقال في جمعها أيضاً مواسم . والمراد بالمياسم هنا
آثار الهجاء اللاذع . قال المتلمس :

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى جعلت لهم فوق العرائن ميسما

يقول : أهجوم هجاء يلزمهم لزوم الميسم في الأنف .

(٢) الحصر : ضرب من العي في المنطق . حصر حصراً مثل تعب تعباً . ب : « حضرا »

م : « حضوا » ط : « حصور » ، صوابه ما أثبت .

(٣) ب ، ط : « إذا انبهته نهته للبدل » بالتكرار . صوابه في م .

(٤) ب ، م : « والخداع » ط : « وخذاع » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) المراد بالمخاريق هنا الادعاءات الكاذبة . وقال التبريزي في شرح المعلقات : « قيل

المخاريق ما مثل بالشئ وليس به ، نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر حواشي الحيوان

٤ : ٣٧٨ .

(٦) النوك ، بضم النون وفتحها : الحق . والنحله ، بالكسر : العطية . ط : « بنجل » ،

تحريف .

(٧) ط : « القيمة » .

(٨) ب ، م : « تذكر تناسب » ط : « تذكر يناسب » ، ووجهها ما أثبت .

يُضَارِعُ الإِلْحَاحَ . وَمِنْ حِرْصٍ يَعُودُ إِلَى الْحِرْمَانِ . وَمِنْ رِسَالَةٍ ظَاهِرَهَا زُهْدٌ ، وَبَاطِنُهَا رَغْبَةٌ . فَإِنَّ أَسْقَطَ الْكَلَامِ وَأَوْغَدَهُ ^(١) ، وَأَبْعَدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَأَنْكَدَهُ . مَا أَظْهَرَ النَّزَاهَةَ وَأَضْمَرَ الْحِرْصَ . وَتَجَلَّى لِلْعُيُونِ بَعَيْنِ الْقَنَاعَةِ ، وَاسْتَشْعَرَ ^(٢) ذُلَّ الْاِفْتِقَارِ .

وَأَشْنَعُ مِنْ ذَلِكَ . وَأَقْبَحُ مِنْهُ وَأَفْحَشُ . أَنَّ يَظُنُّ صَاحِبَهُ أَنَّ مَعْنَاهُ خَفِيَُّ وَهُوَ ظَاهِرٌ . وَتَأْوِيلُهُ بَعِيدُ الْغُورِ وَهُوَ قَرِيبُ الْقَمَرِ ^(٣) .

فَنَسَّأَلُ اللَّهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ فَإِنَّهَا أَصْلُ النُّعْمَةِ عَلَيْكُمْ ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى اتِّصَالِ نِعْمَتِنَا بِنِعْمَتِكُمْ ، وَمَا أَلْهَمَنَا اللَّهُ مِنْ وَصَفٍ مُحَاسِنِكُمْ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مُسْتَفْتَحَ كِتَابِهِ . وَآخِرَ دَعْوَى أَهْلِ جَنَّتِهِ .

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا اجْتَهِدَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَاسْتَفْرَغَ مَجْهُودَهُ فِي طَاعَةِ سَيِّدِهِ ، لِيَهَبَ لَهُ الْإِخْلَاصَ فِي الدُّعَاءِ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ؛ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، لَكَانَ حَرِيًّا بِذَلِكَ أَنْ يُدْرِكَ أَقْصَى غَايَةِ الْكَرَمِ فِي الْعَاجِلِ ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْكِرَامَةِ فِي الْآجِلِ .

وَعَلَى أَنِّي لَا أَعْرِفُ مَعْنَى أَجْمَعَ لَخِصَالِ الشُّكْرِ ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى جِمَاعِ الْفَضْلِ . مِنْ سَخَاوَةِ النَّفْسِ بِإِدَاءِ الْوَاجِبِ ^(٤) .

(١) أَوْغَدَهُ ، مِنَ الْوُغَادَةِ ، وَهِيَ الذَّلَّةُ وَالضَّعْفُ وَاللُّؤْمُ . ب ، م : « أَوْغَدَهُ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَاسْتَبَشَعَ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْنَتْ . وَالشُّعَارُ : مَا وَلَّى جِسْدَ الْمَرْءِ مِنَ الثِّيَابِ .

(٣) ب ، م : « الْمَقَر » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٤) السَّخَاوَةُ : السَّخَاءُ ، وَمِثْلُهُمَا السَّحْوُ وَاسْحَادُ بَضْمَتَيْنِ فِيمَا مَعَ تَشْدِيدِ الْوَاوِ ، وَكَذَلِكَ السَّخَا بِالْقَصْرِ .

ونحن وإن لم نكن أعطينا الإخلاص^(١) جميع حقّه . فإنّ المرء مع من أحبّ . وله ما احتسب .

ولا أعلم شيئاً أزيّد في السيئة من استصغارها . ولا أحبّط للحسنة من العُجب بها^(٢) .

ومما يستديم الخطأ لبثُ التقصير^(٣) وإهمال النفس ، وتركُ التوقُّف ، وقلةُ المحاسبة ، وبُعْدُ العهد بالثبُت . ومهما رجعنا إليه من ضعف في عزم ، وهان علينا ما نفقِد من مناقل الجِلْم^(٤) . فإنّا لا نجمع بين التقصير والإنكار^(٥) .

ونعوذُ بالله أن نقصُر في ثناء على مُحسن ، أو دعاءٍ لمُنعم . ولئن اعتذرنا لأنفسنا بصدق المودة^(٦) - وبجميل الذِّكر - فلَمَّا يُعَدُّ لكم^(٧) ، مِن تحقُّق الآمال . والنُّهوضِ بالأنقالِ أكثر .

على أنكم لم تُحمِلونا إلّا الخِفّ ، وقد حمَلناكم الثُّقل . ولم تسألونا الجزاء على إحسانكم . وقد سألناكم الجزاء على ما سألناكم . ولم تكلفونا ما يَجِبُ لكم ، وكلفناكم مالا يجب .

ومن إفراطِ الجهل أن نتذكَّر حقَّنًا في حُسْنِ الظَّنِّ ، ولا نتذكَّر

(١) في الأصول : « الخلاص » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب ، م : « لحسنة » وأثبت ما في ط . وفي ب : « من العجب لها » ، تحريف .

(٣) لبث ، ساقطة من ط . وفي ب : « ومما يستمد » ، صوابه في م ، ط .

(٤) المناقل - المراحل ، والطرق المختصرة .

(٥) ب فقط . « والانتكال » .

(٦) ب فقط : « لنفسنا » ، وفي ب ، م : « بمودة الصدق » .

(٧) ط . « فما يعد لكم » .

حقَّكم في تصديق ذلك الظَّنَّ^(١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَظُمَتْ عَلَيْهِ مُؤْنَةُ النَّاسِ »^(٢) .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْزَمَكُمْ الْمُؤْنَ الثَّقَالَ . وَوَصَلَ بِكُمْ آمَالَ الرُّجَالِ .
وَامْتَحَنَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى تَجَرُّعِ المُرَارِ ، وَكَلَّفَكُمْ مُفَارَقَةَ المَحْبُوبِ مِنَ
الْأَمْوَالِ ، أَنْ يُسَهِّلَهَا عَلَيْكُمْ . وَيُحَبِّبَهَا إِلَيْكُمْ . حَتَّى يَكُونَ شَعْفُكُمْ بِالْإِحْسَانِ
الدَّاعِي إِلَيْهِ ، وَصَبَابَتِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ الحَامِلِ عَلَيْهِ . وَحَتَّى يَكُونَ حُبُّ
التَّفَضُّلِ ، وَالْمَحَبَّةُ لاعتقاد المِنَّنِ الغَايَةِ الَّتِي تَسْتَدْعِي المَدْبِرَ ، وَالنِّهَايَةَ
الَّتِي تَعَذِّرُ المَقْصُرَ . وَحَتَّى تُكْرِهُوا عَلَى الْخَيْرِ مِنْ أَخْطَأَ حَظَّهُ^(٣) ،
وَتَفْتَحُوا بَابَ الطَّلَبِ لِمَنْ قَصَرَ بِهِ الْعَجْزُ .

ثُمَّ اعْلَمْ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - أَنَّ الَّذِي وُجِدَ فِي الْعَبْرَةِ . وَجَرَتْ عَلَيْهِ
التَّجَرُّبَةُ ، وَاتَّسَقَ بِهِ النِّظْمُ ، وَقَامَ عَلَيْهِ وَزُنُ الحُكْمِ ، وَاطَّارَدَ مِنْهُ النَّسَقُ ،
وَأَثْبَتَهُ الْفَحْصُ^(٤) ، وَشَهِدَتْ لَهُ الْعُقُولُ . أَنَّ مِنْ أَوَّلِ أَسْبَابِ الْخُلْطَةِ .
وَالدَّوَاعِي إِلَى الْمَحَبَّةِ ، مَا يُوجَدُ^(٥) عَلَى بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْقَبُولِ عِنْدَ
أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَقِلَّةِ انْقِبَاضِ النُّفُوسِ مَعَ أَوَّلِ لَحْظَةٍ^(٦) ، ثُمَّ اتَّفَاقِ الْأَسْبَابِ
الَّتِي تَقَعُ بِالمُوَافَقَةِ عِنْدَ أَوَّلِ المَجَالَسَةِ ، وَتَلَاقِي النُّفُوسِ بِالمَشَاكِلَةِ عِنْدَ
أَوَّلِ الْخُلْطَةِ .

وَالْأَدَبُ أَدْبَانِ : أَدَبُ خُلُقٍ . وَأَدَبُ رِوَايَةٍ ، وَلَا تَكْمُلُ أُمُورُ صَاحِبِ

(١) ط : « أَنْ تَتَذَكَّرَ حَقَّنًا فِي تَصْدِيقِ ذَلِكَ الظَّنِّ » ، وَأُثْبِتَ السَّقَطَ مِنْ ب ، م .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي قِصَاصِ الْخَوَائِجِ عَنْ عَائِشَةَ ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ عَنْ مَعَاذِ
الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ٧٩٤٢ . وَتَمَامُهُ : « فَنَ لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمُؤْنَةُ لِلنَّاسِ فَقَدْ عَرَضَ تِلْكَ النِّعْمَةُ لِلزَّوَالِ » .

(٣) ب فَقَطْ : « خَطُّهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٤) ب ، م : « وَثَبَتَهُ الْفَحْصُ » .

(٥) ط : « مَا يُوجَدُ » ، صَوَابُهُ فِي ب ، م . وَفِي م بَعْدَهُ : « عَلَى بَعْضِ » ، تَحْرِيفٌ .

(٦) ط : « الْخُلْطَةُ » .

الأدب إلا بهما . ولا يجتمع له أسباب التمام إلا من أجلهما . ولا يعدُّ في الرؤساء ، ولا يُثنى به الخنصر في الأدباء . حتى يكون عقله المتأمرَ عليهما ، والسائسَ لهما^(١) .

٢ - فصل منه

فإن تَمَّتْ بعد ذلك أسبابُ الملاقاةِ تمت المصافاةُ ، وحنَّ الإلفُ إلى سَكَنِهِ^(٢) . والشَّأنُ قبل ذلك لِمَا يَسْبِقُ إلى القلبِ^(٣) ، ويخفُّ على النَّفسِ ، ولذلك احترس الحازم المستعدى عليه^(٤) من السابق إلى قلب الحاكم عليه .

وكذلك^(٥) التمسوا الرفق والتوفيق ، والإيجازَ وحسن الاختصار ، وانخفاضَ الصوت ، وأن يُخرج الظالمُ كلامه مُخرَجَ لفظِ المظلوم .

نَعَمْ ، وحتى يترك اللحنَ بحجته بعدُ^(٦) . ويخلفَ الداهيةَ كثيراً من أدبه ، ويغضُّ من محاسن منطقهِ . التماساً لمواساةِ خصمه في ضعف الحيلة . والتشبه به في قلة الفطنة .

نَعَمْ . وحتى يكتبَ كتابَ سعاية ومحلٍ وإغراقٍ وتحدٍ^(٧) ، فيلحن في إعرابه . ويستخفُّ في ألفاظه^(٨) . ويتجنبُ القصد ، ويهرب من

(١) الواو ساقطة من ب . وفي ط : « والسائس له » تحريف .

(٢) ط : « وحسن » تحريف . وفي ب ، م : « وحن الأليف » .

(٣) في الأصول : « مما يسبق القلب » ، ووجه ما أثبت .

(٤) ب : « الجازم المستدعى عليه » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ط : « ولذلك » .

(٦) سقطت كلمة « نعم » والواو بعدها من ط .

(٧) الكلمة ساقطة من ط . وهي في ب : « سجد » وفي م : « سجد » بدون واو قبلها ،

ولعل الوجه ما أثبت

(٨) ب فقط : « ويستخف في ألفاظه » .

اللَّفْظُ الْمُعْجَبُ لِيُخْفِيَ مَكَانَ حِذْقِهِ ^(١) ، وَيَسْتَرَّ مَوْضِعَ رِفْقِهِ ، حَتَّى لَا يَحْتَرَسَ مِنْهُ الْخُصَمُ . وَلَا يَتَحَفَّظُ مِنْهُ صَاحِبُ الْحَكْمِ ، بَعْدَ أَنْ لَا يَضُرُّ بِعَيْنِ مَعْنَاهُ . وَلَا يَقْصُرُ فِي الْإِفْصَاحِ عَنْ تَفْسِيرِ مَغْزَاهُ ^(٢) ، وَهَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ الْعِيَّ ^(٣) فِيهِ أُبَيِّنَ . وَذُو الْغَبَاوَةِ أَفْطَنَ . وَالرَّدِيُّ أَجَوَدُ . وَالْأَنْوَكُ أَحْزَمُ . وَالْمُضَيِّعُ أَحْكَمُ ؛ إِذْ كَانَ غَرَضُهُ الَّذِي إِيَّاهُ يَرْمِي ، وَغَايَتُهُ الَّتِي إِلَيْهَا يُجْرِي ، الْإِنْتِفَاعَ بِالْمَعْنَى الْمُتَخَيَّرِ ^(٤) دُونَ الْمُبَاهَاةِ بِاللَّفْظِ . وَإِنَّمَا كَانَ غَايَتُهُ إِيصَالَ الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ دُونَ نَصِيبِ السَّمْعِ مِنَ اللَّفْظِ الْمُؤَنِقِ ، وَالْمَعْنَى الْمُتَخَيَّرِ ؛ بَلْ رَبَّمَا لَمْ يَرْضَ بِاللَّفْظِ السَّلِيمِ حَتَّى يُسْقِمَهُ لِيَقَعَ الْعَجْزُ مَوْقِعَ الْقُوَّةِ ، وَيُعَرِّضَ الْعِيَّ ^(٥) فِي مَحَلِّ الْبَلَاغَةِ . إِذَا كَانَ حَقٌّ ذَلِكَ الْمَكَانَ اللَّفْظَ الدُّونَ ^(٦) ، وَالْمَعْنَى الْغُفْلَ .

هَذَا إِذَا كَانَ صَاحِبُ الْقِصَّةِ وَمُؤَلِّفُ لَفْظِ الْمَحَلِّ وَالسَّعَايَةِ ، مِمَّنْ يَتَصَرَّفُ قَلَمُهُ ، وَيَعْلَلُ لِسَانَهُ . وَيَلْتَزِقُ ^(٧) فِي مَذَاهِبِهِ . وَيَكُونُ فِي سَعَةِ وَجِلٍّ لَأَنَّهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ ^(٨) إِلَى طَبَقَةِ الذَّلِّ وَهُوَ عَزِيزٌ ، وَمَحَلٌّ الْعِيَّ وَهُوَ بَلِيجٌ ، وَيَتَحَوَّلُ فِي هَيْئَةِ الْمَظْلُومِ وَهُوَ ظَالِمٌ ، وَيُمْكِنُهُ تَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ . وَسَتَرَ الْعُيُوبِ بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا شَاءَ طَفَا ، وَإِذَا شَاءَ رَسَبَ ، وَإِذَا شَاءَ أَخْرَجَهُ غُفْلًا صَحِيحًا ^(٩) .

(١) ط : « حذقه » ، تحريف

(٢) المغري : القصد . وفي ب ، م . « معواه » ، تحريف .

(٣) العي : العيب ، والعِي أكثر استعمالاً ، وهو العاهر عن البيان . ب ، م : « الفى » صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « المتخير » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « الحى » ، صوابه في ط .

(٦) ط : « المدون » .

(٧) لعلها « ويتصرف »

(٨) في جميع الأصول : « ويكون في وسعه وصل » . والوجه ما أثبت ، وفي ب فقط

« يحيط نفسه » ، تحريف .

(٩) غفلا ، أى مجرداً من الزخرف . وفي جميع الأصول : « عقلا » ، ولا وجه له .

وما أَكْثَرَ من لا يُحْسِنُ إِلَّا الْجَيِّدَ^(١) ، فَإِنْ طَلَبَ الرَّدَى جَاوَزَهُ^(٢) .
 كما أَنَّهُ مَا أَكْثَرَ من لا يَسْتَطِيعُ إِلَّا الرَّدَى . فَإِنْ طَلَبَ الْجَيِّدَ قَصَرَ عَنْهُ .
 وليس كُلُّ بَلِيغٍ يَكُونُ بِذَلِكَ الطَّبَاعُ^(٣) . وَمُيَسَّرَ الْأَدَاةِ . وَمَوْسَعاً
 عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِ اللِّسَانِ ، وَمَمْنُوناً عَلَيْهِ^(٤) فِي تَحْوِيلِ الْقَلَمِ .
 وما أَكْثَرَ من البَصْرَاءِ مَنْ يَحْكِي الْعُمَيَّانَ^(٥) . وَيُحَوِّلُ لِسَانَهُ إِلَى
 صُورَةٍ لَفْظِ الْفَافَاءِ بِمَا لَا يَبْلُغُهُ الْفَافَاءُ وَلَا يُحْسِنُهُ التَّمَتُّامُ . وَقَدْ نَجَدَ مِنْ
 هُوَ أَبْسَطَ لِسَاناً وَأَبْلَغُ قَلَمًا ، لَا يَسْتَطِيعُ مَجَاوِزَةَ مَا يَشْرِكُهُ . وَالْخُرُوجَ
 مِمَّا قَصَرَ عَنْهُ .

٣ - فصل منها

ولولا الحدودُ المحصَّلة والأقسامُ المعدَّلة^(٦) ، لكانت الأمور سُدىً .
 والتدابيرُ مُهمَّلةً ، ولكانت عَوْرَةُ الْحَكِيمِ بَادِيَةً ، ولاختلطت السافلة
 بالعالية .

٤ - فصل منها

وَأَنَا أَقُولُ بَعْدَ هَذَا كَلًّا : لَوْ لَمْ أَضُرْ لَكُمْ مَحَبَّةً قَدِيمَةً . وَلَمْ أَضُرْ
 بِكُمْ^(٧) بِشَفِيعٍ مِنَ الْمَشَاكِلَةِ . وَلَا سَبَبٍ الْأَدِيبِ إِلَى الْأَدِيبِ^(٨) . وَلَمْ

(١) ب فقط : « إلى الجيد » .

(٢) ب م : « حاوره » .

(٣) الطباع : الطبع ، كما أنه أيضاً جمع طبع . ط : « بتلك الطباع » .

(٤) أى منعماً عليه . وفي الكتاب العزيز : « ولقد مننا عليك مرة أخرى » . طه ٣٧ .

(٥) ب : « وما أَكْثَرَ من بصر » م : « من البصر » صواهما في ط . والبصراء .

جمع بصير .

(٦) ط فقط : « المتدلة » .

(٧) ضرى به ضرأ وضرأوة : لُحِجَ ، واعتاده فلا يكاد يصبر عنه .

(٨) ب : « ولا سبب الأديب » فقط .

يكن على قبول . ولا على حلاوة عند الحصول . ولم أكن إلا رجلاً من
عُرض المعارف، ومن جمهور الأتباع - لكان في إحسانكم إلينا . وإنعامكم
علينا ، دليل على أنا قد أخلصنا المحبة . وأصفينا لكم المودة .

وإذا عرفتم . ذلك بالدليل النير الذي أنتم سببه . والبرهان الواضح
الذي إليكم مرجعه . لم يكن لنا عند الناس إلا توقع ثمره الحب ،
ونتيجة جميل الرأي ، وانتظار ما عليه مجازاة القلوب .

وبقدر الإنعام تجود النفوس بالمودة . وبقدر المودة تنطلق الألسن
بالمديحة .

وهذه الوسيلة أكثر الوسائل ^(١) وأقواها في نفسى : أنى لم أصل
سبى بمحرم غمر ^(٢) ولا بمخل ^(٣) غفل ^(٤) ، ولا بضيق العطن حديث
الغنى ، ولا بزمر المروة مستنبط الثرى ^(٥) ؛ بل وصلته بحمال أثقال ^(٦)
ومقارع أبطال ، وبمن وُلد في اليسر وربى فيه ، وجرى ^(٧) منه على عرق
ونزع إليه .

٥ - فصل منها

ولا خير في سمين لا يحتمل هزال أخيه ، وصحيح لا يجبر كسر
صاحبه .

(١) ب ، م : « وسائل » .

(٢) المحرم : البدوى الذى لم يخالط الحضر . وبغير محرم : صعب . ب : « سىء بمحرم »
صوابه في م ، ط . وفي ط « وغمر » .

(٣) ط : « بمنجل » .

(٤) الثرى : الخير . أى يتال خير . بعد جهد واستخراج .

(٥) م : « لحال أثقال » ط : « وصلته وصلة لحال أثقال » . والوجه ما أثبت من ب .

(٦) ب ، م : « ويجرى منه » وأثبت ما في ط .

٦ - فصل منها

وقد تنقسم المودة إلى ثلاث^(١) منازل :

منها : ما يكون على اهتزاز الأريحية وطبع الحريرة .

ومنها : ما يكون على قدر فرط وسائل الفاقة^(٢)

ومنها : ما يحسن موقعه^(٣) على قدر طباع الحرص وجشع النفس .

فأرفعها منازل حب المشغوف شكر النعمة . وهو الذي يدوم شكره ، ويبقى على الأيام وده . والثاني هو الذي إنما اشتد حبه على قدر موضع المال من قلب الحريص الجشع ، واللئيم الطمع . فهذا الذي لا يشكر ، وإن شكر لم يشكر إلا ليستزيد ، ولم يمدح إلا ليستمد . وعلى أنه لا يأتي الحمد إلا زحفا ، ولا يفعل إلا تكلفا .

وأنا أسأل الله الذي قسم له^(٤) أفضل الحظوظ في الإنعام ، أن يقسم لنا أفضل الحظوظ في الشكر . وما غاية قولنا هذا ومدار أمرنا إلا على طاعة توجب الدعاء ، وحرية توجب الثناء . شاكرين كُنّا أو مُنعِمين ، وراجين كُنّا أو مرجّوين .

ومن صرف^(٥) الله حاجته إلى الكرام ، وعدل به عن اللثام فلا يعدن نثره في الراغبين ولا في الطالبين المؤمنين . لأن من لم يجزع مرارة المطال ، ولم يمد للرحيل التسويف ، ويقطع عنقه بطول الانتظار .

(١) ب . م : « على ثلاثة » .

(٢) ب : « وشن » م : « وسل » ، صوابه و ط .

(٣) ب : « يحصل موقعه »

(٤) له ، ساقطة من ب .

(٥) ب : « تصرف » صوابه و م ، ط .

وَيَحْمِلُ مَكْرُوهَ ذَلِكَ السَّوَالِ . وَيُحْمَلُ عَلَى طَمَعٍ يَحْتَهُ يَأْسٌ ، كَانَ خَارِجاً
من حدود المؤمنين .

وَمَنْ اسْتَوَى عَلَى طَمَعِهِ الثَّقَةُ بِالْإِنْجَازِ ^(١) . وَعَلَى طَلِبَتِهِ الْيَقِينُ
بِسُرْعَةِ الظَّفَرِ ، وَعَلَى ظَفَرِهِ الْجَزِيلُ مِنَ الْإِفْضَالِ ، وَعَلَى إِفْضَالِهِ الْعِلْمُ
بِقِلَّةِ التَّثْرِيبِ ^(٢) ، وَبِالسَّلَامَةِ مِنَ التَّنْغِيسِ ^(٣) بِالتَّهَامِ الشُّكْرِ ، وَبِالْبُكُورِ
وَبِالرَّوَّاحِ ^(٤) وَبِالْخُضُوعِ إِذَا دَخَلَ ، وَبِالْإِسْتِكَانَةِ إِذَا جَلَسَ . ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ ثَوَاباً لِسَالِفِ يَدِهِ ، وَلَا تَعْوِضاً مِنْ كَدِّ ، كَانَتْ
النِّعْمَةُ ^(٥) مُحَضَّةً خَالِصَةً ، وَمَهْذَبَةً صَافِيَةً . وَهِيَ نِعْمَتُكُمْ الَّتِي ابْتَدَأْتُمْونَهَا .
وَلَا تَكُونِ النِّعْمَةُ سَابِغَةً وَلَا الْأَيْدَى شَامِلَةً ^(٦) ، وَلَا السُّتْرُ كَثِيفاً
ذِيلاً ، وَكَثِيرُ الْعَرَضِ مُطْبِقاً ، وَدُونَ الْفَقْرِ حَاجِزاً ، وَعَلَى الْغِنَى مُلْتَحِفاً ،
حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِكُمْ ، ثُمَّ يُحْتَسَبَ ^(٧) إِلَى شَاكِرٍ حُرٍّ .

٧ - فصل منها

وَأَنْتُمْ قَوْمٌ تَقْدِمْتُمْ بِابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ فِي حَالِ الْمُهْلَةِ . وَأَخَذْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ
فِيهَا بِالثَّقَةِ عَلَى مَقَادِيرِ مَا مَكَّنْتُمْ الْأَوَاخِي ^(٨) . وَمَدَدْتُمْ الْأَطْنَابَ ، وَثَبَّتُمْ
الْقَوَاعِدَ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ ^(٩) :

(١) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « بِإِنْجَازٍ » - صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) التَّثْرِيبُ : الْأَوْجُومُ وَالتَّعْيِيرُ بِالذَّنْبِ

(٣) م ، ط : « التَّنْقِيسُ » صَوَابُهُ فِي ب .

(٤) ط : « وَبِالْعُدُوِّ وَالرَّوَّاحِ » .

(٥) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « النِّعْمَةُ كَانَتْ » - وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٦) ب ، م : « وَلَا أَيْدَى » - صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) ب ، م : « مُحْتَسَبٌ » .

(٨) الْأَخِيَّةُ وَالْأَخِيَّةُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَتَخْفِيفِهَا ، وَالْأَخِيَّةُ كَفَرَحَةٍ أَيْضاً : طَنْبُ الْبَيْتِ .

(٩) هُوَ أَنَسُ بْنُ مَدْرَكَةَ الْحُثَمِيُّ ، كَمَا فِي الْحَيَوَانِ ١ : ٨١ ، وَانْظُرْ سَيَبُوهَ ١ : ١١٦

وَالْمُقْتَضَبُ ٤ : ٤٣٥ وَالْحَزَانَةُ ١ : ٤٧٦ / ٢ : ٥٤٥ وَالْمَعْمُورُ ١ : ١٩٧ .

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لَأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مِنْ يَسُودُ .

وأبو الفرج - أعزه الله - فتى العسكرين ^(١) ، وأديبُ المصريين ^(٢) جمع أريحية الشباب ، ونجابة الكُهل ، ومحبة السادة ، وبهاء القادة وأخلاق الأدباء ، ورشاقة عُقول الكتّاب . والتغلُّل إلى دقائق الصواب ، والحلاوة في الصدور ، والمهابة في العيون ، والتقدم في الصناعة ، والسبق عند المحاورة ^(٣) ، شقيقُ أبيه وشبه جده ، حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة . لم يتأخر عنهما إلا فيما لا يجوز أن يتقدمهما فيه ، ولم يقصّر عن شأوهما إلا بقدرٍ ماقصّرا عن سنجهما ^(٤) ، وهم وإن قصّروا عن مدى آبائهم ، وعن غايات أوائلهم ، فلم يقصّروا عن جلة الرؤساء ، وأهلي السوابق من الكبراء ، ولست ترى تاليهم إلا سابقاً ، ومُصليهم إلا للغاية مجاوزاً . ليس فيهم سيكيت ولا مبهور ولا منقطع ، قد نُفّحت أعرافهم ^(٥) من الإقراف والمُجنّة ، ومن الشوب ولؤم العُجّة ^(٦) .

ومتى عاينت أبا الفرج وكماله ، ورأيت ديباجته وجماله ، علمت أنه لم يكن في ضرائبهم وقديم نجلهم ^(٧) ، خارجي النسب ، ولا مجهول

(١) الذي في جنى الجنتين ٧٨ أن العسكرين عرفة ومنى . ولكن يبدو أن الجاحظ أراد بهما عسكر أبي جعفر ، وهي مدينته التي بناها ببغداد وهي باب البصرة في الجانب الغربي . والآخر عسكر ولده المهدي ، وهي المعروفة بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد .

(٢) المصران : الكوفة والبصرة ، كما في جنى الجنتين ١٠٦ واللسان (مصر ٢٤) .

(٣) م فقط : « المجاورة » بالجم .

(٤) السنخ ، بالكسر : الأصل . ط : « من سنجهما » تحريف . وهو يعني أنهم عريقون في الكرم وأصالته .

(٥) التنقيح : التزييب والتخليص . ب فقط : « نفحت » . تحريف .

(٦) في جميع الأصول : « العجلة » ، والوجه ما أثبت .

(٧) النجل : النسل . م : « نجلهم » ط : « نخلهم » ، صوابها ما أثبت .

المركب^(١) ، ولا بهيم مضممت^(٢) ، ولا كثير الأوصاح مغرب^(٣) ، بل لا ترى إلّا كلّ أغرّ محجل^(٤) ، وكلّ صخّم المخزم^(٥) هيكّل^(٦) .

إنّى لست أخير عن الموتى ولا أستشهد الغيب^(٧) ، ولا أستدلّ بالمختلف فيه ولا الغامض الذى تعظم^(٨) المؤنة فى تعرفه ، والشاهد لقولى يكلّوح فى وجوههم . والبرهان على دعواى ظاهر فى شئائهم^(٩) ؛ والأخبار مستفيضة ، والشهود متعاونة .

وأنت حين ترى عتق تلك اللديباجة ، وروثق ذلك المنظر ، علمت أنّ التالذ هو قياد^(١٠) هذا الطارف .

أما أنا فلم أر لأبى الفرج - أدام الله كرامته - ذاماً ولا شائناً^(١١) ولا عائباً ولا هاجباً ، بل لم أجده مادحاً قطّ إلّا ومن سمع تسابق^(١٢) إلى

(١) انظر ما سبق فى ص ١٨٣ .

(٢) البهيم المصمت : الخالص السواد الذى لا شية فيه . ب فقط : « مسط » ، تحريف .

(٣) المغرب ، بفتح الراء ، من الإغراب فى الخيل ؛ وهو انساع الفرة حتى يتجاوز العينين ، مع ابيضاض فى الأشفار .

(٤) الأغر من الخيل : الذى غرته أكبر من الدرهم قد وسطت جبهته ولم تصب واحدة من العينين . والمحجل : الذى يرتفع البياض فى إثمه فى موضع القيد ويتجاوز الأرساغ ولا يتجاوز للركبتين . ب : « كل غر » ، صوابه فى م ، ط .

(٥) المخزم : موضع الحزام من الفرس ، ويوصف بالضخامة ، ومنه قول عنترة فى معلقته : وحشيتى سرج على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المخزم وأنشد ثعلب فى صفة رجل .

فقام وثاب نبيل مخزمه لم يلق بوسا لحمه ولادمه وفى جميع الأصول : « المخرج » ، صوابه ما أثبت .

(٦) الهيكّل : الفرس الطويل الضخم .

(٧) تقرأ « الغيب » بفتحيتين : اسم جميع الغائب ، وبضم الغين وتشديد الياء المفتوحة جمعاً له أيضاً . ط : « بالغيب » .

(٨) ب ، م : « يعظم » . (٩) ظاهر ، ساقطة من ط .

(١٠) ب : « أقياد » م : « أقياد » ، صوابهما فى ط .

(١١) الشائى : المبيض . ب : « شائنا » وأثبت ما فى م ، ط .

(١٢) ط فقط : « سابق » .

تلك المعاني ، ولا رأيتُ واصفاً له قطُّ إلاَّ وكلُّ من حضر يَهشُّ له ويرتاحُ لقوله . قال الطَّرْمَاح :

هل المجدُّ إلاَّ السُّودُّ العَوْدُ والنَّدَى
ورأبُ الثَّأَى والصَّبْرُ عند المَواطِن^(١)

ولكنَّ هل المجدُّ إلاَّ كَرَمُ الأرومةِ والحَسَبِ^(٢) ، وبُعْدُ الهمةِ ، وكثرة الأدب . والثَّباتُ على العهدِ إذا زَلَّتْ الأقدامُ ، وتوكيدُ العقدِ إذا انحَلَّتْ مَعاقِدُ الكرامِ ، وإلَّا التَّواضُعُ عند حدوثِ النُّعمةِ ، واحتمالُ كُلِّ العَثرةِ^(٣) ، والنَّفَاز في الكتابةِ ، والإشرافُ على الصَّناعةِ .

والكتابُ هو^(٤) القُطْب الذي عليه مدارُ علمٍ ما في العالمِ وآدابِ الملوكِ ، وتلخيصُ الألفاظِ ، والغوصُ على المعاني السَّدادِ^(٥) ، والتخلُّصِ إلى إظهارِ ما في الضَّمائِرِ بأسهلِ القولِ ، والتمييزِ بين الحجةِ والشُّبهةِ وبين المُقَرَّد والمُشترَك . وبين المقصورِ والمبسوطِ ، وبين ما يحتملُ التأويلَ ممَّا لا يحتمله . وبين السَّليمِ والمعتلِّ .

فبارك الله لهم فيما أعطاهم . ورَزَّهم الشُّكْرَ على ماخولهم ، وجعل ذلك موصولاً بالسَّلامةِ . وبما خَطَّ لهم من السَّعادةِ ، إنَّه سميعٌ قريبٌ ، فعالٌ لما يريد .

(١) ب ، م : « والصد عند المواطن » تحريف ، كما ورد البيت محرفاً في ط على هذه الصورة :

هل المجد إلا السودد المعود الندى ورب الحسدى والصدى عند المواطن
وصواب عجزه ما أثبت من الديوان ٥١٦ . والرأب : الإصلاح والثأى : الفساد والأمر العظيم يقع بين القوم . والمواطن هي مواطن الحرب ومواقفها
(٢) الأرومة بنسج الهمة وضمها الأصل .
(٣) في جميع الأصول : « وهى » ، والوجه ما أثبت .
(٤) السداد : جمع سديد ، كظريف وظراف وشديد وشداد . ط . « السديدة »

٢٢

من كتابه في
استحقاق الأئمة

١ - فصل

من صدر كتابه في استحقاق الإمامة (١)

بعون الله تعالى نقول . وإليه نقصد . وإياه ندعو . وعلى الله قصد السبيل .

اعلم أن الشيعة رجлан : زيدى . ورافضى . وبقينهم نزر^(٢) جاء لازماً لهم . وفي الإخبار عنهما غنى عن سواهما .

قالت علماء الزيدية : وجدنا الفضل في الفعل دون غيره . ووجدنا الفعل كله على أربعة أقسام :

أولها القدم في الإسلام ، حيث لا رغبة ولا رغبة إلا من الله تعالى وإليه .

ثم الزهد في الدنيا ، فإن أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة وآمنهم على نفيس المال ، وعقائل النساء ، وإراقة الدماء .

ثم الفقه الذى به يعرف الناس مصالح دنياهم . ومراشد دينهم .

ثم المشي بالسيف كفاحاً بالذّب عن الإسلام . وتأسيس الدين . وقتل عدوه ، وإحياء وليه . فليس وراء بذل المهجة واستفراغ القوة غاية يطلبها طالب . ويرتجىها راغب .

(١) ريشر ١٦٨ - ١٧٩ والسندوبى ٢٤١ ٢٦٠ وجاءت في هامش الكامل ٢ : ٢١٢ - ٢١٨ . وسيأتى له رسالة أخرى في هذا الموضوع برقم ٢٨ وعنوانها الجوابات في استحقاق الإمامة .

(٢) النزر : القليل اليسير . ب : « ندر كما » م : « نذر كما » .

ولم نجد فعلاً خامساً فنذكره . فمتى رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجلٍ دون الناسِ كلِّهم وجبَ علينا تفضيله عليهم ، وتقديمه دونهم ^(١)

وذلك أنا إذا سألنا العلماء والفقهاء ، وأصحاب الأخبار وحُمَّال الآثار ، عن أوَّل الناسِ إسلاماً . قال ^(٢) فريق منهم : عليّ . وقال فريقٌ منهم : أبو بكر . وقال آخرون : زيد بن حارثة . وقال قوم : خباب . ولم نجد كلَّ واحدٍ من هذه الفِرَق قاطعاً لُغْزٍ صاحبه . ولا ناقلاً له عن مذهبه ، وإن كانت الرواية في تقدُّم عليٍّ أكثر ، واللفظُ به أظهر .

وكذلك إذا سألناهم عن الذابِّين عن الإسلام ^(٣) بمُهجِّهم ^(٤) ، والمُاشين إلى الأقران بسيوْفهم ^(٥) . وجدناهم مختلفين . فمن قائلٍ يقول : عليّ . ومن قائلٍ يقول : الزُّبير . ومن قائلٍ يقول : ابن عفراء ^(٦) ، ومن قائلٍ يقول : أبو دُجانة ، ومن قائلٍ يقول : محمد بن مَسْلَمَة ، ومن قائلٍ يقول : طلحة ، ومن قائلٍ يقول : البراءُ بن مالك .

على أنَّ عليًّا - رضى الله عنه - مِنْ قَتَلِ الأَقْرانِ والفُرسانِ والأَكْفاءِ . ما ليس لهم ، فلا أقلَّ من أن يكونَ في طبقتهم .

وإن نحنُ سألناهم عن الفقهاء قالوا: عليٌّ . وعُمَرُ ، وابنُ مسعود ، وزيدُ ابن ثابت ، وأبُو بن كعب . على أنَّ عليًّا كان أفْقَهَهُم ، لأنَّه كان يُسألُ

(١) ب فقط : « دونه » .

(٢) العبارة في ط : « وذلك أنا سألنا . . . فدل ، والوجه ما أثبت من ب ، م .

(٣) ب ، م : « عن أدب الناس عن الإسلام » .

(٤) ب فقط : « بمهجِّهم »

(٥) ب ، م : « لسيوفهم » ، صوابه في ط .

(٦) انظر لترجيته وتحقيق اسمه ما كنت في حواشي كتبه اعثابية ص ٤٥ .

ولا يَسْأَلُ . ويُفْتَى ولا يَسْتَفْتَى . ويُحْتَاجُ إليه ولا يَحْتَاجُ إليهم ،
ولكن لا أَقْلَ من أن نجعلَهم في طبقتهم وكأحدهم .

وإن نحن سألناهم عن أهل الزَّهَادَةِ^(١) وأصحاب التَّقَشُّفِ . والمعروفين
بِرَفْضِ الدُّنْيَا وِخْلَعِهَا والزُّهْدِ فِيهَا . قالوا : على . وأبو الدرداء ، ومُعَاذُ ،
وأبو ذَرٍّ ، وعَمَّارُ ، وبلالُ ، وعثمانُ بن مظعون . على أن عَلِيًّا أزهدهم ؛ لأنَّه
شاركهم في خُشُونَةِ الْمَلْبَسِ وخُشُونَةِ الْمَأْكَلِ . والرِّضَا باليسير ، والتَّبْلُغُ
بالحقير^(٢) وظَلْفِ النَّفْسِ عَنِ الْفُضُولِ^(٣) ، ومُخَالَفَةِ الشَّهَوَاتِ . وفارَقَهُم
بأنَّ مَلِكَ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ ، ورقابَ الْعَرَبِ والعجم . فكان يَنْضَحُ بَيْتَ
المال في كلِّ جمعة ، ويصَلِّي فيه ركعتين . ورَفَعَ سراويله بأَدمٍ ، وقَطَعَ
مافَصَلَ من كَمِيَّتِهِ عن أطراف أَصابِعِهِ بالشَّفْرَةِ ، في أُمُورٍ كثيرة . مع
أنَّ زُهْدَهُ هو أَفْضَلُ من زُهْدِهِمْ ؛ لأنَّه أَعْلَمُ منهم . وعبادةُ الْعَالَمِ ليست
كعبادةِ غَيْرِهِ ، كما أنَّ زَلَّتَهُ ليست كزَلَّتَةِ غَيْرِهِ ، فلا أَقْلَ من أن يُعَدَّ في
طبقتهم .

ولم نجدَهم ذكروا لأبي بكرٍ . وزيدٍ . وخَبَّابٍ ، مثلَ الَّذِي ذكروا
له من بَذْلِ النَّفْسِ وَالْعَنَاءِ^(٤) ، وَالذَّبِّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالسَّيْفِ ، ولا ذَكَرُوهُمْ
في طبقةِ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْقِدَمِ فِي الْإِسْلَامِ . ولم نجدَهم ذكروا لابنِ
عَفْرَاءَ ، والزُّبَيْرِ ، وأبي دُجَانَةَ ، والْبَرَاءِ بن مالك ، مثلَ الَّذِي ذكروا له
من التَّقَدُّمِ فِي الْإِسْلَامِ وَالزُّهْدِ وَالْفَقْهِ . ولا ذكروا أبا بكرٍ ، وزيداً ،

(١) م : « لظهرة » ، تحريف .

(٢) تبغ بأشئ . تبغاً : اكتفى به . ب فقط : « والتبليغ » ، تحريف .

(٣) ظف نفسه عن الشيء : منعها عن هواها . م : « وخلف النفس » ط : « وخلاف
النفس » ، والصواب في ب .

(٤) ط . « والعناء » .

وخباباً، في طبقة عمرو بن مسعود ، وأبي بن كعب ، كما ذكروا علياً في طبقتهم . ولا ذكروا أبا بكر . وزيداً . وخباباً ، في طبقة مُعَاذٍ . وأبي الدرداء ، وأبي . وعمار . وبلال . وعثمان بن مظعون ، كما ذكروا علياً في طبقتهم .

فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه . ومتفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب . وأهل هذه الطبقات . الذين هم الغايات . علمنا أنه أفضل ، وأن كل واحد منهم وإن كان قد أخذ من كل خير بنصيب . فإنه لن يبلغ مبلغ من قد اجتمع له الخير وصنوفه .

فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل علي - رضوان الله عليه - وتقديمه على غيره .

وزعموا أن علياً كان أولاهم بالخلافة . إلا أنهم كانوا على غيره أقل فساداً واضطراباً ، وأقل طعناً وخلافاً . وذلك أن العرب وقريشاً كانوا في أمره ^(١) على طبقات :

فمن رجل ^(٢) قد قتل على أباه أو ابنه ^(٣) . أو أخاه أو ابن عمه . أو حميمه أو صفيّه . أو سيده أو فارسه . فهو بين مضطحين قد أصر على حقه . ينتظر الفرصة ويتربص الدائرة . قد كشف قناعه ^(٤) . وأبدى عداوته .

ومن رجل قد زمل غيظه وأكمن ضغنه . يرى أن سترهما في نفسه .

(١) م : « في غيره » ، تحريف .

(٢) م ، ط : « من رجل » .

(٣) ط : « قد دام » .

(٤) ب : « وقد كشف قناعه » بالواو .

ومداراة عدوه . أبلغ في التدبير . وأقرب من الظفر . فإنما يُجْزِيهِ أَدْنَى
عَلَّةٍ تَحْدُثُ . وَأَوَّلُ تَأْوِيلٍ يَعْرِضُ . أَوْ فِتْنَةٍ تَنْجُمُ ؛ فَهُوَ يَرُصُّدُ الْفُرْصَةَ ^(١)
وَيَتَرَقَّبُ الْفِتْنَةَ . حَتَّى يَصُولَ صَوْلَةَ الْأَسَدِ . وَيَرُوعُ رَوْعَانَ الثَّعْلَبِ .
فِيَشْفَى غَلِيلَهُ . وَيُبْرِدَ ثَائِرَهُ ^(٢) .

وَإِذَا كَانَ الْعَدُوُّ كَذَلِكَ كَانَ غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ سَرَفُ الْغَضَبِ . وَأَنْ
يَحْوَهُ لَهُ الشَّيْطَانُ الْوُثُوبَ . وَيَزِينُ لَهُ الطَّلَبَ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ مَاتَاهُ .
وَكَيْفَ يَحْتَلُهُ مِنْ طَرِيقِ هَوَاهُ . فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ كَذَلِكَ اشْتَدَّ تَحْفُظُهُ
وَلَمْ يَقْوُ احْتِرَاسُهُ . وَكَانَ بَعَرَضٍ مَلَكَةٌ وَعَلَى جَنَاحٍ تَغْيِيرٍ ^(٣) ؛ لِأَنَّهُ
مُنْقَسِمُ الرَّأْيِ مُتَفَرِّقُ النَّفْسِ . قَدْ اعْتَلَجَ عَلَى قَلْبِهِ غَيْظُ الثَّأْرِ عَلَى قُرْبِ
عَهْدِهِ بِأَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَعَادَةِ الْعَرَبِ مِنَ الثَّأْرِ وَتَذَكُّرِ الْأَحْقَادِ وَالْأَمْرِ
الْقَدِيمِ ، وَشِدَّةِ التَّصَمِيمِ .

وَمِنْ رَجُلٍ غَمَّتْهُ حَدَاتُهُ ^(٤) ، وَأَنْفَ أَنْ يَلِيَ عَلَيْهِ أَصْغَرُ مِنْهُ .
وَمِنْ رَجُلٍ عَرَفَ شِدَّتَهُ فِي أَمْرِهِ . وَقِلَّةَ اغْتِفَارِهِ فِي دِينِهِ ^(٥) . وَخُشُونَةَ
مَذْهَبِهِ .

وَمِنْ رَجُلٍ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ الْمُلْكُ وَالتُّبُوءُ يَثْبِتَانِ ^(٦) فِي نَصَابٍ وَاحِدٍ ،
وَيَنْبُتَانِ فِي مَغْرَسٍ وَاحِدٍ . لِأَنَّ ذَلِكَ أَقْطَعُ لِأَطْمَاعِ قَرِيْشٍ أَنْ يَعُودَ الْمُلْكُ

(١) م ، ط : « الفرقة » .

(٢) م ، ط : « نارد » .

(٣) ب ، ط : « وكان يعرض هلكة على جناح على تغير » ، صوابه في م . والعرض :
ما يعرض للإنسان من أحداث الدهر .

(٤) في جميع الأصول : « غمته » . وفي ب فقط : « بحداته » . ولعل أوجه ما أثبت .

(٥) ب ، م : « اعتقاده » . ط : « اعتقاده » . وإنما هو الاعتقاد ، أي التسامح والتساهل .
يقال غفر له ذنبه واغتفره أيضاً .

(٦) ب ، م : « يثبان » صوابه في ط .

دولة في قبائلها ، ومن قريش خاصة في بني عبد مناف ، الأقرب فالأقرب .
والأدنى فالأدنى ؛ لأنَّ الرحم كلما كانت أَمَسَّ ، والجوارُّ أقرب ،
والصُّناعة أشكَل ، كان الحسدُّ أشدَّ . والغيظُ أفرط . فكان أقربُ الأمور
إلى محبتهم إخراجُ الخلافة من ذلك المَعْدِن . ترفيهاً عن أنفسهم
من ألم الغيظ ، وكمَد الحسد .

٢ - فصل منها

وضربُ من الناس همجٌ هامجٌ ، ورعاعٌ مُنتشرٌ ^(١) ، لا نظامَ لهم .
ولا اختيارَ عندهم ، وأعرابٌ أجلافٌ ، وأشباهُ الأعراب ، يفترقون ^(٢)
من حيث يجتمعون . ويجتمعون من حيث يفترقون ؛ لا تُدفعُ صولتهم
إذا هاجوا ، ولا يؤمن تهيُّجهم ^(٣) إذا سكتوا . إنَّ أخصبوا طغَوْا في
البلاد ^(٤) وإنَّ أجذبوا آثروا العناد . هم ^(٥) موكلون ببغضِ القادة ، وأهلِ
الثراء والتَّعمة . يتمنُّون له النكبة ^(٦) . ويشتمون بالعشيرة . ويسرون
بالجولة ^(٧) ، ويترقبون الدائرة .

فلما كان الناس عند عليٍّ وأبي بكرٍ على الطبقات التي نزلنا ^(٨) ،
والمراتب التي رتبنا ، أشفقَ عليٌّ أن يُظهرَ إرادةَ القيام بأمرِ الناسِ مخافةً
أن يتكلَّم متكلِّمٌ أو يشغب شاغبٌ ^(٩) ، فدعاه النَّظَرُ للدين إلى الكفِّ عن

(١) ب فقط : « منتشر » .

(٢) ما بعده إلى « يفترقون » التالية ساقط من ط .

(٣) م فقط : « تهييجهم » .

(٤) ب : « بلغوا في البلاد » .

(٥) ط : « وهم » .

(٦) ط : « الغلة » .

(٧) ب فقط : « ويسرون بالجولة » .

(٨) ط : « التي ذكرنا » .

(٩) الشغب ، بالفتح ، وبالتحريك أيضاً : تهييج . ب فقط . يشغب مشاغب «
تحريف .

الإظهار^(١) ، والتجاني عن الأمر ، فاغتفر المجهول ضناً بالدين ، وإيثاراً للأجلة على العاجلة .

فدلّ ذلك على رجاحة حِلْمِهِ ، وقلة حرصه^(٢) ، وسعة صدره ، وشدة زُهدِهِ ، وفَرَطِ سَمَاحَتِهِ ، وأصالة رأيه .

وَعَلِمَ أَنَّ هَلَكْتَهُمْ لَا تَقُومُ بِإِزَاءِ صَرْفِ مَا بَيْنَ حَالِهِ وَحَالِ أَبِي بَكْرٍ فِي مَصْلَحَتِهِمْ . وقد علم بعد ذلك أَنَّ مُسَيْلَمَةَ قَدْ أَطْبَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَامَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَهُمْ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِمْ^(٣) ، وَلَا يُطْمَعُ فِي ضَعْفِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، فَكَانَ الصَّوَابُ مَا رَأَاهُ عَلَى مِنَ الْكَفِّ عَنْ تَحْرِيكِ الْهَرْجِ ، إِذْ أَبْصَرَ^(٤) أَسْبَابَ الْفِتَنِ شَارِعَةً ، وَشَوَاكِلَ الْفَسَادِ بَادِيَةً^(٥) ، وَلَوْ هَرَجَ الْقَوْمُ هَرْجَةً^(٦) وَحَدَّثَتْ بَيْنَهُمْ فُرْقَةً ، كَانَ حَرْبُ بَوَارِهِمْ^(٧) أَغْلَبَ مِنَ الطَّمَعِ فِي سَلَامَتِهِمْ .

وقد كان أبو بكرٍ ، وعُمَرُ ، وأبو عبيدة ، وفضلاء أصحابه ، يعرفون

(١) ب فقط : « عن إظهار » .

(٢) وقلة حرصه ، ساقطة من ط .

(٣) يقال : فلان لا يصطلى بناره ، إذا كان شجاعاً لا يطاق . وانظر اللسان (صلا ٢٠١) .
وبجهرة المسكوى ٢ : ٣٩٧ . وقد سقطت كلمة « لا » من جميع الأصول ؛ وهو خطأ . وجاء في مقصورة ابن دريد :

لَا يَصْطَلَى بِنَارِهِ عِنْدَ الْوَغَى وَيَصْطَلَى بِنَارِهِ عِنْدَ السَّقَرَى

(٤) ب فقط : « إذا أبصر » ، تحريف .

(٥) الشواكل : جمع شاكله ، وهي الخاصرة . كناية عن شدة ظهور الفساد . م : « شكوى كل » ، ب ، م : « بانية » ، صوابها في ط .

(٦) ب ، م : « ولو هاج القوم هرجة » . والهرج : الاقتتال والاختلاط .

(٧) م ، ط : « حزب » ، صوابها في ط . والبوار : الهلاك .

من تلك الآراء^(١) شبيهاً بما يعرفه عليٌّ ، فعلموا أنَّ أوَّل أحكام الدين المبادرة إلى إقامة إمام المسلمين ، لئلا يكونوا نشرًا^(٢) . ولئلا يجعلوا للمفسدين علةً وسبباً . فكان أبو بكر أصلح النَّاس لها بعد عليٍّ . فأصاب في قيامه ، والمسلمون في إقامته ، وعلى في تسويغه^(٣) والرِّضا بولايته مُنْعَقِدَةٌ منه على الإسلام وأهله . فلما قمع الله تعالى أهل الرِّدة بسيفِ النِّقْمَةِ . وأباد النِّفاقَ ، وقَتَلَ مسيلمةَ وأسر طلحة . ومات أصحاب الأوتار^(٤) ، وفَنِيَتِ الضَّغائن ، راحَ الحقُّ إلى أهله . وعاد الأمرُ إلى صاحبه .

قالوا : وقد يكون الرَّجُلُ أَفْضَلَ النَّاسِ ويلى عليه مَنْ هُوَ دُونَهُ في الفضل حتَّى يكلفه الله طاعته وتقدّمه : إمَّا للمصلحة والإشفاق من الفِتْنَةِ كما ذكرنا وفسرنا . وإمَّا للتَّغْلِيظِ في لمحنة وتشديد البلوى^(٥) والكلفة . كما قال الله تعالى للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾^(٦) . والملائكة أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ ، ولأنَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل عِنْدَ اللَّهِ^(٧) من المقرَّبين قبل خَلْقِ آدَمَ بدهرٍ طويل . لما قَدِّمَتْ من العبادة^(٨) واحتمَلَتْ من ثِقَلِ الطَّاعَةِ . وكما مَلَكَ اللَّهُ طالوتَ^(٩) على

(١) في جميع لأصول : « من ذلك الآراء » .

(٢) النشر . بالتحريك : القوم المتفرقون لا يجتمعهم رئيس . ب فقط : « نشرًا » .

(٣) م ، ط : « في تسويغه » ، صوابهما في ب

(٤) الأوتار : جمع وتر ، بالكسر ، وهو النُّزْ . م ، ط : « الأوتاد » ، صوابه في ب

(٥) ب : « في المحنة » ، م ، في المحنة ، صوابهما . و في ب أيضاً . « وتشديد

البلوة » م : « ولتشديد البلوى » ، وأثبت ما في ط

(٦) من الآية ٣٤ في سورة حقرة .

(٧) ب : « عبادة » ، تحريف . وفي م : « عبادة » ، وأثبت م في ط .

(٨) ب فقط : « من عبادة » . (٩) ط : « طالوت » . تحريف .

بنى إسرائيل وفيهم يومئذ داود نبي الله (١) صلى الله عليه وسلم . وهو نبيهم الذي أخبر الله عنه في القرآن بقوله تعالى (٢) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ (٣) إلى آخر الآية .

(١) م : « داود النبي » .

(٢) يقوله تعالى ، ساقطة من ب ، م .

(٣) الآية ٢٤٧ من سورة القرة .

٢٣

من رسالته في

استنجاز الوعد

١ - فصل

من صدر رسالته في استنجاز الوعد

قد شاع الخبر وسار المثل بقولهم : « اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه » .

فإن كان الوجه إنما وقع على الوجه الذي فيه الناظر والسامع ، والشام والذائق ، إذا كان حسناً جميلاً . وعتيقاً بهياً . فوجهك الذي لا يُخيلُ على أحد كماله^(٢) . لا يُخطئُ حواله^(٣) .

وإن كان ذكر الوجه إنما يقع على حسن وجه المطلب^(٤) وجماله على جهة الرغبة ؛ وإن كان ذلك على طريق المثل . وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ ، والفرع المأخوذ من الأصل . فوجه المطلب إليك أفضل الوجوه وأسناها . وأصونها وأرضاها . وهو المنهج الفسيح والمتجر الربيع ؛ وجماله ظاهر ، ونفعه حاضر . وخيره غامر . إلا أن الله تعالى قرنه مع ذلك باليمن . وسهله باليسر . وحببه بالبشر الحسن . ودعا إليه بلين الخطاب^(٥) . وأظهر في أسمائكم وأسماء آبائكم وفي كناكم وكنى

(١) هي في هامش الكامل ٢ . ٢٢٠ - ٢٢٧ ورشتر ١٩٥ - ١٩٦ ومجموعة الساسي ١٧٣ - ١١٧ . فللمقابلة هنا على المخطوطتين ب . م . وكذلك على نسخة هامش الكامل ورمزها (ط) ومجموعة الساسي ورمزها (مج) .

(٢) في اللسان : « وأحال الشيء » : اشتبه . يقال هذا الأمر لا يخيل على أحد ، أي لا يشكّل . وفي جميع الأصول : « يحيل » صوابه بالخاء المعجمة كما أثبت . وفي مج : « لا يحيه عن » . وأراء تصرفاً من الناشر .

(٣) الحوال مصدر حول الشيء محاولة وحولاً : ر . مه وطلبه . قل رؤية :

* حوال حسد وانتجار المؤتجر *

وفي مج : « ولا يخفى حاله » .

(٤) مج : « الطلب » في هذا الموضع وتاليه .

(٥) في جميع النسخ « الحجاب » ، صوابه ، أثبت . وانظر ص ٢٢٠ من ٣ .

إخوانكم . من برهان الفأل الحسن ونفى الطيرة السيئة ما جمع لكم به صنوف الأمل ، وصرف^(١) إليكم وجوه المطالب : فاجتمع فيكم تمام القوام وبراعة الجمال . والبشر^(٢) عند اللقاء . ولين الخطاب والكنف للخطأ^(٣) ، وقلة البدخ بالمرتبة الرفيعة . والزيادة في الإنصاف عند النعمة الحادثة . فجعل^(٤) الناس وعدكم من أكرم الوعد ، وعقدكم من أوثق العقد ، وإطعامكم^(٥) من أصح الإنجاز . وعلموا أنكم تؤيسون^(٦) في مواضع اليأس ، وتطمعون في مواضع الضمان ، وأن الأمور عندكم موزونة معدلة ، والأسباب مقدرة محصلة .

هذا مع الصولة والتصميم في موضع التصميم^(٧) .

والتقية أحزم^(٨) ، والصفح إذا كان الصفح أكرم ، والرحمة لمن استرحم ، والعقاب لمن صمم .

ثم المعرفة بفرق^(٩) ما بين اعتزام الغمر واعتزام المستبصر ، وفصل^(١٠) ما بين اعتزام الشجاع والبطل ، وبين إقدام الجاهل المتهور .

وقد علم الناس بما شاهدوه منكم . زعيوه من تدبير ، وعرفوه من

(١) هذا ما في مج . وفي سائر النسخ : « وضرب » .

(٢) م ، ط : « والبشرة » .

(٣) ب : « واللين والكنف للخطأ » ، م : « والكنف للخطأ » ، وأثبت ما في ط ، مج .

(٤) ب : « يجعل » م : « يجعل » ط : « تجل » ، وأثبت ما في مج .

(٥) ب فقط : « وأطعمكم » ، تحريف .

(٦) ب فقط : « تؤيسون » ، تحريف .

(٧) ب : « والتعميم في موضع التعميم » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « والنفقة أحزم » .

(٩) ب ، م ، ط : « تفرق » ، وفي مج : « فرق » ، والوجه ما أثبت .

(١٠) ب ، م ، ط : « وفصل » ، والوجه ما أثبت من مج .

تصرفُ حالانكم^(١) ، أنى لم أتزیدَ لكم ، ولم أتكلّفَ فيكم ما ليس عندكم . وخيرُ المديح ما وافقَ جمالَ المدوح ، وأصدقُ الصفات ما شاكَلَ مذهبَ الموصوف . وشَهِدَ له أهلُ العِيَانِ الظَّاهِرِ . والخبرُ المتظاهر . ومتى خالفَ هذه القضيةَ وجانبَ الحقيقة . ضارٌّ المادح^(٢) ولم ينفع المدوح .

هذا إلى الثبات على العهد . وإحكام العَمْدِ ، مع^(٣) الوفاء العجيب ، والرأى المُصيب . وتَمَامَ ذلك وكمالِهِ . وسناء ذلك وبهائه^(٤) ، وكثرة^(٥) الشُّهود لكم ، وإجماعِ النَّاسِ على ذلك فيكم .

ومن قَبِلَ لنفسه مديحاً لا يُعرف [به^(٦)] كان كمداح نفسه . ومن أثاب الكذابين على كذبهم كان شريكهم في إثمهم ، وشقيقهم في سُخْفهم ، بل كان المحتقِبَ لِكِبَرِهِ^(٧) . المحتمل لِيُوزَرَهُ ، إذ كان المثيبَ عليه^(٨) والداعى إليه .

معاذَ الله أَنْ نقول إلاَّ مَعْرُوفاً غير مجهول . ونَصِفَ إلاَّ صحيحاً

(١) ط فقط : « حالنكم » .

(٢) م فقط : « النافع » .

(٣) ب فقط : « على » .

(٤) ماعدا مج : « وبهاؤه » .

(٥) ماعدا مج : « كثرة » بدون واو .

(٦) التكلة من مج .

(٧) المحتقب : الحامل . وفي اللسان : « واحتقب فلان الإثم : جمعه واحتقبه من خلفه .

قال امرؤ القيس :

فاليوم أسقى غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغسل

ب : « المحتقد » م : « المحتقت » ط : « المحتفل » ، والصواب في مج . وكبر الشيء :

معظمه . وفي الكتاب العزيز : « والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » . قال ثعلب : يعنى معظم الإفك . وقرأ حميد الأعرج وحده : « كبره » بضم الكاف .

(٨) م فقط : « الشيب عليه » ، تحريف .

غير مدخول . أو نكون ممن يتودّد بالمَلَق . ويتنقّم على أهل الأقدارِ
شَرّها إلى مال ، أو حرصاً على تقريب . وأبعد الله الجِرصَ وأنزى
الشَّرّه والطَّمع !

فإن شكّ شاكٌّ أو توقّف مرتابٌ فليعترض العامة ، وليتصفّح ما عند
الخاصّة حتّى يتبيّن الصُّبح .

وقالوا في تأديب الولاء وتقديم تدبير الكفاة : « إذا أبردتُم البريدَ
فاجعلوه حَسَنَ الوجه . حسنَ الاسم » . فكيف إذا قارن حُسَنَ الوجهِ
وحُسَنَ الاسمِ كرمُ الضَّريبة^(١) ، وشرفُ العرق .

وأعيان الأعرافِ الكريمة ، والأخلاقِ الشريفة^(٢) ، إذا استجمعت هذا
الاستجماع ، واقتترنت هذا الاقتتران . كان أتمّ للنّعمة ، وأبرعَ للفضيلة^(٣)
وكانت الوسيلةُ إليها أسهلّ ، والمأخذُ نحوها أقرب ، والأسبابُ أمتن .

فإذا^(٤) انتظمت في هذا السِّلْكِ ، وجمعتها هذا النّظم . كان الذي يُبرِدُ
البريدَ أولى بها من البريد ، وكان مقومُ البلاد أحقَّ بها من حاشيتهِ
الكفاة^(٥) ، إذ التأميلُ لا يجمع أوجهَ الصّواب^(٦) ، ولا يُحصي^(٧)
مخارجَ الأسباب ، ولا يظهر بُرهانه ويَقْوَى سُلْطانه ، حتّى يصيبَ المعدن .

(١) الضريبة : السجية والطبيعة التي ضرب عليها المرء . ب : « وكره » . م ، ط :
« وكرم » ، والصواب حذف الواو كما في مج .

(٢) الشريفة ، ساقطة من مج .

(٣) في اللسان : « برع فهو بارع : تم في كل فضيلة وجمال . وفاق أصحابه ، في العلم
وغيره » . وفي جميع الأصول : « وأبدع للفضلة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب فقط : « إذا » .

(٥) ما عدا مج : « من حاشية الكفاة » .

(٦) م : « وجاء الصواب » وفي سائر الأصول : « وجه الصواب » ، والوجه ما أثبت .

(٧) هذا ما في ط . وفي سائر الأصول : « ولا يخص » .

وان يكون موضع الرغبة معدناً إلا بعد اشتاله على ترادف خصال الشرف وبعد أن يتوافى إليه^(١) معاني الكرم بالأعراق الكريمة ، والعادات الحسنة . على حادث^(٢) يشهد لمتقادم^(٣) . وطارف يدل على تالد .

فإذا كان الأمل يخبر بالحسب فالحسب ثاقب . والمجد راسخ . وإن كان الشأن في صناعة الكلام وفي القدم والرياسة . وفي خلف يائره عن سلف ، وآخر يلقاه عن أول ، فلكم^(٤) مالا يذهب عنه جاحد . ولا يستطيع جحده معاند .

٢ - فصل منها

وأسماءكم وكناكم بين فرج ونجح . وبين سلامة وفضل . ووجوهكم وفق أسمائكم ، وأخلاقكم وفق أعراقكم . لم^(٥) يضرب التفاوت فيكم بنصيب .

وبعد هذا فإنني أستغفر الله من تفريطي في حقوقكم . وأستوهبه^(٦) طول رقتي عما فرضته لكم^(٧) .

ولا ضير إن كان هذا الذي قلنا على إخلاص وصحة عهد ، وعلى صدق سيرة وثبات عقد . ينو السيف وهو حساء . ويكبو الطرف وهو جواد ، وينسى الذكور ، ويعفل القطن^(٨) .

(١) ب ، م : « يتوافى » ، وأثبت ما في ط ، مع .

(٢) ماعدا مع : « على حادث » .

(٣) المتقادم : القديم . وفي الأصول : « لقادم » ، ولا وجه له .

(٤) ماعدا مع : « قبلكم » ، والوجه ما أثبت . وفي مع : « كان قبلكم » .

(٥) م : « طم » ، ط : « فلكم » وأثبت ما في ب ، مع .

(٦) ب فقط : « وأستوجه » ، تحريف .

(٧) ماعدا ط : « ما فرضه لكم » ، يطلب عفو الله عن تقصيره في إظهار ما أوجب لهم

في نفسه من تمجيد .

(٨) ب ، م : « العطن » ، صوابه في ط ، مع .

ونعوذُ بالله تعالى من العمى بعد البصيرة^(١) ، والحيرة بعد لزوم الجادة .

كان أبو الفضل - أعزه الله - على ما قد بلغك من التبرع بالوعد^(٢) وسُرعة الإنجاز وتَمَام الضمان . وعلى الله تمام النعمة والعافية .
وكان - أيده الله - في حاجتي ، كما وصف زيد الخيل نفسه حين يقول :

وموعِدتي حقٌّ كأنَّ قد فعلتها متى ما أعدَّ شيئاً فإنِّي لغارم^(٣)
وتقول العرب : « مَنْ أَشْبِهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ »^(٤) ، تقول^(٥) : لم يضع الشَّبه إلا في موضعه ، لأنَّه لا شاهدَ أَصْدَقُ على غَيْبِ نسبه وخفيِّ نَجَلِه من الشَّبه القائم فيه^(٦) ، الظَّاهر عليه .

وقد تَقِيلَتْ - أَبْصَاكَ اللهُ - شَيْخَكَ^(٧) : خَلَقَهُ وَخُلِقَ ، وَفَعَلَهُ وَعَزَمَهُ ، وَعِزَّ الشَّهَامَةَ^(٨) ، وَالنَّفْسَ الثَّامَةَ .

(١) م فقط : « البصرة » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « من الوعد » .

(٣) ماعدا مج : « لعازم » . والغارم : من يلزمه أداء المال . وفي الكتاب العزيز : « والغارمين وفي سبيل الله » ، وهم الذين لزمهم الدين في الحماله ونحوها .

(٤) ب ، مج : « رآه » ، وهي رواية جيدة يولع بها النحويون واللغويون ، لكن في م ، ط والحيوان ١ : ٣٣٢ ونصوص جميع كتب الأمثال : « أباه » . وانظر الفاخر ١٠٣ والميداني ٢ : ٢٢٨ والعسكري ٢ : ٢٤٤ والمستقصى ٢ : ٢٥٣ . ويؤيد رواية « أباه » أيضاً ما أنشدوا في معظم هذه المراجع من قول كعب بن زهير (ديوانه ٦٥) :

فقلت شبيهات بمسا قال عالم بهن ومن يشبه أباه فاطلم

(٥) ب ، م : « نقول » ، صوابه في ط ، مج .

(٦) فيه ، ساقطة من مج .

(٧) تقيل أباه ، أو شيخه : نزع إليه في الشبه . والكلمة محرفة في الأصول ففيها جمعا : « شبحك » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ب ، م : « وعن الشهامة » ، ط : « ومن الشهامة » ، صوابه في مج .

ومرجع الأفعال إلى الطبايع . ومدار الطبايع على جودة اليقين وقوة المنة ،
وبهما تتم العزيمة . وننفذ البصيرة .

هذا مع ما قسم الله لك من المحبة ومنحك من المقة ، وسلمك عنه
من المذمة .

والله لو لم يكن فيكم من خصال الحرية ^(١) وجلال النفوس الأبية
إلا أنكم لا تدينون بالنفاق . ولا تعدون بالكذب ^(٢) ولا تستعملون
المؤاربة في موضع الاستقامة ^(٣) . وحيث تجب الثقة ^(٤) .

ولا يكون حظ الأحرار بالمواعيد صرفا . ولا تتكلمون ^(٥) على ملالة
الطالب ^(٦) ، ولا عجز الرأغب ، إذا استنفدت أيامه ^(٧) . وعجزت
نفقته . وماتت أسبابه . بل تعجلون ^(٨) لهم الراحة عند تعذر الأمور
إليكم بالإيأس ^(٩) . وتحققون ^(١٠) أطماعهم عند إمكان الأمور لكم
بالإنجاح .

٣ - فصل منها

وإنك والله . أيها الكريم المأمول . والمستعطف المسئول - لا تزرع

-
- (١) مع فقط : « الحرمة » ، تحريف .
(٢) ماعدا ط : « لاتعدون » ، تحريف . والمراد لاتعدون مواعيد كاذبة .
(٣) ب ، م : « الاستقامة » ط : « الاستنابة » ، وأثبت ما في مع .
(٤) كذا بسقوط جواب : « لو لم يكن » ، أي لكفى ذلك .
(٥) ب : « يتكلمون » م : « يتكلمون » وأثبت ما في ط ، مع .
(٦) في جميع الأصول : « ملامة الطالب » ، والوجه ما أثبت .
(٧) مع . « استنفدت » ، تحريف .
(٨) ب ، م : « يعجلون » ، صوابه في ط ، مع .
(٩) الإيأس : مصدر آيسه . وفي اللسان : « وكان في الأصل الإيأس بوزن الإيأس » .
مع : « بالإيأس » .
(١٠) ب فقط . وتحققون . تحريف .

المحبة إلا وتحصد الشكر، ولا تكثر المودات إلا إذا أكثر الناس الأموال^(١)،
ولا يشيع^(٢) لك طيب الأحذوثة^(٣) وجمال الحال في العشيرة إلا لتجرع^(٤)
مرار المكروه . ولن تنهض بأعباء المكارم التي توجبها النعمة وتفرضها
المرتبة حتى تستشعر التفكر^(٥) في التخلص إلى إغنائهم^(٦) . والقيام
بحسن ظنهم . وحتى ترحمهم من طول الانتظار . وترق عليهم من
موت الأمل وإحياء القنوط . وحتى تتغلغل^(٧) ذلك بالحيل اللطيفة .
والعناية الشديدة الشريفة ، وحتى تتوخى^(٨) الساعات . وتنتهز الفرص
في الحالات . وتتخير من الألفاظ أرقها مسلكاً . وأحسنها قبرلاً . وأجودها
وقوعاً .

(١) هذا ما في ب . وفي م ، ط : « كثر الناس الأموال » وفي مج : « كثر الناس الأموال »
وكلها قراءات صالحة .

(٢) ما عدا ط : « ولا تشيع » .

(٣) ما عدا مج : « طلب الأحذوثة » .

(٤) ب فقط : « لتجرع » .

(٥) ب : « يستشعر تفكر » . م : « يستشعر تفكر » . صوابهما في ط ، مج

(٦) ب فقط : « أعيائهم » ، تحريف .

(٧) ب ، م : « يتغلغل » ط : « تتغلغل » . وهذه الأخيرة تحريف مطعبي

(٨) ب ، م : « يتوخى » ، تحريف .

٢٤

من رسالة في

تفضيل النطق على الصمت

١ - فصل

من صدر رسالته في تفضيل النطق على الصمت^(١)

أمتع الله بك وأبقى نعمه عندك ؛ وجعلك ممن إذا عرّف الحقّ
انقاد له . وإذا رأى الباطل أنكره وتزحزح عنه .

قد قرأت كتابك فيما وصفت من فضيلة الصمت ، وشرحت من
مناقب السكوت . ولخصت من وضوح أسبابهما^(٢) ، وأحمدت من منفعة
عاقبتهما^(٣) وجريت في مجرى فنون الأقاويل فيهما ، وذكرت أنك
وجدت الصمت أفضل من الكلام في مواطن كثيرة وإن كان صواباً^(٤) ،
وألفيت السكوت أحمد من المنطق في مواضع جمّة ، وإن كان حقاً .
وزعمت أن اللسان من مسالك الخنا^(٥) ، الجالب على صاحبه البلاء^(٦)
وقلت : إن حفيظ اللسان أمثل من التورط في الكلام .

وسميت الغبي عاقلاً ، والصامت حليماً . والساكت لبيماً . والمطرق
مفكراً . وسميت البليغ مكثاراً والخطيب مهذاراً^(٧) والفصيح مفرطاً ،
والمنطيق مُطنباً .

(١) هامش الكامل ٢ : ٢٢٧ - ٢٣٨ وريشر ١٨٢ ١٨٦ ومجموعة الساسي ١٤٨-١٥٤
وهي المرموز لها بالرمز (مج) .

(٢) ب فقط : « أسبابه » .

(٣) أحمد الأمر . رضيه ووجده مستحقاً للحمد . ب : « وانقدت » تحريف . مج :
« وحدث » وأثبت ما في . ط .

(٤) ب فقط : « كانا صواباً »

(٥) الخن : الفحش . يقار حنا في مطلقه يخنو ، مفصور . ط فقط : « الخناء » ، تحريف .

(٦) م فقط : « البلاء »

(٧) هذا الصواب من مج فقط . وفي سائر النسخ : « مهذار » بالبدال المهملة . وهو بالذال
المعجمة : الذي يكثر الكلام بالهذر ، وهو الكثير الردي .

وقلت : إِنَّكَ لَمْ تَنْدِمْ عَلَى الصَّمْتِ قَطُّ وَإِنْ كَانَ مِنْكَ عِيًّا ، وَأَنَّكَ
نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مِرَاراً وَإِنْ كَانَ [مِنْكَ ^(١)] صَوَاباً .

واحتجاجك في ذلك بقول كِسْرَى أَنُو شِرْوَان ، واعتصامك فيها
بما سار من أقاويل الشعراء والمتنبي من كلام الأدباء ، وإفراطهم في مذمة
الكلام ، وإطنابهم في محمدة السكوت .

وَأَتَيْتُ - حفظك الله - على جميع ما ذكرت من ذلك ، ووصفت
ولخصت ، وشرحت وأطنبت فيها وفرطت بالفهم ، وتصفحتها بالعلم ،
وبحثت بالحزم ، ووعيت بالعزم ، فوجدتها كلاماً امرئ قد أعجب
برأيه وارتطم في هواه ، وظن أنه قد نسج ^(٢) فيها كلاماً ، وألف ألفاظاً
ونسج ^(٣) له معاني على نحو مأخذه .

ومقصده أن لا يُلْفَى ^(٤) له ناقضاً ^(٥) في دهره بعد أن أبرمها ، ولا يجد
فيها مناوياً ^(٦) في عصره بعد أن أحكمها . وَأَنَّ حُجَّتَهُ قد لزمت جميع
الأنام ، ودحضت حجة قاطبة أهل الأديان ، لِمَا شرح فيها من البرهان .
وأوضح بالبيان . وحتى كان القول من القائل نقضاً ^(٧) ، ورفع الوصف
من الواصف تغليباً ^(٨) . وكان في موضع لا ينازعه فيه أحد ، وكلما يجد

(١) التكملة من مع .

(٢) في جميع الأصول : « نسج » ، ووجه ما أثبت .

(٣) مع فقط : « ونسخ » .

(٤) في جميع الأصول : « يلقى » بالقاف ، ووجه ما أثبت من ط

(٥) م فقط : « ناقضاً » ، تحريف .

(٦) المناوئ : « المناهض والمعادى . ماعداً ط : « منادياً » تحريف .

(٧) ماعداً ط : « نقضاً » .

(٨) كذا . ولعلها : تفك .

من يُخاصمه . ولا يُلغى^(١) أبداً من يناضله، وصار فلجاً [بحجته^(٢)]
أوحدياً في لهجته . إذ كان محلّه محلّ الوحدة . والأنس بالخلوة ،
وكان مثله في ذلك [مثل^(٣)] من تخلّص إلى الحاكم وحده فلج
بحجته^(٤) .

وإنّني سأوضح ذلك ببرهانٍ قاطع . وبيانٍ ساطع . وأشرح فيه من
الحُجج ما يظهر . ومن الحقّ ما يقهر ، بقدر ما أتت عليه معرفتي ،
وبلغته قوّتي ، وملكتُه طاقتي . بما لا يستطيع أحدُ رده ، ولا يمكنه إنكاره
وجحدّه . ولا قوة إلّا بالله ، وبه أستعين^(٥) . وعليه أتوكل وإليه أُنِيب .
إنّني^(٦) وجدتُ فضيلةَ الكلام باهرةً . ومنقبةَ المنطقِ ظاهرةً ، في
خلالٍ كثيرة ، وخصالٍ معروفة .

منها : أنّك لا تؤدّي شكرَ الله ولا تقدر على إظهاره إلّا بالكلام .

ومنها : أنّك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك^(٧) والإبانة عن
ماربك^(٨) إلّا باللسان . وهذان في العاجل والآجل مع أشياء كثيرة
لو يَنحُوها الإنسانُ لوجَدَها في المعقول موجودة^(٩) ، وفي المحصول معلومة^(١٠)

(١) ب : « يلغى » ، مج : « يلغى » . صوابهما في م ، ط .

(٢) بحجته ، ساقطة من ب . و الفلج . بالفتح : الغالب بحجته الظاهر على خصمه . وفي
اللسان : « ورجل فالج في حجته و فلج » ، كما يقال بالغ وبلغ ، وثابت وثبت .

(٣) التكلة من ط ، مج .

(٤) م : « فلج » ب ، ط : « فلج » ، صوابهما في مج .

(٥) ما عدا مج : « نستعين » .

(٦) ما عدا م : « وإنّني » .

(٧) م . « حاجتك » .

(٨) ما عدا مج : « ماركك » .

(٩) ب فقط . « موجوداً » .

(١٠) ب فقط . معلوماً .

وعند الحقائق مشتهرة^(١) ، وفي التدبير ظاهرة^(٢) .

ولم أجِدْ للصمت فضلاً على الكلام ممّا يحتمله القياس . لأنّك تصف الصمت [بالكلام . ولا تصف الكلام به . ولو كان الصمت^(٣) أفضل والسكوت أمثل لما عُرِفَ للآدميين فضلٌ على غيرهم . ولا فِرْقَ بينهم وبين شيءٍ من أنواع الحيوان وأخفاف الخلق^(٤) في أصناف جواهرها واختلاف طبائعها ، وافتراق حالاتها وأجناس أبدانها في أعيانها وألوانها . بل لم يمكن أن يميّز^(٥) بينهم وبين الأصنام المنصوبة والأوثان المنحوتة ، وكان كلُّ قائمٍ وقاعد^(٦) ، ومتحرِّكٍ وساكن ، ومنصوب وثابت ، في شرعٍ سواء^(٧) ومنزلةٍ واحدة ، وقِسمةٍ مُشاكلة ، إذ كانوا^(٨) في معنى الصمت بالجُنة^(٩) واحداً ، وفي معنى الكلام بالمنطق متبايناً^(١٠) . ولذلك صارت الأشياء مختلفة في المعاني ، مؤتلفة الأشكال ، إذ كانت^(١١) في أشكال خِلقتها متفكة بتركيب جواهرها^(١٢) ، وتألّيف أجزائها ، وكمال أبدانها ، وفي معنى الكمال متباينة عند مفهوم نغماتها ، ومنظوم ألفاظها ، وبيان معالمها وعدل شواهداها .

(١) ب : « مشتهراً » م : « مشهورة » ، والوجه ما أثبت من ط ، ع ، مج .

(٢) ب ، م : « ظاهراً » .

(٣) ما بين المعقّفين ساقط من ب ، كما سقطت كلمة « به » ما عدا ط .

(٤) الأخفاف : الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال . م : « وأخفاف » ، تحريف .

وفي ط : « وأصناف » .

(٥) ما عدا ط : « بل لم يكن يميّز » .

(٦) في جميع الأصول : « وكان لكل قائم وقاعد » ، والوجه ما أثبت .

(٧) الشرع ، بالتحريك ، ويقال بالفتح أيضاً : السواء ، يقال هذا شرع سواء .

وفي الحديث : « أنتم فيه شرع سواء » ، أي متساوون .

(٨) ب فقط : « إذا كانوا » .

(٩) ب فقط : « بالجمحة » ، تحريف .

(١٠) أي شيئاً متبايناً .

(١١) فقط : « إذا كانت » .

(١٢) ما عدا ط : « أجوادها » .

مع أُنِّي لم أنكر فضيلة الصَّمت . ولم أهبِّن ذكره إِلَّا أَنْ فَضِّلَهُ
خاصٌّ دون عامٍّ . وفضلُ الكلام خاصٌّ وعامٌّ . وأنَّ الاثنين إذا اشتمل
عليهما فَضْلٌ كان حظُّهما أكثرَ ، ونصيبُهُما لا أوفر من الواحد . ولعلَّه أَنْ
يكون بكلمةٍ واحدةٍ نَجاةٌ^(١) [خلقٍ ، وخلاصٌ أمةٌ .

ومن أكثر ما يُذكرُ للسَّكْت من الفضل . ويُوصَف له من المَنْقِبَةِ
أَنْ يقال يسكَّت ليتوقَّى به عن الإِثم^(٢) ، وذلك فَضْلٌ خاصٌّ دون عامٍّ .

ومن أَقلِّ ما يُحتَكَم عليه أَنْ يقال غيٌّ أو جاهل^(٣) ، فيكون في ذلك
لازِمٌ ذَنْبٌ على التَّوَهُّم به ، فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما ورَّط
فيه صاحبه من الوزر .

والذي ذُكِرَ من تفضيل الكلام ما يَنطِقُ به القرآن ، وجاءت فيه
الرُّوَايَات عن الثَّقَات ، في الأحاديث المنقولات ، والأقاصيص المرويَّات .
والسَّمَر والحِكَايَات ، وما تكَلَّمَت به الخطباء ونطَقَت فيه البلغاء -
أكثرُ من أَنْ يُبلَّغ آخرُها ، ويُدرَك أولُها^(٤) ، ولكن قد ذكرتُ من ذلك
على قدرِ الكِفَايَةِ ، ومن الله التَّوْفِيقُ والهُدَايَةُ .

ولم نَرِ الصَّمتَ - أسعدك الله - أَحمدَ في موضعٍ إِلَّا وكان الكلامُ
فيه أَحمدَ . لِتَسَارُعِ النَّاسِ^(٥) إلى تفضيل الكلام . لظهورِ علَّتِهِ ،
ووضوحِ جليَّتِهِ . وَمَغْبَةِ نفعِهِ .

(١) ما بين المنقطين ساقط من ب .

(٢) يقال ، ساقطه من ط . و في ب فقط : « عن الاسم » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « غيٌّ » ، تحريف .

(٤) م فقط : « ويترك أولها » .

(٥) ب فقط : « لسارع الناس » ، تحريف .

وقد ذكر الله جلَّ وعزَّ^(١) في قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حين كَسَرَ الأصنام وجعلها جُذَاذًا ، فقال حكايةً عنهم : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْإِهْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ^(٢) ﴾ . فكان كلامه سبباً لِنجاته . وعِلَّةٌ لَخلاصِهِ . وكان كلامه عند ذلك أحمَدَ من صمتٍ غيره في مثل ذلك الموضع ، لأنَّه عليه السلام لو سكت عند سؤالهم إِيَّاه لم يكن سكوتُه إلَّا على بَصَرٍ وعِلْمٍ ، وإنَّما تكلم لأنَّه رأى الكلامَ أَفْضَلَ . وأنَّ من تكلم فاحسنَ قَدَرَ أن يسكُتَ فيُحْسِنَ . وليس من سكت فاحسنَ قَدَرَ أن يتكلمَ فيُحْسِنَ .

واعلمْ - حَفِظَكَ اللهُ - أنَّ الكلامَ سببٌ^(٣) لإيجاب الفضل ، وهِدَايَةٌ إلى معرفة أهل الطَّوْلِ .

ولولا الكلامُ لم يكن يُعرَفُ الفاضلُ من المفضول ، في معانٍ كثيرة ، لقول الله عزَّ وجلَّ^(٤) ، في بيان يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر ، لما كلمه^(٥) فقال : ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ^(٦) ﴾ . فلو لم يكن يوسفُ عليه السلام أَظْهَرَ فضلَه بالكلام ، والإفصاح بالبيان ، مع محاسنه المُونِقَةِ ، وأخلاقه الطَّاهِرَةِ . وطبائعه الشَّرِيفَةِ ، لَمَا عَرَفَ العزيزُ فضلَه ، ولا بلغَ تلك المنزلةَ لديه ، ولا حلَّ ذلك المحلَّ منه^(٧) ، ولا صار

(١) مع : « وقد ذكر الاجل وعز » . وانظر ما سأتى .

(٢) الآيتان ٦٢ ، ٦٣ من سورة الأنبياء .

(٣) ب فقط : « لسبب » . تحريف .

(٤) مع : « لقول الا » ، ويبدو أن هذا وسابغه محاولة طباعية لاختصار لفظ الجلالة ،

وهو أمر بشع .

(٥) ، ب ، مع : « ما كلمه » تحريف ، م : « فلما كلمه قال » ، وأثبت ما في ط .

(٦) الآية ٥٤ من سورة يوسف .

(٧) ب : « ولا حل » م : « ولا حل » صوابهما في مع ، ط . وث ب فقط : « ذلك المحل » ،

تحريف .

عنده بموضع الأمانة . ولكان في عداد غيره^(١) ومنزلة سيواه عند العزيز . ولكن الله جعل كلامه سبباً لرفع منزلته . وعلو مرتبته . وعلة لمعرفة فضيلته ، ووسيلة لتفضيل العزيز إياه .

ولم أر للصمت فضيلة في معنى ولا للسكوت منقبة في شيء إلا وفضيلة الكلام فيها أكثر ، ونصيب المنطق عندها أوفر ، واللفظ بها أشهر . وكفى بالكلام فضلاً ، وبالمنطق منقبة ، أن جعل الله الكلام سبيل تهليله وتحميده ، والدال على معالم دينه وشرائع إيمانه ، والدليل إلى رضوانه^(٢) . ولم يرض من أحد من خلقه إيماناً إلا بالإقرار ، وجعل مسلكه اللسان ، ومجراه فيه البيان ، وصيره المعبر عما يضره^(٣) والمبين عما يخبره^(٤) ، والنبي عن^(٥) ما لا يستطيع بيانه إلا به^(٦) . وهو ترجمان القلب . والقلب وعاء واع^(٧) .

ولم يُحمد الصمت من أحد إلا توقياً لعجزه عن إدراك الحق والصواب في إصابة المعنى . وإنما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم المشركين عند جهلهم الله تعالى وإنكارهم إياه ، ليقرؤا به . فإذا فعلوه حَقِنت دماؤهم ، وحرمت أموالهم ، ورُعيت ذمتهم . ولو أنهم سكتوا ضناً بدينهم لم يكن سبيلهم إلا العطب .

(١) مج : (في عداو غيره » ، تحريف .

(٢) مج : « عل رضوانه » ، تحريف .

(٣) ب . « وصيره المصير عنك ما تضره » م : « وصيره المعبر عنك ما تضره . صوابهما في ط ، مج .

(٤) ب ، م ، مج : « والمبين عنك ما يخبره » ، صوابه في ط .

(٥) ما عدا ط : « عنك » ، تحريف .

(٦) ما عدا مج : « ما يستطيع » وفي مج : « ما لا يستطيع » والوجه ما أثبت . وقد سقطت « إلا به » من ط .

(٧) مج : « دعاء وراع » .

فاعلم أَنَّ الكلام من أسباب الخير لا من [أسباب] الشر^(١) .

والكلام - أبقاك الله - سبيل التمييز بين الناس والبهايم . وسبب المعرفة لفضل الآدميين على سائر الحيوان^(٢) ، قال^(٣) الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^(٤)﴾ . كَرَّمَهُم^(٥) باللسان وجملهم بالتدبر^(٦) .

ولو لم يكن الكلام لما استوجب أحد النعمة . ولا أقام على أداء ما وجب عليه^(٧) من الشكر سبباً للزيادة ، وعلة لامتحان قلوب العباد . والشكر بالأظهار في القول ، والإبانة باللسان . ولا يُعرف الشكر إلا بهما . والله تعالى يقول : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^(٨)﴾ ، فجعل الشكر علة لوجوب الزيادة ، عند إظهاره بالقول ، والحمد مفتاحاً للنعمة .

وقد جاء في بعض الآثار : لو أَنَّ رجلاً ذَكَرَ الله تعالى وآخر يَسْمَعُ له كان المعلوم للمستمع من الأجر ، والمذكور له من الثواب واحداً^(٩) وللمتكلم^(١٠) به عشرة أو أكثر .

فهل ترى - أبقاك الله - أَنَّهُ وجب له أحب العشر^(١١) ذلك وفضل

(١) ب ، م : « إلا من الشر » ، تحريف .

(٢) ب : « على سائر الحيوان » .

(٣) ب : « فقال » .

(٤) الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

(٥) ب فقط : « أكرمهم » .

(٦) في جميع الأصول : « وجملهم بالتدبر » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ماعداء ط : « عليهم » .

(٨) الآية ٧ من سورة إبراهيم .

(٩) ب ، م : « واحد » .

(١٠) ب فقط : « والمتكلم » .

(١١) ميج : « العشرة » . وكلاهما جائز لأنه صفة للمعذوف

به على صاحبه إلا عند استعماله بالنطق به لسانه^(١). ولم يلزم^(٢) الصمت أحدٌ إلا على حسب وقوع الجهل عليه. فأما^(٣) إذا كان الرجل نبيها مميزاً ، عالماً مَفَوَّهاً فالصمت مُهَجَّنٌ لعلامه وسائر لفضله^(٤). كالقداحة لم يستبن ففَعَّها دون تزنيدها^(٥). ولذلك قيل : « من جهل علماً عاداه ». .

٢ - فصل منها

ولم أجِدِ الصَّامَتِ مستعاناً به في شيءٍ من المعاني . ولا مذكوراً في المحافل .

ولم يُذكر الخطباء ولا قَدَمَتُهُمُ الوفودُ عند الخلفاء إلا لِمَا عرفوه من فَضْلِ لسانهم وفضيلةِ بيانهم . وإنَّ أَصَحَّ ما يُوجد في المعقول ، وأَوْضَحَ ما يُعَدُّ في المحصول للعرب من الفضل . فصاحتها وحسنُ منطقها ، بَعْدَ فضائلها المذكورة . وأَيَّامها المشهورة .

ولفضل الفصاحة وحسن البيان بعثَ الله تعالى أَفْضَلَ أنبيائه وأَكْرَمَ رُسُلِهِ من العرب . وجعلَ لسانَه عَرَبِيًّا . وأنزَلَ عليه قُرْآنَه عَرَبِيًّا ، كما قال الله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٦) . فلم يُخَصَّ اللسانُ بالبيان ، ولم يُحمد بالبرهان إلا عند وجود الفضل في الكلام . وحسن العبارة عند المنطق ، وحلاوة اللَّفْظ عند السَّمْع .

واعلم أنَّ الله تعالى لم يُرْسِلْ رسولاً ولا بعثَ نبياً إلا مَنْ كان فضله

(١) مج : « على لسانه » .

(٢) م فقط : « ولا يلزم » .

(٣) ط فقط : « أما » بلا فاء .

(٤) ب ، م : « فضله » .

(٥) المراد بالتزنيذ استعمال الرندين . والكلمة بهذا المعنى لم ترد في المعاجم المتداولة .

(٦) الآية ١٩٥ من سورة الشعراء .

في كلامه وبيانه كفضله على المبعوث إليه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لساناً ، وأحسنهم بياناً ، وأسهلهم مخارج للكلام^(١) وأكثرهم فوائد من المعاني ؛ لأنه كان من جماهير العرب ، مولده في بني هاشم ، وأخواله من بني زهرة ، ورضاعه في بني سعد بن بكر ، ومنشؤه في قريش ، ومتزوج في بني أسد بن عبد العزى ، ومهاجره إلى بني عمرو^(٢) ، وهم الأوس والخزرج من الأنصار . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر^(٣) » .

ولو لم يكن ممّا عَدَدْنَا من هؤلاء الأحياء إلا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها ، وكفاية عن من سواها^(٤) ، لأن قريشاً أفصح العرب لساناً وأفضلها بياناً ، وأحضرها جواباً ، وأحسنها بديهة^(٥) ، وأجمعها عند الكلام قلباً .

ثم للعرب أيضاً خصال كثيرة ، ومشاهد كثيرة ، ممّا يشاكل هذا الباب ، ويضارع هذا المِثال ، حذفْتُ ذكرها خوف التطويل فيها^(٦) .

(١) ب ، م : « مخارج الكلام » .

(٢) هكذا وردت « مهاجرته » في جميع الأصول ، وهي صحيحة ولغة الجاحظ تتطلب « مهاجره » . وعمرو هذا هو مزريقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة النطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . والأوس والخزرج أبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو هذا ، الملقب بمزريقيا . جمهرة ابن حزم ٣٣٢ . ويقول أوس بن الصامت الأنصاري : (المعنى ١ : ٣٩١ والخزاة ١ : ٢٢٩) :

أنا ابن مزريقيا عمرو وجدى أبوه عامر ماء السماء

(٣) انظر لسان العرب (بيد) .

(٤) في جميع الأصول : « وكفاية من سواها » .

(٥) م فقط : « بديهة » .

(٦) ما عدا ط : « وذكرت التطويل فيها » ، تحريف .

٣ - فصل منها

فهذه كُلُّهَا دلائل^(١) على دَحْضِ حُجَّتِكَ ونَقْضِ قَضِيَّتِكَ . وإِنَّمَا أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى رُسُلَهُ مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ الْأُمَمَ . وَأَمَرَهُم بِالْإِبْلَاحِ لِيُزْمَهُمُ الْحُجَّةَ بِالْكَلامِ لَا بِالصَّمْتِ . إِذْ لَا يَكُونُ لِلرَّسَالَةِ بِلَاغٌ وَلَا لِلْحُجَّةِ لَزُومٌ وَلَا لِلْعَلَّةِ ظَهْوَرٌ إِلَّا بِالنُّطْقِ^(٢) .

٤ - فصل منها

في صفة من يقدر على الإبانة

وليس يَقْوَى على ذلك إِلَّا امرؤٌ في طبيعته فضلٌ عن احتمال نحيزته^(٣) وفي قريحته زيادةٌ من القوَّة على صناعته . ويكون حَظُّهُ من الاقتدار في المنطق فوق قِسْطِهِ من التغلُّب في الكلام . حتَّى لَا يَضَعُ اللَّفْظَ الْحَرَّ النَّبِيلَ إِلَّا على مثله من المعنى . وَلَا اللَّفْظَ الشَّرِيفَ الْفَخْمَ^(٤) إِلَّا على مثله من المعنى . نعم . وَحتَّى يُعْطَى اللَّفْظَ حَقَّهُ من البيان . ويوفَّر على الحديث قِسْطَهُ من الصَّواب ، ويُجْزَلَ^(٥) للكلام حَظُّهُ من المعنى ، وَيَضَعُ جميعَهَا مواضِعَهَا . ويصفِهَا بصففتها . ويوفَّر عليها حقوقَهَا من الإعراب والإفصاح .

(١) م : « دليلة » ط : « دليل » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

(٢) بعده في ميج : « وانه أعلم » . وبذلك ينهى النص المذكور في نسخة مجموعة الساسي .

(٣) نخبة الرجل : طبيعته ، كالتحيتة أَيْضاً . ط فقط . « غيرته »

(٤) ب : « المفعم » .

(٥) م : « ويجزك » ط : « وبحرك » ، صوابها في ب

٥ - فصل منها

وبعدُ، فأيُّ شيءٍ أشهرُ مَنْقِبَةً وأرفعُ درجةً وأكملُ فضلاً. وأظهر
نفعاً، وأعظمَ حرمةً، من شيءٍ لولا مكانه لم يثبتَ لله ربوبيةٌ ^(١) ولالنبى
حجةٌ ^(٢)، ولم يفصل بين حجة وشبهة. وبين الدليل ^(٣) وما يتجلى ^(٤)
في صورة الدليل.

ثم به يُعرفُ فضلُ الجماعة من الفرقة. والشبهة من البدعة،
والشذوذ من الاستنفاضة.

والكلام سببٌ ^(٥) لتعرفِ حقائق الأديان. والقياس في تثبيتِ
الربوبية ^(٦) وتصديق الرسالة، والامتحان للتعديل والتجوير ^(٧)
والاضطرار والاختيار ^(٨).

(١) ب : « لم يثبت الله يسوتية » بحريص .

(٢) م : « للنبى حجة » . وما بعده إلى « حجة » التولية ساقط من م .

(٣) « بين الدليل » ساقط من ب .

(٤) ب : « تتجلى » .

(٥) ب : « والكلام لسبب » .

(٦) م : « والقياس وإثبات الربوبية » .

(٧) في جميع الأصول : « والتحرير » ، والوجه ما أثبت . والتجوير . نسمة الجور ،

أى الظلم إلى الله . وانظر ما سبق في ٤٠، ٣٣ .

(٨) ط : « للاضطرار والاختيار » صوابه في ب ، م .

٢٥

من كتابه في
صناعة الكلام

1000 1000 1000 1000 1000

1000 1000 1000 1000 1000

١ - فصل

من صدر كتابه في صناعة الكلام^(١)

ذكرتَ حفظك الله تفضيلك^(٢) صناعة الكلام ، والذي خصصتَ به مذهبَ النظام ، وشغفَكَ بالمبالغة في النظر . وصَابَتَكَ^(٣) بتهذيب النحل ، مع أنسِكَ بالجماعة ، ووحشتَكَ من الفرقة . والذي تَمَّ عليه عزْمُكَ من إدامة البحث والتنقيب^(٤) ومن حَمَلِ النَّفْسِ على مكروهاها من التفكير ، ومن الانتساب إليهم والتعريف بهم . والذي تَهَيَّأ لك من الاحتساب في الأجر . والرغبة في صالح الذِّكْرِ ، والذي رَأَيْتَ من النَّصَبِ للرافضة والمارقة . وُضِلَ مفارقة المرجئة والنَّابِئَةِ . ولكلٍّ من اعترض عليهم ، وانحرف عنهم ، والذي يُخَصُّ به الجَبَرِيَّةُ ويُعَمُّ به المشبهة .

فِيَايُهَا المتكلمُ الجَمَاعِيُّ . والمتفقَةُ السُّنِّيَّةُ ، والنَّظَارُ المعتزلي . الذي سَمَتْ هِمَّتَهُ إلى صناعة الكلام مع إدبار الدنيا عنها . واحتمَلَ ما في التعرُّض للعوام من الثَّوَابِ عليها ، ولم يُقْنِعْهُ من الأديانِ إِلَّا الخالص الممتَحَنُ^(٥) ولا من النحلِ إِلَّا الإبريزُ المهذب . ولا من التمييزِ إِلَّا المحضُ المصنَّي . والذي رَغِبَ بنفسِهِ عن تقليد الأعمار والحُشْوَةِ^(٦) . كما

(١) هامش الكامل ٢ : ٢٣٨ - ٢٤٦ باسم « صناعة الكلام » وكذلك ريشر ١٥٩ ١٦٣ . وانفردت نسخة المتحف البريطاني (ب) باسم « فضيلة صناعة الكلام » .

(٢) ب فقط : « تفضيل » .

(٣) في جميع الأصول : « وصيانتك » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « والتنقيب » ، صوابه في ط .

(٥) الممتحن : المصنوع المخلص ، من قولهم : بحثت الفضة ، إذا صفيها وخلصتها بالنار .

ب فقط : « الممتحن » تحريف .

(٦) حشوة الناس ، بالضم : ردألتهم . م فقط : « والحشوية » ، وليست مرادة هنا ،

وانظر لحشوية ماضي في ٣ ٢٨٨ .

رَغِبَ عن ادِّعاء الإلهام والضرورة . ورَغِبَ عن ظُلم القياس بقدر رغبته في شرفِ اليقين ^(١) :

إِنَّ صِنَاعَةَ الكلامِ عِلْقُ نفيس . وجوهرٌ ثمين . وهو الكنز الذي لا يَفْنَى ولا يَبْلَى ، والصاحب الذي لا يُمَلُّ ولا يُغَلُّ ^(٢) . وهو العيارُ على كلِّ صناعة . والزَّمام على كلِّ عبارة . والقِسْطاس الذي به يُستبان نُقصان كلِّ شيءٍ ورُجحانه ، والراووق الذي به يُعرف صفاء كلِّ شيءٍ وكدره ، والذي كلُّ أهلٍ علمٍ عليه عيالٌ . وهو لكلِّ تحصيلٍ آلةٌ ومثال .

أَلَا إِنَّهُ ثَغْرٌ ^(٣) والثَّغْرُ محروس . وحيى والحمى ممنوع . والحَرَمُ ^(٤) مصونٌ ، ولن تصونه ^(٥) إِلَّا بابتذالِ نفسك دُونَهُ . ولن تمنعه ^(٦) إِلَّا بِأَنْ تجودَ بمهجتك ومجهودك . ولن تحرسه إِلَّا بالمخاطرة فيه . والثَّوَابُ على قدر المشقة ، والتوفيقُ على مقدارِ حُسْنِ النِّيَّةِ .

وكيف لا يكونَ حَرَمًا وبه عرفنا حُرْمَةَ الشَّهر الحرام والحلال المنزل ، والحرام المفصَّل ؟ !

وكيف لا يكونَ ثَغْرًا وكلُّ الناسَ لأَهْلِهِ عَدُوٌّ ، وكلُّ الأُمَمِ له مُطالبٌ .

(١) في جميع الأصول : « شرب اليقين » ، والوجه ما أثبت .

(٢) يغل : يكون في قلبه الغش والفسن . والإغلال أيضاً : السرقة والخيانة . وفي الأصول : « ولا يقل » ، ولا وجه له .

(٣) في جميع الأصول : « الآية » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « والحرم » ، صوابه في ط .

(٥) ب فقط ، ولا تصونه .

(٦) ولن تمنعه ، ساقط من م .

وأحق الشيء^(١) بالتعظيم ، وأولاهُ بأن يُحتمَل فيه كلُّ عظيم ما كان مُسلِماً إلى معرفة الصَّغير والكبير . والحقير والخطير ، وأداة لإظهار الغامض . وآلة لتخليص الغاشية^(٢) . وسبباً للإيجاز يوم الإيجاز والإطناب يوم الإطناب .

وبه يُستدلُّ على صرف^(٣) ما بين الشرِّين من النقصان . وعلى فَضْل^(٤) ما بين الخيرين من الرُّجحان ؛ والذي يصنع في العقول من العبارة وإعطاء الآلة مثلاً صنيع العقل في الروح . ومثّل صنيع الروح في البدن . وأىُّ شيء أعظم من شيء لولا مكانه لم يثبت للربِّ ربوبية . ولانتي^(٥) حجة ، ولم يُفصل بين حُجَّة وشُبْهة ، وبين الدليل وما يُتخيل في صورة الدليل . وبه يُعرف الجماعة من الفرقة ، والسنة من البدعة . والشذوذ من الاستفاضة .

٢ - فصل منه

واعلم أنَّ لصناعة الكلام آفات كثيرة ، وضروباً من المكروه عجيبة . منها ما هو ظاهر للعيون والعقول ، ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون ، وبعضها وإن لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول فإنه لا يظهر إلا لكل عقل سليم جيد التركيب ، وذهن صحيح خالص الجوهر ، ثم لا يدركه أيضاً إلا بعد إدمان الفكر . وإلا بعد دراسة الكتب ، وإلا

(١) ب ، م : « وأحق بالشيء » ، صوابه في ط .

(٢) الغاشية : ما يغشى . ط فقط : « الغاشية » .

(٣) الصرف : الفضل : يقال : لهذا صرف على هذا ، أى فضل . وفي جميع الأصول :

« ضرب » ، صوابه ما أثبت .

(٤) م ، ط : « فصل » بالصاد المهملة ، ولها وجهها .

(٥) ب ، م فقط : « لنتي » . وانظر ما مضى في ٢٣٨ .

بعد مناظرة الشكل الباهر . والمعلم الصابر . فإن أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية . فلا بُدَّ من شهوة قوية . ومن تفضيله [على ^(١)] كل صناعة ، مع اليقين بأنه متى اجتهد أنجح . ومتى أدمن قرع ^(٢) الباب وَلَجَ . فإذا أعطى العلم حقه [من الرغبة فيه ، أعطاه حقه] ^(٣) من الثواب عليه .

٣ - فصل منه

ومن آفات صناعة الكلام أن يرى ^(٤) مَنْ أَحْسَنَ بَعْضَهَا أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَهَا كُلَّهَا ، وكلُّ من خاصم فيها ظنَّ أَنَّهُ فوقَ من خاصمه حتى يرى المبتدئ أَنَّهُ كالمنتهى ^(٥) ويُخَيَّلُ إلى الغيِّ أَنَّهُ فوق الذكيِّ . وأيضاً أَنَّهُ يُعْرِضُ عن أهله ^(٦) وَيَنْصِبُ لِأَصْحَابِهِ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عِلْمٍ قَطُّ ، ولم يَخْضُ في أدبٍ منذ كان ، ولم يادر ما التمثيل ولا التحصيل ، ولا فرق ما بين الإهمال والتفكير ^(٧) .

وهذه الآفات لا تعترى الحُصَّاب ولا الكُتَّاب . ولا أصحاب النُحو والعروض ، ولا أصحاب الخبر وحُمَال السَّيْرِ ، ولا حُفَاطَ الآثَارِ ولا رُؤَاةَ الْأَشْعَارِ ، ولا أصحاب الفرائض ، ولا الخطباء ولا الشعراء . ولا أصحاب الأحكام ومن يُفَتِّي ^(٨) في الحلال والحرام ، ولا أصحاب التَّأْوِيلِ ،

(١) تكلمه يفتقر الكلام إليها .

(٢) ب ، م : « قراع » ، صوابه في ط .

(٣) م : « فإذا أعطى العلم حقه من الثواب عليه » . فقط بسقوط سائر الكلام .

(٤) ب ، م : « يرى » مع سقوط « أن » قبلها . وإثباتها من ط .

(٥) ب ، م : « حتى ترى » إلى آخر الكلام . وفي م : « حتى ترى المنتهى » فقط . وأثبت

ما في ط .

(٦) ب ، م : « وأيضاً أنه يعرض على أهله » ، صوابه في ط .

(٧) ط : « والتفكير » .

(٨) ب ، م : « يعني » ، صوابه في ط .

ولا الأطباء ولا المنجمين ولا المهندسين ، ولا لدى صناعةٍ ولا لدى تجارة ، ولا لدى عيلة^(١) ولا لدى مسألة .

فهم لهذه البلية مَخصوصون ، وعليها مقصرون . فللصابر منهم من الأجر حَسَبُ ما خُصَّ به من الصَّبر . وهى الصَّناعةُ لا يكاد تظهر قوتها^(٢) ولا يُبلغ أقصاها إلا مع حضور الخضم .

ولا يكاد الخضم يبلُغ محبته منها إلا برُفَع الصوت وحركة اليد ، ولا يكاد اجتماعهما يكون إلا فى المَحْفِل العظيم والاحتشاد من الخصوم ، ولا تحتفل نفوسهما^(٣) ، ولا تجتمع قوتُهما^(٤) ، ولا تجود القوة بمكنونها وتُعْطى أقصى ذخيرتها ، التى أَسْتَخَزَتْ^(٥) ليوم فقرها^(٦) وحاجتها ، إلا يومَ جمع وساعة حَفَل . وهذه الحال داعيةٌ إلى حب الغلبة .

وليس شئٌ أَدْعَى إلى التغلب من حب الغلبة . وطول رُفَع الصوت مع التغلب ، وإفساد التغلب^(٧) طباع المفسد ، يوجبان فساد النية ، ويمنعان من دَرْك الحقيقة . ومتى خَرَجَا من حد الاعتدال أَخْطَا جِهَةً القصد .

وعِلَم الكلام بَعْدُ^(٨) ملقًى من الظلم ، متاحٌ له الهضم . فهو أبداً محمول

(١) العيلة ، بالفتح : الفقر والحاجة . وفى الكتاب العزيز : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

(٢) م ، ط : « يظهر قوتها » .

(٣) ب ، م : « ولا يحتفل نفوسهما » ، والوجه ما أثبت . وقد سقطت هذه العبارة من ط

(٤) ب ، م : « ولا يجتمع » . وفى ط : « قوتها » وهذه محرفة .

(٥) ب : « والذى استجريت » ، م : « والذى استجريت » ، صوابها ما أثبت . وفى ط .

« التى أعدتها » .

(٦) ب فقط : « اليوم فقرها » . تحريف .

(٧) ب ، م : « المتغلب » ، صوابها فى ط .

(٨) ب فقط : « أبعد » ، تحريف .

عليه ومُبْخُوسٌ حَطُّهُ^(١) وباب الظلم إليه مفتوح . لا مانع له دونه .
والعلم بما فيه من الضرر يخفى على أكثر العقلاء . ويغْمُضُ على جمهور
الأدباء . وإذا كان ملقى من أكبر العقلاء . ومخدولاً عند أكثر الأدباء .
فما ظنك بمن كان عقله ضعيفاً ونظره قصيراً ؟ بل ما ظنك بالظُلُوم
الغادر ، والعُمَرُ الجاسر ؟ فهذا سبيلُ العوامِّ فيه . وجهلُ عوامِّ الخواصِّ
به ، وانحرافُهم عنه . وميلُ الملوكِ عليه ، وعداوة بعضٍ لبعضٍ فيه .

وصناعة الكلام كثيرة الدُّخْلَاءِ والأدْعِيَاءِ . قليلة الخُلُصِّ والأَصْفِيَاءِ
والنَّجَابَةِ فيها غريبة ، والشروط التي تستحكم بها الصُّنَاعَةُ بعيدةٌ
سحيقةٌ^(٢) ؛ ولدعى القوم من العجز ما ليس لصحيحهم ، ولردى الطباع
في صناعة الكلام من ادعاء المعرفة ما ليس للمطبوع عليها منهم ، بل
لا تكاد تجده إلا مغموراً بالحُشْوَةِ^(٣) مقصوداً بمخاتل السُّفَلَةِ .

ومن مَظَالِمِ صناعة الكلام عند أصحاب الصِّنَاعَاتِ أَنَّ أصحاب
الحساب والهندسة يَزْعُمُونَ أَنَّ سبيلَ الكلام سبيلُ اجتهادِ الرَّأْيِ .
وسبيلُ صوابِ الحَدْسِ . وفي طريقِ التقريب والتَّمْوِيهِ . وأنه ليس
العلمُ إلا ما كان طبيعياً واضطرابياً لا تأويلَ له ، ولا يحتملُ معناه
الوجوهَ المشتركة . ولا يتنازعُ أَلْفَاظُهُ الحدودَ المتشابهة . ويَزْعُمُونَ أَنَّهُ
ليس بين علمهم بالشيء الواحد أَنَّهُ شيءٌ واحدٌ وأنه غير صاحبه فرق
في معنى الإِتِّقَانِ^(٤) والاستبانة ، وتُلَجُّ الصُّدُورُ والحكم بغاية الثقة .

(١) المبخوس : امتقوص . ب فقط : « ومنجوس » .

(٢) السحيقة : بعيدة . وفي الكتاب : « أو تهوى به الريح في مكان سحيق » . وفي
اللسان : « وإياه لبعيد سحيق » . وفي جميع الأصور : « تخيفة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) ط : « بالحدة » .

(٤) ط فقط : « الاتفاق » .

٤ - فصل منه (١)

فلو كان هذا المهندسُ الذي أبرمَ قضيَّته . وهذا الحاسبُ الذي قد شَهرَ حُكومتَه . نَظَرَ في الكلامَ بعقلٍ صحيحٍ وقريحةٍ جيِّدةٍ ، وطبيعةٍ مناسبةٍ . وعنايةٍ تامَّةٍ . وأعوانٍ صِدقٍ وقِلَّةِ شواغلٍ . وشهوةٍ للعلمِ ، ويقينٍ بالإصابة . لكان تهيُّبُ الحكمِ أَزِينَ به . والتوقُّى أَوَّلَ به . فكيف بمن لا يكونُ (٢) عرفَ من صناعة الكلام ما يعرفه المقتصدُ فيه ، والمتوسِّطُ له .

على أَنَّا ما وجدنا مهندساً قط ولا رأينا حاسباً يقول ذلك إلَّا وهو ممن لا يتوقَّى سَرَفَ القَوْلِ ، ولا يُشْفِقُ من لائمة المحصلين ، وقضيَّته قضيةٌ من قد عرف الحقائق ، واستبانَ العواقبَ ، ووزنَ الأمورَ كُلَّها وعجمَ المعانيَ بآسرها ، وعلمَ من أين وثق كلُّ واثقٍ ، ومن أين غرَّ كلُّ مغرورٍ .

وعلى أَنَّهُمْ يُقَرُّونَ (٣) أَنَّ في الحساب ما لا يُعلم . وأنَّ في الهندسة ما لا يُدرَك ولا يُفهم . والمتكلِّمون لا يُقَرُّونَ بذلك العجزَ في صناعتهُم ، وبذلك النقصَ في غرائزهم .

٥ - فصل منه

وأقول : إنه لو لم يكن (٤) في المتكلِّمين من الفضلِ إلَّا أَنَّهُمْ قد رأوا إدبارَ الدنيا عن علمِ الكلام ، وإقبالها إلى الفتيا والأحكام ، وإجماع

(١) فصل منه ، سوط من ب ثابت في م ، ط .

(٢) ب ، م : « فكيف لا يكون » .

(٣) ط : « يقرمون » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « إنه لم يكن » ، صوابه في ط .

الرعيّة والراعى على إغناء المفتى ، وعلم الفتوى فرعٌ ؛ وإطباقهم^(١) على جرمان المتكلم ، وعلم الكلام أصل . فلم يتركوا مع ذلك تكلفه ، وشحّت نفوسهم عن^(٢) ذلك الحظ . مخافة إدخال الضيم على علم الأصل ، وإشفاقاً من أن لا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع^(٣) ، فكان الفقر والقلة أثر عندهم مع إحكام الأصول . من الغنى والكثرة ، مع حفظ الفروع ، فتركوا أن يكونوا قضاة ، وتركوا^(٤) القضاة وتعديلهم^(٥) وتركوا أن يكونوا حكاماً وقنعوا بأن يحكم عليهم ، مع معرفتهم بأنّ آلهم أتم ، وآدابهم أكمل ، وألسنتهم أهد ، ونظرهم أثق ، وحفظهم أحضر ، وموضع حفظهم أحسن .

والمتكلم اسمٌ يشتمل على ما بين الأزرق^(٦) والغالى^(٧) وعلى مادونهما من الخارجى والرافضى ، بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة ، بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة

(١) ب ، م : « وإطباقها » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « على » .

(٣) ب ، م : « لاجتماع الأصل والفرع » .

(٤) ب ، م : « وخيروا » .

(٥) « وتعديلهم » ساقط من م .

(٦) الأزرق : واحد الأزارقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي ، وكان من الخوارج ، قتل يوم دواب سنة ٦٥ . وانظر الجزء الأول من رسائل ص ٤٣ ، ٥١ . ب ، م : « الأزرق » ، صوابه في ط .

(٧) الغالى : واحد الغلاة . وهو يعنى غلاة الشيعة .

٢٦

من رسالة في

مدح إتجاجة وزم عمل البساطان

١ - فصل

من صدر رسالته في مدح التجار و ذم عمل السلطان^(١)

أَدَامَ اللهُ لَكَ السَّلَامَةَ . وَأَسْعَدَكَ بِالنَّعْمَةِ . وَخَتَمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ ،
وَجَعَلَكَ مِنَ الْفَائِزِينَ .

فَهَيْئْتُ كِتَابَ صَاحِبِكَ . وَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى تَعَدُّ فِي الْقَوْلِ ، وَحَيْفٍ
فِي الْحُكْمِ ، وَسَمِعْتُ قَوْلَهُ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَائِرٌ^(٢) ، وَطَرِيقُهُ طَرِيقُهُمْ ،
وَكُتِبَتْهُ تُشَاكِلُ كُتُبَهُمْ . وَالْفَاضِلُ تَطَابِقُ أَلْفَاضِلِهِمْ .

وَكَذَلِكَ حَالُنَا وَحَالُ صَاحِبِ كِتَابِكَ فِيمَا يَسْخَطُهُ مِنْ أَمْرِنَا ، أَنِّي
لَا أَعْتَدِرُ مِنْهُ . وَأَسْتَنكِفُ مِنَ الْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ^(٣) ، بَلْ أَسْتَحِي مِنَ
الْكِتَابَةِ ، وَأَسْتَنكِفُ بَأَنِّ أَنْسُبُ إِلَيْهَا مِنَ الْبَلَاغَةِ أَنْ أَعْرِفَ بِهَا فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهَا ، وَمِنَ السَّجْعِ^(٤) ، أَنْ يَظْهَرَ مِنِّي . وَمِنَ الصَّنْعَةِ^(٥) أَنْ تُعْرِفَ
فِي كِتَابِي ، وَمِنَ الْعُجْبِ بِكَثِيرٍ مَا يَكُونُ مِنِّي .

وَقَدِيمًا كَرِهَ ذَلِكَ أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْأَنْفَةِ^(٦) . وَأَهْلُ الْإِخْتِيَارِ لِلصُّوَابِ
وَالصِّدْقِ عَنِ الْخَطِ ، حَتَّى إِنَّ مَعَاوِيَةَ مَعَ تَخَلُّفِهِ عَنْ مَرَاتِبِ أَهْلِ السَّابِقَةِ ،
أَمَلَى كِتَابًا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ فِيهِ : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى مَنْ ذَرَّةٌ ، أَوْ كَلْبٌ مِنْ

(١) هامش الكامل ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ وريشر ١٨٦ - ١٨٨ ومجموعة السامى ١٥٥ - ١٦٠
وقد انفردت نسخة الكامل بعنوان « مدح التجارة » . وانظر ما سيأتى فى ٢٥٤ س ٩ .

(٢) ب : « حاجر » م : « حاجر » ، صوابهما فى ط .

(٣) ب : « وأسئنف بان من الانتساب إليه » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « من السطع » ط : « السطحي » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ب ، م : « الضبعة » ط : « الضبعة » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ب ، م : « والأنف » .

كِلَابِ الْحَرَّةِ» ثم قال : « امحُ : من كلاب الحرّة . واكتب : من الكلاب . »
كانّه كره اتّصال الكلام والمزاوَجَة وما أشبه السَّجْع ، وأرى أنّه ليس
في موضعه .

٢ - فصل منه

وهذا الكلام لا يزال ينجم من حُشْوَةٍ (١) أتباع السلطان . فأما
عِلَّتُهُمْ وَمُصَاصُهُمْ (٢) ، وذوو البصائر والتمييز منهم ، ومن فَتَقَتْهُ
الْفِطْنَةُ (٣) ، وأرهقه (٤) التأديب ، وأرهقه طول الفكر (٥) وجَرَى فيه
الْحَيَاءُ (٦) وأَحْكَمْتُهُ التجارب ، فَعَرَفَ الْعَوَاقِبَ وَأَحْكَمَ التَّفْصِيلَ (٧) وَتَبَطَّنَ (٨)
غَوَامِضَ التَّحْصِيلِ ، فَإِنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِفَضِيلَةِ التُّجَّارِ وَيَتَمَنَّوْنَ حَالَهُمْ ،
وَيَحْكُمُونَ لَهُمْ بِالسَّلَامَةِ فِي الدِّينِ (٩) ، وَطِيبَ الطَّعْمَةِ (١٠) ، وَيَعْلَمُونَ
أَنَّهُمْ أَوْدَعُ النَّاسِ بَدَنًا وَأَهْنَوْهُمْ عَيْشًا ، وَآمَنُهم سِرْبًا ، لَأَنَّهُمْ فِي
أَفْنِيَتِهِمْ كَالْمُلُوكِ (١١) عَلَى أَسْرَتِهِمْ ، يَرْغَبُ إِلَيْهِمُ أَهْلُ الْحَاجَاتِ ، وَيَنْزِعُ
إِلَيْهِمْ مُلْتَمَسُوا الْبِيعَاتِ ، لَا تَلْحَقُهُمُ الذِّلَّةُ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَلَا يَسْتَعْبِدُهُمُ
الضَّرْعُ لِمَعَامِلَاتِهِمْ (١٢).

(١) ط : « حشوية » .

(٢) المصاص ، بالضم : خالص كل شيء . ب : « فأما علته » ، تحريف ما في م ، ط .

(٣) ب ، م : « فيقته الفطنة » ط : « فوقته الفطنة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) أرهقه : أرقه إرقاقاً . ب ، م : « أرهقه » ، صوابه في ط .

(٥) م ، ط : « وأرهقه » بالفاء ، والوجه ما أثبت من ب . وفي م ، ط : « التفكير »

(٦) ب : « الحياء » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب : « التفصيل » بالضاد المعجمة .

(٨) تبطن الأمر : تعمق فيه . ب ، م : « وينطق » ، ط : « ونطق » ، والوجه ما أثبت .

(٩) ط : « يسلمة الدين » .

(١٠) الطعمة ، بالضم : وجه المكسب :

(١١) م ، ط : « وكالملوك » ، صوابه في ب .

(١٢) الضرع ، بالتحريك : الخضوع والذلّة والاستكانة . ب ، م : « ولا تستعبدهم »

صوابه في ط . وفي ب أيضاً : « لمعاملتهم » وأثبت ما في م ، ط .

وليس هكذا مَنْ لَابَسَ السُّلْطَانَ بِتَغْمِيهِ . وَقَارَبَهُ بِخِدْمَتِهِ ؛ فَإِنَّ
أُولَئِكَ لِيَبَاسُهُمُ الدَّلَّةُ ، وَشِعَارُهُمُ الْمَلَكُ . وَقُلُوبُهُمْ مَمْنَنٌ هُمْ لَمْ خَوَّلْ
مَمْلُوءَةٌ ، قَدْ لَبَسَهَا الرُّعْبُ . وَأَلْفَهَا الدُّلُّ . وَصَحْبُهَا تَرْقُبُ الْاِحْتِيَاجَ ؛
فَهُمْ مَعَ هَذَا فِي تَكْدِيرٍ وَتَنْغِيصٍ . خَوْفًا مِنْ سَطْوَةِ الرَّئِيسِ وَتَنْكِيلِ
الصَّاحِبِ ، وَتَغْيِيرِ الدُّوَلِ ، وَاعْتِرَاضِ حُلُولِ الْمَحَنِّ . فَإِنَّ هِيَ جَلَّتْ
بِهِمْ ، وَكَثِيرًا مَا تَحُلُّ . فَنَاهِيكَ بِهِمْ مَرْحُومِينَ يَرْقُ لَهُمُ الْأَعْدَاءُ فَضْلًا
عَنِ الْأَوْلِيَاءِ .

فكيف لا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ هَذَا ثَمَرُهُ اخْتِيَارُهُ^(١) وَغَايَةُ تَحْصِيلُهُ ، وَبَيْنَ
مَنْ قَدْ نَالَ الرَّفَاقِيَّةَ وَالِدَّعَةَ^(٢) ، وَسَلِّمَ مِنَ الْبَوَاقِ ، مَعَ كَثْرَةِ الْإِثْرَاءِ
وَقَضَاءِ اللَّذَاتِ . مَنْ غَيْرِ مَنَّةٍ لِأَحَدٍ . وَلَا مَنَّةٍ يَعْتَدُّ بِهَا رَئِيسٌ^(٣) وَمَنْ
هُوَ مِنْ نِعَمِ الْمُفْضَلِينَ خَلِيٌّ ، وَبَيْنَ مَنْ قَدْ اسْتَرْقَهُ الْمَعْرُوفُ ، وَاسْتَعْبَدَهُ
الطَّمَعُ . وَلَزِمَهُ ثِقَلُ الصَّنِيعَةِ ، وَطَوَّقَ عُنُقَهُ الْاِمْتِنَانُ ، وَاسْتَرْهَنَ بِتَحْمِلِ
الشُّكْرِ .

٣ - فصل منها^(٤)

وقد علم المسلمون أَنَّ خَيْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ ، وَصَفِيَّةٌ مِنْ عِبَادِهِ ،
وَالْمُؤْتَمَنُ عَلَى وَحْيِهِ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِ التِّجَارَةِ ، وَهِيَ مَعَوْلُهُمْ وَعَلَيْهَا مُعْتَمَدُهُمْ ،
وَهِيَ صِنَاعَةُ سَلَفِهِمْ ، وَسِيرَةُ خَلْفِهِمْ .

ولقد بلغتكَ بِسَالَتِهِمْ ، وَوُصِفَتْ لَكَ جَلَادَتُهُمْ ، وَنُعِتَتْ^(٥) لَكَ

(١) سقطت « من » من ب .

(٢) في جميع الأصول : « الوفا عنه » ، وانصوب ما أثبت .

(٣) ب ، م : « يعتدي بها » ط : « يعتدى بها » فقط . والوجه ما أثبت .

(٤) فصل منها ، ساقط من ب .

(٥) ب : « ونعتت » تحريف . ط : « ونعت » بناء واحدة ، وأثبت ما في م .

أحلامهم، وتقرَّر^(١) لك سخاؤهم وضيافتهم ، وبذلهم ومواساتهم .
وبالتجارة كانوا يُعرفون . ولذلك قالت كاهنة اليمن^(٢) « الله درُّ الدِّيار
لقريشِ التُّجَّار » .

وليس قولهم^(٣) : قرشيُّ لقولم : هاشمي ، وزُهري وتيبي ، لأنَّه
لم يكن لم أبُ بسمي قريشاً^(٤) فيتسبون إليه، ولكنه اسمُ اشتقَّ لم
من التجارة والتقريش ، فهو أفخمُ أسمائهم وأشرفُ أنسابهم ، وهو الاسمُ
الذي نوه الله تعالى به في كتابه ، وخصَّهم به في مُحكم وحيه وتنزيله ،
فجعله قرآناً عربياً يُتلى في المساجد . ويُكتب في المصاحف^(٥) ، ويُجهر به
في الفرائض ، وحظوة^(٦) على الحبيب والخالص .

ولم سوقُ عكاظ ، وفيهم يقول أبو ذؤيب :
إذا ضربوا القَبَابَ على عكاظٍ وقامَ البيعُ واجتمعَ الألوفُ^(٧)
وقد غبر^(٨) النبيُّ صلى الله عليه وسلم بُرهةً من دهره تاجراً ، وشخصَ
فيه مسافراً ، وباع واشترى حاضراً . والله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالته .
ولم يَقسمِ الله مذهباً رَضياً ، ولا خُلُقاً زَكياً^(٩) ولا عملاً مَرَضياً إلاَّ
وحظَّهُ منه أوفرَ الحظوظ ، وقَسَّمه فيه أَجزلُ الأقسام .

(١) في جميع الأصول : « وتقدر » ، والصواب ما أثبت .

(٢) من بني سعد بن هذيم بن زيد بن ليث ، كما في السيرة ٩٢ . وليث هذا هو ابن سود بن
أسلم بن الحافي بن قضاة . جهرة ابن حزم ٤٤٧ .

(٣) في جميع الأصول : « فوقهم » : ووجهه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « قرشياً » ، صوابه في م .

(٥) إشارة إلى سورة قريش .

(٦) ب ، م : « وحطوه » .

(٧) ديوان الهذليين ١ : ٩٨ برواية : « إذا بنى القباب على عكاظ » .

(٨) غبر : مكث . ب فقط : « عبر » ، تحريف .

(٩) ب فقط : « خلتيًا » ، تحريف .

ولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون : ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ
يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾^(١) . فأوحى الله إليه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ ﴾^(٢) .
فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات .

٤ - فصل منه

وإن الذي دعا صاحبك إلى ذم التجارة توهمه بقلّة تحصيله . أيها
تنقص من العلم والأدب وتقتطع دونهما^(٣) وتنع منهما^(٤) . فأى صنف
من العلم لم يبلغ التجار فيه غاية . أو يأخذوا منه بنصيب . أو يكونوا
رؤساء أهلِهِ وَعِلِيَّتَهُمْ ؟ !

هل كان في التابعين أعلم من سعيد بن المسيب أو أنبل ؟ وقد
كان تاجراً^(٥) يبيع ويشترى . وهو الذي يقول : ما قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآله^(٦) ولا أبو بكر . ولا عمر ، ولا عثمان . ولا على
- رضوان الله عليهم - قضاءً إلا وقد علمته .

وكان أعبر الناس للرؤيا وأعلمهم بأنساب قريش . وهو من كان
يُفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم متوافرون . وله بعد^(٧)
علمٌ بأخبار الجاهلية والإسلام ، مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته .

(١) الآية ٧ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفرقان .

(٣) ب ، م : « ويقتطع دونهما » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « وينع منها » .

(٥) م : « وكان تاجراً » .

(٦) وآله ، ساقطة من ب .

(٧) م : « بعض » ، تحريف .

وأمره بالمعروف، وجلالته في أعين الخلفاء . وتقدمه على الجبارين .
 ومحمد بن سيرين في فقهه وورعه وطهارته .
 ومسلم بن يسار^(١) في علمه وعبادته ، واشتغاله بطاعة ربه .
 وأيوب السخيتاني^(٢) ، ويونس بن عبيد^(٣) ، في فضلها وورعهما .

(١) مسلم بن يسار البصري الأموي . روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله ، ومحمد بن سيرين ، وأيوب السخيتاني وغيرهم . وكان مفتي أهل البصرة قبل الحسن . وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في صلاة ، وإذا كان في صلاة كأنه وقد لا يتحرك شيء منه . توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة ، أو إحدى ومائة . تهذيب التهذيب .

(٢) ب ، م : « السخيتاني » . ط : « السخيتاني » ، والصواب ما أثبت . نسبته إلى عمل السخيتان وبيعه ، والسختيان : جلود الضأن . انظر تقريب التهذيب ولب اللباب . وفي القاموس : « والسختيان ويفتح : جدد الماعز إذا دبغ . معرب » . وهو أيوب بن أبي تميمه كيسان ، أبو بكر البصري ، روى عن عطاء وعكرمة وعمرو بن دينار ، وعنه : الأعمش من أقرانه ، وقادة وهو من شيوخه ، والحمادان والسفيانان وغيرهم . ولد سنة ٦٦ وتوفي سنة ١٢٥ . تهذيب التهذيب . وصفه الصفوة ٣ : ٢١٢ .

(٣) في الأصول : « يوسف بن عبيد » ، وإنما هو « يونس » كما في تهذيب التهذيب . وصفه الصفوة ٣ : ٢٢٢ . توفي سنة ١٣٩ . وانظر الحيوان ١ : ١٦٧ ، ٣٤٠ ، والبيان ١ : ٢٢٠ / ٢ : ٢٢٠ / ٣ : ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٧١ .

٢٧

من كتابه في
الشارب والمشروب

١ - فصل

من صدر كتابه في الشارب والمشروب^(١)

سَأَلْتُ - أَكْرَمَ اللَّهُ وَجْهَكَ ، وَأَدَامَ رُشْدَكَ ، وَلِطَاعَتِهِ تَوْفِيقَكَ ،
حَتَّى تَبْلُغَ مِنْ مَصَالِحِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ مَنَازِلَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَدَرَجَاتِ
أَهْلِ الثَّوَابِ - أَنْ أَكْتُبَ لَكَ صِفَاتِ الشَّارِبِ وَالْمَشْرُوبِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ
الْمَدْحِ وَالْعِيُوبِ ، وَأَنْ أُمَيِّزَ لَكَ بَيْنَ الْأَنْبِذَةِ وَالْخَمْرِ ، وَأَنْ أَقِفَكَ عَلَى
حَدِّ السُّكْرِ ، وَأَنْ أُعَرِّفَكَ السَّبَبَ الَّذِي يَرْعُبُ فِي شُرْبِ الْأَنْبِذَةِ وَمَا فِيهَا
مِنْ اجْتِلَابِ الْمَنْفَعَةِ ، وَمَا يُكْرَهُ مِنْ نَبِيذِ الْأَوْعِيَةِ .

وقلت : وما فرق ما بين الجَرِّ^(٢) والسَّقَاءِ ، والمَرْقَتِ وَالْحَنْتَمِ
وَالدَّبَاءِ^(٣) ، وما القول في المُمْتَلِ^(٤) والمَكْسُوبِ ، وما فرق ما بين النَّقِيعِ
وَالدَّاذِي^(٥) ، وما المطبُوخُ وَالْبَازِقُ^(٦) ، وما الغَرْبِيُّ وَالْمَرْوَقُ^(٧) ، وما الذي
يَجِلُّ مِنَ الطَّبِيخِ ، وما القول في شُرْبِ الْفَضِيخِ ، وهل يُكره نَبِيذُ الْعَكْرِ^(٨) ،

(١) الكامل ٢ : ٣٥١ - ٢٦٩ ، وريشر ١٦٣ - ١٦٨ ، والسندوبي ٢٧٦ - ٢٨٥ .
وهذا السجع الشائع في صدر هذا الكتاب ، إنما هو حكاية لقول السائل . أما صميم كلام
الجاحظ ورده على السائل فهو يبدأ في ص ٢٧٣ .

(٢) الجر : جمع الجرة من الخزف ، وتجمع أيضاً على « جرار » . وفي ط : « الجرار » .

(٣) الحنتم : جرار خضر . والدباء ، كرمان : القرع .

(٤) الممتل ، أراد به المملول ، وهو المعالج بالمللة ، وهي الرماد الحر . ويمثله « المسجور »

الذي سيرد في ٢٦٧ . وفي ط : « المحتل » تحريف .

(٥) الداذي : شيء له عنقود مستطيل ، وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار

رطل في الفرق فتنبق رائحته ويجود إسكاره .

(٦) البازق ، بفتح الذال وكسر ها : الخمر الأحمر ، هو بالفارسية « باذه » ، وهو اسم

الخمر بالفارسية .

(٧) الغربي : الفضيخ من النبيذ ، وهو عصير العنب ، أو شراب يتخذ من البسر المفصوح

وحده دون أن تسمه النار ، وهو المشدوخ . والمروق : المصنوع بالراورق ، وهو المصفاة .

(٨) العكر : دودي كل شيء ، من ماء أو نبيذ أو نحوهما .

وما القول في عتيق السكر . وأنبيذة الجرار^(١) . وما يعمل من السكر .
ولم كره النقيير والمقيير^(٢) .

وسألت عن نبيذ العسل والعربيات^(٣) وعن رزين سوق الأهواز^(٤) ،
وعن نبيذ أبي يوسف وجمهور^(٥) . والملق والمسحوم^(٦) . والحلو والترش
شيرين^(٧) ونبيذ الكشمش^(٨) والتين . ولم كره الجلوس على البواطي
والرياحين^(٩) .

وقلت : وما نصيب الشيطان ، وما حاصل الإنسان ؟
وسألت عن شرب الأنبيذة أو كرهها من الأوائل ، وما جرى
بينهم فيها من الأجوبة والمسائل ، وما كانوا عليه فيها من الآراء .
وتشبثوا فيها من الأهواء^(١٠) ، ولأى سبب تضادت فيها الآثار ، واختلفت
فيها الأخبار .

(١) ب ، م : « الجرر » ، صوابه في ط .

(٢) النقيير : أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء فيصير نبيذاً مسكراً .
والمقيير : المطلق بالقار من حب أوزق .

(٣) ط : « القرطبات » .

(٤) سيأتي في ٢٦٩ س ١٠ : « وما تقول في رزين الأهواز » .

(٥) ط : « والجمهور » .

(٦) م : « المسحوم » بالخاء المعجمة .

(٧) فسر الجاحظ في الحيوان ١ : ١٤٣ بأنه الحلو الحامض . وهو مركب من ترش
بضم التاء بمعنى حامض . وشيرين بمعنى حلو . وانظر معجم استينجاس ٢٩٤ ، ٧٧٤ .

(٨) الكشمش : ضرب من العنب ، وهو كثير بالسراة ، كما في اللسان . م : « المشمش »
وهو ضرب من الفاكهة ، قال ابن دريد : لأدري ما صحته . وفي اللسان : « وأهل الكوفة يقولون
المشمش - أى بفتح الميمين - وأهل البصرة : المشمش - يعنى بكسر الميمين ، يعنى الزردالو .
وسترد في ٢٧١ رسم واحدهو « الكشمش » .

(٩) البواطي : جمع باطية ، وهى إناء عظيم من الزجاج يملأ من الشراب ويوضع بين
الشرب يغرفون منها ويشربون ، إذا وضع فيها القدح سحت به ورقصت من عظمها وكثرة ما فيه
من الشراب .

(١٠) ط : « وتشبثوا فيها » م : « من الأهواز » ، محرفتان .

وَسَأَلَتْ أَنْ أَقْصِدَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْإِيجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ ، وَحَذَفَ الْإِكْثَارَ

وقلت : وَإِذْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعِبَادِ عَنِ الْخَمْرِ الْمُدَوَّحَةِ بِالشَّرْبَةِ^(١)
الْهَنِيئَةِ الْمُدَوَّحَةِ ، فَمَا تَقُولُ فِيمَا حَسُنَ مِنَ الْأَنْبِذَةِ صَفَاهُ^(٢) . وَبَعْدَ
مَدَاهُ . وَاشْتَدَّتْ قُوَاهُ . وَعَتَقَ حَتَّى جَادَ . وَعَادَ بَعْدَ قِدَمِ الْكُونِ^(٣) صَافِي
اللَّوْنِ . هَلْ يَحِلُّ إِلَيْهِ الْاجْتِمَاعُ . وَفِيهِ الْاِكْتِرَاعُ ، إِذْ كَانَ يَهْضِمُ الطَّعَامَ
وَيُوطِئُ الْمَنَامَ . وَهُوَ فِي لَطَائِفِ الْجِسْمِ سَارٍ ، وَفِي خَفِيَّاتِ الْعُرُوقِ جَارٍ .
وَلَا يَضُرُّ مَعَهُ^(٤) بُرْغُوثٌ وَلَا بَعُوضٌ وَلَا جَرَجِسٌ عَضُوضٌ^(٥) .

وقلت : وَكَيْفَ يَحِلُّ لَكَ تَرْكُ شُرْبِهِ إِذَا كَانَ لَكَ مُوَافَقًا ، وَلِجِسْمِكَ
مَلَائِمًا^(٦) . وَلَمْ لَا قَلْتَ إِنَّ تَارَكَ شُرْبِهِ كَتَارَكَ الْعِلَاجَ مِنْ أَدْوَاءِ الْأَدْوَاءِ^(٧)
وَإِنَّهُ كَالْمُعِينِ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَرَكَ شُرْبَهُ أَفَحَشَّ الدَّاءُ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ
إِذَا شَرِبْتَهُ عَدَلْتَ بِهِ طَبِيعَتَكَ . وَأَصْلَحْتَ بِهِ صُفَارَ جِسْمِكَ^(٨) ، وَأَظْهَرْتَ
بِهِ حُمْرَةَ لَوْنِكَ . فَاسْتَبَدَلْتَ بِهِ مِنَ السَّقَمِ صِحَّةً ، وَمِنْ حُلُولِ الْعَجْزِ
قُوَّةً . وَمِنْ الْكَسَلِ نَشَاطًا ، وَإِلَى اللَّذَّةِ انْبِسَاطًا . وَمِنْ الْغَمِّ فَرَجًا ، وَمِنْ
الْجُمُودِ تَحَرُّكًا^(٩) ، وَمِنْ الْوَحْشَةِ أُنْسًا . وَهُوَ فِي الْخُلُوةِ خَيْرٌ مَسَامِرٍ .
وَعِنْدَ الْحَاجَةِ خَيْرٌ نَاصِرٍ . يَتْرَكَ الضَّعِيفُ وَهُوَ مِثْلُ أَسَدِ الْعَرِينِ^(١٠) يُلَانُ
لَهُ وَلَا يَلِينُ .

(١) ب فقط : « بِالْأَنْبِذَةِ » .

(٢) أى صفاؤه . وفى ط : « وصفا » .

(٣) عبارة عن العتق وتقادم العهد ، وسيأتى مثل هذه العبارة فى ص ٢٦٨ .

(٤) م ، ط : « لا يضر » بدون واو .

(٥) الجرجس : بعوض صفار . ط : « جرس » ، تحريف .

(٦) ب ، م ، ط : « ملاوماً » ، صوابه فى ط .

(٧) ب ، م : « من الأدوية » وفى ط : « من أدواء الأدوية » ، والوجه ما أثبت . أى من

أشد الأمراض

(٨) الصفار : بالضم . صفرة تعلو اللون والبشرة . وصاحبه مصفور .

(٩) ب . « من الجمور » بالناء للمعجمة

(١٠) ط « مثل الأسد فى العرين » .

وقلت : البجيد من الأنبيذة يُصَفَّى الذَّهْنُ وَيَقْوَى الرُّكْنُ ، وَيَشُدُّ
الْقَلْبَ وَالظَّهْرَ . وَيَمْنَعُ الضَّمِيمَ وَالْقَهْرَ . وَيَشْحَذُ الْمَعْدَةَ . وَيَهَيِّجُ لَلطَّعَامِ
الشَّهْوَةَ ، وَيَقْطَعُ عَنْ إِكْثَارِ الْمَاءِ . الَّذِي مِنْهُ جُلُّ الْأَدْوَاءِ ^(١) ، وَيَحْدِرُ ^(٢)
رُطُوبَةُ الرَّأْسِ ، وَيَهَيِّجُ الْعَطَاسَ . وَيَشُدُّ الْبَضْعَةَ . وَيَزِيدُ فِي النُّطْفَةِ ، وَيَنْفِي
الْقِرْقَرَةَ وَالرِّيَّاحَ . وَيَبْعَثُ الْجُودَ وَالسَّمَاحَ ، وَيَمْنَعُ الطَّحَالَ مِنَ الْعِظَمِ ،
وَالْمَعْدَةَ مِنَ التَّخَمِ ، وَيَحْدِرُ الْمِرَّةَ وَالْبَلْغَمَ . وَيَلَطِّفُ دَمَ الْعُرُوقِ وَيُجَرِّيه ،
وَيُرْقِّه ^(٣) . وَيَصْفِيهِ ، وَيَبْسِطُ الْأَمَالَ ، وَيُنْعِمُ الْبَالَ ، وَيَغْشَى ^(٤) الْغِلَظَ فِي
الرِّثَّةِ ، وَيَصْفِي الْبَشْرَةَ وَيَتْرَكُ اللَّوْنَ كَالْعُصْفَرِ . وَيَحْدِرُ أَذَى الرَّأْسِ
فِي الْمُنْخَرِ ، وَيَمُوهُ الْوَجْهَ ^(٥) . وَيَسَخِّنُ الْكُلِيَّةَ ، وَيَكْدُّ النَّوْمَ وَيُحْلِلُ التَّخَمَ ،
وَيَذْهَبُ بِالْإِعْيَاءِ ، وَيَغْذُو لَطِيفَ الْغِذَاءِ ، وَيَطِيبُ الْأَنْفَاسَ . وَيَطْرُدُ
الْوَسْوَاسَ . وَيُطْرِبُ النَّفْسَ ، وَيُؤْنِسُ مِنَ الْوَحْشَةِ ، وَيَسْكُنُ الرُّوْعَةَ .
وَيُذْهَبُ الْحِشْمَةُ . وَيَقْذِفُ فُضُولَ الصُّلْبِ بِالْإِنْشِاطِ لِلْجِمَاعِ ، وَفُضُولَ
الْمَعْدَةِ بِالْهُرَاعِ ^(٦) ، وَيَشْجَعُ الْمُرْتَاعَ وَيُزْهِى الذَّلِيلَ ، وَيُكْثِرُ الْقَلِيلَ ، وَيَزِيدُ
فِي جَمَالِ الْجَمِيلِ ، وَيَسْلِي الْحُزْنَ وَيَجْمَعُ الذَّهْنَ ، وَيَنْفِي الْهَمَّ ^(٧) . وَيَطْرُدُ
الْغَمَّ ، وَيَكْشِفُ عَنْ قَنَاعِ الْحَزَمِ ، وَيُولِّدُ فِي الْحَلِيمِ الْحِلْمَ . وَيَكْفِي
أَضْغَاثَ الْحُلُمِ ^(٨) . وَيَحْتُّ عَلَى الصَّبْرِ ، وَيَصْحِّحُ مِنَ الْفِكْرِ . وَيُزَحِّي
الْقَانِطَ ^(٩) . وَيُرْضِي السَّاحِطَ . وَيُغْنِي عَنِ الْجَلِيسِ . وَيَقُومُ مَقَامَ الْأَنْبَسِ

(١) ط : (الَّذِي جُلُّ الْأَدْوَاءِ مِنْهُ) .

(٢) ب : « وَيَحْدِرُ » م : « وَيَحْدِرُ » ، صَوَاهِبُ فِي ط . يَحْدِرُهَا : يَنْزِلُهَا وَيَذْهَبُ بِهَا .

(٣) ط : « وَيُرْقِّقُهُ » .

(٤) ب : « وَيَغْشَى » .

(٥) قال ابن بري : « يُقَالُ وَجْهٌ مُمُوهٌ ، أَيُ مَرِينٌ بِمَاءِ الشَّيَابِ » .

(٦) أصلُ الْهَرَاغِ ، بِالضَّمِّ : شِدَّةُ اسْتَوْقٍ ، وَسُرْعَةُ الْعُدُوِّ . وَامْرَادُ سُرْعَةِ الْانْحِدَارِ .

(٧) ط : « وَيَذْهَبُ الْهَمَّ » .

(٨) يَكْفِيهَا : يَمْنَعُهَا . وَالْأَضْغَاثُ : الْأَخْلَاطُ الْمُلْتَبَسَةُ .

(٩) الْقَانِطُ : الْيَائِسُ . يَرْجِيهِ تَرْجِيَةً : يَبْعَثُ إِلَيْهِ الرَّجَاءَ .

وحتى إن عَزَّ لم يَقْنَطَ^(١) منه ، وإن حَضَرَ لم يصبرُ عنه ، يدفع النوازل العظيمة ، وينقى الصدر من الخصومة . ويزيد في المسَاغ ، وسُخونة الدماغ ، وينشط الباه^(٢) حتى لا يزيّف شيئاً يراه ، وتقبله^(٣) جميع الطبائع ، ويمتزج به صنوف البدائع ، من اللذة والسرور ، والنضرة والحبور^(٤) . وحتى سَمِيَ شُرْبُهُ قصفاً^(٥) ، وسمى فقده خسفاً . وإن شُرِبَ منه الصِّرفُ بغير مزاج ، تحلل بغير علاج . ويكفي الأحزان والمُحوم ، ويدفع الأهواء والسُّموم ، ويفتح الذّهن ، ويمنع الغبن^(٦) ، ويلقن الجواب ، ولا يكيد منه العتاب^(٧) ، به تمام اللذات ، وكمال المروعات . ليس لشيء كحلاوته في النفوس ، وكسطوته في الجباه والروس ، وكإنشاطه للحديث والجلوس ، يحمرّ الألوان ، ويرطب الأبدان ، ويخلع عن الطرب الأرسان .

وقلت : ومع كل ذلك فهو يُلجلجُ اللسان^(٨) ، ويكثر الهذيان ، ويظهر الفضول والأخلاق^(٩) ، ويتناوب^(١٠) الكسل بعد النشاط . فأما إذا تبين في الرأس الميلان ، واختلف عند المشي الرجلان ، وأكثر الإخفاق^(١١) ، والتنخُّع

(١) عز ، أى قل وندر . ب ، م : « لم يقبض منه » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « للباه » .

(٣) ب ، م : « ويقبله » .

(٤) والجبور ، ساقطة من ب .

(٥) القصص : الإقامة في الطعام والشراب واللهو . ب ، م « مصفاً » ط : « حصفاً » ،

صوابهما ما أثبت .

(٦) ب ، م : « العين » ، صوابه في ط .

(٧) لعلها « ولا يكثر منه العتاب » .

(٨) هذا ما في ط . وفي ب ، م : « وكل ذلك أن يتلجلج اللسان » .

(٩) في جميع الأصول : « والاختلاط » .

(١٠) ب ، م : « ويتناوب » .

(١١) خفق القلب ، وأخفق ، واختفق ، كله اضطرب .

والبَصَاقُ، واشتملت عليه الغفلة، وجاءت الزلّة بعد الزلّة^(١) ولا سواء إن دَسَعَ بطعامه^(٢)، أو سال على الصدر لُعابه، وصار في حدّ المُخْرِفين^(٣). لا يفهم ولا يُبين. فتلك^(٤) دلالات النكر. وظهور علامات السكر. يُنسى الذكر، ويورث الفكر، ويهتك السّتر، ويُسقط من الجدار. ويهور في الآبار، ويُغرق في الأنهار، ويصرف عن المعروف^(٥). ويعرض للحتوف. ويحمل على الحفوة، ويؤكد الغفلة. ويورث الصّياح أو الصّمات^(٦). ويصرع الفهم للثبات^(٧) فلغير معنى يضحك. ولغير سبب يمحك^(٨). ويحيد عن الإنصاف، وينقلب على الساكت الكاف^(٩). ثم يُظهر السرائر، ويُطلع على ما في الضمائر، من مكنون الأحقاد. وخفيّ الاعتقاد. وقد يقلّ على السكر المتاع، ويطول منه الأرق^(١٠) والصّداع، ثم يُورث بالغدوات الخمار، ويختل^(١١) سائر، النهار ويمنع من إقامة الصّلوات، وفهم الأوقات، ويُعقب السّل. ويُعقب في القلوب الغلّ، ويجفّف النطفة. ويورث الرّعشة. ويولّد الصّفار^(١٢)، وضروب العلل في الإبصار، ويُعقب

(١) بعد الزلّة، ساقط من ط.

(٢) دسع بطعمه: قده.

(٣) المخرف: الذي أخرفه الهرم. ب فقط: «المخرفين» تحريف.

(٤) م: «قبل» ط: «قل» صوابهما في ب.

(٥) ط: «ويعوق عن المعروف».

(٦) في جميع الأصول: «والصمات»، ولوحه ما أثبت.

(٧) ب: «ويسرع الفهم لثبات».

(٨) المحك: المشاركة والمنزعة في الكلام.

(٩) في جميع الأصول: «الكافي».

(١٠) ب، م: «الزق»، صوابه في ط.

(١١) ب، م: «ويحتل».

(١٢) انظر ما سبق في ص ٢٦٣.

الهزال ، ويُجحف بالمال^(١) ويَجْفُف الطبيعة^(٢) ويقوَّى الفاسد من الميرة^(٣) ويُذِيل النفس^(٤) ، ويُفْسِد مزاج الحسّ^(٥) ، ويُحْدِث الفتور في القلب ، ويُبْطِئ عند الجماع الصَّبَّ . حتَّى يحدث من أجله الفتق ، الذي ليس له رَنَقٌ ، ويحمل على المظالم ، وركوب المآثم ، وتضييع الحقوق حتَّى يقتل من غير علم ، ويكفر من غير فهم .

٢- فصل منه

وقلتَ : ومنَ الحُلُو في المِعدِ^(٦) التَّخَمُ ، وفي الأبدان الوَحَمُ ، وللتُّرش شيرين رِياح^(٧) كمثل رِياح العَدَس ، وحُمُوضَةٌ تولَّد في الأسنان الضَّرْس . والسَّكْر فحسبك^(٨) بفرط مرارته ، وكُسُوفِ لونه ، وبشاعة مذاقه ، ولِفَارِ الطَّبيعة عنه .

وأنواع ما يُعالَج من الثُّمور والحبوب فشُرْبُها الدَّاءُ العُضال .

وللمسجور^(٩) ، والبقى^(١٠) ، وأشباهاها كُدُورَةٌ ترسُب في المِعدة ، وتولَّد بين الجِلْدَتَيْن الحِكَّة . وأشباه هذا كثيرة تركتُ ذِكْرَها ، لأنِّي لم أَقْصِدْكَ بالمسألة أبتغى منك تحليل ما يَجْلِبُ المَضَرَّة .

(١) ب : « ويخفف بالمال » م : « ويحطف » ، صوابهما في ط .

(٢) ب : « ويخفف الطبيعة » ، صوابه في م ، ط .

(٣) في جميع الأصول : « المروة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب : « وبذل النفس » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ط : « الحسن » .

(٦) المِعد : جمع معدة . ط فقط : « المعدة » ، ووجهه في ب ، م

(٧) سبق تفسير التُّرش شيرين في ٢٦٢ . وفي ط : « ويولد للكرش رِياحاً » ، تحريف .

(٨) السكر ، بالتحريك : الحمر نفسها ، أو شراب يتخذ من التمر والكشوت والآس .

ط : « حسبك » بدون فاء .

(٩) المسجور : يبدو أنه المعالج بالتنور . وانظر ماسبق من الكلام على « المثل » في ٢٦١ .

(١٠) كذا وردت في جميع النسخ .

ولكن ما تقول فيما يسرك ولا يسوءك . وما إذا شربته تلقتَه العروق
فاتحة أفواهها كأفواه الفِراخ^(١) . محسنة للون ملذة للنفس . يجثم^(٢) على
المعدة ، ويرود^(٣) في العروق ، ويقصد إلى القلب فيولد فيه اللذة . وفي
المعدة المضم ، وهو غسولها ونضوحها^(٤) ، ويسرع إلى ذاعة الكبد ،
ويفيض بالعجل إلى الطحال ، وينتفخ منه العروق^(٥) ، وتظهر حمرة
بين الجلدتين . ويزيد في اللون . ويولد الشجاعة والسخاء ، ويريح من
اكتنان الضغن ، ويعفى على تغير النكهة ، وينفى الذفر^(٦) ، ويسرع إلى
الجبهة ، ويغنى عن الصلاء ، ويمنع القر ؟ !

وما تقول في نبياذ الزبيب الجنص^(٧) والعسل الماذى^(٨) إذا تورّد
لونه ، وتقادم كونه^(٩) ، ورأيت حمرة في صفرة تلوح^(١٠) . تراه في
الكأس لكائه^(١١) بالشمس ملتحف ، شعاعه يضحك في الأكف ؟

وما تقول في عصير الكرم إذا أجدت طبعه وأنعمت إنضاجه .
وأحسن الدن نناجه ، فإذا فُض فُض عن غضارة^(١٢) قد صار في لون

(١) في جميع الأصول : « الفرخ » ، والوجه ما أثبت .

(٢) يجثم على المعدة : يثقل عليها . ب : « يجثم » م : « لجثم » صوابها في ط .

(٣) يرود : يذهب ويحيى . ط فقط : « يزود » ، تحريف .

(٤) النضوح من الضح ، وهو الرش بالماء . والنضوح : الوجور ، وهو الدواء يوجر
في أى موضع من الفم كان . ط فقط : « ونضوحها » ، تحريف .

(٥) ط : « وينفخ منه » فقط ، بسقوط كلمة « العروق » .

(٦) الذفر ، بالذال المعجمة : الثن ، وخص به الحياني ثن الإبطين . ب فقط : « الزفر » ،

تحريف .

(٧) نسبة إلى حمص ، إحدى مدن الشام . ط فقط : « الحمص » تحريف .

(٨) الماذى : العسل الأبيض . ط فقط : « المازى » تحريف .

(٩) انظر مثل هذا التعبير فيما سبق ص ٢٦٣ . والمراد به العتق .

(١٠) ب ، م : « يلوح » .

(١١) ط : « كئنه » .

(١٢) الغضارة : النعمة والطيب والحصب . ب : « فدا أفضى عن غضارة » ،

والصواب في م ، ط .

البجادی^(١) في صفاء ياقوته تلمع في الأكف لمع الدنانير ، ويضيء كالشهاب المتقد .

وما تقول في نبذ عسل مصر . فإنه يؤدى إلى شاربه الصحيح من طعم الزعفران . لا يلبس الخلقان^(٢) ولا وجود إلا في جدد الدنان ، ولا يستخدم الأنجاس^(٣) ولا يآلف الأرجاس^(٤) . وكذلك لا يزكو^(٥) على علاج الجنب والحائض^(٦) ، ولا ينفض^(٧) على شيء من الأجسام لونه حتى لو غمس فيه قطن لخرج أبيض يقفاً^(٨) . وحسبك به في رقة الهواء ، يكدره صافي الماء ، وهو مع ذلك كالهزبر ذى الأشبال ، المفترس للأقران ، من عاقره عقره ، ومن صارعه صرعه !؟

وما تقول في رزين الأهواز^(٩) من زبيب الدقايد^(١٠) إذ يعود^(١١) صلباً من غير أن يسأل سلافه^(١٢) ، أو يماط عنه ثقله^(١٣) ، حتى يعود كلون

(١) البجادی : حجر يشبه الياقوت بعض الشبه ، وهو أحر تشوبه صفرة خلقية . وهو بالفارسية : « بيجاد » . انظر نخب الذخائر لابن الأكتافى ١٧ - ١٩ وأزهار الأفكار للتيقاشى ١٠٠ - ١٠٣ . وفي جميع الأصول : « البحارى » ، تحريف .

(٢) الخلقان ، بالضم : جمع خلق ، بالتحريك ، وهو البالى من الثياب . ط : « مالا يلبس الخلقان » .

(٣) في جميع الأصول : « الأجناس » ، وأثبت ما يلائم « الأرجاس » .

(٤) ب ، م : « ولا تألف » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « لاتركوا » ، صوابه في ط .

(٦) أى لا يصلح إلا بمعالجة من كان على طهارة .

(٧) ينفض لونه عليه ، أى يعطيه اللون نفسه . وفي جميع الأصول : « ينقص » ، والوجه ما أثبت .

(٨) اليقق : الشديد البياض . وفي ب ، م : « يقفا » ، صوابه في ط .

(٩) انظر ما سبق في ص ٢٦٢ .

(١٠) يبدو أنه موضع ، أو ضرب من العنب .

(١١) ب : « يقول » م ، ط : « يقود » ، والوجه ما أثبت .

(١٢) السلاف والسلافة : أفضله وأخلصه . ط : « يسيل سلافة » .

(١٣) الإماطة : الإزالة . والثفل بالفاء : ما رسب من الكدر فى أسفل الشيء ، أو ما علا منه

فوق الصفو . ب ، م : « عن ثقله » ، صوابه في ط .

العقيق، في رائحة المسك العتيق . أصلب الأنبذة عريكة . وأصلبها صلابة ، وأشدّها خشونة . ثم لا يستعين بعسل ولا سكر ولا دوشاب^(١) وما ظنك^(٢) به وهو زبيب نقيع ، لا يشتد ولا يجود إلا بالضرب الوجيع !؟

وما تقول في الدوشاب البستاني ، سلالة الرطب الجنبي^(٣) بالحب الرتبلي^(٤) ، إذا أوجع ضرباً ، وأطيل حبساً ، وأعطى صفوه ومنح رفده^(٥) ، وبذل ما عنده ، فإذا كشف عنه قناع الطين ظهر في لون الشقر والكمت^(٦) وسطح برائحة كالمسك . وإذا هجم على المعدة لانت له الطبائع ، وسليست^(٧) له الأمعاء ، وأيسر الحضر^(٨) ، وانقطع طمع القولنج^(٩) ، وانقادت له

(١) الدوشاب : نبيذ العنب أو التمر ، كما في معجم استينجاس ٥٤٤ . وفي شفاء الغليل ٨٧ أنه نبيذ التمر ، معرب . وأنشد لابن المعتز :

لا تخط الدوشاب في قلدح
ولا بن الرومي :

على أحد من الدوشاب شربة نغصت على شـبابي
قال : وفسرني شرحه بالنبيذ الأسود . وقال السمعاني : إنه الدبس بالعربية .

(٢) ب ، م : « ولا ماظنك به » ، تحريف ماني ط .

(٣) الجنبي : المهجن مادام رطباً . وفي الكتاب العزيز : « تساقط عليك رطباً جنياً » .

ب ، م : « الحنى » بالحاء المهملة ، تحريف ماني ط .

(٤) هذا ماني م ، ط . وفي ب : « الرتبيل » ، ولعله ضرب من الحباب والجرار التي يختزن فيها الشراب .

(٥) ب ، م : « صفوة » صوابه في ط . ب فقط : « رفدة » ، صوابه في م ، ط .

(٦) ب ، م : « من لون » ، صوابه في ط . وفي ب : « والكيت » صوابه في م ، ط .

وهما جمع أشقر وكيت .

(٧) ب : « سلسلت » ، ط : « سليت » ، صوابهما في م .

(٨) الحضر ، بالضم وبضمتين : احتباس البطن . كما أن الأسر ، بالضم وبالفتح : احتباس البول .

(٩) القولنج ، بضم القاف وفتح اللام وكسرهما ، وقد تفتح القاف . مرس معوى

مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح . ذكر في القاموس ولم يذكر في اللسان . وفي شفاء الغليل

١٥٤ : « قولنج ونقرس ذكرهما في فقه اللغة ، وهما ما عربه المولدون » . وفي المعجم الوسيط

« وسببه التهاب القولون » . وذكر أن القولون بضم القاف واللام ، هو المعنى الغليظ الضيق الذي

يتصل بالمستقيم . وأنه دخيل في العربية . ب ، م : « القلنج » ، صوابه في ط .

اليُبوسة . وأذعنت له بالطاعة ، وابتلَّ به الجلد القَحْلُ ^(١) . وارتحل عنه الباسور ، وكفى شاربَه الوخز ^(٢) . فإذا شجَّ ^(٣) بماء تَلَطَّى ورَمَى بَشَرِهِ ، هل يحلُّ أن يُشعَّع إذا سَكَن جاشُه ^(٤) ، وآبَ إليه حلمه ^(٥) .

وما تقول في المعتق ^(٦) من أنبذة التمر ، فإنَّك تنظر إليه وكأنَّ النيران تلمعُ من جَوْفه . قد ركَدَ ركودَ الزُّلال ^(٧) حتَّى لكَانَ شاربَه يكرع في شهاب ، ولكأنه فِرْنْدٌ في وجه سيف ^(٨) . وله صفيحةُ مرآةٍ مَجْلُوةٍ ^(٩) تحكي الوجوهَ في الزجاجة ، حتَّى يَهيمَ فيها الجُلَّاسُ ^(١٠) !؟

وما تقول في نبيذ الجَزَر ، الذي منه تمتدُّ النُّطفة وتشتدُّ النُّقطة ، يجلب الأَحلام ، ويركُد في مُخِّ العظام !؟

وما تقول في نبيذ الكِشْمِش ^(١١) الذي لونه لونُ زُمُرْدٍ خضراء ، صافية ، محكم الصَّلابة ، مُفْرِطِ الحرارة ، حديدِ السُّورة ^(١٢) ، سريع الإفاقة

(١) القحل : اليابس . ب فقط : « المقلح » ، تحريف .

(٢) أى وخز الباسور وألمه . ب ، م : « التوخر » ، صوابه في ط .

(٣) شج بالماء : خلط . ومنه قول المسيب بن علس (في المصليات ٦١) :

ومها يرف كأنه إذ ذقتَه عانية شجت بماء يراع

وقول كمب بن زهير (في ديوانه ٧) :

شجت بنى شيم من ماء محنية صاف بأبطح أضحي وهو مشمول

وفي ب : « سنجى » ، وفي م ، ط : « سنج » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) والشععة كذلك : مزج الشراب بقليل من الماء .

(٥) آب : رجع . ب ، م : « وإباليه » تحريف ما أثبت . وفي ط : « وأيل حلمه » ،

تحريف كذلك .

(٦) ب ، م : « المفلق » ط : « المخلق » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) ط فقط : « الذلال » .

(٨) الفرند : ما يرى في صفيحة السيف من أثر تموج الضوء . ب ، م : « ولكأن فرندة

في وجه سيف » ، صوابه في ط .

(٩) ب : « تجللو » ، صوابه في م ، ط .

(١٠) هم ، من الوهم . وفي جميع النسخ : « حتَّى يفهم فيها » .

(١١) الكشمش ، سبق تفسيره في ص ٢٦٢ .

(١٢) سورة الشراب : شدته وحدته . ب فقط : « حديدة السورة » ، تحريف .

عظيم المؤنة ، قصير العمر^(١) . كثير العلل ، جَمَّ البدوات^(٢) تطمع الآفات فيه ، وتُسرع إليه ؟!

وما تقول في نبذ التين فإنك تعلم أنه مع حرارته لين العريكة ، سلس الطبيعة ، عذب المذاق ، سريع الإطلاق . مرهم للعروق ، نضوح للكبد^(٣) فتاح للسدد ، غسال للأمعاء ، هياج للباه ، أخاذ للثمن . جلاب للمؤمن ، مع كسوف لون وقبح منظر ؟!

وما تقول في نبذ السكر الذى ليس مقدار المنفعة به على قدر المؤونة فيه ، هل يوجد في المحصول لشربه معنى معقول ؟!

وما تقول في المروق والغربي^(٤) والفضيخ^(٥) ؟ ألد مشروبات في أزمانها وأنفع مأخوذات في إبانها^(٦) . أقل شئ مؤونة ، وأحسنه معونة ، وأكثر شئ قنوعاً ، وأسرعه بلوغاً ، ضموزات^(٧) عروفات^(٨) للرجل ألوفات . ولها أراييح على الشاهسفرم^(٩) كاذكى رائحة تُشم ، أقل المشروبات صداعاً ، وأشدهن خداعاً .

(١) ب ، م : « كثير قصير العمر » . وكلمة « كثير » مقحمة .

(٢) أى تنير الحالات ، وأصله للرجل ذى الآراء الكثيرة تعرض له فيختار بعضاً ويسقط بعضاً . ب ، م : « البدات » صوابه ما أثبت . وفى ط ، « الهبات » .

(٣) نضوح من النضج ، وهو الرش بالماء أو الطيب ، وتسكين العطش . م ، ط :

« نضوج » تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٢٦٨ .

(٤) سبق تفسيره فى ص ٢٦١ .

(٥) الفضیخ سبق القول فيه فى ص ٢٦١ . ب ، م : « والفضیخ » صوابه فى ط .

(٦) ط : « ألد المشروبات فى أزمانها وأنفع المأخوذات فى إبانها » .

(٧) الضموزات ، من الضموز ، وهى الحية المطرقة ، أو الشديدة . والضموز أيضاً : الساكت لا يتكلم . وفى الأصول : « ضموزات » ولا وجه له .

(٨) العروف والعروفة : الصابر المحتمل ب فقط : « عروفات » تحريف . وفى ب ، م :

« للجلجل » ، وأثبت ما فى ط وفيها : « للرجل الواقى » . وفى ب ، م : « الوقت » والوجه ما أثبت .

(٩) الشاهسفرم : ضرب من الرياحين يقال له ريحان الملك . قل أبو حنيفة : هى فارسية دخلت فى كلام العرب . قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس
ب : « الشات أسفرم » م ، ط : « الشاة سفرم » ، ووجهه وكتابته كما أثبت .

٣ - فصل منه

وكرهتُ أيضاً تقليدَ المختلف من الآثار فأكونُ كحاطبٍ ليل ،
دونَ التأملِ والاعتبارِ بأنَّ ظلامَ الشكِّ^(١) لا يجلّوه إلاّ مِفْتَاحَ اليقين .

٤ - فصل منه

قد فهمتُ - أسعدك الله تعالى بطاعته - جميعَ ماذكرتَ من أنواعِ
الأنبذة ، وبديعِ صفاتها . والفصلُ بينَ جيدها وردّيها ، ونافعيها وضارّها ،
وما سألتَ من الوقوفِ على حدودها^(٢) . ولا زلتَ من عدادِ مَنْ يسألُ
ويبحثُ^(٣) ، ولا زلنا في عِدَادِ مَنْ يشرحُ ويُفصّح .

اعلم - أكرمك الله - أنك لو بحثتَ عن أحوالِ مَنْ يُؤثّرُ شربَ
الخمور على الأنبذة ، لم تجدْ إلاّ جاهلاً مخذولاً ، أو حدّثاً مغروراً ،
أو خليعاً ماجناً ، أو رعاعاً همجاً ؛ ومنّ إذا غدا بهيمةً ، وإذا راحَ نعمةً ؛
ليس عنده من المعرفة أكثرُ^(٤) من انتحالِ القولِ بالجماعة ؛ قد مُزجَ له
الصحيحُ بالمحال ، فهو^(٥) مدينٌ بتقليدِ الرجال ، يُشعّشعُ الراح^(٦) ، ويحرّمُ
المباح ، فمضى عذله عاذلٌ ووَعظُهُ واعظٌ قال : الأُشربةُ كلّها خمر ، فلا
أشربُ إلاّ أجودها .

(١) في جميع النسخ : « كلام الشك » ، صوابه ما أثبت .

(٢) ب ، م : « ما سألت » . وفي جميع النسخ : « على حدود » .

(٣) م ، ط : « ولا يبحث » ، تحريف م ، في ب .

(٤) ب ، م : « إذا كثّر » ، صوابه في ط .

(٥) ب فقط : « وهو » .

(٦) م ، ط : « لشعشع الداح » ، صوابه في ب . والشعشة : المزج بالماء القليل .

(١٨ - رسائل الجاحظ - ج ٤)

وقد أحببتُ - أَيْدِكَ اللهُ - التَّوَثُّقَ من إصغاءِ فهمك ، وسؤتَ ظَنَّا بالتغريب^(١) فقدِّمتُ لك من التَّوْطِئَةِ مايسهِّلُ [لك^(٢)] سبيلَ المعرفة . وذلك إلى مثلك من مثلى حزم^(٣) سيِّما فيما خَفِيتُ معالِمَهُ ودرستُ مناهجَهُ ، وكثرتُ شُبُهَهُ ، واشتدَّ غُمُوضُهُ .

ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص^(٤) على البرهان في إظهاره ، وَاَحْتَجَّتْ^(٥) في الإبانة عنه إلى ذكر ضِدِّهِ ، ونظيره وشكله ، لم أحتشِمُ من الاستعانة بكلِّ ذلك . فكيف والقدرة - بحمد الله - وافرة ، والحُجَّةُ واضحة .

قد يكون الشيء من جنس الحرام^(٦) فيُعَالَجُ بضربٍ من العلاج حتَّى يتغيَّرَ بلونٌ يحدثُ له ، ورائحةٌ وطعمٌ ونحوٌ ذلك ، فيتغيَّرُ لذلك اسمُهُ ، ويصيرُ حلالاً بعد أن كان حراماً .

٥ - فصل منه

في تحليل النبيذ دون الخمر

فإن قال لنا قائلٌ : ماتدرون ، لعلَّ الأنبيذة قد دخلتْ في ذكر تحريم الخمر ، ولكن لما كان الابتداء أجري في ذكر تحريم الخمر ، خرج التحريم عليها وحدها في ظاهرِ المخاطبة ، ودخل سائرُ الأشربة في التحريم بالقصد والإرادة .

قلنا : قد علمنا أنَّ ذلك على خلاف ما ذكر السائلُ ، لأسبابٍ موجودة ، وعِلَلٍ معروفة .

(١) في جميع النسخ : « بالتقرير » ، والوجه ما أثبت .

(٢) التكملة من ط . (٣) م ، ط : « حرم » ، تحريف .

(٤) اعتاص : التوى فحقى وصعب . ب ، م : « اعتاص » ، صوابه في ط .

(٥) في جميع النسخ : « واحتجبت » والوجه ما أثبت .

(٦) ب فقط : « من حبس الحرام » ، تحريف .

منها : أَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ شَهِدُوا نَزُولَ الْفَرَايِضِ ، وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، لَمْ يَخْتَلَفُوا فِي قَاذِفِ الْمُحْصَنِينَ أَنَّ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَشْرِبَةِ الَّتِي تَسْكُرُ^(١) ، لَيْسَ لَجَهْلِهِمْ أَسْمَاءُ الْخُمُورِ وَمَعَانِيهَا ، وَلَكِنْ لِلْأَخْبَارِ^(٢) الْمَرْوِيَّةِ فِي تَحْرِيمِ الْمُسْكِرِ ، وَالْوَارِدَةِ فِي تَحْلِيلِهَا .

وَلَوْ كَانَتْ الْأَشْرِبَةُ كُلُّهَا عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي الْقَدِيمِ خَمْرًا لَمَّا احتاجُوا إِلَى أَهْلِ الرُّوَايَاتِ فِي الْخَمْرِ ، أَيْ الْأَجْنَاسِ مِنَ الْأَشْرِبَةِ هِيَ ؟ كَمَا لَمْ يَخْرُجُوا إِلَى طَلَبِ مَعْرِفَةِ الْعَبِيدِ مِنَ الْإِمَاءِ .

وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ شَرْحُهُ إِنْ اسْتَقْصِيتُ جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَسْأَلَةِ وَالْجَوَابِ .

وَمَا يُنْكَرُ مَنْ خَالَفْنَا^(٣) فِي تَحْلِيلِ الْأَنْبِذَةِ مَعَ إِقْرَارِهِ أَنَّ الْأَشْرِبَةَ الْمُسْكِرَةَ الْكَثِيرَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْرُوفَةً بِأَسْمَائِهَا وَأَعْيَانِهَا ، وَأَجْنَاسِهَا وَبُلْدَانِهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَصَدَ لِلْخَمْرِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِهَا فَحَرَّمَهَا ، وَتَرَكَ سَائِرَ الْأَشْرِبَةِ طَلْقًا مَعَ أَجْنَاسِ سَائِرِ الْمَبَاحِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى تَجْوِيزِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَاحَرَّمَ عَلَى النَّاسِ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ إِلَّا أَطْلَقَ لَهُمْ مِنْ جَنْسِهِ ، وَأَبَاحَ مِنْ سِنَخِهِ^(٤) وَنَظِيرِهِ وَشَبِيهِهِ . مَا يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ ، لِيُغْنِيَهُمُ بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ . أَعْنَى مَاحَرَّمَ بِالسَّمْعِ دُونَ الْمَحَرَّمَ بِالْعَقْلِ . قَدْ حَرَّمَ مِنَ الدَّمِ الْمُسْفُوحَ ، وَأَبَاحَ غَيْرَ الْمُسْفُوحِ ، كَجَامِدِ الدَّمِ الطَّحَالِ وَالْكَبِدِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا^(٥)

(١) ب : « يسكر » ، تحريف .

(٢) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَلَكِنْ الْأَخْبَارِ » .

(٣) ب : « مَنْ خَالَفْنَا » ، تحريف .

(٤) السِّنْخُ ، بِالْكَسْرِ : الْأَصْلُ . م ، ط : « سِنَخُهُ » ، صَوَابُهُ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ كَمَا فِي ب .

(٥) ب ، م : « وَمَا أَشْبَهَهُمَا » ، صَوَابُهُ فِي ط .

وَحَرَّمَ الْمَيْتَةَ وَأَبَاحَ الذَّكِيَّةَ . وَأَبَاحَ أَيْضاً مَيْتَةَ الْبَحْرِ وَغَيْرِ الْبَحْرِ ،
كَالْجَرَادِ وَشِبْهِهِ ، وَحَرَّمَ الرِّبَا وَأَبَاحَ الْبَيْعِ ، وَحَرَّمَ بَيْعَ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ^(١)
وَأَبَاحَ السَّلَمِ^(٢) ، وَحَرَّمَ الضَّيْمَ وَأَبَاحَ الصُّلْحَ ، وَحَرَّمَ السَّفَاحَ وَأَبَاحَ
النِّكَاحِ . وَحَرَّمَ الْخِنْزِيرَ وَأَبَاحَ الْجَدَى الرَّضِيعَ ، وَالْخُرُوفَ وَالْحَوَارِ^(٣) .
وَالْحَلَالَ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَعْظَمُ مَوْقِعاً مِنَ الْحَرَامِ .

٦ - فصل منه .

ولعلَّ قائلًا يقول : وأهلُ مدينةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم وسُكَّانُ
حَرَمِهِ وَدَارِ هِجْرَتِهِ ، أَبْصَرُوا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْمُسْكِرِ وَالْخَمْرِ ، وَمَا
أَبَاحَ الرَّسُولُ وَمَا حَظَرَهُ^(٤) ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَالِدَيْنِ وَمَعَالِمُهُ مِنْ
عِنْدِهِمْ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ؛ وَالْوَحْيُ عَلَيْهِمْ نَزَلَ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِيهِمْ دُفِنَ . وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ السَّابِقُونَ ، وَالْأَنْصَارُ الْمُؤَثِّرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ . وَكُلُّهُمْ مُجْمِعٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَنْبِذَةِ الْمُسْكِرَةِ ، وَأَنَّهَا كَالْخَمْرِ .
وَخَلَفُوهُمْ عَلَى مِنْهَاجِ سَلَفِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ جَلَدُوا
عَلَى الرِّيحِ الْخَفِيِّ^(٥) .

وَكَيفَ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَدِينُونَ بِهِ وَقَدْ شَهِدُوا مِنْ شَهِدِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَرَّمَهَا وَذَمَّهَا ، وَأَمَرَ بِجَلْدِ شَارِبِهَا .

ثُمَّ كَذَلِكَ فَعَلَ أَئِمَّةُ الْهُدَى مِنْ بَعْدِهِ . فَهُمْ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ^(٦) عَلَى
رَأْيٍ وَاحِدٍ ، وَأَمْرٍ مُتَّفَقٍ ، يَنْهَوْنَ عَنْ شُرْبِهَا ، وَيَجْلِدُونَ عَلَيْهَا .

(١) ما بعده إلى « الضيم » ساقط من ط .

(٢) ب : « وأباح لك السلم » .

(٣) أي لما فيه من طراوة اللحم عوضاً عن طراوة لحم الخنزير . والحوار بالضم : ولد الناقة
من وقت ولادته إلى أن يقطم ويفصل .

(٤) ب ، م : « وحظره » بدون ما .

(٥) أي رائحة الشراب ، حينما يستنكه الشارب . وانظر ما سيأتي في ٢٧٧ س ١٠ .

(٦) ط : « فهم إلى اليوم » .

وإنما نقول في ذلك : إِنَّ عِظَمَ حَقِّ البلدة لا يُجِلُّ شيئاً ولا يحُرِّمه ،
وإنما يُعرَفُ الحلال والحرام بالكتاب الناطق^(١) ، والسُّنة المجمع عليها ،
والعقول الصَّحيحة ، والمقاييس المُنصية^(٢) .

وبعد ، فمن هذا المهاجريُّ أو الأنصاريُّ ، الذي رَوَّاه عنه تحريم الأنبذة
ثم لم يَرَوْوا عنه التحليل ؟ بل لو أنصَفَ القائلُ لعلم أنَّ الذين من أهل
المدينة حَرَّموا الأنبذة ليسوا^(٣) بأَفْضَلَ من الذين أَحَلُّوا النِّكاح في أدبار
النِّساء ، كما استحلَّ قومٌ من أهل مَكَّة عاريةَ الفروج ، وحرَّم بعضهم
ذبائحَ الزُّنوج ، لأنَّهم فيما زعموا مُشوهُو الخلق . ثم حكموا بالشَّاهد
واليمين خلافاً لظاهر التنزيل^(٤) . وأهلُ المدينة وإن كانوا جَلَدُوا على
الرَّيح الخنقي^(٥) فقد جَلَدُوا على حَمَلِ الزُّقِّ الفارغ ؛ لأنَّهم زعموا أنَّه
آلةُ الخمر^(٦) ، حتَّى قال بعض^(٧) مَنْ ينكر عليهم : فهلاًَّ جَلَدُوا أَنْفُسَهُمْ ؟
لأنَّه ليس منهم إلَّا ومعه آلةُ الرِّزْقِ ! وكان يجب على هذا المثل أن
يُحكَمَ بمثل ذلك على حاملِ السِّيف والسَّكِّين والسُّمِّ القاتل ، في نظائر ذلك ؛
لأنَّ هذه كلُّها آلاتُ القتل .

وبعدُ ، فأهلُ المدينة لم يخرجوا من طبائع الإنس إلى طبع الملائكة .
ولو كان كلُّ ما يقولونه حقاً وصواباً لَجَلَدُوا مَنْ كان في دار معبد^(٨) .

(١) ب : « وإنما يعرفه الحلال والحرام الكتاب الناطق » .

(٢) ط : « المغينة » ، وأثبت ما في ب . وقد سقطت هذه الكلمة من م .

(٣) ب : « ليس » صوابه في م ، ط .

(٤) ب ، م : « على ظاهر التنزيل » ولها وجه .

(٥) انظر ما سبق في ص ٢٧٧ س ١٤ . (٦) أنه ، ساقطة من م ، ب .

(٧) ب ، م : « بعضهم » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « لقد كان دار معبد » ، ط : « لجلدوا من كان دار في معبد » ، والوجه

ما أثبت . ومعبد هذا هو معبد بن وهب ، من قدماء المغنين ومشهورهم غنى في أول دولة بني
أمية ، وأدرك دولة بني العباس . وفيه يقول الشاعر :

أجاد طويس والسريجي بعده
وما قصبات السبق إلا لمعبد

الأغاني ٢ : ١٨ - ٢٨ .

والغريفي^(١) ، وابن سريج^(٢) ، ودحمان^(٣) وابن مُحَرِّز^(٤) وعلوي^(٥) وابن جامع^(٦) ، ومُخَارِق^(٧) ، وشريك^(٨) ، ووَكيع^(٩) ، وحماد^(١٠) .

(١) اسمه عبد الملك ، وهو من مولدى البربر ، ومن أشهر المغنين وكان يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب ، وكان جميلاً وضيقاً يصنع نفسه ويترفها . أخذ عن ابن سريج . وسمى الغريفي لأنه كان طرئ الوجه نضراً غص الشباب . توفي نحو سنة ٩٥ . الأغاني ٢ : ١٢٩-١٢٤

(٢) هو عبيد الله بن سريج ، وكان من أحسن الناس غناء ، وكان يغنى مرتجلاً ويوقع بقضيب ، وغنى في زمن عثمان ، ومات ممرضاً في خلافة هشام بن عبد الملك وله خمس وثمانون سنة . الأغاني ١ : ٩٤-١٢٥ . وفي جميع الأصول : « ابن سريج » ، صوابه ، ما أثبت .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو . ودحان بالفتح لقب لقب به ، مشتق من اللحم وهو الدفع كما في اللسان . وكان مع شهرته بالفناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدل الشهادة مدمناً للحج ، وكان يقول : ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء . وكان من غلمان معبد ، وأعطاه المهدي في ليلة واحدة خمسين ألف دينار . الأغاني ٥ : ١٣٣-١٣٧ .

(٤) هو مسلم بن محرز ، ويكنى أبا الخطاب . وكان أبوه من سدة الكعبة وأصله من الفرس ، وكان كثير الترحال في طلب الغناء بين مكة والمدينة وبلاد الفرس والشام حتى ألف ألحانه من مختار أنغام هذه الأمم جميعاً . وكان يقال له « صنّاج العرب » . الأغاني ١ : ١٤٥-١٤٧ .

(٥) هو علي بن عبد الله بن يوسف ، الملقب بعلويه ، كان مغنياً حاذقاً مع خفة روح وطيب مجالسة ، وملاحة نوادر . وكان إبراهيم الموصلي علمه وخرجه وغنى به جداً ، وغنى لمحمد الأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسماعيل الموصلي بمدينة يسيرة . الأغاني ١٠ : ١١٥-١١٢٥ .

(٦) هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل ، وكان حسن السميت كثير الصلاة ، قد أخذ السجود جهته ، يلبس لباس الفقهاء . غنى للرشد ، ونال منه عشرة آلاف دينار في بيتين غناها ، وله وقائع مع أبي يوسف . الأغاني ١٠ : ٦٥-٧٨ .

(٧) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان وهو صبي ينادى على مائيمه أبوه من اللحم ، اشتراه إبراهيم الموصلي وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم اعتقه . وكان من أحقق الناس بالغناء ، وأدرك الواثق . الأغاني ٢١ : ١٤٣-١٥٩ .

(٨) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي ، أبو عبد الله الكوفي القاضي ، أخذ عن أبي إسماعيل السبيعي ، وعبد الملك بن عمير ، وصماك بن حرب ، والأعشى ، وغيرهم . وعنه : ابن مهدي ، ووَكيع ، وهشيم ، وغيرهم . ولد سنة ٩٠ وتوفي ١٧٧ . تهذيب التهذيب .

(٩) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان الكوفي . روى عن أبيه وإسماعيل ابن أبي خالده ، والأعشى ، وخالده بن دينار وغيرهم . وعنه . سفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ومحمد بن سلام ، وغيرهم . ولد سنة ١٢٨ وتوفي سنة ١٩٦ . تهذيب التهذيب .

(١٠) حماد بن سلمة بن دينار البصري . روى عن ثابت البناني ، وقتادة ، وعبد الملك بن عمير وغيرهم . وعنه : ابن جريح ، والثوري ، وشعبة وغيرهم . توفي سنة ١٦٧ .

وإبراهيم^(١) وجماعة التابعين ، والسلف والمتقدمين ؛ لأن هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الأنبذة التي هي عندهم خمر^(٢) ؛ وأولئك كانوا يعالجون الأغاني التي هي حِلٌّ طَلَقٌ ، على نَقَر العידان والطنابير ، والنثايات والصنَج والزنج^(٣) ، والمعاذ التي ليست محرمة ولا منهيًا عن شيء منها .

ولو كان ما خالفونا فيه من تحليل الأنبذة وتحريمها ، كالاختلاف في الأغاني^(٤) وصفاتها وأوزانها ، واختلاف مخارجها ، ووجوه مصارفها ومجاريها ، وما يُدْمَج ويوصل منها ، وما لِلْحَنْجَرَةِ والحَنَكِ والنَّفَسِ واللَّهَوَاتِ وتحت اللسان من نغمها^(٥) . وأَيُّ الدُّسَاتِينِ أَطْرَبُ^(٦) ، وأَيُّ أَصَوْبٍ ، وما يُحْفَظُ بِالْهَمْزِ^(٧) أَوْ يَحْرُكُ بِالضَّمِّ ؛ وَكَالْقَوْلِ بَيِّنُ الْهَرَجِ^(٨) بِالْبِنْصَرِ أَطْيَبُ ، أَوْ بِالْوَسْطَى^(٩) ؟ وَالسَّرِيعُ عَلَى الزَّيْرِ أَلَدُّ^(١٠) ، أَوْ عَلَى الْمَثْنَى^(١١) ؟ وَالْمُصْعَدُ^(١٢) فِي لَيْنٍ أَطْرَبُ أَمْ الْمُخْدَرُ فِي الشَّدَةِ ؟ لَسَهْلَ ذَلِكَ وَلَسَلَّمْنَا عِلْمَهُ لِمَنْ يَدَّعِيهِ ، وَلَمْ نُجَاذِبْ مَنْ يَدَّعِي دُونَنَا مَعْرِفَتَهُ^(١٣) .

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، المترجم في ٢ : ١٩٣ .

(٢) ب ، م : « التي عندهم خمر » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) الزنج من ملاحى أهل خراسان ، كان غناؤهم به ، وعليه سبعة أوتار ، وإيقاعه يشبه إيقاع الصنج . معجم الموسيقى العربية ٣٥ . وانظر معجم استينجاس ٦٢٤ . وفي الأصول : « الزيج » تحريف .

(٤) في جميع الأصول : « في الأوائ » ، صوابه ما أثبت .

(٥) ب ، م : « من نغمها » ، صوابه في ط .

(٦) انظر للدساتين معجم الموسيقى العربية ٣٢ ففيه تفصيل واسع . ويراد به رباطات الأوتار ونحوها .

(٧) الحفز : التحريك . ب : « يحرف » م ، ط : « يحقر » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) الهرج : كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب . ب ، م : « وكالقول في الهرج » ، صوابه في ط .

(٩) ط فقط : « وبالوسطى » .

(١٠) الزير ، بالكسر : من أوتار العود ، وهو أحد الأوتار الدقيقة .

(١١) المثني : الوتر الذي يلي الزير . وهو بفتح الميم والنون المخففة مع القصر .

(١٢) ب فقط : « أو المصعد » .

(١٣) ب ، م : « معرفة » ، صوابه في ط .

٧ - فصل منه

ولهج^(١) أصحاب الحديث بحكمهم^(٢) لم أسمع مثله في تزييف الرجال .
وتصحيح الأخبار . وإنما أكثروا في ذلك . لتعلم حيدهم عن التفتيش .
وميلهم عن التنقيير^(٣) ، وانحرافهم عن الإنصاف .

٨ - فصل منه

والذي دعاني إلى وضع جميع هذه الأشربة والوقوف على أجناسها
وبلدانها ، مخافة أن يقع هذا الكتاب عند بعض من عساه لا يعرف
جميعها ، ولم يسمع بذكرها . فيتوهم أني^(٤) في ذكر أجناسها المستشعة^(٥)
 وأنواعها المبتدعة . كالهاذي^(٦) برؤية العُرب ، وإن كان قصدي
لذكرها في صدر الكتاب لأقف على حلالها وحرامها ، وكيف اختلفت
الأمة فيها ، وما سبب اعتراض الشك واستكمان الشبهة ؛ ولأن أحتج
للمباح^(٧) وأعطيه حقه ، وأكشف أيضاً عن المحظور فأقسم له قسطه ،
فأكون قد سلكت بالحرام سبيله . وبالحلال منهجه ، اقتداءً مني بقول
الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٨) .

وقد كتبت لك - أكرمك الله - في هذا الكتاب ما فيه الجزاية^(٩)

(١) م فقط : « ولهج » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « حكم » ، صوابه في ط .

(٣) التنقيير : البحث والتفتيش . م فقط : « التنقيير » ، تحريف .

(٤) ب فقط : « أن » تحريف .

(٥) ب : « المستشفة » ، صواب في م ، ط .

(٦) الهاذي ، من الهذيان . ب ، م . « كالهاري » من الهزؤ ، وهذه محرفة صواب في ط .

(٧) ب : « ولا أحتج للمباح » ، تحريف .

(٨) من الآية ٨٧ من المائدة .

(٩) كذا وردت الجزاية هنا ، بمعنى الإجراء ، ولا أحد له سابق وفي ب

الكفاية والجزاية .

والكِفَايَةِ ، وَلَوْ بَسَطْتُ الْقَوْلَ لَوَجَدْتَهُ مُتَّسِعاً ، وَلَأَتَاكَ مِنْهُ الدَّهْمُ ^(١) .
 وَرَبِّمًا [كَانَ ^(٢)] الْإِفْلَالُ فِي إِيجَازٍ أَجْدَى مِنْ لِكْثَارٍ يُخَافُ عَلَيْهِ
 الْمَلَلُ ^(٣) . فَخَلَطْتُ لَكَ جِدًّا بِهِزْلٍ ^(٤) . وَقَرَنْتُ لَكَ حُجَّةً بِمُلْحَةٍ ، لِيَخِفَّ
 مَوْوَنَةُ الْكِتَابِ عَلَى الْقَارِئِ ، وَلِيَزِيدَ ذَلِكَ فِي نَشَاطِ الْمُسْتَمِيعِ ، فَجَعَلْتُ
 الْهَزْلَ بَعْدَ الْجِدِّ جَمَاماً ^(٥) ، وَالْمُلْحَةَ بَعْدَ الْحُجَّةِ مُسْتَرَاحاً .

(١) الدهم : الكثير . يقال جيش دهم أى كثير . وجاءهم دهم من الناس ، أى كثير

(٢) التكملة من ط .

(٣) المألوف : « يخاف منه المبال » . لكن هكذا وردت في الأصول .

(٤) ب : « جد الهزل » .

(٥) الجام ، كسحاب : الراحة .

٢٨

من كتابه في

الجوابات واستحقاق الإبرام

١ - فصل (١)

من صدر كتابه في الجوابات في الإمامة
يحكى فيه قول من يجيز أكثر من إمام واحد

زعم قوم أنَّ الإمامة^(٢) لا تجب لرجلٍ واحدٍ بعينه، من رهطٍ واحدٍ بعينه ، ولا لواحدٍ من عُرض الناس^(٣) ، وإن كان أكثرهم فضلاً ، وأعظمهم عن المسلمين غناءً^(٤) ، بعد أن يكون فرداً في الإمامة لا ثانياً له . وأنَّ النَّاسَ إن تَرَكَوا أن يُقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك ، ولم يكونوا بتركة ضالِّينَ ولا عاصينَ ولا كافرين ؛ فإن أقاموه كان ذلك رأياً رآوه ، وغير مضيِّقٍ عليهم تركه .

ولهم أن يقيموا اثنين ، وجائزٌ لهم^(٥) أن يقيموا أكثر من ذلك ، ولا بأس أن يكونوا عَجَمًا^(٦) وموالى ، ولكن لابدَّ من حاكمٍ ، واحداً^(٧) كان أو أكثر على حال . ولا يجوز أن يكون الرجلُ حاكماً على نفسه وقائماً عليها بالحدود .

ولم يقل أحدٌ ألبتة أنَّ من الحُكْم والحاكم بدأ ، ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم .

وقالوا : وأى ذلك كان ، إقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك ،

(١) الكامل ٢ : ٢٧٩ - ٢٩٠ وهذه الرسالة غير رسالة « استحقاق الإمامة » التي سبقت برقم (٢٢) .

(٢) ب : « الأمة » ، تحريف .

(٣) من عرض الناس ، بالضم ، أى من أوساطهم ومعظمهم .

(٤) ب : « غنى » ، تحريف .

(٥) في جِهَةِ الأصول : « عنهم » .

(٦) ب ، م : « أن يكون أعجمياً » ، تحريف .

(٧) ب : « واحد » .

فعلی النَّاسِ الكُفُّ عن محارمهم ، وترك التَّبَاغَى ^(١) فیما بینهم ، والتَّخَاذُلُ عند الحادثة تَنُوبهم ، من عدو ^(٢) يَدَهُمُهم من غیرهم . أو خاربٍ يُخِيفُ سُبُلهم ^(٣) من أهل دعوتهم .

وعلیهم فیما شَجَرَ بینهم إعطاء النَّصْفَةِ من أنفسهم بالغاً ما بلغ ، فی عُسْرِ الأمرِ وُيُسْرِهِ . وعلى كلِّ رجلٍ فی داره وِبَیْتِهِ وقبیلته ، وناحيته ومِصره ، إذا كان مأموناً ذا صلاح وعلم ، إذا ثَبَّتَتْ عنده على أخيه وصاحبه وجاره ، وحاشيته من خَدَمِهِ ، حَدٌّ أو حکمٌ جناهُ جانٍ علیهم ^(٤) أو على نفسه ^(٥) أو ظلمٍ ركبَه من غیره ، إقامةُ ذلك الحکم والحَدِّ علیه ، إذا أمکنه مستحقُّه ؛ إِلَّا أن يكون فوقه كافٍ قد أَجَزَى عَنْهُ .

وعلى المجتَرِحِ للذَّنْبِ المُوجِبِ على نفسه الحدَّ ، والمستحقِّ له ، إمضاء الحکم فی بَدَنِهِ وماله ، والإمکانُ من نفسه . وأن لا يُعَازَّ بِقُوَّةٍ ^(٦) ، ولا يَرُوعَ بحيلة ، ولا يَسْخَطَ حکم التنزیل فیما نَزَلَ به ، وفيما هو بسبيله ^(٧) من مالٍ ^(٨) أو غیره . وإنما يجب ذلك إذا كان على الفريقين من القیم ، والجاني یمكنه ما كَلَّفَهُ الله من ذلك . فإنَّ أبا القیم إقامة الحقِّ والحدَّ على الجاني بعد استیجابِه ، والإمکانِ من نفسه لإقامة الحدِّ علیه ، فقد عَصَى

(١) التَّبَاغَى : تفاعل من البغى ، وهو الظلم والعدوان والعدول عن الحق . ب ، م : « وترك التَّبَاغَى » ط : « وترك الأصل والتناجى » ، صوابهما ما أثبت . وسيأتى فی ص ٢٨٨ : « يزادون فساداً وتباغياً » .

(٢) ب ، م : « من عدم » ، صوابه فی ط .

(٣) الخارب : اللص ، أو سارق الإبل خاصة . ب : « سلهم » ، صوابه فی م ، ط .

(٤) ب ، م : « جاز علیهم » ، صوابه فی ط .

(٥) فی جميع الأصول : « علیهم على نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) المعازة : المغالبة والمشادة .

(٧) فی جميع الأصول : « لسبيله » .

(٨) ب ، م : « من ماله » .

الله تعالى ولم يُؤْتِ في ذلك الأمر نفسه ، لأنَّ الله تعالى قد بيَّنه له ، وأوجبه عليه ، وقرَّره حين أوضح له الحُجَّة وقرب الدلالة ، وطوَّقه المعرفة ، ومكَّنه من الفعل .

وقد بسطنا العذر لدوى العجز في صدر الكلام .

وإنَّ أبي الجاني المستحقَّ للحكم والحدِّ ، الإمكان من نفسه وماله ، وما هو بسبيله ، فقد عَصَى الله في ذلك ، كما عصاه في رُكوبه ما أوجب عليه الحدَّ ، ولم يُؤْت من ربه لما ذكرنا من إيضاح الحجة وإثبات القدرة .

٢ - فصل منه

وقد علمنا ^(١) أنَّ من شأن النَّاسِ الهربَ إذا خافُوا نزولَ المكروه ، والامتناعَ من إمضاءِ الحلود بعدَ وجوبها عليهم ، ما وجدُوا السَّيْلَ إلى ذلك . وهذا سببُ إسقاطِ الأحكام والتَّفاسد .

وقد أمرنا أن نترك أسبابَ الفساد ما استطعنا ، وبالنَّظر للرعية ما أمكننا ، فوجب علينا عند الذي قلنا ، أنَّا لو لم نُقيمُ إماماً ^(٢) واحداً كان النَّاسُ على ما وصَّفتنا من التسرُّع إلى الشيء إذا طَمِعوا ، والهرب إذا خافوا . وهذا أمرٌ قد جرَّت به عامَّةُ المعرفة ، وفُتِحَتْ عندنا فيه التجربة .

قلنا عند ذلك إنَّ الإمامة لا تجب على النَّاسِ من طريق الظُّنون وإشفاقِ النفوس ^(٣) .

(١) ب فقط : « وقد علم » .

(٢) ب ، م : « أن نقيم إماماً » ، صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « إشفاق النفوس » يسقط الواو .

وقد رأينا أعظمَ منها خطراً ، وقدراً ونفعاً ، في كلِّ جهةٍ على خلاف ذلك ، وهو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله إلى أُمَّةٍ وقد علم أنَّهم يزدادون مع كفرهم المتقدم^(١) مِنْ قَبْلِ ذلك الرِّسُولِ كُفْراً ، بجحدهم له ، وإخراجهم إِيَّاه ، وقصدتهم قَتْلَهُ^(٢) ، ثم لا يكون ذلك مانعاً له من الإرسال إليهم والاحتجاج به عليهم ، لمكان علمِهِ أنَّهم يزدادون فساداً وتباًغياً^(٣) ؛ إِذْ كَانَ^(٤) قَدَّمْ لَهُمْ ما به ينالون مصالحَ دينهم ودُنياهم . وإنَّما على الحكيم أن يَأْتِيَ الأمرَ الحكيم ، عرفَ ذلك عارفٌ أم جهلُهُ جاهل .

وعلى الجوادِ ذى الرَّحمةِ فى جُوده ورحمته ، أن يفعل ما هو أَفْضَلُ فى الجود ، وأَبْلَغُ فى الإحسان ، وأَلْطَفُ فى الإنعام من إيضاحِ الحُجَّةِ^(٥) وتسهيلِ الطُّرُق ، والإبلاغِ فى الموعظة . مع ضمانِ الوَعْدِ بالغاية من الثَّوابِ والدَّوامِ واللَّذَّةِ ، والتَّوَعُّدِ بغاية العقاب فى الدَّوامِ والمكروهِ إلى عبادِهِ الذين كَلَّفَهُمْ طاعته ، وأهلِ الفاقةِ إلى عائِدته^(٦) ونَظَرِهِ وإحسانه .

فإنَّ قَبْلَ ذلك قابلٌ^(٧) فقد أَصابَ حظَّهُ ، وإنَّ أبَى ذلك فنفسه ظَلَمَ^(٨) ، وقد صنع الله به ما هو أَصْلَحُ وإن لم يستطع العبدُ نَفْسُهُ .

(١) ب ، م : « مع كفرهم المنقذ » ط : « يزدادون من كفرهم » فقط . والوجه فيها ما أثبت .

(٢) فى جميع الأصول : « قبله » ، صوابه ما أثبت .

(٣) ط : « وبتغياً » ، وانظر ما سبق فى ص ٢٨٦ .

(٤) ب ، م : « إذا كان » ، صوابه فى ط .

(٥) فى جميع الأصول : « ومن إيضاحِ الحجة » ، والوجه حذف الواو .

(٦) العائدة : المعروف والمنفعة .

(٧) ب : « قيل ذلك قابل » ، صوابه فى م ، ط .

(٨) ب : « وإن أباد ذلك نفسه ظالم » م : « وإن أبى ذلك فنفسه ظالم » ط : « وإن أبى ذلك فلنفسه ظلم » . والصواب ما أثبت .

قالوا : فإذا كان الله تبارك وتعالى عالماً بأنَّ القومَ يَزْدَادُونَ فساداً عند إرسال الرسل ، وكان غيرَ صارفٍ لهم عن الإرسال إليهم ، إذ كان قد عدلَ خَلْقَهُمْ ^(١) ، ومكَّنهم من مصلحتهم . فما بالُ الظنِّ والحِسبانِ بأنَّ النَّاسَ يتفاسدونَ ويتنازعون ، إذا لم يُقيموا إماماً واحداً يُوجب فرضاً لم ينطق به كتاب ولم يؤكِّده خبر ^(٢) . وقد رأينا العلم بأنَّ الناس يتفاسدون بما لا يَرِدُ به فرض ^(٣) .

٣ - فصل منه

وقالوا : قد رأينا أهلَ الصَّلاح والقَدَر ، عند انتشار أمرِ السُّلطان ، وغلبة السُّفلة والدُّعَار ، وهَيِّجَ العوامَ ^(٤) ، يقوم منهم العدُوُّ اليسير في الناحية والقبيلة ، والدَّرب والمَحلة فيَقُلُّ لهم حدُّ المستطيل ^(٥) ، ويقمع شذاذَ الدُّعَار ^(٦) ، حتَّى يَسْرَحَ الضَّعيف ويأمن الخائف ، ويتنشر التاجر ، ويُكَبِّرُ جانبهم الدَّاعِر ^(٧) .

وإنما صلاحُ النَّاسِ بقدر تعاونهم وتخاذُلهم . مع أنَّ النَّاسَ لو تركهم المتسلِّطون عليهم ^(٨) ، وألجئوا إلى أنفسهم حتَّى يتحقَّق عندهم أنَّ لا كافٍ إلا بطشهم وحيلهم ، وحتَّى تكون الحاجة إلى الذَّبِّ ^(٩)

(١) ب : « خلقه » .

(٢) م : « ولا يؤكده خبر » .

(٣) في جميع الأصول : « يتفاسدون ولا يرد به فرض » .

(٤) ط : « ويصيح العوام » ، تحريف .

(٥) الفل : الكسر والثلج . ب : « فيغل » م : « فيقل » ط : « فيقيم » ، صوابه ما أثبت .

وفي ب م : « بهم » ، صواب هذه من ط . والاستطالة : الاعتداء .

(٦) ب : « الدُّعَار » تحريف . وفي ط : « شذوذ الدُّعَار » .

(٧) ب م : « ويكرم جانبهم » . وفي ب : « الدَّاعِر » تحريف .

(٨) ب م : « المتسلطون عليهم » .

(٩) ب م : « الذابة » ، تحريف .

والحراسة . والعلم بالمكيدة . هي ^(١) التي تحملهم على مع أنفسهم ؛ ولذهبت عادة الكفاية . وضعف الاتكال . ولتعودوا اليقظة . ولدربوا بالحراسة ، واستشاروا دفين الرأي ؛ لأن الحاجة تفتق الحيلة ^(٢) وتبعث على الروية ^(٣) . وكان بالحرى أن يصلح أمر الجميع ؛ لأن طمع الراعى إذا عاد بأساً ^(٤) صرّقه في البغى ^(٥) . وكان في ذلك منبهة للنائم ومشحذة لليقظان ، وضراوة للمواكل ^(٦) . ومزجرة للبغاة . حتى ينبت عليه الصغير ^(٧) ، ويتفحل معه الكبير .

٤ - فصل منه

وزعم قوم أن الإمامة لا تجب إلا بأحد وجوه ثلاثة :
إما عقل يدل على سببها . أو خبر لا يكذب مثله . أو أنه لا يحتمل شيئاً من التأويل إلا وجهاً واحداً .

قالوا : فوجدنا الأخبار مختلفة . والمختلف منها متدافع ^(٨) . وليس في المتدافع والتكافي بيان ولا فضل .

فمن ذلك قول الأنصار ، وهم شطر الناس وأكثرهم . مع أمانتهم على دين الله تعالى . وعلمهم بالكتاب والسنة . حيث قالت ^(٩) عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : « منا أمير ومنكم أمير » .

(١) ب ، م : « وهى » . والواو مقحمة .

(٢) ب ، م : « تفيق الحيلة » بحرف

(٣) م فقط : « الروية » ، تحريف

(٤) ب : « يائساً » . م « بأساً » وأثبت م ط

(٥) ب م : « فى سوى البغى »

(٦) ب م : « المواكل »

(٧) ب : « يتثبت » ، ط : « تثبت عليه الصغيرة » ، والصواب ما أثبت من م

(٨) ط : « والمختلف متدافع » . ب . م « والمختلف منه متدافع » . والوجه ما أثبت

(٩) ط . « حيث قالوا »

فلو كان قد سَبَقَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أمرٌ ما كان أحدٌ أعلمَ به منهم . ولا أخلَقَ للإقرارِ والعملِ بما يلزم . والصَّبرِ عليه^(١) منهم . بعد الذي ظَهَرَ من احتماهم في جَنبِ الله تعالى ، والجِهَادِ في سبيله . والنُّصرةَ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم [مع الإيواء والإيثار ، بعد المواساة . ومحاربة القريب والبعيد . والعرب قاطبة وقريش خاصة . ثم الذي نطق القرآنُ به من تزكيتهم وتفضيلهم . بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم^(٢)] ، وثقته بهم^(٣) وثنائه عليهم^(٤) . وهو يقول : « أَمَّا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إِلَّا لَتَقْلُبُنَّ عِنْدَ الطَّمَعِ وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفِرَاقِ » ، في أمورٍ كثيرة .

ثم لم يكن قولهم : « مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ » من سفهائهم ضَوَى إليه^(٥) أمثاله منهم ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ حَسَدَةً وَجُهَالًا ، وأحداثاً وسَرَاعاً^(٦) ، مِنْ حَدَثٍ تَبِعْتَهُ الْغَرَارَةُ وَالْأَشْرُ^(٧) . ورجلٍ يَحِبُّ الْجَاهَ والفتنة . أو مغفلٍ مخدوع^(٨) ، أو غرَّ ذِي حَيِيَّةٍ^(٩) يؤثر حسبه ونسبه على دين الله تعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم .

(١) ب فقط : « عليهم » ، تحريف .

(٢) التكللة من م ، ط .

(٣) في جميع الأصول : « ولقيه بهم » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في جميع الأصول : « وثباته عليهم » ، صوابه ما أثبت .

(٥) ضوى إليه . انضم ولجأ . وفي اللسان : « يقال ضوى الرجل إلينا أشد المضوية ، أى

أوى إلينا » . وفي جميع الأصول : « صرى إليه » . والوجه ما أثبت .

(٦) السراعان : الأوائل الأخفاء يسرعون إلى الأمر

(٧) الأشر : المرح وانشاط ب ، م ، والأشد : تحريف ما أثبت . وفي ط .

« ولا شد رجل يحب الجاه والفتنة » . ولا وجه له

(٨) ط : « مجدوع » م : « مخدوع » ، صوابه ما أثبت من ب

(٩) ب . « أو غرى » م . « أو غرى » ، صوابهما في ط . وفي ط : « ذوحية »

صوابه في ب ، م

ولا كان ذلك القول ، إن كان من عليتهم ، في الواحد الشاذ القليل ، بل كان في ذوى أحلامهم والقَدَمِ مِنْهُمْ^(١) .

ثم كان المرشحُ والمأمولُ عندهم سعدُ بنُ عبادة . سيداً مُطاعاً . ذا سابقةٍ وفَضْلٍ ، وحِلْمٍ ونَجْدَةٍ ، وجاءَ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستغاثَ به^(٢) في الحوادثِ والمهمِّ من أمره .

ثم كان في الدهم^(٣) من الأنصار ، والوجوه والجمهور من الأوس والخزرج . فكيف يكون سبقَ من النبي صلى الله عليه وسلم في هذا أمرٌ يقطع عُذراً^(٤) ويوجب رضاً ، وهؤلاء الأمناء على الدين ، والقوام عليه ، قد قاموا هذا المقام ، وقالوا هذا المقال .

قالوا : فإن قال قائل : فإن القوم كانوا على طبقات ، من ذاكرٍ متعمد ، وناسٍ قد كان سقطَ عن ذكره وحفظه ، ومن رجلٍ كان غائباً عن ذلك القول والتأكيد الذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، في إقامة إمامٍ يقدِّم في أيام وفاته وشكاته^(٥) ، ومن رجلٍ قدَّم في الإسلام لم يكن من حُمَالِ العلم . فأذكرهم أبو بكرٍ وعمرُ فذكروا ، ووعظاهم فاتعظوا . فقد كان فيهم الناشئُ الفاضلُ الذي يزجره الذكر ، وينزع إذا بُصِّرَ ، والمعتمدُ الذي لم يبلغ من لجاجه وتتايعه^(٦) . ورُكوب

(١) ب : « فيهم » .

(٢) ب : « واستغاث به » م : « واستغاث به » ط : « واستغاث به » ، والوجه ما أثبت .

(٣) أى كان هذا القول في الدهم . والدهم ، بالفتح العدد الكثير ، كالدَّهْماء . ب فقط :

« في الوهم » ، تحريف

(٤) في جميع النسخ « عددًا » ، والصواب ما أثبت

(٥) الشكاة ، بفتح الشين : المرض ب ، م . وسكاته ، صوابه ما أثبت والكلمة

ساقطة من ط . وفي ب ، م : « إقامة الإمام »

(٦) التتابع : التهافت في الشر والضحك وفي جميع الأصوات . « وتتايعه » بالناء الموحدة ،

صوابه بلياء التحتىئة المثناة

رَدَّعَهُ^(١) مَا يُؤْثَرُ مَعَهُ التَّصْمِيمُ^(٢) عَلَى حُسْنِ الرَّجُوعِ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . وَالتَّخْوِيفُ بِفَسَادِ الْعَاجِلِ^(٣) . فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ الْقَدْرُ النَّبِيِّ ، إِمَّا لِلْعَقْلَةِ . وَإِمَّا لِلإِبْطَاءِ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِلْخُمُولِ فِي قَوْمِهِ مَعَ إِسْلَامِهِ وَصِحَّةِ عَقْلِهِ . فِدَاؤُهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ^(٤) يَوْمَ السَّقِيفَةِ حِينَ قَالَا^(٥) : « نَحْنُ الْأَثَمَةُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ » . وَحَيْثُ رَوَوْا لَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْأَثَمَةُ مِنْ قَرِيْشٍ » . فَلَمَّا اسْتَرْجِعُوا رَجَعُوا .

قُلْنَا : الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَرَوْا فِي كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ انْصِرَافَهُمْ عَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ لَمْ يَكُنْ لَأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ حُجَّةٌ ، غَضَبُ رُئَسِيهِمْ وَخُرُوجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ مَرَاغِمًا ، فِي رَجَالٍ مِنْ رَهْطِهِ ، مَعَ تَرْكِهِ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَشْيِيعِهِ^(٦) عَلَيْهِمْ بِالشَّامِ .

وَقَدْ قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنِ عُبَادَةَ ، وَهُوَ يَذْكُرُ خِذْلَانَ الْأَنْصَارِ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : وَاسْتِبْدَادَ الرَّهْطِ مِنْ قَرِيْشٍ عَلَيْهِمْ ، بِالْأَمْرِ :

وَحَبَّرْتُمُونَا أَيْمًا الْأَمْرُ فِيكُمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ التَّشَاوُجِ^(٧)
وَأَنَّ وَزَارَاتِ الْخِلَافَةِ دُونَكُمْ كَمَا جَاءَكُمْ ذُو الْعَرْشِ دُونَ الْعَشَائِرِ
فَهَلَّا وَزِيرًا وَاحِدًا تَجْتَبُونَهُ بَغِيرِ وَدَادٍ مِنْكُمْ وَأَوَاصِرِ^(٨)

(١) رَكِبَ رَدَّعَهُ : لَمْ يَرُدَّعْهُ شَيْءٌ فِيمَنْعُهُ عَنْ وَجْهِهِ .

(٢) ب : « التَّصْمِيمُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط .

(٣) ب : « لِفَسَادِ الْعَاجِلِ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط .

(٤) ب ، م : « وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » . وَالْوَجْهَ حَذَفَ الْوَاوَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ كَمَا فِي ط .

(٥) ط : « قَالُوا » ، وَهُوَ أَمْرٌ جَائِزٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ .

(٦) ب ، م . « وَتَشْيِيعُهُ » ط : « وَتَشْيِيعُهُ » ، صَوَابُهُمَا مَا أُبْعِثَ .

(٧) ب : « الرُّسُولُ اللَّهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٨) اجْتِبَاءٌ : اخْتَرَهُ وَاصْطَفَاهُ . ب ، م : « تَجْتَنَّبُونَهُ » صَوَابُهُ فِي ط .

سَقَى الله سعدًا يومَ ذاكِ ولاسقى عراجلةً هابتُ صُدُورُ المنايرِ^(١)

وقال رجلٌ من الأنصار . ودأه على رضوان الله عليه إلى عَوْنِهِ
وَنُصْرَتِهِ ، إِمَّا يومَ الجَمَلِ . أو يومَ صِفِّينَ :

مَالِي أَقَاتِلْ عَنْ قَوْمٍ إِذَا قَدَرُوا عُدُنَا عَدُوًّا وَكُنَّا قَبْلُ أَنْصَارَا

رَيْلٌ لَهَا أُمَّةٌ لَوْ أَنَّ قَائِدَهَا يَتْلُو الْكِتَابَ وَيَخْشَى النَّارَ وَالْعَارَا

أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَمْ نَسْمَعْ بِمَثَلِهِمْ غَدْرًا وَأَعْجَبَ فِي الْإِسْلَامِ آثَارَا

إِلَّا تَكُنْ عَصْبَةً خَالُوا نَبِيَّهُمْ بِالْعُرْفِ عُرفًا وبِالْإِنْكَارِ إِنْكَارًا^(٢)

أَبَا عُمَارَةَ وَالثَّوَايَ بِبَسْلَقَةٍ فِي يَوْمِ مُوتَةٍ لَا يَنْفَكُ طَيَّارًا^(٣)

أَبَا عُمَارَةَ^(٤) : حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه . وقد كان يكنى

أَبَا يَعْلَى ، وَالثَّوَايَ فِي يَوْمِ مُوتَةٍ : جعفر بن أبي طالب^(٥) .

وقال رجلٌ من الأنصار من ولد أبي زيدٍ القاري^(٦) . وذكر أمرَ
الأنصار وأمرَ قريش :

(١) العراجلة : جمع عرجلة ، وهم جماعة الرجال يمشون على أقدامهم . وأنشد أبو عبيدة :

راحوا يمشون القلوص عشية عراجلة من بين حاف وناعل

وفي جميع النسخ : « عواجله » بالواو ، صوابه ما أثبت . والمناير : جمع منبر ، عى أنهم
ليسوا بخطباء . م : « الثواب » ط : « النواير » ، صوابهما في ب .

(٢) خالوا ، من الخول بالتحريك ، وهم حشم الرجل وأتباعه . والخائل : الذي يخول على
أهله وعياله ، أى يرمى عليهم . وفى ب : « حالوا وبيهم » م ، ط : « حالوا بينهم » ،
والوجه ما أثبت .

(٣) جاء في الحيوان ٣ : ٢٣٣ ، « ونحن نؤمن بأن جعفرًا الطير . س أبى طالب ، له
جناحان يطير بهما فى الجنان ، جعل له عوضاً من يديه اللتين قطعت على لواء المسلمين فى يوم مؤتة »

(٤) ب فقط . « أبو عماره »

(٥) كان يوم مؤتة فى الثامنة من الهجرة بين المسلمين وأروم . وكان قد حمل لواء المسلمين
فيه زيد بن حارثة فقتل . فحمله جعفر بن عبد الله فمطت ، ثم قتله فمطت ، وخصنه بمضديه فقتل
وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله س . ووجهه فقتل أنصاً . وانظر الإصدار ١١٦٢ ووجهه
أنساب العرب لابن حزم ٦٨ ٦٩ وكتب السيرة

(٦) أبى من إخوته وابنه أبيه ثالث من الصحابة و يده هو يد من كتب الصحاح ،

دعاها إلى استبدادها وحُقودها تذكّر قتل في القلب تكبكبوا
هناك قتل لا تؤدّي دياتهم وليس لها كيهما سوى الصبر مذهب
فإن تغضب الأبناء من قبل من مضى
فو الله ماجئنا قبيحاً فتعتبوا^(١)

٥ - فصل منه

قد حكينا قول من خالفنا في وجوب الإمامة وتعظيم الخلافة ،
وفسرنا وجوه اختلافهم . واستقصينا جميع حُججهم ، إذ كان على عذر
لما غاب عنه خصمه^(٢) ، وقد تكفل بالإخبار عنه في ترك الحيلة له ،
والقيام بحجته . كما أنه لا عذر له في التّقصير عن إفتاد^(٣) من
يخالفه^(٤) ، وكشف خطأ من يضاده^(٥) عند ما قرأ كتابه^(٥) ، وتفهم
حجته . لأن أقل ما يُزيل عُذرَه ، ويُزيح علته ، أن يكون قول خصمه
قد استهدف لعقله ، وأصحر للسانه^(٦) ، وقد مكّنه من نفسه ، وسلّطه

= الأنصاري ، كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وأمينه على الوحي ، وأحد الذين جمعوا القرآن على عهده ،
وهو الذي كتب المصحف لأبي بكر . ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار . توفي سنة
٤٥ وفيه يقول حسان بن ثابت :

فن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت

طبقات القراء ١ : ٢٩٦ والإصابة ٢٨٧٤ . وفي الحيوان ١ : ٣٣٦ : « كانوا يكرهون
أن يقال قراءة عبد الله ، وقراءة سالم ، وقراءة أبي ، وقراءة زيد » .

(١) ب فقط : « قتل من مضى » .

(٢) م . « إذ كان » . وفي جميع الأصول : « لمن غاب عنه خصمه » .

(٣) الإفتاد . تحطئة الرأي ، ومثاه التفتيد . وفي الأصول . « إفساد ما يخالفه » .

(٤) ط « وكشف خطأ » . والخطأ : الخطأ . وفي ب ، م : « من يضاده » ، صوابه في ط .

(٥) في الأصول : « عند من قرأ كتابه » .

(٦) - أصحبه . انكشف وظهر . من قولهم أصحبر ، إذا خرج إلى الصحراء . وفي
الأصول . « وأصحر للسانه » ، لكن في ط « وأصحبر لسانه »

على إظهار عورته . فإذا استراح شغب المنازع ^(١) . ومدارة المستمع
لم يبق إلا أن يقوى على خلافه أو يعجز عنه .

ومن شكر المعرفة بمغاوى الناس ^(٢) ومرآشدهم . ومضارهم ومنافعهم :
أن يحتمل ثقل مؤنتهم وتعريفهم . وأن يتوخى إرشادهم . وإن جهلوا
فضّل من يسدى إليهم .

ولن يهوان العلم بمثل بذله . ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره .
وأعلم أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم ، إذ كان ^(٣)
مع التلاقي يقوى التصنع ، ويكثر التظالم ، وتفرط النصرة ^(٤) ،
وتنبعث الحمية . وعند المزاخمة تشدد الغلبة وشهوة المباهاة .
والاستحياء من الرجوع ، والأنفة ^(٥) من الخضوع . وعن جميع ذلك
تحدث الضغائن ^(٦) ، ويظهر التباين ، وإذا كانت القلوب على هذه
الصفة . وبهذه الحالة . امتنعت من المعرفة وعميت عن الدلالة .

وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية . وإصابة الحجة ؛ لأن
المتوحد بقراءتها ، والمتفرد بفهم معانيها . لا يباهى نفسه ولا يغالب
عقله ولا يعاز خصمه ^(٧) .

والكتاب قد يفضل ويرجح على واضعه بأمر :

(١) ب فقط : « من شغب المنازع » تحريف .

(٢) ب : « بمعائب الناس » م ، ط : « بمعاريب الناس » . والوجه ما أثبت من الحيوان

١ : ٨٤ . والمراد تقابلها « المغاوى » . وانظر للكلام على « معائب » ماورد في تفسير أبي حيان

٤ : ٢٧١ عند الكلام على « معائب » .

(٣) في الأصول : « إذا كان »

(٤) ب ، م : « ويفرط النصرة » .

(٥) ب ، م : « والألفة » ، صوابه في ط والحيوان ١ : ٨٤

(٦) ب : « يحدث الضغائن » .

(٧) المعازة : المغالبة . وفي الحيوان ١ : ٨٥ . ولا ينبغي عمه » .

منها : أَنَّ الكتاب يُقرأ بكلِّ مكانٍ وفي كلِّ زمانٍ ، على تَفَاوُتِ
الأعصار . وَبُعْدِ ما بين الأمصار . وذلك أمرٌ يستحيل في الواضع ^(١)
ولا يُطَمَع فيه من المنازع ^(٢) . وقد يذهب العالمُ وتبقى كتبه ^(٣) ،
ويبقى ويبقى أثره ^(٤) .

ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها . وخلفت من عجيب حِكْمِها
ودوّنت من أنواع سيرها ^(٥) حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها
المستغلق علينا ^(٦) ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم ^(٧) ، وأدركنا ما لم
نكن ندركه إلاّ بهم ، لقد خَسَّ حَظُّنا في الحكمة ، وانقطع سبيلنا
إلى المعرفة .

ولو ألجئنا إلى قدر قوّتنا ومبلغ خواطرنَا ، ومنتهى تجاربنا ، بما
أدركته حواسُّنا ، وشاهدته نفوسُنا ، لقد قلَّتِ المعرفةُ وقصُرَتِ الهمةُ
وضَعُفَتِ المنّةُ ، فاعتقم الرأى ومات الخاطر ، وتبلّد العقل ^(٨) ،
واستبدَّ بنا سوءُ العادة .

وأكثرُ من كتبهم نفعاً ، وأحسنُ ممَّا تكلفوا موقعاً ^(٩) ، كُتِبُ الله
تعالى ، التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كلِّ عبرة ، وتعريف
كلِّ سيئةٍ وحسنة .

(١) في الحيوان ١ : ٥٨ : « في واضع الكتاب » .

(٢) ط : « التنازع » تحريف . وفي الحيوان : « والمنازع في المسألة والجواب . .

(٣) ب ، م : « ويبقى كتبه » وأثبت ما في ط . والذي في الحيوان : « وقد يذهب الحكيم
وتبقى كتبه » .

(٤) في الحيوان : « ويذهب العقل ويبقى أثره » .

(٥) ب فقط . « سرها » ، صوابه في م ، ط والحيوان .

(٦) الحيوان : « كل مستغلق علينا » .

(٧) ب فقط : « أكثرهم » ، تحريف .

(٨) في جميع الأصول : « العاقل » ، وأثبت ما في الحيوان ١ : ٨٦ .

(٩) في الحيوان : « وأحسن موقعاً » فقط .

فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا سبيل من قبلنا فينا . مع
أنا قد وجدنا في العبرة ^(١) أكثر مما وجدوا . كما أن من بعدنا يجد من
العبرة أكثر مما وجدنا .

فما ينتظر الفقيه بفقهه والمحتج لدينه . والذاب عن مذهبه ،
ومواسبى الناس في معرفته ، وقد أمكن القول وأطرق السامع . ونجنا من
التقية ^(٢) ، وهبت ريح العلماء .

٦ - فصل منه

واعلم أن قصد العبد بنعم الله تعالى إلى مخالفته ، غير مخرج
إنعام الله تعالى عليه ، ولا يحول إحسانه إليه ^(٣) إلى غير معناه
وحقيقته ، ولم يكن ^(٤) إحسان الله في إعطائه الأداة وتبيين الحجة
لينقلبا إفساداً وإساءة ؛ لأن المعان على الطاعة عصي بالمعونة ، وأفسد
بالإنعام ، وأساء بالإحسان .

وفرقت بين المنعم والمنعم عليه ؛ لأن المنعم عليه يجب أن يكون
شكوراً ، ولحق النعمة راعياً ^(٥) ، والمنعم منفرد بحسن الإنعام ، وشريك
في جميل الشكر . ولأن المنعم أيضاً هو الذى حبب الشكر إلى فاعله .
بالذى قدم إليه من إحسانه . وتولى من يساره ^(٦) ، ولذلك جعلوا النعمة
لقاحاً ، والشكر ولاداً ^(٧) . وإنما مثل إعطاء الآلة والتكليف لفعل

(١) في الحيوان : « من العبرة » .

(٢) التقية : الحذر والخوف . والذى في الحيوان : « وخوى يحم التقية » .

(٣) ب فقط : « عليه » .

(٤) ب : « ولن يكون » ، صوابه في م . ط .

(٥) ب : « وبحق النعمة » صوابه في م ، ط . وفي ب ، م « راعياً » ، والوجه ما أتت من ط

(٦) م ، ط : « من ساره » ، ولا وجه له . واليسار الغي

(٧) الولاد والولادة والإلادة كلها مصدر للفعل ولد .

الخير^(١) مثل رجل تصدّق على فقير ليستر عورته ، ويُقيم من أودّ ضلّبه ،
وليُصّرِف في منافعه . ولا يكونُ إنفاقُ الفقير ذلك الشيء في الفسادِ
والخلافِ والفواحش ، لينقلب^(٢) إحسانُ المتصدّق إساءة . وإنّما هذا
بصواب الرأى الذى لا ينقلب صواباً وإن أنجح صاحبه^(٣) .
وقد يؤتَى^(٤) الرجل من حزمه ولا يكون مذموماً ، ويَحْظَى^(٥) بالإضاعة
ولا يكون محموداً .

٧ - فصل منه

ولم يكن الله تعالى ليضع العدل ميزاناً بين خلقه ، وعياراً على عباده ،
في نظر عقولهم في ظاهر ما قرّض عليهم ، وييسّر^(٦) خلافه . ويستخفى
بضده . ويعلم أنّ قضاءه فيهم غير الذى فطرهم على استحسانه ، وتحبّب
إليهم به . في ظاهر دينه ، والذى استوجب به على الشكر على جميع خلقه .

٨ - فصل منه

وإن لم يكن العبد على ما وصفنا^(٧) من الاستطاعة والقُدرة ، والحال
التي هي أدعى^(٨) إلى المصلحة ، ما كان متروكاً على طباعه ودواعي شهواته ،
دون تعديل طبعه وتسوية تركيبه .

ولذلك أسبابُ نحن ذاكروها ، وجاعلُوها حجّةً في إقامة الإمامة ،

(١) في جميع الأصول : « لفعل الخير » ، وإمّا يقال كلفه بالأمر وكلفه إياه .

(٢) ب ، م : « لتقلب » صوابه في ط .

(٣) ب « وإمّا أنجح صاحبه »

(٤) ب - م « يوقى » ، صوابه في ط .

(٥) يحظى . من المخطوطة وفي ب ، م : « يحظى » ، صوابه في ط .

(٦) ما عدا ط « ويسر »

(٧) ب « وصفنا به » و « به » مفحمة

(٨) ب - م « ادعى » ط : « ادعاء » ، والوجه ما أثبت

وَأَنَّ عَلَيْهَا مَدَارَ الْمَصْلَحَةِ . وَأَنَّ طَبِيعَ الْبَشَرِ يَمْتَنِعُ مِنَ الْإِخْبَارِ إِلَّا عَلَى مَا نَحْنُ ذَاكِرُوهُ . فَنَقُولُ :

إِنَّمَا لَمَّا رَأَيْنَا طِبَائِعَ النَّاسِ وَشَهَوَاتِهِمْ . مِنْ شَأْنِهَا التَّقَلُّبُ إِلَى هَلَكَتِهِمْ وَفَسَادِ دِينِهِمْ ، وَذَهَابِ دُنْيَاهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ الْعَامَّةُ أَسْرَعَ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْخَاصَّةِ ، فَكُلُّ لَاتَنَفُّكَ ^(١) طِبَائِعُهُمْ مِنْ حَمَلِهِمْ عَلَى مَا يُرَدِّدُهُمْ ^(٢) . مَا لَمْ يُرَدُّوا بِالْقَمْعِ الشَّدِيدِ فِي الْعَاجِلِ ، مِنْ الْقَصَاصِ الْعَادِلِ . ثُمَّ التَّنْكِيلِ فِي الْعُقُوبَةِ عَلَى شَرِّ الْجِنَايَةِ ^(٣) . وَإِسْقَاطِ الْقَدْرِ . وَإِزَالَةِ الْعَدَالَةِ ، مَعَ الْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ ، وَالْأَلْقَابِ الْمُهْجِنَةِ . ثُمَّ بِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ وَالْحَبْسِ الطَوِيلِ ، وَالتَّغْرِيبِ عَنِ الْوَطَنِ ^(٤) . ثُمَّ الْوَعِيدِ بِنَارِ الْأَبَدِ ، مَعَ قُوَّةِ الْجَنَّةِ .

وإِنَّمَا وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْخِصَالَ لِتَكُونَ لِقُوَّةِ الْعَقْلِ مَادَّةً . وَلِتَعْدِيلِ الطَّبَائِعِ مَعُونَةً ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا فَضَّلَتْ قُوَى طِبَائِعِهِ وَشَهَوَاتِهِ عَلَى قُوَى عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ ، أُلْفِيَ ^(٥) بِصِيرًا بِالرُّشْدِ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَيْهِ ، فَإِذَا احْتَوَشَتْهُ الْمَخَافُفُ كَانَتْ مَوَادًّا لَزَوَاجِرِ عَقْلِهِ ، وَأَوَامِرَ رَأْيِهِ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي حَوَادِثِ الطَّبَائِعِ وَدَوَاعِي الشَّهَوَاتِ وَحُبُّ الْعَاجِلِ فَضْلًا عَلَى زَوَاجِرِ الْعَقْلِ وَأَوَامِرِهِ ^(٦) أُلْفِيَ الْعَبْدُ مَمْتَنِعًا مِنَ الْغَيِّ قَادِرًا عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ الْغَضَبَ وَالْحَسَدَ وَالْبُخْلَ وَالْجُبْنَ ، وَالْغَيْرَةَ ، وَحُبَّ الشَّهَوَاتِ وَالنِّسَاءِ . وَالْمَكَاثِرَةَ ^(٧) .

(١) ب ، م : « لا ينفك » .

(٢) الإرداء : الإهلاك . وفي م فقط : « يؤديهم » ، تحريف

(٣) في الأصول : « الخيانة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) م : « والغريب عن الوطن » ، تحريف

(٥) ب : « أُلْفِيَ » ط : « أُلْفِيَ » ، صوابه في م

(٦) ب : « عن علي زواجِرِ العقل » ، و « عن » مقحمة وفي م « وأو » بمعنى «

تحريف

(٧) ط : « والمكاثرة » . والمكاثرة ماسطة

والمُعْجَب والخيلاء وأنواع هذه إذا قويت دواعيها لأهلها ، واشتدَّت جَوَادِبُهَا لصاحبها ، ثم لم يَعْلَمْ أَنَّ فوقه ناقماً عليه . وَأَنَّ له منتقماً لنفسه من نفسه . أو مقتضياً منه لغيره ، كان مَيْلُهُ وذَهابه مع جَوَادِبِ الطَّبِيعَةِ ودواعي الشهوة طِبَاعاً لا يمتنع معه ، وواجباً لا يستطيع غيره .

أَوْماً^(١) رَأَيْتَهُ كَيْفَ يَخْرُقُ فِي مَالِهِ^(٢) ، وَيُسْرِعُ فِيمَا أَثَلَّتْ لَهُ رِجَالُهُ ، وَشِدَّتْ لَهُ أَوَائِلُهُ^(٣) ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى لِلْعَوَاضِ وَجْهًا ، وَلِلْخَلْفِ سَبَبًا فِي عَاجِلِ دِينِهِ ، وَلَا آجِلِ دُنْيَاهُ ، حَتَّى يَكُونَ وَالِىَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ الَّذِى يَحْجُرُ عَلَيْهِ ؛ لِيَكُونَ مَضْضُ الْحَجَرِ وَذُلُّ الْحَظَرِ ، وَغِلْظَةُ الْجَفْوَةِ . وَاللَّقَبُ الْقَبِيحُ ، وَتَسْلِيْطُ الْأَشْكَالِ ، مَادَّةٌ لِلَّذِى مَعَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَبَقِيَّةِ عَقْلِهِ .

٩ - فصل منه

وقد يكون الرجلُ معروفًا بالنزق^(٤) مذكوراً بالطَّيْشِ مُسْتَهَاماً بإظهار الصَّوْلَةِ حَتَّى يَتَحَامَى كَلَامُهُ الصَّدِيقُ ، وَيُدَارِيهِ الْجَلِيسُ ، وَيَتْرُكُ مُجَارَاتَهُ^(٥) الْكَرِيمِ ، لِلَّذِى يَعْرِفُونَ مِنْ شِدَاتِهِ^(٦) ، وَيَوَادِرِ حِدَّتِهِ^(٧) وَشِدَّةَ تَسْعُرِهِ وَالتَّهَابَةِ ، وَكَثْرَةَ فَلَتَاتِهِ . ثُمَّ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَحْضُرَ الْوَالِى الصَّلِيبُ وَالرَّجُلُ الْمُنِيعُ ، فَيُلْفَى ذَلِيلًا خَاضِعًا ، أَوْ حَلِيمًا وَقُورًا ، أَوْ أَدِيبًا رَفِيقًا ، أَوْ صَبُورًا مُحْتَسِبًا .

(١) ب فقط : « أوما » ، تحريف .

(٢) الخرق ، بالتحريك : تقيض الرفق . ب : « يحرق » ، تحريف .

(٣) فى الأصول . « وشدت له أوائله » .

(٤) النزق : الطيش والخفة . ب . « بالنزف » م . « بالنزق » ، صوابهما فى ط .

(٥) فى الأصول : « مجازاته » بالزاي .

(٦) الشدة : الشر والأذى . ب : « شداته » م : « شدانه » ، صوابهما ما أثبت .

وفى ط : « شدته »

(٧) ب . م . « ونوادير حده » ، صوابه فى ط .

وقد نجده يَجْهَلُ على خصمه ، وَيَسْتَطِيلُ على منازعه ، وَيُهْمُّ بتناوله والغدر به ^(١) ، فإذا عَرَفَ له حُماةً تكفيه ، وَجُهَّالاً تحميه ، وَجَاهاً يمنعه ، ومالاً يَصُولُ به ، طامَنَ له مِنْ شخصه ، وَأَلَانَ له من جانبه ، وَسَكَنَ من حركته ، وَأَظْفَأَ نارَ غضبه .

أو ما علمت أَنَّ الخوفَ يطرد السكر ، وَيُمِيتُ الشَّهْوَةَ ، وَيُطْفِئُ الغَضَبَ ، وَيَحْطُ الكِبَرَ ، وَيَذْكُرُ بالعاقبة ، وَيُسَاعِدُ العقلَ ، وَيُعَاوَنُ الرِّأْيَ ، وَيُنْبِتُ الحيلة ^(٢) ويبعث على الروية ؛ حتَّى يعتدل به تركيب من كان مغلوباً على عقله ، ممنوعاً من رأيه ، يُسْكِرُ الشبابَ وسكر الغناء ^(٣) وإهمال الأمر ، وثقة العزِّ ، وبأَوِ القدرة ^(٤) .

١٠ - فصل منه

وإنَّما أَطْنَبْتُ ^(٥) لك في تفسيرِ هذه الأحوالِ التي عليها الوجوْدُ والعبرةُ ، لتعلمَ أَنَّ الناسَ لو تُرِكَوا وشهواتِهِمْ ، وَخُلُّوا وأهواءِهِمْ ^(٦) وليس معهم من عقولهم إلا حِصَّةُ الغريزة ^(٧) ونصيبُ التركيب . ثم أُخْلُوا من المرشدين والمؤدِّبين ، والمعترضين بينَ النفوسِ وأهوائِها . وبينَ الطَّبائعِ وَغَلَبَتِها ، من الأنبياءِ وخلفائِها ، لم يكن في قُوَى عُقُولِهِمْ ما يُدَاوُون به أَدْوَاءَهُمْ ، وَيَجْبِرُون ^(٨) به من أهوائِهِمْ ، ويقوَّون به لمحاربة طَبَائِعِهِمْ ^(٩) ، ويعرفون به جميع مصالحِهِمْ .

(١) ب ، م : « بتناوله بالأمر به » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « ويسبب الحيلة » .

(٣) الغناء ، كسحاب : مقابل الفقر ، وهو الفنى ، تكسر الغين فيقصر وتفتح فيمد .

ب ، م : « الغناء » ط : « الغناء » صوابهما ما أثبت

(٤) البأو : الكبر والفخر .

(٥) ب ، م : « أطبت » ، ووجهه في ط .

(٦) في الأصول : « تركوا شهواتِهِمْ وخلُّوا أهواءِهِمْ » ، والوجه ما أثبت

(٧) ب فقط : « الغريز » ، صوابه في م ، ط .

(٨) الجبر : الإصلاح . وفي الأصول : « ويجبرون » .

(٩) ب فقط : « ويقولون به لمحاربته طَبَائِعِهِمْ » ، تحريف .

وَأَيُّ دَاءٍ هُوَ أَرَدَى مِنْ طَبِيعَةٍ تُرَدِّى ، وَشَهْوَةٍ تُطْغِي ؟ ! وَمَنْ كَانَ لَا يَعُدُّ الدَّاءَ إِلَّا مَا كَانَ مُؤَلِّماً فِي وَقْتِهِ . ضَارِباً عَلَى صَاحِبِهِ فِي سَوَادِ لَيْلِهِ ^(١) وَبَيَاضِ نَهَارِهِ ، فَقَدْ جَهِلَ مَعْنَى الدَّاءِ . وَجَاهِلُ الدَّاءِ جَاهِلٌ بِالدَّوَاءِ .

١١ - فصل منه

وَلَكِنَّا نَقُولُ : لَا يَجُوزُ أَنْ يَكِلَى أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ظَاهِرِ الرَّأْيِ وَالْحِزْمِ وَالْحَيْظَةِ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ ، لِأَنَّ الْحُكَّامَ وَالسَّادَةَ إِذَا تَقَارَبَتْ أَقْدَارُهُمْ وَتَسَاوَتْ عَيْنَاتُهُمْ ^(٢) قَوِيَتْ دَوَاعِيهِمْ إِلَى طَلَبِ الْاِسْتِعْلَاءِ ، وَاشْتَدَّتْ مَنَافَسَتُهُمْ فِي الْغَلْبَةِ .

وَهَكَذَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فِي جِيرَانِهِمْ الْأَذْنِينَ فِي الْأَصْهَارِ وَبَنَى الْأَعْمَامِ ، وَالتَّقَارِبِينَ فِي الصَّنَاعَاتِ . كَالْكَلَامِ ، وَالنَّجْمِ ، وَالطَّبِّ وَالْفَتْيَا ، وَالشُّعْرِ . ، وَالنَّخْوِ وَالْعَرُوضِ ، وَالتَّجَارَةِ ، وَالصَّبَاغَةِ ، وَالْفَلَاحَةِ أَنْهُمْ إِذَا تَدَانَوْا فِي الْأَقْدَارِ ، وَتَقَارَبُوا فِي الطَّبَقَاتِ ، قَوِيَتْ دَوَاعِيهِمْ إِلَى طَلَبِ الْغَلْبَةِ ، وَاشْتَدَّتْ جَوَانِبُهُمْ فِي حُبِّ الْمَبَايِنَةِ . وَالِاسْتِعْلَاءِ عَلَى الرِّيَاسَةِ . وَمَتَى كَانَتْ الدَّوَاعِي أَقْوَى كَانَتْ النَّفْسُ إِلَى الْفَسَادِ أَمِيلَةً ، وَالْعِزْمُ أَوْعَفَ ، وَمَوْضِعُ الرُّوْيَةِ ^(٣) أَشْغَلَ ، وَالشَّيْطَانُ فِيهِمْ أَطْمَعَ ، وَكَانَ الْخَوْفُ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ . وَكَانُوا بِمُوَافَقَةِ الْمَفْسِدِ الْآخَرِ . وَإِلَيْهِ أَقْرَبَ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَاصْلَحَ الْأُمُورَ لِلْحُكَّامِ وَالْقَادَةِ ، إِذَا كَانَتْ ^(٤) النَّفُوسُ وَدَوَاعِيهَا وَمَجْرَى أَفْعَالِهَا عَلَى مَا وَصَفْنَا . أَنْ تُرْفَعَ عَنْهُمْ أَسْبَابُ التَّحَاسُّدِ وَالتَّغَالِبِ . وَالمُبَاهَاةِ وَالمَنَافَسَةِ .

(١) ب فقط . « في سواء ليله » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « عيناتهم » ، صوابه في ط

(٣) ب ، م : « الروية » ، صوابها في ط .

(٤) ب فقط : « وإذا كانت » ، تحريف .

وإن^(١) ذلك أدعى إلى صلاح ذات البين ، وأمن البيضة . وحفظ الأطراف .

وإذا كان الله تبارك وتعالى ، قد كلف الناس النظر لأنفسهم^(٢) ، واستيفاء النعمة عيهم ، وترك الخطار^(٣) بالهلكة والتغريب بالأمة ، وليس عليهم مما يمكنهم^(٤) أكثر من الحيطة والتباعد من التغريب . وإلا حال أدعى إلى ذلك أكثر مما وصفنا ، لأنه أشبه الوجود بتمام المصلحة ، والتمتع بالأمن والنعمة .

١٢ - فصل منه

فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه إذا كان القائمُ بأُمور المسلمين بائن الأمر ، متفردًا بالغاية من الفضل ، كانت دواعي الناس إلى مسابقتها ومجاراته أقل .

ولم يكن الله ليطيع^(٥) الدنيا وأهلها على هذه الطبيعة ، ويركبها وأهلها^(٦) هذا التركيب ، حتى تكون إقامة الواحد من الناس أصلح لهم ، إلا وذلك الواحد موجود عند إرادتهم له ، وقصدهم إليه ؛ لأن الله لا يلزم الناس في ظاهر الرأي والحيطة إقامة المعلوم ، وتشديد المجهول^(٧) ؛ لأن على الناس التسليم ، وعلى الله تعالى قصد السبيل .

(١) ب ، م : « إن » بسقوط الواو .

(٢) ب فقط : « إل أنفسهم » ، تحريف .

(٣) الخطار : المخاطرة . ط فقط : « الخطر » ، ولا وجه له .

(٤) ب ، م : « وليس عليهم أكثر مما يمكنهم » ، و « أكثر » هنا مقعمة .

(٥) ب ، م : « ولو لم يكن » . و « لو » مقعمة . وفي م ، ط : « ليطيع » تحريف .

صوابه في ب .

(٦) ط : « ويركبها أهلها » ، صوابه في ب ، م .

(٧) ب ، م : « وتشديد المجهول » ، صوابه في ط .

وهل رأيتم مَلِكِينَ أَوْ سَيِّدِينَ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ ، من العرب جميعاً
 أَوْ مِنَ الْعَجَمِ ، لَا يَتَحَيَّفُ أَحَدُهُمَا مِنْ سُلْطَانِ صَاحِبِهِ وَلَا يَنْهَكَ أَطْرَافَهُ ،
 وَلَا يُسَاجِلُهُ الْحُرُوبُ ؛ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَطْمَعُ فِي حَدِّ صَاحِبِهِ وَطَرَفِهِ ،
 لِتَقَارُبِ الْحَالِ ، وَاسْتَوَاءِ الْقَرَى ^(١) . كما جاءت الأخبار عن ملوك
 الطوائف كيف كانت الحروب راکدةً وأمرهم مَرِيحٌ ^(٢) ، والنَّاسُ نَهَبٌ ،
 لَيْسَ ثَغْرٌ إِلَّا مَعْطَلٌ ، وَلَا طَرْفٌ إِلَّا مُنْكَشِفٌ ، وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ
 مَشْغُولُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ^(٣) ، مَلُوكُهُمْ مِنْ عَزٍّ بَزٍّ ، مَعَ إِنْفَاقِ الْمَالِ ^(٤) ، وَشُغْلِ
 الْبَالِ ، وَشِدَّةِ الْخِطَارِ ^(٥) بِالْجَمِيعِ ، وَالتَّغْرِيرِ بِالْكُلِّ .

١٣ - فصل منه

فإن قالوا : فما صفة أفضلهم ؟

قلنا : أن يكون أقوى طبائعه عَقْلُهُ ، ثم يصل قُوَّةَ عَقْلِهِ بِشِدَّةِ الْفَحْصِ
 وَكَثْرَةِ السَّمَاعِ ، ثُمَّ يَصِلَ شِدَّةَ فَحْصِهِ وَكَثْرَةَ سَمَاعِهِ بِحُسْنِ الْعَادَةِ .
 فَإِذَا جَمَعَ إِلَى قُوَّةِ عَقْلِهِ ^(٦) عِلْماً ، وَإِلَى عِلْمِهِ حَزْماً ، وَإِلَى حَزْمِهِ عِزْماً ،
 فَذَلِكَ الَّذِي لَا بَعْدَهُ .

وقد يكون الرَّجُلُ دَوْنَهُ فِي أُمُورٍ وَهُوَ يَسْتَحِقُّ مَرْتَبَةَ الْإِمَامَةِ ، وَمَنْزِلَةَ
 الْخِلَافَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى حَالٍ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ أَهْلِ دَهْرِهِ . لِأَنَّ
 مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُقَامَ فِيهِ إِلَّا أَشْبَهُهُ

(١) القرى ، كقنى : مجرى الماء في الروض . ب : « واستوى القرى » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ب : « وأمر مريح » . والمريح : المختلط . وفي الكتاب العزيز : « فهم في أمر مريح » .

(٣) أى هذا نهجهم وسبيلهم . أى من غلب سلب . وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ،
 أو جابر بن رآلان . وانظر الضبي ٥٣ والفاخر ٨٩ والعسكري ٢ : ٢٨٨ واللسان (بز) .

(٤) ط فقط : « اتفاق المال » .

(٥) ط فقط : « الخطر » .

(٦) ب ، م : « إلى عقله » باسقاط « قوة » .

النَّاسِ بِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ . وَمَنِ الاسْتِهَانَةِ بِهِ أَنْ يُقَامَ فِيهِ مَنْ لَا يُشَبِّهُهُ
وَلَيْسَ فِي طَرِيقَتِهِ .

وإِنَّمَا يُشَبِّهُ الْإِمَامُ الرَّسُولَ بِأَنْ يَكُونَ لَا أَحَدَ آخِذٌ ^(١) بِسِيرَتِهِ
مِنْهُ . فَأَمَّا أَنْ يُقَارَبَهُ أَوْ يُدَانِيَهُ فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ ، وَلَا يَسَعُ تَمْنِيَهُ ، وَالِدُعَاءُ بِهِ .

١٤ - فصل منه

وَإِذَا كَانَ قَوْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ جَرَى بَيْنَهُمُ التَّنَافُسُ
وَالْمُشَاحَّةُ عَلَى مَا وَصَفْنَا فِي يَوْمِ السَّقِيفَةِ ، ثُمَّ صَنِيعُ أَبِي بَكْرٍ وَقَوْلُهُ لَطَلْحَةَ
فِي عَمْرِ ؛ وَصَنِيعُ عُمَرَ فِي وَضْعِ الشُّورَى وَتَوَعُّدِهِمْ لَهُ بِالْقَتْلِ إِنْ هُمْ لَمْ
يُقِيمُوا رَجُلًا قَبْلَ انْقِضَاءِ الْمَدَّةِ . وَنُجُومِ الْفِتْنَةِ ؛ ثُمَّ صَنِيعُ عُثْمَانَ وَقَوْلُهُ
وَصَبْرُهُ حَتَّى قُتِلَ دُونَهَا وَلَمْ يُخْلَعْهَا ؛ وَأَقْوَالِ طَلْحَةَ ^(٢) وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ
وَعَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهَا . لَيْسَتْ بِحُجَّةٍ عَلَيْنَا - فَلَيْسَتْ فِي
الْأَرْضِ دَلَالَةٌ وَلَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ ^(٣) .

وَفِي هَذَا الْبَابِ الَّذِي وَصَفْنَا ، وَنَزَّلْنَا ^(٤) مِنْ حَالَتِهِمْ وَبَيَّنَّا ، دَلِيلٌ
عَلَى أَنََّّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ إِقَامَةَ الْإِمَامِ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَأَنَّ الشَّرْكَاءَ عَنْهَا
مَنْفِيَّةٌ ، وَأَنَّ الْإِمَامَةَ تَجْمَعُ صِلَاحَ الدِّينِ وَإِيشَارَ خَيْرِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .

(١) ب : « الآخذ آخذ » م : « لاأخذ آخذ » ط : « بآن يكون آخذاً » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ب ، م : « وقال طلحة » ، صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « ونولن » ، وفي ط : « وبيننا » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ب ، م : « ظاهراً » ، صوابه بالمهمل كما في ط .

١٥ - فصل منه

وأى مذهب هو أشنع ، وأى قول هو أفحش ، من قول من قال :
 لأبد للشاهد من أن يكون طاهراً عدلاً مأموناً ، ولا بأس^(١) أن يكون
 القاضى جائراً ، نطقاً فاجراً^(٢) ، وهذا لا يشبه حكم الحكيم ، وصفة
 الحكيم ، ونظر المرشد ، وترتيب العالم .

(١) فى الأصول : « ولا يأمن » .

(٢) النطق : الذى ينطق بالفجور ، أى یرى به ويقذف ، أى من أهل الريّة .
 ب ، م : « نطقاً » ط : « نطقاً » صوابه بالفاء كما أثبت .

٢٩

من كتابه في

مقالة النزديتية والرافضة

١ - فصل

من صدر كتابه في مقالة الزيدية والرافضة^(١)

اعلم - يرحمنا الله وإياك - أَنَّ شِيعَةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَيْدِيٌّ
ورافضيٌّ ، وبقيتهم بَدَدٌ لِنِظَامِ لَهِمْ ، وفي الإخبار عنهما غناء^(٢) عمن
سواهما^(٣) .

قالت علماء الزيدية : وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ، ووجدنا
الفعل كله في أربعة أقسام :

أولها : القِدَمُ في الإسلام حين لا رَغْبَةَ ولا رَهْبَةَ إِلَّا من الله تعالى وإليه .

ثم الزُّهْدُ في الدنيا ؛ فَإِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ في الدنيا^(٤) أَرْغَبُهُمْ في الآخرة ،
وَأَمْنُهُمْ على نفائس^(٥) الأموال ، وعقائل النساء ، وإراقة الدماء .

ثم الفقه الذي به يَعْرِفُ النَّاسُ مصالح دُنْيَاهُمْ ، ومَراشِدَ دينهم .

ثم المَشْيُ بالسَّيْفِ كِفَاحاً في الذَّبِّ عن الإسلام وتأسيس الدين ؛
وَقَتْلُ عَدُوِّهِ وإِحْيَاءُ وَلِيِّهِ ؛ فليس فوقَ بَذْلِ الْمُهِجَةِ واستغراق القوة
غَايَةً يَطْلُبُهَا طَالِبٌ ، أَوْ يَرْتَجِيهَا رَاغِبٌ^(٦) .

ولم نجد قولاً خامساً فنذكره .

(١) هامش الكامل ٢ : ٢٩١ - ٣٠١

(٢) الغناء ، بالفتح : الكفاية . ب : « غنا » م : « غنى » وأثبت ما في ط .

(٣) ط : « عن سواهما » .

(٤) ط فقط : « في الناس » .

(٥) ب فقط : « نفس الأموال » .

(٦) الكفاح : المواجهة والمضاربة في الحرب تلقاء الوجوه .

(٧) ب فقط : « ويرتجىها راغب » .

فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجلٍ دون النَّاسِ كلِّهم وجب علينا تفضيله عليهم ، وتقديمه دُونهم .

وذاك أَنَا سألنا العلماءَ والفقهاءَ ، وأصحابَ الأخبارِ ، وحُمَاةَ الآثارِ ، عن أوَّلِ النَّاسِ إسلاماً ، فقال فريقٌ منهم : عليٌّ ، وقال قومٌ : زيد بن حارثة ، وقال قومٌ : خَبَّابٌ . ولم نجد قولَ كلِّ واحدٍ منهم من هذه الفرقِ قاطعاً لعُذرِ صاحبه ، ولا ناقلاً عن مذهبه ، وإن كانت الرواية في تقديم عليٍّ أشهر ، واللفظُ به أكثر^(١)

وكذلك إذا سألناهم عن الذَّابِّينَ عن الإسلامِ بمهجهم^(٢) . والماشِينِ إلى الأقرانِ بسُيُوفهم ، وجدناهم مختلفين :

فمن قائلٍ يقول : عليٌّ رضي الله عنه ، ومن قائلٍ يقول : الزُّبيرُ ، ومن قائلٍ يقول : ابنُ عَفْرَاءَ^(٣) ، ومن قائلٍ يقول : مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، ومن قائلٍ يقول : طلحة ، ومن قائلٍ يقول : البراءُ بْنُ مالِكٍ^(٤) .

على أَنَّ لعلَّ من قتلِ الأقرانِ والفُرُسانِ ما ليس لهم ، فلا أقلَّ من أن يكون عليٌّ في طبقتهم .

وإن سألناهم عن الفقهاء والعلماء . رأيناهم يعدُّون عليّاً كان أفضههم^(٥) ، وعُمَرَ ، وعبدَ الله بنَ مسعودٍ . وزيدَ بنَ ثابتٍ ، وأبى بنَ كعبٍ .

(١) ب فقط : « واللفظ أكثر » .

(٢) ب فقط : « بمهجهم » ، تحريف .

(٣) انظر حواشي صفحة ٢٠٨ .

(٤) البراء بن مالك : صحابي جليل ، وهو أخو أنس بن مالك الأنصاري . وهو قاتل مرزبان الزارة ، يوم تستر . انظر الإصبة ٦١٧ .

(٥) ط : « يعدون علياً أفضههم » .

على أن علياً كان أفقهم^(١)؛ لأنه كان يُسأل ولا يسأل، ويُفتى ولا يستفتى، ويحتاج إليه ولا يحتاج إليهم. ولكن لا أقل من أن نجعله في طبقتهم وكأحدهم.

وإن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف، والمعروفين برفض الدنيا وخلعها، والزهد فيها، قالوا: علي، وأبو الدرداء، ومعاذ ابن جبل، وأبو ذر، وعمار، وبلال، وعثمان بن مظعون.

على أن علياً أزهدهم؛ لأنه شاركهم في خشونة الملابس وخشونة المأكّل، والرضا باليسير، والتبليغ بالحقير^(٢)، وظلف النفس^(٣)، ومخالفة الشهوات. وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم، فكان ينضح بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين. ورقع سراويله بالقِدِّ^(٤)، وقطع ما فضل من رُذْنِه^(٥) عن أطراف أصابعه بالشفرة. في أمور كثيرة. مع أن زهده أفضل من زهدهم؛ لأنه أعلم منهم. وعبادة العالم ليست كعبادة غيره، كما أن زلته ليست كزلّة غيره. فلا أقل من أن نَعُدّه في طبقتهم.

ولا نجدّم ذكرُوا لأبي الدرداء، وأبي ذر، وبلال، مثل الذي ذكروا له في باب الغناء^(٦) والذّب، وبذل النفس. ولم نجدّم ذكرُوا للزبير، وابن عفراء^(٧) وأبي دُجّانة، والبراء بن مالك، مثل الذي ذكروا له

(١) ب: «أفقه منهم».

(٢) ط: «والتبليغ» تحريف. والتبليغ بالشيء: الاكتفاء به.

(٣) ظلف النفس: منعها وكفها. ط: «وصلف النفس»، تحريف.

(٤) ط: «ورقع سراويله» فقط. وفي ب، م: «بأبقر» صوابه ما أثبت. والقِدِّ، بالكسر: السير يقد من الجلد، أي يقطع.

(٥) الرذن، بالضم: إلکم. ب: «من دونه» ط: «من ردائه» والوجه ما أثبت من م.

(٦) ب، م: «الغيا»، والوجه ما أثبت من ط. وانظر ما سبق في ص ٣١١.

(٧) ب فقط: «وابن عمر». وانظر ما سبق في حواشي ص ٢٠٨.

من التقدم في الإسلام ، والزهد ، والفقه . ولم نجدهم ذكروا لأبي بكرٍ وزيدٍ ، وخبَّابٍ ، مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء ، والذَّبِّ بالسيف ^(١) ، ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد .

فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه ، متفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات ، علمنا أنه أفضلهم ، وإن كان كل رجل منهم قد أخذ من كل خير بنصيب ^(٢) فإنه لن يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه .

٢ - فصل منه

وضرب آخر من الناس همجٌ هامجٌ ^(٣) ، ورعاعٌ منتشرٌ ، لانظامَ لهم ، ولا اختبارَ عندهم ، أعرابٌ أجلاف ، وأشباه الأعراب . يفترقون [حيث يفترقون ، ويجتمعون حيث يجتمعون] ^(٤) ، لا تدفع صولاتهم إذا هاجوا ، ولا يؤمن هيجانهم ^(٥) إذا سكَنوا . إن أخصبُوا طَغَوْا في البلاد ، وإن أجذبوا آثَرُوا العناد .

ثم هم موكلون ببغض القادة ، وأهل الثراء ^(٦) والنعمة ، يتمنون النكبة ، ويشمتون بالغرّة ، ويسرون بالجوّلة ، ويترقبون الدائرة . وهم كما وُصفوا الطغام والسفلة .

(١) ب ، م : « والدب بالسيف » ، وإنما هو « الذب » كما في ط . : الدفاع .

(٢) كل ، ساقطة من م .

(٣) الهمج ، بالتحريك : رذال الناس . وأصل الهمج ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الإبل والغنم والحير وأعينها . والهامج : الذي ترك بعضه يمج في بعض ، أو هو على المبالغة ، كما يقال ليل لائل .

(٤) التكملة من م ، ط .

(٥) م : « تهيجهم » .

(٥) ط : « وأهل الثرى » ، وهي صحيحة . وفي اللسان : « ثرى الرجل يثرى يثرى ثرى وثرى » ، وهو ثرى ، وإذا كثر ماله .

(٦) ب : « وهم كلما وصفوا » ، صوابه في م ، ط .

وقال على رضي الله عنه في دعائه : « نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَوْمٍ إِذَا اجْتَمَعُوا لَمْ يُمْلِكُوا ، وَإِذَا افْتَرَقُوا لَمْ يَعْرِفُوا » . فهُؤُلَاءِ هُؤُلَاءِ .

وضرب آخرُ قد فقهوا في الدين ، وعرفوا سببَ الإمامة ، وأقنعهم الحقُّ وانقادوا له بطاعة الربوبية وطاعة المحبة ، وعرفوا المِحنة^(١) وعرفوا المَعْدِن ، ولكنهم قليلٌ في كثير ، ومختارٌ كلُّ زمان^(٢) . وإن كثروا فهم أقلُّ عدداً وإن كانوا أكثرَ فقهاً .

فلما كان النَّاسُ عند عليٍّ وأبي بكر وعُمَرَ ، وأبي عبيدة ، وأهل السَّابِقة المهاجرين والأنصار ، على الطَّبَقَاتِ الَّتِي نَزَلْنَا ، وَالْمَنَازِلِ الَّتِي رَتَبْنَا ، وَبِالْمَدِينَةِ مُتَنَافِقُونَ يَعْضُونَ عَلَيْهِمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ، وَفِيهَا بِطَانَةٌ لَا يَأْلُونَهُمْ خَبَالًا^(٣) ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ مَوْضِعُ الشَّدَّةِ وَانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى بَقِيَّةٍ^(٤) ، وَوَافِقٌ^(٥) ذَلِكَ ارْتِدَادُ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَتَوَعُّدُهُمْ بِذَلِكَ^(٦) فِي شِكَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَحَّ بِهِ الْخَبَرُ .

ثم الذي كان من اجتماع الأنصار حيث انحازوا من المهاجرين وصاروا أحزاباً وقالوا : « مَنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ » ، فَأَشْفَقَ عَلَيَّ أَنْ يُظْهِرَ إِرَادَةَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ النَّاسِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَتَكَلَّمُ مِتَكَلَّمٌ أَوْ يَشْغَبَ شَاغِبٌ مِمَّنْ وَصَفْنَا حَالَهُ ، وَبَيَّنَّا طَرِيقَتَهُ ، فَيَحْدُثَ بَيْنَهُمْ فُرْقَةً ، وَالْقُلُوبُ عَلَى

(١) في الأصول : « المحبة » .

(٢) ب ، م : « ويختار كل زمان » ، والوجه ما أثبت . على أن هذه العبارة ساقطة

من ط .

(٣) أي لا يقصرون في إفساد أمرهم .

(٤) ط فقط : « على تقية » .

(٥) ب ، م : « وافق » يسقط الواو .

(٦) ب : « في ذلك » .

ما وصفنا ، والمنافقون على ما ذكرنا ، وأهل الردّة على ما أخبرنا ، ومذهب الأنصار على ما حكينا .

فدعاه النظر للدين إلى الكف عن الإظهار والتجافى عن الأمور ، وعلم أن فضل ما بينه وبين أبي بكر في صلاحهم لو كانوا أقاموه^(١) ، لا يُعادل التغير بالدين ، ولا يفي بالخطر بالأنفس^(٢) ؛ لأنّ في الهيج البائقة^(٣) ، وفي فساد الدين فساد العاجلة والآجلة . فاعتقر الخمول ضناً بالدين ، وآثر الآجلة على العاجلة ، فدل ذلك على رجاجة حليمه ، وقلة حرصه ، وسعة صدره ، وشدة زهده ، وفرط سماحته^(٤) وأصالة رأيه .

ومنى سخط نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل ، والأمر الجزيل ، نزل من الله تعالى بغاية منازل الدين .

وإنما كانت غايتهم في أمرهم أربح الحالين لهم ، وأعون على المقصود^(٥) إذ علم أن هلكتهم لا تقوم بإزاء صرف ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم .

(١) ب : « لو كانوا أقاموا » م : « لو كان أقاموه » ، وأثبت الوجه من ط .

(٢) ط : « بالخطر بالأنفس » .

(٣) البائقة : الذاهية ، يقال باقتم تبوقهم بوقاً : أصابهم ، ومثله فقرتهم الفاقة . ب : « لأن الهيج البائقة » ط : « لأن في الهيج البائقة » ، وأثبت ما في م .

(٤) ب ، م : « سماحه » . والسماح والسماحة بمعنى ، هو المساهلة ، وهو الجود والسماح .

(٥) ب ، م : « وأعوز المقصور عليهم » صوابه في ط .

(٦) ب ، م : « واعلم » ، صوابه من ط .

٣ - فصل منه

وإنما ذكرتُ لك مذهبَ من لا يجعل القرابة والحسبَ سبباً إلى الإمامة ، دونَ مَنْ يجعل القرابة سبباً من أسبابها وعِلَلِهَا^(١) ، لأنِّي قد حكيتُه (في كتاب الرافضة) ، وكانَ ثمَّ أَوْقَعَ ، وبهم أَلِيقُ ؛ وكرهتُ المُعَادَ من الكلام والتكرار ؛ لأنَّ ذلك يُغْنِي عن ذكره في هذا الكتاب ، وهو مَسْلُوكٌ واحدٌ ، وسبيل واحد .

وإنما قصدتُ إلى هذا المذهبِ دونَ مذهبِ سائر الزيدية في دلائلهم وحُججهم^(٢) ، لأنَّه أَحْسَنُ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ لهم . وإنما أَحْكِي لك من كُلِّ نَحْطَةٍ قَوْلَ حُذَاتِهِمْ وَدَوَى أَحْلَامِهِمْ ، لأنَّ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى غَيْرِهِ ، وَغِنَى عَمَّا سِوَاهُ . وقالوا : وقد يكون الرجلُ أَفْضَلَ النَّاسِ وَيَلِي عَلَيْهِ^(٣) مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْفَضْلِ ، حَتَّى يَكْلِفَهُ اللَّهُ طَاعَتَهُ وَتَقْدِيمَهُ ؛ إِمَّا لِلْمَصْلَحَةِ ، وَإِمَّا لِلْإِشْفَاقِ مِنَ الْفِتْنَةِ^(٤) ، كما ذكرنا وَفَسَّرْنَا ، وَإِمَّا لِلتَّغْلِيظِ فِي الْمِخْنَةِ وَتَشْدِيدِ الْبَلْوَى وَالْكُلْفَةِ^(٥) ، كما قال تعالى للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾^(٦) . والملائكةُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ ، فَقَدْ كَلَّفَهُمُ اللَّهُ أَغْلَظَ الْمِخْنِ وَأَشَدَّ الْبَلْوَى ، إِذْ لَيْسَ فِي الْخُضُوعِ أَشَدُّ مِنَ السُّجُودِ عَلَى السَّاجِدِ لَهُ . والملائكةُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ ، لأنَّ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِدَهْرٍ طَوِيلٍ ، لِمَا قَدِّمَتْ مِنَ الْعِبَادَةِ^(٧) ، وَاحْتَمَلَتْ مِنْ ثِقَلِ الطَّاعَةِ .

(١) ب فقط : « وعالمها » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « ولائهم » ، تحريف .

(٣) ب : « ويلى غيره » .

(٤) ب ، م : « وإما إشفاق من الفتنة » ، صوابه في ط .

(٥) أى التكليف . وهذه الكلمة ساقطة من م .

(٦) من الآية ٣٤ من البقرة و ١١٦ من طه .

(٧) ب ، م : « المعايذة » . ووجهه في ط .

وكما مَلَكَ اللهُ طالوتَ على بني إسرائيل وفيهم يومئذٍ داودُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو نبيُّهم الذي أخبر عنه ^(١) في القرآن : ﴿ وقال لهم نبيُّهم إنّ الله قد بعثَ لكم طالوتَ ملكاً ^(٢) 〉 .

ثم صنعُ النبي صلى الله عليه وسلم حين وُلّيَ زيد بن حارثةَ على جعفرِ الطيّارِ يومَ مؤتة ، وُلّيَ أسامةَ على كُبراءِ المهاجرين وفيهم أبو بكرٍ وعُمَرُ ، وسَعِيدُ بنُ زيد بن عمرو بن نفيل ^(٣) ، وسعدُ بنُ أبي وقاص ، ورجالٌ ذُوو أخطارٍ ^(٤) وأقدار ، من البَدْرِيِّينَ والمهاجِرِينَ ، والسَّابِقِينَ الأولين .

٤ - فصل منه

ولو تركَ النَّاسُ وقوَى عقولِهِم وجَمَاحَ طبائعِهِم ، وغلبَةَ شهواتِهِم ، وكثرةَ جَهْلِهِم ، وشِدَّةَ نِزَاعِهِم إلى ما يُرِيدُهُم وَيُطْفِئُهُم ، حتّى يكونوا هُمُ الذين يحتجرون ^(٥) من كلِّ ما أَفسَدَهُمُ بقدرِ قواهِم ، وحتّى يقفوا على حَدِّ الضَّارِّ والنَّافِعِ ، ويعرفوا فَضْلَ ما بين الدَّاءِ والدَّواءِ ، والأغذيةِ والسُّمومِ ، كان قد كَلَّفَهُم شَطَطًا ، وَأَسْلَمَهُم إلى عدوِّهِم ، وشَغَلَهُم عن

(١) ب ، م : « عنهم » ، صوابه في ط .

(٢) الآية ٢٤٧ من البقرة .

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى العدوى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو زوج أخت عمر بن الخطاب ، أسلم عمر في بيته . انظر الإصابة ٣٢٥٤ وجمهرة ابن حزم ١٥١ وفي الأصول : « سعد بن عمرو بن نفيل » . وليس في الصحابة من يدعى بهذا الاسم . وانظر الميمنية ١٤٦ وكذلك ٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٤٨ .

(٤) ط : « وذوو أخطار » فقط ، بإسقاط : « ورجال » .

(٥) الاحتجار : الامتناع . والحجر : المنع .

(٦) الفصل : الفرق . وفي جميع الأصول : « فضل » بالمعجمة . وفي ب : « ويعرف » ،

وهذه محرفة .

طاعته التي هي أجدى الأمور عليهم^(١) وأنفعها لهم ، ومن أجلها عدل التركيب وسوى البنية ، وأخرجهم من حد الطفولة والجهل إلى البلوغ والاعتدال والصحة ، وتامر الآداة والآلة . ولذلك قال عز ذكره : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٢) .

ولو أن الناس تركهم الله تعالى والتجربة ، وخلّاهم وسبر الأمور^(٣) وامتحان السموم ، واختبار الأغذية^(٤) ، وهم على ما ذكرنا من ضعف الحيلة^(٥) وقلة المعرفة^(٦) وغلبة الشهوة ، وتسلب الطبيعة^(٧) ، مع كثرة الحاجة ، والجهل بالعاقبة ، لأثرت عليهم السموم^(٨) ، ولأفناهم الخطأ^(٩) ولأجهز عليهم^(١٠) ، الخبط ، ولتوكدت الأدواء وترادفت الأسقام ، حتى تصير منايا قاتلة ، وخوفاً متلفة ، إذ لم يكن عندهم إلا أخذها ، والجهل بحلّودها^(١١) ومنتهى ما يجوز منها والزيادة فيها ، وقلة الاحتراس من توليدها .

فلما كان ذلك كذلك علمنا أن الله تعالى حيث خلق العالم وسكّانه لم يخلقهم إلا لصلاحهم ، ولا يجوز صلاحهم إلا بتبقيتهم^(١٢)

(١) الأجدى : الأنفع . ب ، م : « احدى » بالحاء المهملة ، تحريف ماق ط .

(٢) الآية ٥٦ من الذاريات .

(٣) السبر ، بالباء : الاختيار والامتحان . وفي الأصول : « سير الأمور » تحريف .

(٤) ب فقط : « واختيار الأغذية » .

(٥) ب ، م : « في ضعف الحيلة » .

(٦) ب : « وقوة المعرفة » ، صوابه في م ، ط .

(٧) في الأصول : « وتسليط الطبيعة »

(٨) ب ، م : « لآثر عليهم السموم » .

(٩) ط : « الخطر » .

(١٠) أجهز عليهم إجهازاً : قضى عليهم . وفي ب : « ولأجهز عليهم » بالراء المهملة ،

تحريف ماق م ، ط .

(١١) ب ، م : « لحلّودها » ط : « بمحلّودها » ، والوجه ما أثبت .

(١٢) ب فقط : « بتبقيهم » .

ولولا الأمر والنهي ما كان للتبقيّة^(١) وتعديل الفطرة معنى .

ولما أن كان لا بُدَّ للعباد من أن يكونوا مأمورين منهيين ، بين عدو^٢ عاصي^(٣) ومطيع وليّ ، علّمنا أن الناس لا يستطيعون مُدافعة طبايعهم ، ومخالفة أهواهم ، إلّا بالزجر الشديد ، والتوعّد بالعقاب الأليم في الآجل ، بعد التنكيل في العاجل ، إذ كان لا بدّ من أن يكونوا^(٤) منهيين^(٥) بالتنكيل معجلاً ، والجزاء الأكبر مؤجلاً ، وكان شأنهم إيثار الأدنى وتسويق الأقصى .

وإذا كانت^(٦) عقول الناس لا تبلغ جميع مصالحهم في دُنياهم فهم عن مصالح دينهم أعجز ، إذ كان علم الدين مُستنبطاً من علم الدنيا .
وإذا كان العلم مباشرةً أو سبباً للمباشرة^(٧) وعلم الدنيا غامضٌ ، فلا يُتخلّص^(٨) إلى معرفته إلّا بالطبيعة الفائقة ، والعناية الشديدة ، مع تلقين الأئمة . ولأنّ الناس لو كانوا يبلغون بأنفسهم غاية مصالحهم في دينهم ودُنياهم كان إرسال الرُّسل قليل النفع ، يسير الفضل .

وإذا كان الناس مع منفعتهم بالعاجل وحُبهم للبقاء ، ورغبتهم في النماء ، وحاجتهم إلى الكفاية ، ومعرفتهم بما فيها^(٩) من السّلامة لا يبلغون لأنفسهم معرفة ذلك وإصلاحه ، وعلم ذلك جليلٌ ظاهرٌ سببه

(١) ب فقط : « للتبعية » .

(٢) ب ، م : « عدو وعاص » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) في جميع الأصول : « من أن يكون » .

(٤) ب ، م : « منهيين بالعمل » ، صوابه في ط .

(٥) ب فقط : « وإذا كانت » .

(٦) ب ، م : « بالمباشرة » .

(٧) ب ، م : « لا يتخلص » بسقوط الفاء .

(٨) ب ، م : « بما فيه » .

بعضه ببعض، كدرك الحواس ومالاقته^(١)، فهم عن التعديل والتجوير^(٢) وتفصيل التأويل^(٣)، والكلام في مجيء الأخبار وأصول الأديان، أعجز، وأجذر^(٤) ألا يبلغوا منه الغاية. ولا يدركوا منه الحاجة^(٥)؛ لأن علم الدنيا أمران: إمامشي يلى الحواس، وإمامشي يلى علم الحواس، وليس كذلك الدين.

فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه لا بد للناس من إمام يعرفهم جميع مصالحهم.

ووجدنا الأئمة ثلاثة^(٦): رسول، ونبي، وإمام.

فالرسول نبي إمام، والنبي نبي إمام، والإمام ليس برسول ولا نبي. وإنما اختلفت أسماؤهم ومراتبهم لاختلاف النوااميس^(٧) والطبائع، وعلى قدر ارتفاع بعضهم عن درجة بعض، في العزم والتركيب، وتغير الزمان بتغير الفرض^(٨) وتبدل الشريعة.

فأفضل الناس الرسول، ثم النبي، ثم الإمام.

فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتدئ الملة، ويقيم الناس على جميل مآشدهم، إذ كانت طبائعهم لا تحتمل في ابتداء الأمر

(١) ب، م: «لاقتها».

(٢) في جميع الأصول: «والتحرير» صوابه ما أثبت. وانظر ما سبق في ص ٣٣، ٤٠.

(٣) ب، م: «وبفضل» ط: «وتفضل»، والوجه ما أثبت.

(٤) ب، م: «واحذر» صوابه في ط.

(٥) ب، م: «ولا كوا منه الحاجة» صواب هذه ما أثبت. وفي ط: «ولا كنه

الحاجة». والكنه: الحقيقة.

(٦) ب فقط: «ثلاث»، تحريف.

(٧) ب: «النوعان» م: «التومان»، وأثبت ما في ط.

(٨) ط: «الفرض».

أَكْثَرَ مِنَ الْجُمْل . ولولا أَنَّ في طاقة الناس قَبُولَ التَّلْقِينِ وفهمَ الإرشادِ ،
 لكانوا هملاً ، وَلَتَرَكُوا نَشْرًا جَشْرًا^(١) . وَلَسَقَطَ عَنْهُمْ الأَمْرُ والنَّهْيُ .
 وَلَكِنَّهُمْ قَدْ يَفْضُلُونَ بَيْنَ الأُمُورِ إِذَا أُورِدَتْ عَلَيْهِمْ . وَكُفُّوا مَثُونَةَ
 التَّجَرِبَةِ ، وَعِلَاجَ الاسْتِنْبَاطِ . وَلَنْ يَبْلُغُوا بِذَلِكَ الْقَدْرَ الْقَدَرِ الْمُسْتَغْنَى
 بِنَفْسِهِ ، الْمُسْتَبَدُّ بِرَأْيِهِ . الْمَكْتَفَى بِفُطْنَتِهِ عَنْ إِرْشَادِ الرُّسُلِ . وَتَلْقِينِ
 الأَثَمَةِ .

وإنَّما جاز أن يكون الرُّسُولُ مَرَّةً عَرَبِيًّا وَمَرَّةً عَجَمِيًّا ، وليس له بيتٌ
 يُخْطَرُهُ^(٢) . ولا شَرَفٌ يَشْهَرُ مَوْضِعُهُ ؛ لِأَنَّهُ حِينَ كَانَ مَبْتَدِئَ المِلَّةِ وَمُخْرِجَ
 الشَّرِيعَةِ ، كان ذلك أَشْهَرَ مِنْ شَرَفِ الحَسَبِ المذكورِ ، وَأَنبَهَ مِنَ البَيْتِ
 الْمَقْدَمِ . وَلِأَنَّهُ يَحْتَاجُ مِنَ الأَعْلَامِ والآيَاتِ والأَعْجَابِ ، إِلَى الْقَاهِرِ الْمُعْقُولِ^(٣)
 وَالوَاضِحِ الَّذِي لَا يُخِيلُ أَنْ يَشْتَهَرَ^(٤) مِثْلُهُ فِي الآفَاقِ . وَيَسْتَفِيزُ
 فِي الأَطْرَافِ^(٥) حَتَّى يَصْدَعَ عَقْلَ الْغَبِيِّ . وَيَفْتَقُ طَبَعَ الْعَاقِلِ^(٦) .
 وَيَنْقُضُ عَزَمَ الْمُعْصَانِدِ^(٧) . وَيَنْتَبِهُ مَنْ أَطَالَ الرِّقْدَةَ^(٨) وَتَخْضَعُ
 الرِّقَابُ^(٩) وَتَضْرَعُ الخُدُودُ^(١٠) حَتَّى يَتَوَاضَعَ لَهُ كُلُّ شَرَفٍ ، وَيَبْخَعُ

(١) ب : «نشراً وحشراً» ط : «نشراً حشراً» م : «نشراً أو حشراً» ، والوجه ما أثبت .
 والجشْر ، بفتح الجيم وأو بفتحها مع فتح الشين ، يقال بنو فلان جشْر إذا كانوا يبيتون مكانهم
 لا يأوون بيوتهم ولا يرجعون إلى أهلهم .
 (٢) أخطره إخطاراً : جملة ذا خطر وقدر . وفي م ، ط : «يحظره» ، تحريف ما أثبت
 من ب .

(٣) ب : «القاهر للعقول» .

(٤) ب ، م : «الذي يشتهر» .

(٥) في الأطراف ، ساقطة من م .

(٦) ط : «ويضيء طبع العاقل» ب ، م : «ويقيق طبع العاقل» ، والوجه ما أثبت .

(٧) ط : «المعانند الآصل» .

(٨) ب ، م : «من طول الرقدة» .

(٩) ب ، م : «ويخضع الرقاب» .

(١٠) ب ، م : «ويضرع» . وفي جميع الأصول : «الخدود» صوابه بالخاء المعجمة .

له كلُّ أنف^(١) ، فلا يحتاج حاله معه إلى حالٍ ، ولا مع قدره إلى حسَب .
وعلى قدر جهل الأمة وغباء عقولها وسوء رِعَيتها^(٢) . وخُبث عاداتها ،
وغلَظ مِحنتها ، وشدة حيرتها ، تكون الآياتُ . كَفَلَقَ البحر ، والمَشْيُ
على الماء ، وإحياء الموتى ، وقَصُرَ الشَّمْسُ عن مجراها^(٣) . لأنَّ النبيَّ الذي
ليس برسول ولا مبتدئٍ مِلَّةً ، ولا منشيٍّ شريعة ، إنما هو للتأكيد والبشارة ،
كِبَشارة النبيِّ بالرسول الكائن على غابر الأيام^(٤) . وطُولِ الدهر .

وتوكيد المبشِّر يحتاج من الأعلام إلى دون ما يحتاج إليه المبتدئُ
لأصل المِلَّة ، والمُظْهِرُ لِفَرَضِ الشريعة^(٥) ، الناقلُ للنَّاسِ عَنِ الضَّلَالِ
القديم . والعادة السيئة ، والجهل الراسخ . فلذلك التَّقَى بشهرة أعلامه .
وشرف آياته^(٦) ، وذكر شرائعه ، مِن شهرة بَيْتِهِ وشرفِ حسبه ، لأنَّه
لا ذِكْرَ إِلَّا وهو خاملٌ عند ذِكره . ولا شَرَفَ إِلَّا وهو وضِعٌ عند شرفه .

* * *

انتهاء الفصول التي اختارها عُبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان
عمرو بن بحر الجاحظ . رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من نسخ
هذه النسخة يوم الجمعة المبارك الثامن عشر من شهر صَفَرِ الخير ، من
شهور سنة أربع وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على
صاحبها أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّحِيَّةِ ، على يد كاتبها الفقير عبد الله
المنصوري ، اللهم اغْفِرْ له ولوالديه آمين ، آمين ، آمين .

(١) يبخع : يذل ويطيع . ب ، م : « ويخل » وجهه ما أثبت . وفي ط : « ويرغم » .

(٢) الرعة ، كمدة : الورع والتحرج . و « سوء رِعَيتها » ساقط من ط .

(٣) إشارة إلى قصة يوشع أو يشوع عليه السلام ؛ وهو يحارب أعداءه حيث « وقفت
الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » . سفر يشوع ١٠ : ١٢ - ١٣

(٤) الغابر من الأضداد ، يقال للماضي من الزمان واللباق .

(٥) ب : « وشرف حسبه آياته » وكلمة « حسبه » مقحمة هنا . وما بعد كلمة .

(٦) هذا هو ختام نسخة المتحف البريطاني .

وإليك نص ختام النسخة التيمورية :

انتهاء الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله .

وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة في يوم الجمعة المبارك الموافق لثلاث خلعت من شهر ذي القعدة سنة ١٣١٥ خمسة عشر (كذا) وثلاثمائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد تم نسخها بيد العبد الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد أهل السنة والجماعة ، الخاضع لله بالدعاء والطاعة ، الراجي لطف ربه الغني محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمراني . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بئنه وكرمه . والصلاة والسلام على خير خلقه ، والحمد لله وحده .

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . آمين .

وقد نقلت هذه النسخة المباركة من نسخة تاريخها في أوائل شهر رجب لأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعائة كاتبها أبي القاسم (كذا) عبيد الله بن علي رحمه الله .

* * *

وهذا نص ختام المطبوعة على هامش الكامل :

انتهت الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى . والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

* * *

أتممت تحقيق هذه النسخة وتحريرها صبيحة الجمعة في السادس من رجب سنة ١٣٩٩ .

ولله الحمد على ما أنعم ، وهو ولي التوفيق .

عبد السلام محمد هارون

الفهارس الفنية

للقسمين : الأول والثاني

من الفصول المختارة

- أتى : أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم
١ : ١٥٨
- أجر : ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين ٢ : ١٠١
- أسف : فلما آسفونا انتقمنا منهم ١ : ٣٣٦
- أنس : فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ٢ : ١٠١
- برح : فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير
الحاكمين ٢ : ١٣٢
- بسط : بل يدها مبسوطتان ١ : ٣٣٧ ، ٣٤٦
- بعث : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا
٢ : ٢١٥
- وقال لهم نبههم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ٢ : ٣١٨
- بنى : ابن لي صرحاً ١ : ٣٠٤
- تلو : وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن
غير هذا أو بدله ١ : ٢٧٦
- وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ١ : ٢٧٥
- ثلث : لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ١ : ٣٣٤
- جبر : الجبار المتكبر ٢ : ١٧٤
- جزى : وذلك جزاء المحسنين ١ : ٣١٠
- جعل : ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ١ : ٣٧
- لم نجعل له من قبل سمياً ١ : ٣٠٥
- اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ١ : ٢٧٢
- اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم ٢ : ١٠١ ، ١٣٤
- جلو : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ١ : ٣٣٦
- جهر : أرنا الله جهرةً ١ : ٢٧٢
- لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ٢ : ١٢
- حجج : لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ١ : ٢٤٠ ، ٢٤١

- حرم : إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... ٢ : ١٦٣
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا
- ٢ : ٨٠
- حسد : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ... ١ : ٤
حوط : ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ... ٢ : ٨
- خرج : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ٢ : ١٥٩
- خلق : خلقتى من نار وخلقته من طين ... ١ : ٦
ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ... ١ : ٦٠
- وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله ... ١ : ٣٤٨
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ... ٢ : ٤٢ ، ٣١٩
- دخل : فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء
الله آمين ... ٢ : ١٣١
- درك : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ... ٢ : ٨
- ذكر : وليس الذكر كالأنثى ... ١ : ٥١
- ذهب : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ... ١ : ٢٧٢
- رسل : هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون ... ١ : ٢٢٥ ، ٢٦٨
- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر
إن كنتم لاتعلمون ... ١ : ٣٠٥
- وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ... ١ : ٢٢٥
- وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون
فى الأسواق ... ٢ : ٢٥٧
- زوج : وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم (فى قراءة أبى ، وابن مسعود)
١ : ١٩٢
- زين : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
١ : ١٤٢
- سأل : يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى
أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة ٢ : ١٠
- فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ٢ : ١١-١٢

- سجد : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ٢ : ٢١٤ ، ٣١٧
سمو : له الأسماء الحسنى ٢ : ١٧٤
وهو الله فى السموات والأرض... .. ٢ : ١٥
سوى : فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ١ : ٣٤٨
شرى : وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه ٢ : ١٣١
شكر : لئن شكرتم لأزيدنكم ٢ : ٢٣٦
صدع : لا يصدعون عنها ولا ينزفون ١ : ٤٣
صفف : وجاء ربك والملكأتُ صفاً صفاً ١ : ٣٣٧ / ٢ : ١٣ ، ١٥
صمم : صمم بكم عمى فهم لا يعقلون ٢ : ١٥
صنع : لتصنع على عيني ١ : ٣٣٦
طحو : والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها
٢ : ٥٩
طفأ : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره
الكافرون ١ : ٢٢٥
طوف : وليطوفوا بالبيت العتيق ٢ : ١١٩
طوى : والسموات مطويات بيمينه ١ : ٣٣٦
عجب : بل عجبت ويسخرون ١ : ١٠٨
وإن تعجب فعجب قولهم ١ : ١٠٨
عذب : هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ٢ : ١٣٨
عرش : على العرش استوى ١ : ٣٣٦
عرض : وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ١ : ٦١
عشر : قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ١ : ٢٧٧
عفف : ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف
٢ : ١٠١
عين : إن المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما فى
صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب
وما هم عنها بمخرجين ١ : ٢١
غلل : يد الله مغلولة ١ : ٣٣٤ ، ٣٤٥

- غيب : قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ... ٢ : ٨
 تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
 من قبل هذا ... ٢ : ٨ ... ٩
 وما كان الله ليطلعكم على الغيب ... ٢ : ٩٠٨
 فرد : رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين ... ١ : ٥٠
 فطر : تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً
 ١ : ٦٩
 فعل : قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا
 فاسألوهم إن كانوا ينطقون ... ٢ : ٢٣٤
 فقر : إن الله فقير ونحن أغنياء ... ١ : ٣٣٤
 قتل : ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا
 ٢ : ١١٢
 قرأ : فافقرعوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون
 يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ... ٢ : ١١٢
 قرض : من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ... ١ : ٣٤٣
 قسم : لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد ... ٢ : ١١٩
 قضى : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله
 ٢ : ١١٢
 اقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر
 لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ... ٢ : ١٣٣
 قول : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
 من دون الله ... ١ : ٣٠٣
 الذين قالوا إنا نصارى ... ١ : ٣١١
 قالت النصارى المسيح ابن الله ... ١ : ٣٣٤
 قوم : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض . ٢ : ١٠١
 كتب : ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه
 إلا قليل منهم ... ١ : ٢٤٤ : ٢ : ١٢
 كرم : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ... ٢ : ٢٣٦

- كفر : وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون
٢٧٦ : ١
- كلم : كلم الله موسى تكليماً
٣٣٧ : ١
- وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه
٣٤٧ : ١
- كون : ما يكون لك أن تتكبر فيها
١٧٩ : ٢
- لسن : بلسان عربي مبين
٢٣٧ : ٢
- مثل : ليس كمثل شيء
١٠ ، ٦ : ٢
- مكن : إنك اليوم لدينا مكين أمين
٢٣٤ : ٢
- ملك : ألبس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي
١٣١ : ٢
- ملل : ملة أبيكم إبراهيم
١٩٢ : ١
- نزل : وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
٢٧٦ : ١
- تنزل الملائكة والروح
٣٤٩ : ١
- نسر : وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها
١٣٢ : ٢
- نضر : وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ١ : ٢/٣٣٦ : ١٥٤،٩،٨
- نعم : وأما بنعمة ربك فحدث
١١٤ : ١
- نفخ : فنفخنا فيه من روحنا
٣٤٨ : ١
- هبط : اهبطوا مصر آفان لكم ما سألتكم
١٣١ : ٢
- وجد : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى
٣١٠ : ١
- وحى : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا
٣٤٩ : ١
- وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا
بيوتكم قبلة
١٣١ : ٢
- ودد : ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً
٤ : ١

الفهرس الثاني

٢ - فهرس الحديث

- أبل الله من نفسك عذراً ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله... ٢ : ٩٨
أما والله ما علمتكم إلا لتقتلوا عند الطمع وتكثرون عند الفزع ٢ : ٢٩١
إن ربي خبرني أنه قد قتل ربك البارحة ... ١ : ٢٦٩
إذا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر
٢ : ١١٧ ، ٢٣٨
الأمسة من قريش ... ١ : ٢٩٣
حوالينا ولا علينا ... ٢ : ١٠٢
دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء ... ١ : ٤
سيدة نساء العالم خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ،
وآسية بنت مزاحم... ٢ : ١٣٣
شعورهم شعور النساء وثيابهم رهبان ... ١ : ١٧٤
العظمة رداء الله فن نازعه رداءه قصمه ... ٢ : ١٧٥
فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... ١ : ٢١
لاتأتوا النساء في محاشهن ... ٢ : ١٦٢
لاتضامون في رؤيته كما لاتضامون في القمر ليلة البدر ... ٢ : ١٢
اللهم اشد وطأتك على مضر ... ١ : ٢٦٧
اللهم سنين كسني يوسف ... ١ : ٢٦٧
اللهم مزق ملكه كل ممزق ... ١ : ٢٦٨
ليس بمؤمن من بات شعباناً وجاره طاوٍ ... ١ : ١٣
ليس من طعام قومي ... ٢ : ١١٧
ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت عليه مؤنة الناس ... ٢ : ١٩٥
من أخرج خزائن الله فعليه لعنة الله ... ٢ : ١٣٣
مولي القوم منهم ... ١ : ١٧١
وإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم ... ١ : ٣١٨
الولاء لحة كل حمة النسب ... ١ : ١٧١

الفهرس الثالث

٣ - فهرس النصوص المأثورة

- الإنجيل : أنا أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ١ : ٣٣٠
يا أبانا في السماء نقدر اسمك ١ : ٣٣٠
التوراة : إسرائيل بكرى وبنوه أولادى ١ : ٣٣٠ ، ٣٣٤
سيولد لك غلام ويسمى لى ابناً وأسمى له أباً ١ : ٣٣٠
خلق الله الأشياء بكلمته ١ : ٣٣٥
بذر اعى الشديدة أخرجتكم من أهل مصر ١ : ٣٣٥
الوصايا العشر : إني أنا الله الشديد ، وإني أنا الله الثقف ، وأنا النار ١ : ٣٣٥
إشعياء : سكث قال : هو متى أسكت ؟ مثل المرأة ١ : ٣٣٦
احمد الله حمداً جديداً ، احمده فى أقصى الأرض ١ : ٣٣٥
الزبور : وانتبه الله كما ينتبه السكران ١ : ٣٣٥
أصغ إلى سمعك يارب ١ : ٣٣٥
وافتح عينك يارب ١ : ٣٣٥
الأحنف بن قيس : نحن أعزى منكم بركة ، وأكثر منكم بحرية ٢ : ١٣٨
أكرم بن صيفى : ما أحب أنى مكفى كل أمر الدنيا ١ : ٢١٢
الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ٢ : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٥
أبو بكر : طوبى لمن مات فى نأنة الإسلام ٢ : ٣٥
أبو بكر ، وعمر : نحن الأئمة وأنتم الوزراء ٢ : ٢٩٣
أبو بكر الهذلى : نحن أكرم بلاداً وأوسع سواداً ١ : ١٤٧
رجل لعبد الملك بن مروان : أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فىك ، وأرى
بنيك فىك ما أراك فى أهلك ١ : ١٤٨
جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ٢ : ١٣٩
الحجاج بن يوسف : والله إن ترونى إلا شيطاناً ، والله لربما رأيتنى وإنى لأقبل
رجل إحداهن ١ : ٩٧ ، ١٤٦

- الحسن البصرى : الحسد أسرع في الدين من النار في الخطب اليايس ١ : ٤
 زياد بن أبيه : قصبة خير من نخلة ٢ : ١٤٦
 سعيد بن المسيب : ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ولا أبو بكر
 ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضوان الله عليهم قضاء إلا وقد علمته
 ٢ : ٢٥٧
 عبد الله بن الزبير : ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم
 ١ : ٢٤٣ / ٢ : ١١٠
 عبد الله بن عمر : وقعت في يدى جارية يوم جلولاء كأن عنتها إبريق
 فضة ٢ : ١٦٤
 عبد الله بن عمرو : البركة عشر بركات ، تسع بمصر ، والواحدة في جميع
 الأرض ٢ : ١٣٤
 عبد الله بن وهب : حب الهوينى يكسب النصب ١ : ٢١٢
 على بن أبى طالب : قيمة كل امرئ ما يحسن. ١ : ٢٩
 نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملكوا ، وإذا افترقوا لم يعرفوا
 ٢ : ٣١٥
 عمر بن الخطاب : أترونى لا أعرف طيب الطعام ؟ لباب البر بصغار المعزى
 ٢ : ١١٧
 إنا إذا خلونا كنا كأحدكم ١ : ٩٦
 عمر الله البلدان يحب الأوطان ١ : ٢٤٣ / ٢ : ١١٠
 من أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً . ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً
 ٢ : ١٦٤
 والله لانهب الله سرأ بعد هذا اليوم ٢ : ٣٥
 عمر بن لجأ : أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه ١ : ٤١
 كاهنة اليمن : لله در الديار ، لقريش التجار ٢ : ٢٥٦
 معاوية بن أبى سفيان : يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم ١ : ٢٤٤
 موسى عليه السلام : إن روح الله مع كل أحد ١ : ٣٤٩

أقوال غير منسوبة

- إذا أبر دتم البريد فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم ... ٢ : ٢٢٢
- اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه ... ٢ : ٢١٩
- أكرم الصفايا أشدها ولها إلى أولادها ... ٢ : ١١٤
- العجب ترك التعجب من العجب ... ١ : ١١٦
- القلوب بيد الله ... ١ : ٣٣٧
- لاخير في طول الراحة إذا كان يورث الغفلة ... ٢ : ٨٦
- لايزال الناس بخير ماتعجبوا من العجب ... ١ : ١١٦
- لايزال الناس بخير ماتفاوتوا . فإذا تقاربوا هلكوا ... ١ : ١٤٩
- لو أن رجلا ذكر الله تعالى وآخر يسمع له كان المعداد للمستمتع من الأجر
والمذكور له من الثواب واحداً ، وللمتكلم به عشرة أو أكثر
- ٢ : ٢٣٦
- مارأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: نفْس دائم، وقلب هائم ، وحزن لازم
- ١ : ٥
- مثل الإمام الجائر مثل المطر . فإنه يهدم على الضعيف . ويمتنع المسافر
- ٢ : ١٠١
- المرء مع من أحب . وله ما احتسب ... ٢ : ١٩٤
- المسافر ومتاعه على قلت إلا من حفظ الله ... ١ : ٤٨
- من غلا دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء ... ١ : ٢١٢

الفهرس الرابع

٤ - فهرس الأمثال

أبصر من عقاب	٢	: ١٨٥
أبهى من الغيث	١	: ٨٤
أجمع من ذرة	٢	: ١٨٦
أحذر من عقعق	٢	: ١٨٥
أحرص من كلب	٢	: ١٨٦
أحسن من القمر	١	: ٨٤
أحسن من يوم الحليسة	١	: ٨٤
أحقد من جل	٢	: ١٨٥
أحقر من جعل	١	: ٣٠٠
أحق من الضيع	١	: ٢٠
أرق طباعاً من الهواء	١	: ٨٥
أروغ من ثعلب	٢	: ١٨٦
أضنى من لافظة	٢	: ١٨٦
أسرع من السيل إلى الحدود	١	: ١٦٣
أسمع من فرس	٢	: ١٨٥
أشجع من صبي	٢	: ١٨٦
أشد إقداماً من الأسد	٢	: ١٨٥
أصبر من ضب	٢	: ١٨٦
أضوأ من الشمس	١	: ٨٤
أطهر من الماء	١	: ٨٥
أعيا من باقل	١	: ٢٠
أغدر من ذئب	٢	: ١٨٦
أغفل من هرم	١	: ٢٠
ألج من الذباب	١	: ١٦
ألح من الذباب	١	: ١٦

أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ	٨٥ : ١
إِنْ الْهَوَى يَعْصِي وَيَصْمُ	١٤٧ : ١
أَنْفَهُ فِي أَسْلُوبٍ	١٨٥ : ٢
أَهْدَى مِنْ قِطَاةٍ	١٨٥ : ٢
أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ	٨٥ : ١
أَهْوَنُ مِنْ ذَرَّةٍ	٢٥٣ : ١
أَهْوَنُ مِنْ كَلَابِ الْحَرَّةِ	٢٥٤ — ٢٥٣ : ٢
أَوْثَبَ مِنْ فَهْدٍ	١٨٥ : ٢
أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ	٧٨ : ٢
الْحَاجَّةُ تَفْتَقُ الْحِيلَةَ	٢٩٠ : ٢
حَذُو النُّعْلِ بِالنُّعْلِ	٢٠٢ : ٢
الْحَرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَنِيهَا	١٧ : ١
الْحُمْضُ عَذَقَ الذَّهْنَ	٢٩ : ١
الْعَاقِلُ مِنْ خَزَنِ لِسَانِهِ وَوَزْنِ كَلَامِهِ وَخَافَ النَّدَامَةَ	١٥١ : ٢
غَمَزَ فِي قَفَا النَّدِيمِ	١٠٣ : ١
فِي رَأْسِهِ نَعْرَةٌ	٨٥ : ٢
قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ	٣٤ : ٢
لَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ	٢١٣ : ٢
لِكُلِّ مَكَانٍ مَقَالٌ	١٥٢ : ٢
مَاتَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ شَيْئًا	١٠٣ : ٢
مَذَاكِرَةُ الرِّجَالِ تَلْقِيحٌ لِعَقْوِهَا	٢٩ : ١
الْمَرْءُ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ	٧٨ : ٢
مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ	٢٢٤ : ٢
مَنْ جَهَلَ عِلْمًا عَادَاهُ	٢٣٧ : ٢
مَنْ شَابَ شَيْبَ لَهْ	١٠٥ : ١
مَنْ عَزَّ بَزًّا	٣٠٥ : ٢ / ١٥٠ : ١
مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلَةٌ	٧٨ : ٢
هَلْ يَزْعُرُ النَّخْلَةَ سَقُوطُ الْبَعُوضَةِ	٩٣ : ١
هَلْ يَضِيرُ الْقَمَرَ نَاحِ الْكَلْبِ	٩٣ : ١

- الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ٢ : ١٠٩
يداك أوكنا وفوك نفخ ٢ : ١٦٥
يروغ روغان الثعلب ٢ : ٢١١
يريد أن يحتنى عنبا من شوك ١ : ١٩
يصول صولة الأسد ٢ : ٢١١
يطلب أثراً بعد عين ١ : ١٩
يطلب عطرأ بعد عروس ١ : ١٩
يفل الحزويصيب المفصل ١ : ٦٣ . ١ / ٢٥ : ١٩
يلتمس حلب لبن من حائل ١ : ١٩

الفهرس الخامس
٥ - فهرس الأشعار

١١٦:١	(حارثة بن بدر)	طويل	فيعجبا
١٤٥:١	عكاشة بن محصن	بسيط	عُنَابَا
٢٩٥:٢	—	طويل	تكبكبوا

ح

٧٧:٢	هارون الرشيد	مجزو الكامل	صلاحه
------	--------------	-------------	-------

د

٢٠٢:٢	(أنس بن مدركة)	وافر	يسودُ
١٣٨:٢	الخليل بن أحمد	بسيط	ميعاد
١١٦:٢	—	وافر	ينادى

ر

٨٥:١	(أبو نواس)	مجزو الوافر	نظرا
٦٦:١	(الرّحّال بن عزرة)	طويل	الظهرُ
١٤٤:١	ورقاء بن زهير	»	أُبادرُ
٩٨:٢	ابن هرمة	بسيط	وإكثارُ
٣٣٧:١	محمد بن حازم الباهلي	متقارب	مقاديْرُها
٢٩٣:٢	قيس بن سعد	طويل	التشاجرُ

ع

١٩٢:٢	—	بسيط	ينخدعُ
-------	---	------	--------

ف

٢٥٦:٢	أبو ذؤيب الهذلي	وافر	الألوفُ
٢٠٢:١	—	طويل	المجففِ

ل

٣٤٠: ١	—	طويل	لخليلُ
١٧٤: ٢	(الفرزدق)	كامل	ما يتحلحلُ
٩٨: ١	اللعين المنقرى	وافر	النَّبالِ

م

٢٢٤: ٢	زيد الخيل	طويل	لغارمُ
٣٤٠: ١	زهير	بسيط	ولا حرمُ
٣٦: ١	—	»	شومُ
٥٨: ١	أبو دواد الإيادى	خفيف	سنامُ

ن

٢٠٤: ٢	الطرماح	طويل	المواطنِ
١٠: ١	—	سريع	أحزانِه

الفهرس السادس

٦ - فهرس اللغة^(١)

أ

أبل	: الأبَابِيل ٢ : ١١٩
أَنَى	: تَأَنَّى المَجْرَب ٢ : ٣١ الأَتَاوَى ٢ : ١٨٨
أَثَر	: أَثَرَهَا ٢ : ١٥٨ المُوَثَّر عَنْهَا ١ : ٢٣٤
أَثَم	: أَثَاماً ١ : ٧
أَجَل	: الأَجَلَة ٢ : ٥٩
أَخَر	: أَخَرَة ٢ : ٨
أَخُو	: الأَوَاخِي ٢ : ٢٠١
أَرَم	: الأَرُومَة ٢ : ٢٠٤
أَرَى	: أَوَارِيهَا ٢ : ١٣٧
أَزَر	: مَأْزُور ١ : ٦
أَزَل	: الأَزَل ١ : ٢٦٧
أَسَر	: الأَسْر ١ : ٣١٦ الأُسْر ٢ : ٢٧٠
أَسُو	: آسُوا فقراءكم ١ : ٣٤٢
أَشَر	: الأَشَر ٢ : ٢٩١
أَكْر	: الأَكْرَة ٢ : ١٠٢
أَكَل	: تَأَكَّل ثَدِييَهَا ١ : ١٧ الأَكْلَة ٢ : ١١١
أَلْب	: أَلَب ١ : ٧
أَلَف	: الإِيْلَاف ١ : ٤٧

(*) ما وضع من الأرقام بين قوسين فهو من تفسير الجاحظ ، وما وضع من الألفاظ بين قوسين فهو مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

أله	: تتأله ٤٧ : ١ إلهيته ٢٥٣ : ١
ألو	: لا يألونهم خبالا ٣١٥ : ٢
أمم	: الأمم ١٦٦ : ١
أنس	: الأنسة ٢٣٤ : ١
أوس	: الآس ٦٤ : ١
أيس	: الإياس ٢٢٥ : ٢
أني	: أيثس ١٠٠ : ٢

ب

بأو	: بأو السلطان ٣٢٠ : ١ بأو القدرة ٣٠٢ : ٢
ببر	: الببر ٣٢٧ : ٢
بتت	: الانبتات ١١٥ : ١
بجد	: البجادي ٢٦٩ : ٢
بجح	: تبجح ١٨٥ : ٢
بحن	: البحنة ١٤٥ : ٢
بخس	: مبخوس حظّه ٢٤٨ : ٢
بخع	: يبخع له ٣٢٣ : ٢ بخعت ٢٧٩ . ٢٥٤ : ١
بدأ	: البادي ١٤٤ : ٢
بدد	: (يتبدد) ١ : ٢٤٦ الباد ١ : ٥٧ . ١٠٠ البادان ١ :
	١٥٦ البدة ١ : ٢٥٠ . ٣٠٦
بدع	: الابتداء (١ : ٢٩٠) أبدعت ٩٠ : ٢
بدو	: بادوه ١ : ٢٧٤ أبديت ٢ : ١٥٦ تبدى ٢ : ١٧٧ .
	٢٧٢ البادي ٢ : ١١٨ المباداة ١ : ٩٥ . ١٠١ المبدي
	١ : ٢٧١ البدوات ١ : ٩٢ . ٢٠٢

بذخ	: بذخوها ١ : ٣١٥
بذذ	: بذذت ١ : ١٧٩
بذق	: الباذق ٢ : ٢٦١
براً	: برأ ١ : ٢٦٣ برئ ١ : ٢٦٣ برئ اللون ١ : ٩١
برج	: البوارج ٢ : ١٠٥
برد	: البردية ١ : ٨٤
برر	: أبرؤا على أهل الأرض ٢ : ١٣٣ المبر ٢ : ١١٤
برع	: أبرع للفضيلة ٢ : ٢٢٢
برق	: البورق ٢ : ١٦١
برنس	: أصحاب البرانس ٢ : ٢٨
بزز	: بز ٢ : ٣٠٥
بزو	: البوازي ١ : ٣٣ البزيون ١ : ٣١٤
بساً	: بسوء ١ : ١٩٩
بستن	: البساتين ١ : ١٢١
بسر	: المبسور ١ : ١١٤
بشر	: البشر ١ : ٢٨٠ / ٢ : ٤٨ البشرة ٢ : ٤٨ البشري ١ : ٢٨٠
بصر	: البصراء ٢ : ١٩٨
بطح	: البطحاء ٢ : ٣٤ البطيحة ٢ : ١٤٦
بطش	: المباطش ٢ : ٣٥
بطل	: البطال ٢ : ٤٠
بطن	: بطن بردونه ١ : ٢٠٨ تبص الغوامض ٢ : ٢٥٤
بطى	: الباطية ٢ : ٢٦٢
بعصر	: البعص ٢ : ١٠٣

بغى	: بغاها الغوائل ١ : ١٩٥ التباعى ٢ : ٢٨٦ . ٢٨٨
بقى	: البُقيا ١ : ٩٨ البقية ٢ : ١٢٧ التبقيّة ٢ : ٣١٩ . ٣٢٠
بكر	: البكرية ١ : ٣٠٠
بلد	: تبلّد ١ : ٢٠ البلدة ٢ : ٨٦ البلدة ١ : ٢١٢ . ٢١٦ / ٨٦ : ٢
بلغ	: البلّغ ٢ : ٢٣١ التبلّغ ٢ : ٢٠٩ ، ٣١٣
بلو	: أبلّ الله من نفسك عُذرا ٢ : ٩٨
بند	: البُنود ١ : ١٧٨
بنو	: الأبناء ١ : ٢١٠ البنوى ١ : ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٨٤ بُنَيَات الطريق ١ : ٩٩
بہت	: مبهوتة ٢ : ٨٧
بہرج	: بہرجنا ٢ : ١٠٠
بہم	: البہيم ٢ : ٢٠٣
بوب	: البابة ١ : ٣٤
بور	: البوار ١ : ١١١ . ٢١٣ البارية ٢ : ١٦٠
بوق	: البائقة ٢ : ٣١٦
بول	: البال ١ : ١٢٧

ت

تأم	: الإِتّام ١ : ١٧٦
تتر	: التّتر ١ : ٣٢٧
تخم	: التّخم (فى وخم)
ترب	: التّربة ٢ : ١٢٨

ترص	: مُرَصَّأ ٢ : ١١٢
توت	: التُّوتِيَا ١ : ١٠٢
توى	: التَّوَاء ١ : ٣٤٢
تبع	: تَتَابَعَ ٢ : ١٧٩ تَتَابَعَتْ ١ : ١١٥ تَتَابَعَهُ ٢ : ٢٩٢

ث

ثأى	: الثَّأَى ٢ : ٢٠٤
ثبت	: لِيَثْبَتَهُمْ ١ : ٢٠١ الثَّبِتَ ٢ : ٢٣١
ثخن	: الثَّخَانَةُ ١ : ١٧٧
ثرب	: التَّثْرِب ٢ : ٢٠١
ثرو	: الثَّرَاءُ ٢ : ٣١٤ أَهْلُ الثَّرَى ٢ : ٣١٤ مَسْتَنْبِطُ الثَّرَى ٢ : ١٩٩
ثغر	: الثَّغُور ١ : ١٨٨ الثَّغْرِیُونَ ١ : ٢٠٦
ثقل	: الثُّقْل ٢ : ٢٦٩
ثقب	: ثَقَبُوا مِنْهُ ١ : ١٤ أَثَقَبُ ١ : ٧٨
ثقف	: الثَّقُف ١ : ٣٣٥
شكل	: أَثَكَلْتَنِي ١ : ١١٥
ثلم	: ثَلَمْتُ ١ : ٤٦
ثمر	: ثَمَارُ السَّيَاط ١ : ٢٩٥ التَّمِيرُ فِي الْأَبْدَانِ ٢ : ١٤١
ثنى	: المَثْنَى مِنَ الْأَوْتَارِ ٢ : ٢٧٩
ثور	: اسْتَثَارَتْ ٢ : ٣٨
ثول	: انْثَالُوا عَلَيْهِ ١ : ٨
ثوى	: مَثَاوِي دَارِ فِرْعَوْنَ ٢ : ١٣٢

ج

- جأجأً : جئ جئ ١ . ٢٠٥
جأش : جأش رابط ١ : ٦٣
جبر : يجبرون ٢ : ٣٠٢ الجبرية (للكبر) ١ : ٢٤٥ الجبرية
(للطائفة) ١ : ٣٤٥
جبو : يعجنبيه ٢ : ١٩١ تجنبونه ٢ : ٢٩٣ الاجتساء ١ : ١٢٧
جثلق : الجاثليق ١ : ٣١٨
جثم : يعجم ٢ : ٢٦٨ الجثوم ١ : ٢١١ الميجمة ١ : ٣٢٠
١٧٩ . ٢٠٣
جشو : جائاه ١ : ٢٣٥ جائى الأضداد ٢ : ٣٣
جذب : يتعلل جادبه ١ : ٨٢
جدل : جدل عنان ١ : ٦٤ ، ١٥٥ الجداول ١ : ١٠٠
جدم : اجدم ١ : ٢٠٥
جدو : أجدى الأمور ١ : ٣١٩
جدى : الجداء ١ : ١١٧
جذب : التجاذب ٢ : ١١١
جذر : العِذر ٢ : ٥
جدل : جدلا ١ : ١٢١
جرب : الجريب ٢ : ٤٥
جرجس : الجرجس ٢ : ٢٦٣
جرح : جوارح السادة ٢ : ٣٣
جردق : الجرادق ٢ : ١٣٠
جرر : جتر ١ : ١٢٦ الجر ٢ : ٢٦١ جر السلاح ١ : ١٨٦

جرم	: الجَرْمُ ١ : ١٢١ للتَجْرُم ٢ : ٨٩
جرن	: ضرب بجِرَانِه ١ : ١٨٥
جری	: جاريت ٢ : ٩٠ المُّجَارِي ١ : ٨١
جزى	: (الجزاية) ٢ : ٢٨٠
جسس	: التَّجَسُّسُ ١ : ٢٩٣
جشر	: نَشَرًا جَشَرًا ٢ : ٣٢٢
جعل	: الجُعْلُ ١ : ١٧ الجُّعْلُ ١ : ٣٠٠
جفر	: الجُفْرَة ١ : ٥٧
جفف	: المجفَّفُ ١ : ٢٠٢ التجفَّاف ١ : ١٧٦ التجافيف ١ : ١٧٨
جلح	: المجلِّحُ ١ : ٢٩٦
جلل	: جِلَّةُ السلطان ١ : ٤٥ جِلَّةُ الشَّيْعة ١ : ١٦٧
جلو	: الجُلِّيَّ ١ : ٣١٩ / ٢ : ١٨٠
جمد	: الجمَدُ ١ : ٣٢٥ الجمود ١ : ١٥٦ عين جامدة ١ : ٨٧
جمر	: التَّجْمِيرُ ١ : ١٧٨ الجُمَارَة ١ : ١٥٧
جمز	: الجَمَزُ ١ : ٣٣ الجمَّازات ٢ : ١٠٤
جمع	: جِمَاعُ ١ : ١٠٥ / ٢ : ١٢١
جسم	: الجِصَّامُ ١ : ٣٠ ، ٤٩ ، ٩٣ ، ٩٥ / ٢ : ٨٤ ، ٢٨١
جنب	: تَجَنَّبَ الخيل ١ : ٢٠٠ الجُنْبَة ١ : ٣١٠
جنس	: المجَانَسُ ١ : ٢٧٣
جنن	: الاجتنان ١ : ٢١ الجنان ١ : ١٢١
جنى	: الجنَى ٢ : ٢٧٠
جهر	: الجَّهْرُ ٢ : (١٢)
جهز	: أَجْهَزَ عليهم ٢ : ٣١٩ أهل الجهار ٢ : ١٠٠

جوح	: الجوائح ١ : ٤٩
جود	: جادوا ١ : ١٧٠
جور	: جُرَتْ ١ : ٦٩ التجوُّير ٢ : ٣٣ - ٤٠ - ٤٨ - ٢٤٠ ، ٣٢١ المجوُّر ٢ : ٥٠
جوز	: جازَه ١ : ٥٠
جوق	: الجَوَفَات ١ : ٣١٧
جول	: الجَوْلَة ١ : ١٨٥
جيه	: جاءِ ١ : ٢٠٥

ح

حبر	: الحَبْرَة ٢ : ٧٢ محبِّرة ١ : ٢٣٥
حبو	: يحبوهم ١ : ٣١٢
حتف	: حتنفها ١ : ١٣
حُثْ	: أَحْثُ على البيان ١ : ٢٩
حجر	: يحتجرون ٢ : ٣١٨ الحُجور ١ : ٤٠
حجل	: المحجَّل ٢ : ٢٠٣
حجو	: الحِجَا ١ : ١٧٧
حدث	: أَحْدَثْنَا ١ : ٣٢١
حدر	: الحَدْر ٢ : ٤٨ الحَدُور ١ : ١٦
حذف	: تحذَفُوا ١ : ٣١٧
حذق	: تحذيقهم ١ : ٢٨
حرب	: الحَرْب ٢ : ١٦١
حرج	: تَخْرَجُ فيه ١ : ٤٦
حرش	: يَحْرِشُونَ ٢ : ١١٧

حرف	: حُرْفًا ١ : ٣٦
حرق	: الحَرَّاقَةُ ٢ : ١٠٤
حرم	: المحرَّم ٢ : ١٩٩
حزب	: التحزيب ١ : ١٧١
حزز	: تَفْلُّ الحَزَّ ١ : ٦٣ يَفْلُّ الحَزَّ ١ : ١٢٥
حزم	: الحِزَام والحِزَامَةُ ٢ : ٨٩ المَحْزَم ٢ : ٢٠٣
حسب	: الحِسْبَةُ ١ : ٩٩
حسد	: حَسَدُهُ التَّعَمَّةُ ١ : ٣٠٩
حسس	: التَّحَسُّسُ ١ : ٢٩٢
حسن	: تُحَاسِنُهُ ١ : ٦٧
حشش	: اسْتَحْشَّ ١ : ٥٨ المَحَاشِشُ ٢ : ١٦٢
حشو	: حَشَّتْهَا ١ : ٢٠٢ الحَشْوُ ٢ : ١٣٣ الحُشْوَةُ ٢ : ٢٤٣ الحَشْوِيَّةُ ١ : ٢٨٨
حصر	: الحَصْرُ ٢ : ١٦٩ الحُصْرُ ٢ : ٢٧٠ الحَصِيرُ ٢ : ١٩٢
حضر	: حُضِرَ ١ : ١٤٣ المحْضَرُ ١ : ٢٧١
حطط	: حَطَّ الثَّمَنُ ٢ : ١٤٤
حظى	: يَحْظَى ٢ : ١٩٩
حقد	: سورة الحَقْدِ ١ : ٢٢٨ الاحتِفَادُ ١ : ١٧
حفر	: يُحْفَرُ ٢ : ٢٧٩
حفظ	: يَتَحَفَّظُ ١ : ٤٢
حقب	: المحتَقِبُ لِكُبْرِهِ ٢ : ٢٢١
حقن	: المحْقُونُ ١ : ٢٠٨
حكم	: الحُكْمُ ٢ : ١٥١

حل	: حَلَّ وَحَلَّى ٢٠٥ : ١
حلب	: الحَلْبَةُ ١٧٧ : ١ ٢٥٨
حلحل	: يَتَحَلَّل ٩٢ : ١
حلف	: الْأَحْلَافُ ٢٥٥ : ١
خلق	: الْحَلْقُ ١١٨ : ١
حال	: حَالَةُ السُّلْطَانِ ١ : ٤٥ مَحَلَّ الدِّينِ ١ : ٣٣١
حلم	: الْحُلُمَاءُ ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٦
حلى	: يَوْمَ الْحِلْيَةِ ١ : ٨٤ حَلَّى الْجَيْشِ ١ : ١٨٦
حمد	: أَحْمَدَتَ ٢ : ٢٢٩
حمس	: الْحُمُسُ ٢ : ١١٩
حمسن	: أَحْمَشُهُ ٢ : ٣٨
حمص	: الْحِمِصِيُّ ٢ : ٢٦٨
حنم	: الْحَنَمُ ٢ : ٢٦١
حنك	: تُحَنِّكُهَا ١ : ٢٣٨ الْحُنْكَ ١ : ١٣٤
حور	: الْحَوَارِ ٢ : ٢٧٦ الْحَوَارَى ٢ : ١١٧
حول	: لَمْ يُحَلِّ ٢ : ١٦ الْحَوْلَةُ ١ : ١٨٥ حَوَالَهُ ٢ : ٢١٩ عَلَى
	: حِيَالَهُ ٢ : ٥٢ ، ٥٦ الْحَائِلُ ١ : ١٩
حوم	: رَكِبَ حَوْمَتَهُ ٢ : ٤٠
حير	: الْمَتَحِيرُ ١ : ٢٦٦
حيس	: الْحَيْسَةُ ٢ : ١٦
حيف	: حَازِفًا ١ : ٤٢

خ

خبيب	: الْخَبِيبُ ١ : ١٩٩ ، ٢٠٥
------	----------------------------

خبر	: الخيرة ٢ : ٧١ الأخبار ١ : ١٦٦
خبل	: لا يألونهم خبالا ٢ : ٣١٥
ختل	: ختل الذئب ١ : ٣٣
خثر	: الخاثر ٢ : ١٤٥
خدج	: الخداج ٢ : ٦٥
خرب	: الخارب ٢ : ٢٨٦
خرز	: عقدنا له الخرز ١ : ١٠
خرص	: تخرّص الخبر ١ : ٢٤١ . ٢٤٨ . ٢٥٠
خرف	: المخرفون ٢ : ٢٦٦
خرق	: خرق ١ : ٦٢ تخرق الطرق ٢ : ١٣٦ يخرق في ماله
	: ٢ : ٣٠١ الخرق ١ : ٢٤٢ / ٢ : ٨٦ الأخرق في الإنفاق
	: ٢ : ٣٤ المخرّاق ٢ : ١٣٦ المخرّيق ٢ : ١٩٢
خشب	: أخشب ١ : ١٨٨ الخشبية ١ : ٢١٨
خشم	: الأخشم ٢ : ٥١
خصر	: أخصر ١ : ٢٧٤
خضم	: خضما ١ : ٧
خطأ	: خطاه ٢ : ٤١ يخطأ ١ : ١٠١ لم أخطأ ١ : ١٥ الخطاء
	: ١ : ١٣٣ . ٥٨ . ٢٦١ . ٢٩٩ / ٢ : ٨٣ . ١٨٥
خطر	: يخطر ٢ : ٣٢٢ الخطار ٢ : ٣٠٤
خطط	: مخطط اللحية ١ : ٨٩
خطل	: الخطل ١ : ٦٤
خفف	: الأخفاف ١ : ١٧٥
خفت	: إخفاق القلب ٢ : ٢٦٥

خلد	: ثبت في خلده ٢ : ٦٤
خلط	: الخلطاء ١ : ١٢٦
خلع	: سورة الخلع ١ : ٢٢٨ التخلع ١ : ٣٣ خلعائنا ١ : ٢٢٧
خلف	: الأَخْلَافُ ١ : ٢٧٢ خِلافَ المَعِجْزَةِ ٢ : ١٧٢
خلق	: الخَلْقُ ١ : ٢٨٧ أَصْحَابُ المَخْلُوقَاتِ ١ : ٢١٠ / ٢ : ١٢٨ ،
	٢٦٩
خلل	: الخَلَّةُ ١ : ٣٣٩ الخليل (١ : ٣٣٩) المختل (١ : ٣٣٩)
خلو	: خَلَوْتُهُ ٢ : ٩٨ مُخَلَّاةٌ ١ : ٣٢١
خمر	: الخُمَارُ ١ : ٤٣
خمص	: الخُمْصَانَةُ ١ : ١٥٩
خهم	: يَخْمُ ١ : ٩١
خندق	: الخَنْدِيقَةُ ١ : ١٧٣
خنز	: يَخْنَزُ ١ : ٩١
خنق	: المَخْنَقُ ١ : ٢٩٣
خنو	: الخَنَا ٢ : ٢٢٩
خود	: الخَوْدُ ١ : ٨٥
خوص	: تَخُوصُ عَيْنَهُ ١ : ٨
خوط	: خُوطَ آسَ ١ : ٦٤
خول	: خَالُوا نَسَبَهُمْ ٢ : ١٩٤ خَوَّلَ النِّقْصَ ٢ : ١٥٧
خير	: الخَيْرَةُ ١ : ٩٥ ٢ : ٧١
خيش	: الخَيْشُ ٢ : ١٠٤
خيف	: أَخْيَافَ المَخْلُوقِ ٢ : ٢٣٢
خيل	: لَا يُخِيلُ ١ : ٢٣١٩ ٢١٩ الخِيَالُ ١ : ٢٠٧

دبب	: الدبيب ١ : ١٢٠ الدُّبَاء ٢ : ٢٦١
دبق	: الدَّبُوق ١ : ٣٢ ، ١٧٩
دثر	: الدُّثَار ٢ : ٨٥
دخل	: الدَّخَل ١ : ٣١٨
درب	: دربك ٢ : ٩٦
درس	: درَّسه العلم ١ : ٥٠ يدرَّسهم القرآن ١ : ٣٥ تدريس
	كتب أبي حنيفة ١ : ٤٥
درك	: الدَّرَك ٢ : ١٥٩
درى	: المداوى ١ : ١٥٨
دستن	: الدساتين ٢ : ٢٧٩
دسع	: دسع بطعامه ٢ : ٢٦٦
دغدغ	: يدغدغه ١ : ١٢٤
دقل	: الدَّقْل ١ : ١٠٠
دله	: التدليه ١ : ١٥٦
دمم	: الدميم ٢ : ١٨٢
دنق	: التدنيق ٢ : ١٣٦
دنو	: أدانى أهله ١ : ٢٦٤ من رهطه دنيا ٢ : ٣٤
دهر	: (يتدهر) ١ : ٢٤٦
دهم	: الدَّهْم ٢ : ٢٨١ ، ٢٩٢
دهن	: المُدْهَن ٢ : ١٦٣
دوذ	: الداذى ١ : ١٢٤ / ٢ : ٢٦١
دور	: الدار ٢ : ١٤٧
دول	: دُول العلم ١ : ٣٠٠

دير	: الديارات ٣٢٢ : ١
ديص	: الديصانية ٣٢١ : ١
دين	: (الدينونة) ١٦٧ : ١ الديانيون ١١٥ : ٢ الديانون ١١٥ : ٢

ذ

ذبيب	: الذَّبَّ ٣١٤ : ٢
ذرع	: خَلَّى الذَّرْع ١ : ١٢٠ خِيق الذَّرْع ١ : ٣٣٢ المذَّرْع ١ : ١٦٩
ذعف	: الذَّعاف ١ : ١٨٧
ذفر	: الذَّفَر ٢ : ٢٦٨
ذلق	: ذَلَقَه ١ : ١٦ ذَلِيقًا ٢ : ٣١
ذمر	: ذِمِرْ ١ : ٩٠
ذمم	: تَذَمَّتْ ١ : ٣١ الذَّمَام ١ : ١٦٦ / ٢ : ٧١
ذود	: الذِّياد ١ : ١١٥ الذَّادَة ١ : ٣١

ر

رأب	: رَأَبُ النَّأَى ٢ : ٢٠٤
ربب	: يُرَبُّهَا ١ : ١١٩ الراب ١ : ١٩٢
ربث	: رَبَثَ ٢ : ٤١
ربح	: التَّرْبِيعُ ١ : ٤٦
ربد	: تَرَبَّدَ ١ : ١٤٧
ربص	: التَّرْبِصُ ١ : ٣٢٦
ربط	: جَأَّشَ رَابِطَ ١ : ٦٢
ربع	: الأربعة الذين أحياهم المسيح ١ : ٣٢٥ أصحاب الأرباع
	١٨٨ : ٢
رتع	: مرتع عينك ١ : ١١٩

رتل	: الرتيلات ١ : ٢١٥ الرتيلي ٢ : ٢٧٠
رجل	: الرجال ٢ : ١١٦
رجو	: يرجي ٢ : ٢٦٤
رحل	: رحل نفسه ١ : ٢١٣
ردح	: ردح ٢ : ١١٧
ردد	: الردد ١ : ٢١٢ أردد عليه ١ : ٣٨ أردد في عاجل ١ : ٤٥
ردع	: ركوب ردعه ٢ : ٢٩٣
ردن	: ردنه ٢ : ٣١٣
ردى	: يرديه ٢ : ٣٠٠
رسب	: الراسبي ١ : ٢١٢
رشد	: لرشدة ١ : ٣٢٦
رشق	: رشقاً واحداً ١ : ٢٠٣
رعب	: رعبت القلوب ١ : ٢٠٢
رفق	: الإرفاق ١ : ٣٤٤
رقح	: الترقيح ٢ : ١٢٦
ركب	: المركب ٢ : ١٨٣
ركو	: ركاياء الدور ٢ : ١٤٤
رمد	: الرمد ١ : ٢٧٩
رمك	: الرمكة ١ : ٢٠٦
رنح	: المترنح ١ : ٣١٥
رهص	: الإرهاص ١ : ٢٤٨
رهف	: أرهفه ٢ : ٢٥٤
روح	: الريح الخفي ٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧ الريح العميم ٢ : ١٥٨

رود	: يرُود ٢ : ٢٦٨
روض	: الرِيض ١ : ٦٣ - ٢٨٦ الرَّاضة ١ : ٢٠٥ / ٢ : ٣٧
روغ	: روغان الثعلب ١ : ٣٤
روق	: الراووق ٢ : ٢٦١ المرووق ٢ : ٢٦١
روم	: المَرَام ٢ : ١٥٢
روى	: الروية ١ : ٣٤ . ٨٨ . ١٢١ الرواء ١ : ١٣٣
ريع	: الرِّيع ٢ : ١٤٥

ز

زبل :	: المزبلة ٢ : ١٤٣
زبن	: أزابن ٢ : ١٥٧
زجر	: يزجر ١ : ٢٦٢
زجو	: زجيتَ أمرك ٢ : ٧٥
زرق	: الأزرق ٢ : ٢٥٠
زرى	: زرايتهم ١ : ٣٢١ الزارى ١ : ٢٩٧
زعف	: الزُعاف ١ : ١٨٧
زليج	: المزليج ١ : ١٦٩
زالل	: الزَّلَّة ١ : ١٩٠ الزَّلَّالة ٢ : ١٠٤
زنج	: الزَّنَج ٢ : ٢٧٩
زند	: التزنييد ٢ : ٢٣٧
زنى	: لا تُزْنُ ١ : ١٤٦
زوج	: المزدوح ١ : ٣٤
زود	: الأزواد ١ : ٢٠٠
زوى	: زى صدق ١ : ١١٩ المزوى ٢ : ٧٠

زير	: الزير ٢ : ٢٧٩
زين	: الزين ١ : ٧٩
س	
سير	: سبر الأمور ٢ : ٣١٩
سبط	: السبطانة ١ : ٣٢
سبغ	: سابغة ١ : ١٤١
سبق	: السابقة ١ : ١٠١
سبل	: هذه سبله ١ : ٧٤ السابليين ١ : ٥٩
سي	: السباه ١ : ٤٧ السبيية ٢ : ١١٥
ستر	: الستور ١ : ١٤٢
سجر	: المسجور ٢ : ٢٦٧
سجع	: السجاع ١ : ١٨٠
سجل	: السجل ١ : ٢١١
سجن	: تسجينه ١ : ١٢
سحق	: السحقة ٢ : ٢٤٨
سخب	: السخب ٢ : ١٢٩
سخت	: السختيان ٢ : ٢٥٨
سخر	: سخره ٢ : ٤١
سخم	: الريش السخام ١ : ١٢١
سخن	: سُخنة عين ١ : ٣٢١
سخو	: سخاوة النفس ٢ : ١٩٣
سد	: المعاني السداد ٢ : ٢٠٤
سرد	: السرد ١ : ٣٢ مسرودة ١ : ٤٢

سرر	: السرار ١ : ٩٠
سرح	: السرعان ٢ : ٢٩١
سرق	: السرق ١ : ٢٩٧
سرو	: السرى ١ : ٣٣١
سفتح	: السفاتج ١ : ٢٤٧
سفل	: السفلى ١ : ٣٠ سفلَى تميم ١ : ١٦٩
سقر	: السقر ١ : ٣٣
سقم	: سقمك ٢ : ٩٦
سكت	: السكت ٢ : ١٥١
سكر	: السكر ١ : ١٢٤ / ٢ : ٢٦٧ سكر السلطان ١ : ٤٩ سلطان
	: السكر ١ : ١٠٨
سكع	: تتسكع ٢ : ٤٠
سلب	: أنفه فى أسلوب ٢ : ١٨٥
سلخ	: مسلخ ١ : ٤٨
سلع	: السلع ٢ : ١٦٢
سلف	: السلاف ٢ : ٢٦٩
سحج	: السمجة ١ : ٢٤٤
سمح	: سماحه ٢ : ٣١٦
سمر	: السمر ١ : ٨٤
سمك	: الرفيعة السموك ٢ : ١٠٥
سنخ	: السنخ ١ : ٥ / ٢ : ٢٠٢ من سنخه ٢ : ٢٧٥
سنن	: السنن ١ : ٢٠٨

سنو	: سنو يوسف ٢٦٧ : ١
سنى	: المسنّيات ٤٠ : ٢
سود	: السّواد ٢٦٧ : ١ السّادة ٧٨ : ١
سور	: سورة الغضب ١ : ٢٧ حديد السّورة ٢ : ٢٧١ سورته
	١١٤ : ١
سوم	: سَوم طبيعته ١ : ٦٥ المُسيم ١ : ٤٥ السّوام ١ : ٤٥
سير	: أُسِير العَمَى ١ : ٣٣٦
سيف	: السّيفانة ١ : ١٥٩
سيل	: السّيلان ١ : ٢١٨
ش	
شيع	: شيعانا ١ : ١٣
شتم	: الشّتام ٢ : ١٧٢
شجع	: شُجَّ بالماء ٢ : ١٧١
شجو	: شجّاهم ١ : ٢٣٤
شحب	: (يُشْحَب) ١ : ٩١
شخت	: شَحْتاً ١ : ٩٠
شدخ	: شادخاً ١ : ٧
شdq	: المتشدّقون ٢ : ١٥١
شدو	: شدّاته ٢ : ٣٠١
شرب	: شاربا القبيعة ١ : ٢١٨
شرد	: تَشَرَّد ١ : ١١٨
شرر	: شرارة الطّبائع ١ : ٣٢٣
شروع	: شرّع سواء ٢ : ٢٣٢

شرى	: المشتري ١ : ٩٢
شزن	: تشزَّنت ٢ : ٣٧
شعث	: مشعَّته ١ : ٢٩٥
شعر	: استشعرَ ٢ : ١٩٣ الشعار ٢ : ٨٥ التشاعر ١ : ٢٤٨ ، ٢٧٠
شعشع	: يشعشع ٢ : ٢٧١ - ٢٧٣
شغب	: يشغب شاغب ٢ : ٢١٢ الأشغاب ١ : ٧٨
شغل	: أشغله ١ : ٢٦٦
شفق	: الشفقة ١ : ٤٨
شقر	: الشُّقْر ٢ : ٢٧٠
شكر	: الشاكرية ١ : ١٩٠ ، ٣١٧
شكل	: الشُّكْلَة ١ : ٦٧ شواكل الفساد ٢ : ٢١٣
شكو	: شكاته ٢ : ٢٩٢
شمخ	: شمخ بأنفه ١ : ٢٩
شمر	: الشُّمرية ١ : ٣٠٠
شناً	: الشانئ ٢ : ٢٠٣
شنع	: الشُّنعة ١ : ٣٣٠ شنيعة ١ : ٣٣٠
شهد	: الشاهد ١ : ٢٧ الشَّهاد ٢ : ١١٧
شهر	: سنهر الله . المحرم ١ : ٣٤٠ الشهرية ١ : ١٧٨ . ٣١٧ المشهَّرات ١ : ١٨٦
شهرز	: الشهريز ٢ : ١٤٥
شوب	: شاب . وشيب ١ : ١٠٥
شور	: الشارد ١ : ١٠٠

شول	: المشاولة ١ : ٣٢ - ١٧٩
شيش	: الشاشية ١ : ١٧٨
ص	
صحر	: أَصْحَرَ لِسَانَهُ ٢ : ٢٩٥ يُصْحِرُ خُمْ ١ : ٢٦٨
صدق	: الصَّدَقَاتُ ٢ : ١١٦
صدم	: الصَّدَامُ ٢ : ١٣٧
صرح	: المَصْرُوحُ ١ : ٢٩٦
صرد	: صَرَدَ التَّصَالُ ١ : ٩٨
صرف	: صَرَفَ مَا بَيْنَهُمَا ١ : ١٠٦ / ٢ : ٢٤٥
صغر	: صَغَارَ الْجَزِيَّةُ ١ : ٢١٦ الصَّغَارَةُ ١ : ٣١٩
صفو	: أَقَامَ صِفْوَهُ ١ : ١٦٥
صفح	: صَفَحاً ١ : ٩٥ ضَرَبَ عَنْهُ صَفْحاً ١ : ٦٥ صَفِيحَةُ يَمَان
	: ١ : ٦٤ الصَّفَائِحُ ١ : ١٨٦
صفر	: الصُّفَّارُ ١ : ٩١ / ٢ : ٢٦٣ ، ٢٦٦ الصُّفْرُ ١ : ١٩٤
	: ١ : ٢٠٩ الصُّفْرِيَّةُ
صفو	: الصَّفَايَا ٢ : ١١٤ صَفَاهُ ٢ : ٢٦٣
صلج	: الصَّوْلُجَانُ ١ : ١٧٩
صلع	: الْأَصْلَعُ ٢ : ٨٩
صلى	: لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِمْ ٢ : ٢١٣
صمم	: الْأَصْمَمُ ٢ : (١٤)
صهل	: بَنَاتُ صِهَّالٍ ١ : ٢٠٠
صيح	: الصَّيَّاحُ ٢ : ١٢٩
ض	
ضبيب	: أَضْبَبَ عَلَيْهِ ١ : ١٣

ضداد	: المضادة ٢ : ١٥٦
ضرب	: ضَرَبَ عَنْهُ صَفْحًا ١ : ٦٥ كَرَّمَ الضَّرْبِيَّة ٢ : ٢٢٢
ضرع	: الضَّرْع ٢ : ٢٥٤
ضرى	: لَمْ أَضْرَ بِكُمْ ٢ : ١٩٨
ضغث	: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ٢ : ٢٦٤
ضمز	: ضَمُوزَات ٢ : ٢٧٢
ضوى	: ضَمَوَى إِلَيْهِ ٢ : ٢٩١
ضميم	: الضَّمِيم ١ : ٥٨
ط	
طبيب	: طَبَّيًّا، اسْتَطَبَّ ٢ : ٧٤٤
طبر	: الطَّبْرِزِينَات ١ : ١٧٨
طبيط	: الطَّبُّطَاب ١ : ١٧٩
طبع	: الطَّبَّاع ١ : ٩١، ٩٢، ٢٥٩، ٢ : ١٩٨ الطَّابِع ٢ : ١٣٥
طبَّق	: الطَّبَّقَةُ ١ : ٣١٧
طرد	: الطِّطْرَد ١ : ٢١٠ المطارد ١ : ١٨٧
طرر	: طَرَّ شَارِبُهُ ٢ : ١٨٤
طرس	: المطرسة ١ : ١٨٠
طرف	: تَطَرَّفُوا ١ : ٣٣٠، ٣٣٢ طُرِّفَتْ ١ : ١٤٥ يَتَطَرَّفُهُمْ ١ : ٢٠١ أَطْرَفَ ١ : ١٢٦ طَرْفَةٌ ١ : ١٠٢ الطَّرَافَةُ ١ : ٢٦١ أَطْرَافُهَا ١ : ١٥٨
طعم	: الطُّعْم ١ : ٢٠٠ الطُّعْمَةُ ١ : ٨، ٢٩٨ / ٢ : ٢٥٤
طغم	: الطَّغَام ٢ : ٣٣٠
طفح	: تَطَفَّحَ الْأَنْهَارُ ٢ : ١٤٢

طلب	: طَلَبْتَهُ ١ : ١٤١
طلس	: الطِّلْسَان ١ : ٣٢٧
طمم	: أَطْمُ ٢ : ١٢٦
طنب	: يُطْنِبُ الذَّكَرَ ١ : ١٢١ إطنابك ١ : ١١٣
طوق	: الطَّاقَةُ ١ : ٢٤٠ المَطِيقُ ١ : ٢٢٥
طول	: تُطَاوِلُهُ ١ : ٦٧ الطَّوَائِلُ ٢ : ٨٤
طوى	: طَاوٍ ١ : ١٣
طيب	: طَيِّبَةٌ وَطَيِّبَةٌ ٢ : ١٣٠ المَطْيَبُونَ ١ : ٢٥٥

ط

ظبو	: الظُّبَاتُ ١ : ١٨٦
ظبي	: الظَّبَاءُ الْمَكِّيَّةُ (١ : ٣٣)
ظرف	: تُظَارِفُهُ ١ : ٦٧ الظَّرَافَةُ ١ : ٢٦١
ظعن	: الظَّعْنُ ١ : ٢٢٦ - ٢٥٤
ظلف	: ظَلَفَ النَّفْسَ ٢ : ٢٠٩ - ٣١٣
ظلم	: تَظْلَمُهُ ١ : ٣٤٥ الظُّلْمَانُ ٢ : ١٣٨
ظماً	: الظَّمَاءُ ١ : ١٢٧
ظهر	: الظُّهُورُ ١ : ٢٩٩

ع

عبث	: عَبَثَ (١ : ٧٤)
عبد	: الْعِبَادَاتُ ٢ : ١٤٧
عبر	: عَبْرَةُ عَيْنٍ لِلْعَدُوِّ ١ : ٥١
عبو	: يَعْبِيهِمْ ١ : ٤٦
عتق	: الْعَتِيقُ (٢ : ١٢٠)

عشر	: تعثر باسمك ١ : ٨٦ الإِثَار ١ : ٢٨٨
عجز	: عجز هوازن ١ : ١٦٩ المَعَجَزَة ٢ : ١٧٢
عجم	: المعجوم ٢ : ١٣٠
عذى	: أَعَذَى مِنْكُمْ بَرِيَّةً ٢ : ١٣٨
عرجل	: العراجلة ٢ : ٢٩٤
عرد	: العرَّادات ١ : ٢١٥
عرض	: العارضان ١ : ١٢٥ بَعَرَضَ مَلَكَةٌ ٢ : ٢١١ من عُرض الناس ٢ : ٢٨٥ ذو عُرضِيَّةٍ ٢ : ١٧٦ العُرُوض ١ : ١٤١ التعريض ١ : ١٣٣ معترض للصدق ١ : ٦
عرف	: تعرَّف قريشٌ ٢ : ١١٨ عَرُوفَات ٢ : ٢٧٢
عرم	: العَرَمَة ١ : ٣٥ عُرَامَه ٢ : ٩٠ السيل العِرم ١ : ١٨ الاعترام ٢ : ١٥٩ . ٩٥
عرو	: العارِيَّة ١ : ٩٢
عزر	: التعزير ١ : ٣١٨
عزز	: عزَّ ٢ : ٢٦٥ ، يعازُه ٢ : ٢٩٦ المَازَّة ٢ : ٢٨٦
عشر	: تعشُر ١ : ٢٣٧ العِشْرَة ١ : ٢٨٠ العشيرة ١ : ٢٨٠
عطب	: المعاطب ١ : ٤٩ / ٢ : ٧١
عطل	: العُطْلَة ١ : ٨٧
عطن	: أعطانها ٢ : ١١٤
عقب	: شرف العُقب ١ : ٧٩ العِقَاب ١ : ٢٦٨ العُقَابَان ١ : ١٨٦ اليعقوبية ١ : ٣١٠
عقبل	: العقابيل ١ : ١٥٥

عقد	حساب العقد ١ : ٣٩ - ٩٠ العقد ٢ : ١٠٠ عقيدته
	١٧٨ : ٢
عقف	: المعقفة ١ : ١٧٨
عقق	: العقق ٢ : ١٨٥
عقل	: تعاقله ١ : ٦٧ العقلة ١ : ٢١١
عقم	: الريح العقيم ٢ : ١٥٨ ، ١٨٠
عكر	: العكر ٢ : ٢٦١
علل	: يتعلل جادبه ١ : ٨٣ الاعتلال ١ : ٥٩ / ٢ : ١٩١
علم	: العالم الصغير (١ : ٣٣)
علهج	: الملهج ١ : ١٦٩
علهز	: الملهز ١ : ٢٦٧
علو	: يتعالى ٢ : ٢٤ ، ٤٢ ، ٥٩ عليا تميم ١ : ١٦٩
عمى	: العمى الطرفي ٢ : ١٦١ العمى ١ : ٣٣٧ الأعمى ٢ : (١٤)
عند	: العنود ١ : ٥٦ ، ١٠٣ ، ٢٩٤ / ٢ : ١٥٩ العاند ٢ : ١٥٩
عنقر	: العنقر ١ : ٢٠٦
عنن	: جدل عنان ١ : ٦٤ - ١٥٥ ترك العنان ١ : ٢٤٠
عنى	: معنياً ٢ : ٦٤
عهر	: العهار ٢ : ١٨٤
عود	: العادية ٢ : ١٦١ عائدته ٢ : ١٨٨
عور	: تعاوره ٢ : ١١٩ العورة ١ : ٢٠٣
عوض	: عتاض ٢ : ٢٧٤
عير	: معيرين ١ : ٣٦
عيط	: عيط الشارب ١ : ٣٣٥

عيل	: ذو العيلة ٢ : ٢٤٧
عين	: عين الجواد ١ : ١١٦ العانة ١ : ١٥٠ المَعَايِنَةُ ٢ : (١٢)
عي	: العَيَّ بمعنى العَيَّ ٢ : ١٩٧
	غ
غيب	: يغبُّ في قلبه ١ : ٤١
غبر	: غَبَرَ ٢ : ٢٥٦ غَبِرَتْ ٢ : ٩٥ الغابر ١ : ٢٧ غابر الأيام
	٣٢٣ : ٢
غبي	: يَغْبِي عنه ١ : ٣١٩
غنت	: الغَنَتْ ١ : ١٠٠
غشر	: الأَغْشَر ٢ : ٤٠
غرب	: غَرِبَ ٢ : ٩٠ الغَرَبَ ٢ : ٦١ - ٢٧٢ المَغْرَبَ ٢ : ٢٠٣
غرر	: التَغْرِير ١ : ٤٨ / ٢ : ١١١ غَارُون ١ : ١٩٩ الأَغْرَ ٢ : ٢٠٣
غرم	: الغارم ٢ : ٢٢٤
غزو	: مَغْزَاه ٢ : ١٩٧
غشم	: الغَشْمُ ٢ : ١١٥
غشى	: الغاشية ٢ : ٢٤٥ مَغْشَى ١ : ٦
غضب	: تَغَضَّبَ عليهم ١ : ٣٣٢
غضر	: الغَضَارَةُ ٢ : ٢٦٨
غفر	: قلة اغتفاره ٢ : ٢١١
غفل	: أَغْفَلَهَا ١ : ١٠٨ الغُفْلُ ٢ : ١٩٧ يدعه غفلا ٢ : ٦٤
	الأَغْفَالُ ١ : ٧١
غلب	: الغَلَبُ والغَلَبَةُ ٢ : ٥٨

غَلِظَ ١ : ٢١٦	غَلِظَ
التَغْلِيْقُ ١ : ١٩٦	غَلَقَ
الْغَالِي ٢ : ١٥٠ الْغَوَالِي ٢ : ١٣٠	غَلَوُ
الْغَمْرُ ١ : ٩٠ غَامِرٌ لَضَرَرِهِ ٢ : ١٠٢ غَمَارُ الْعَامَّةِ ١ : ٢١٣	غَمِرَ
غَمَزَ فِي قَفَا النَّدِيمِ ١ : ١٠٣	غَمَزَ
الْغَمَقُ ١ : ٢١٦ / ٢ : ١١٠	غَمَقَ
الْغَنَاءُ ١ : ٢١٦ / ٢ : ٦٥ ، ٣١١ ، ٣١٣ سَكِرَ الْغَنَاءُ ٢ :	غَنَى
٣٠٢ مَغْنَاهَا ١ : ١٨٨	
الْأَغْوَارُ ١ : ١٦٩	غَوَرَ
الْغَوَائِلُ ١ : ١٩٥	غَوَلَ
الْغَوَايَةُ ١ : ٣١٨ مَغَاوَى النَّاسِ ٢ : ٢٩٦	غَوَى
الْغَيْبُ ، الْغُيْبُ ٢ : ٢٠٣	غَيْبَ
أَغَارُ عَلَيْهِ ١ : ١٢٧	غَيَّرَ

ف

سَكِرَ الْفَتْرَةُ (١ : ٢٥٦)	فَتَرَ
الْفَاتِكُ ١ : ١٠٨	فَتَكَ
مَتَفَجَّحَ ١ : ٢٠٨	فَجَحَ
أَيَّامُ الْفِجَارِ ١ : ٢٥٥ / ٢ : ١١٥	فَجَرَ
يُفْجِمُ ١ : ٢٨٠	فَحِمَ
فَحْدًا نَبِيْلًا ١ : ٨٣	فَحِمَ
الْفَدَخُ ١ : ٧	فَدَخَ
الْمُفَذُّ ٢ : ١٢٣	فَذَذَ
مَفْرُثَةٌ ١ : ٨٧	فَرِثَ

فرج	: فرجاً ١ : ١٣٤ عملاً فروجه ١ : ٢٠٢ المفرج ٢ : ١٨٧
فرش	: الفرشون ١ : ٣١٦
فرع	: فرعت ١ : ١٧٩ يفرعون الشجعان ٢ : ١٢٧
فرند	: الفرند ٢ : ٢٧١
فرنق	: الفرانقيون ١ : ٢٠٦
فري	: الفرية ١ : ٢٩١
فزع	: مفزعاً ٢ : ٢٦
فسخ	: تفسخ ١ : ٢٠٧
فشو	: فاشيا ١ : ٢٥٤
فصل	: الفصل ١ : ١٠٥ / ٢ : ٣١٨
فضخ	: الفضخ ٢ : ٢٦١ ، ٢٧١
فضل	: الفضل ١ : ٢٣٧ الفضلية ١ : ٣٠٠
فقم	: تفاقم التركيب ١ : ٥٩
فلج	: الفلج ٢ : ١٩ ، ٢٩ صار فلجاً ٢ : ٢٣١
فلذج	: الفالوذج ٢ : ١١٦
فلز	: الفليز ١ : ١٩٤
فلق	: شاعر مُفلق ١ : ١٢٦
فلل	: تفلل الحز ١ : ٦٣ يفلل الحز ١ : ١٢٥ يفلل حدّ المستطيل
	٢ : ٢٨٩
فلن	: الفلانية ١ : ٣٢١
فلو	: الأفلاء ٢ : ١١٤
فند	: الإفناد ٢ : ٢٩٥
فنو	: الأفنية ١ : ١٨٨ أفناء بكر ١ : ٣١٣

فوره	: أفار الماء ١ : ٢٥٧
فوه	: فُود العصفُر ٢ : ١٠٥ الأفواد ٢ : ١٣٠

ق

قبط	: القُبطِيَّة ١ : ٨٤
قبع	: القبيعة ١ : ٢١٨
قبل	: قَبَلُوا دينَهم ١ : ٣٢٨
قبن	: القَبَانَات ١ : ٢١٤
قحل	: القَحْل ٢ : ٢٧١ القُحول ٢ : ١٣٦
قده	: القِدح ٢ : ١٤٢
قدد	: القِدِّ ١ : ٢٦٧ / ٢ : ٣١٣
قدر	: قوس مقتدرة ١ : ٣٢
قدس	: يقدس ١ : ٢٩٨
قدم	: المتقاد ٢ : ٢٢٣
قرح	: القَرَح ١ : ٢١٤
قرد	: القِرْدان ١ : ٢١
قرر	: المقرور ١ : ١٢١
قرش	: قريش . التقريش (٢ : ٢٥٦)
قرط	: القيراط ٢ : ١٤٤
قرع	: التقريع ١ : ١٣٣
قرن	: أقرن أهل الإسلام ٢ : ٣٥ المُقرن ٢ : ٣٥
قرى	: استواء القرى ٢ : ٣٠٥
قشب	: السَّحَّ القَشَب ١ : ١٨

قصر	: قَصْرُ الشَّمْسِ عن مجراها ٢ : ٣٢٣ القَصْر ١ : ١٧٦ قُصرة
	١ : ١٩٥
قصف	: القصف ٢ : ٢٦٥
قصو	: مستقصيا ١ : ١٤٠
قضف	: القضيف ١ : ٦٥ القِضا ف ١ : ١٥٩
قطب	: قُطوبه ١ : ١٩٧
قطع	: القِطعة ١ : (٢٥٦)
قطم	: الفحل القَطْم ١ : ١٨
قعد	: القِعدة ١ : ٣٢٦
قفو	: يقفُو ٢ : ١٧٧
قلت	: على قَلَّت ١ : (٤٨) .
قلد	: العهود المقلدة ١ : ٥
قلع	: القِلاع ٢ : ١١١
قما	: أقما ١ : ٦٩
قنط	: القانط ٢ : ٢٦٤
قنو	: قنا الأبناء ١ : ٢١٠
قور	: المقيِّر ٢ : ٢٦٢
قوف	: القائف ١ : ٢١٩
قول	: يستقيل ٢ : ١٥٩ قُلُ فيهم ٢ : ١١٨
قوم	: إقامته ٢ : ٢٦ القيم ٢ : ٦٣٠
قبل	: نقبل آياه ٢ : ٢٢٤
	ك
كنس	: الكناس ١ : ٨٩

المكابدة ٢ : ١٨٧	كبد
كُبر الشَّان ١ : ١٩٤ المحتقب لُكُبرد ٢ : ٢٢١ الكُبرة	كبر
١٥٣ : ١	
كُبَسَّهم ١ : ٢٠١	كبس
الكتاب ١ : ٣٥ . ٣٢	كتب
كاثروا ١ : ١٧٧ المكاثرة ٢ : ٣٠٠	كثر
التكذيب ١ : ٢٠٣	كذب
الكراب ٢ : ١٣٧	كرب
الكردات ٢ : ١٠٥	كرد
الكرّ ١ : ٢٨٦	كرر
أكرهتها ٢ : ١٠٥	كره
المُكارون ٢ : ١٠٠	كرى
أكساءهم ١ : ٢٠٤	كسأ
الإكسير ١ : ١٢٧	كسر
يكسِفُه ١ : ٩١	كسف
المكاشرة ٢ : ٣٠٠	كشر
الكشفة ٢ : ١٦٦	كشف
الكشمش ٢ : ٢٦٢ ، ٢٧١	كشمش
الكاعب ١ : ١٧٢ الكعاب ١ : ١٧٢	كعب
التكفَى ١ : ١٨٦	كفأ
كِفَاحاً ٢ : ٣١١	كفح
الكافور ٢ : ١٣٩	كفر
يكفِيها ٢ : ٢٦٤	كفى

كلب	: الكلاب ١ : ٣٣٨
كلح	: كلوحة ١ : ٩٧
كلف	: التكليف لفعل الخير ٢ : ٢٩٩ الكلفة ٢ : ٣١٧
كلا	: كل ٢ : ٥٩ الكل ٢ : ١٠٣
كلم	: المتكلم ٢ : (٢٥٠)
كمت	: الكمت ٢ : ٢٧٠
كمن	: الكمن ١ : ١٨٧
كمه	: الأكمه ١ : ٢٧٩ . ٣٠٧
كنف	: المكانفة ١ : ١٧٢ مكانفته ٢ : ٣٤
كنن	: الاكتنان ١ : ٢١
كنه	: كنه الحاجة ٢ : ٣٢١
كهب	: الكهبة ٢ : ١٤٧
كههم	: عبي كههم ٢ : ٤١
كور	: الكيران ٢ : ١٤٣
كون	: تقادم كونه ٢ : ٢٦٨ قدم الكون ٢ : ٢٦٣
كيس	: الكيس ١ : ١٨٩

ل

لا	: زيادتها ٢ : (١١٩)
ليب	: اللب ١ : ٩ اللبة ١ : ١٧٢
لبس	: يلبيس ٢ : ٢٣ ملايست ٢ : ١٧٧
لبك	: يلبك ٢ : ١١٧
لثق	: اللثق ١ : ٢١٦
لجج	: تلجج ٢ : ٧٠ ألج منه ١ : ١٦

لحج	: يلحج ١ : ٨٦
لحج	: ألح منه ١ : ١٦
لحم	: المُلحَم ١ : ٣١٧
لحو	: لاحاه ٢ : ٤١
لحي	: التَحَى ١ : ٣٥٠
لخص	: التلخيص ١ : ١٠٦
لزق	: التلزيق ١ : ١٥٢
لفظ	: الالافظة ٢ : ١٨٦
لفو	: أَلْفَى ٢ : ٣٦
لقح	: حَى لَقَاح ١ : ٣١١ / ٢ : ١١٩
لوه	: اللادوت ١ : (٣٥١ . ٣٥٠)
ليل	: ليل لائل ٢ : ٣١٤

م

منت	: منت ٢ : ٧١
متح	: الماتح ١ : ٨١
مثل	: المثلات ٢ : ١٥٨
مجن	: مُجَانِنَا ١ : ٣٢١
مصح	: الْمُحَّة ١ : ١٧٢ مُحَّ البِيض ٢ : ١٤١
محص	: مَحْصَتُكَ الخيرة ٢ : ٧١
محض	: مَحْضُهُ مَحْضًا ٢ : ٧١
محق	: المَحَاق ١ : ٩١
محك	: يَمْحَك ٢ : ٢٦٦
محل	: يَمْحَل ١ : ٢٩٨
مدل	: مَدَلَتْ ١ : ٣٥٠

مذى	المادى ٢ : ٢٦٨
مرأ	المروى ١ : ١٨١ - ١٨٢
مرج	مريج ٢ : ١٠٠ - ٣٠٥
مرر	المُرار ١ : ٢٢٨
مرع	مريعاً ١ : ١٢٣
مرق	مرقواهم ١ : ١٩٩
مرقن	المرقونية ١ : ٣٢١
مره	المَرَه ١ : ٨٧
مرى	الميراء ١ : ٦٨
مزح	مَزَحَت ١ : (٧٤)
مسخ	المَسَاخَة ١ : ٣١٦
مشمش	المشش ٢ : ٢٦٢
مصر	المِصر ١ : ٤٩ البِصران ٢ : ٢٠٢ مَصر المِصران ١ : ١٠
مصص	مُصاصهم ٢ : ٢٥٤
مطر	المِصران ١ : ٣٢٢
مطل	يَمُطُّله ١ : ٢١٨ البِطال ١ : ٢١٩
معد	المَعِد ٢ : ٢٦٧
مكك	الظباء المكِّيَّة ١ : ٣٣
ملا	مالتوا ١ : ٣٠٩
ملح	الملح ١ : ١٠٠ - ٣١٦
ملاك	الملكانية ١ : ٣١٠
ملل	يَمْلُونه ٢ : ١١٧ الممثل ٢ : ٢٦١
مليز	يسمليز ١ : ٢٢٧ المَلَّا ١ : ١٢٦ ، ٢ : ٩٧

ملى	: مليا ٢٣ : ١
منن	: المننة ٨٨ : ١ ممنونا عليه ٢ : ١٩٨
	: المنانية ١ : ٢٥٢ - ٣٢١
مهر	: المهارة ١ : ٢٨ المهيرات ١ : ٢٥٧
مهن	: المهنة ١ : ٢١٦
موت	: الموتان ١ : ٢٧٢
موه	: تموة ١ : ١٠٠ يموة الوجه ٢ : ٢٦٤
موى	: الماوية ١ : ٨٤
مير	: الميرة ٢ : ١١٨
ميس	: المساقى ٢ : ١٣٠
ميظ	: يماط ٢ : ٢٦٩ الميظ ٢ : ٢٠
ميل	: تميل ٢ : ٩٥ يميل ١ : ١٠٠ التميل ٢ : ٦٤

ن

نبت	: النابتة ١ : ٣٥١
نبد	: النبذ ١ : ٣١٣
نبل	: التنبيل ٢ : ١٦٩
نبه	: المعنى النبيه ١ : ٢٧١
نتف	: تنتف ١ : ١٠٠
نجم	: أنجتم ١ : ٣٢٥
نجد	: النجود ١ : ١٦٩ النجلية ١ : ٢٠٩
نجر	: النجار ٢ : ١٣٥
نجز	: تناجزوا ١ : ٢٤٣

نجل	: النجل ١ : ١٩١ نجلهم ٢ : ٢٠٢
نحت	: النحيته ٢ : ٢٣٩
نحل	: ينحل ٢ : ١٩٢
نخس	: النخاس ١ : ٢٠٧
ندد	: الندد ١ : ٨١
نرج	: النيرجات ١ : ٣٢٥
نزر	: النزر ٢ : ٢٠٧
نزع	: النزع ١ : ٢٠٨ النزع ١ : ٢١١ الأنزع ٢ : ٨٩
نزق	: النزق ٢ : ٣٠١
نسيج	: نسيج وحده ١ : ٩
نسم	: يتنسم ٢ : ١٣٦
نشأ	: النشو ٢ : ٣٢
نشر	: النشر ١ : ١٥٠ / ٢ : ٢١٤ انتشار الأمر ١ : ٣١٨ انتشار مذهبهم ١ : ٣٠٨
نصب	: نصب له ١ : ٢٦٤ ينصب ١ : ٥٩
نصع	: الظرف الناصع ١ : ٨٧ - ١٢٥ أنصع ظرفاً ١ : ١٠٠
نضج	: ناضج عنه ١ : ٢٦٥ ينضج ١ : ٩٦ نضوح للكبد ٢ : ٢٧٢ نضوحها ٢ : ٢٦٨
نطف	: النطف ٢ : ٣٠٧
نطق	: المنطق ١ : ٢٢٥
نعل	: نعل السيف ١ : ٢١٨
نفج	: النفج ٢ : ١٧٨
نفض	: ينفض عليه لونه ٢ : ٢٦٩ لينفضوا ١ : ١٢٧

نقّب	: نقابا ١ : ١٨ : النقباء ١ : ١٧
نقح	: نُقِّحَتْ ٢ : ٢٠٢
نقخُ	: نَقَخَ ١ : ١٢٣
نقر	: النَقِير ٢ : ٢٦٢ : التنقير ٢ : ٢٨٠
نقش	: المناقشة ١ : ٧٧ : المناقش ١ : ٨٥
نقص	: نَقَصِهِمْ ١ : ٢٨٠
نقض	: انتقض ١ : ٩٥ : ينتقض ١ : ٢٠٦ : الانتقاض ٢ : ١٨٠ أَنْقَضُ لِلطَّبِيعَةِ ٢ : ١٧٨
نقل	: المناقلة ١ : ١٢٥ : المناقلات ١ : ٣٥ : مناقل الحلم ٢ : ١٩٤
نقو	: تَنْقَى ١ : ١٩٥
نكس	: التُّكْس ١ : ١٥٥
نمر	: النمر النمر ١ : ١٨
نمط	: النَّمَط ٢ : ١٦٠
نرج	: (أَنْهَجَتَ الْجُود) ١ : ٧٧
نهر	: انتهره ٢ : ٦٣ : نُهَرِهِمْ ٢ : ١٤
نَهك	: نَهَكْنَاهُمْ ٢ : ١٦٩
نهم	: مِنْهُوْمًا ١ : ١٢
نهه	: يُنْهِنُهُ ١ : ٨٨
نوأ	: المُنَاوِي ١ : ٧٨ : مُنَاوِيًا ٢ : ٢٣٠
نوب	: تُنِيب ٢ : ١٦٦
نور	: مَنَارٌ مَسَاجِدُهُمْ ٢ : ١٤٢
نوك	: النوك ٢ : ١٩٢ : نوك السنهاء ١ : ٢٧

نوبه	: نسويها ١ : ١٤٠
نوى	: النوى ١ : ٥٨
هـ	
هـ.و	: الحبوة ٢ : ١٤٣
هـ.جدم	: هـ.جدم ١ : ٢٠٥
هـ.جر	: هـ.جارد ٢ : ٢٣٨
هـ.جم	: هـ.جم منزله ٢ : ١١٣
هـ.دب	: هـ.دب الأشفار ١ : ٦٦
هـ.دن	: هـ.دن ألسنتهم ١ : ٣٥ هـ.دان ١ : ٤١
هـ.ذ	: هـ.ذ هذا ذليقا ٢ : ٣١ هـ.ذد ١ : ١٢٥
هـ.ذر	: هـ.ذر هـ.ذار ٢ : ٢٢٩
هـ.ذى	: هـ.ذاذى ٢ : ٢٨٠
هـ.رج	: هـ.رج هـ.رجة ٢ : ٢١٣
هـ.رغ	: هـ.رغ هـ.رغ ٢ : ٢٦٤
هـ.رم	: هـ.رم هـ.رم ١ : ٢٠
هـ.زأ	: هـ.زأ هـ.زأ ٢ : ٢٨٠
هـ.زج	: هـ.زج هـ.زج ٢ : ٢٧٩
هـ.رم	: هـ.رم هـ.رم ٢ : ١١٨
هـ.ضض	: هـ.ضض هـ.ضض ٢ : ١٧٠
هـ.كل	: هـ.كل هـ.كل ٢ : ٢٠٣
هـ.كم	: هـ.كم هـ.كم ١ : ٢٧
هـ.اس	: هـ.اس هـ.اس ١ : ٢٧٢
هـ.مخ	: هـ.مخ هـ.مخ ٢ : ١١٠ . ٣١٤ هـ.مخ ٢ : ٣١٤

هملج	: الحملاج ١ : ٣٣
هور	: يهور الأعمار ٢ : ٩٤ يهوراً ١ : ٤٨
وتر	: الأوتار ٢ : ٢١٤
وثق	: الثقات ١ : ٣٠٩ ، ٣٢٤
وجد	: سأوجدك ١ : ٢٤٨ الجدة ٢ : ٧٠ أوجد منه ٢ : ١٧٥
وجم	: الوجمة ١ : ٨٥
وجه	: أوجهوهم ١ : ٤٧ وجه الدهر ١ : ١٧
وحد	: واحدة ٢ : ١٢٢ أوحدياً ٢ : ٧٠
وخز	: المُوخز ٢ : ٢٧١ وَخْزَةٌ ١ : ١٣
وخم	: التَّخَم ١ : ٢١٧
ودد	: وَدَّ ١ : ٢٥٤ الأودد ١ : ٣
ورع	: الرِّعَّة ٢ : ١٧٥ رِعْتُهُ ١ : ٨ سوء رِعَتِهَا ٢ : ٣٢٣
وزر	: موزور ١ : ٦
وسط	: الواسطة ١ : ٨
وسم	: مياسم الشعراء ٢ : ١٩٢ موسومة ١ : ٧٠
وسى	: واساه ١ : ٣٤٤
وصل	: الوصائل ٢ : ١٢٠
وضر	: الأوضار ١ : ١٢٦
وضم	: لحم على وضم ٢ : ٢٠٠
وغد	: الأوغد ٢ : ١٩٣
وفي	: لن تفي به ١ : ٢٣٨
وفج	: التبيحة ١ : ٢٩٤

وقى	: التَّقِيَّةُ ١ . ١٠٢ - ٢ : ١٧٧ . ٢٩٨
وكى	: أَوْكَنَّا . الْوَكَاءُ ٢ : ١٦٥
ولد	: الْوِلَادُ وَالْوِلَادَةُ ٢ : ٢٩٨ لِدَاتِكَ ٢ : ٧٠
وله	: التَّوْلِيَةُ ١ : ١٥٦
وهق	: الْوَهَقُ ١ : ٢٠٤
وهم	: وَهَمَهُ ٢ : ١٨٠ يَهْمُ ٢ : ٢٧١ وَهَمَكَ ١ : ١٧
	وَهْمَهُ ٢ : ٥٨

ى

يبب	: الْيَبَابُ ٢ : ١٤٢
يلدى	: الْيَدُ ١ : ٢٤٩ ، (٣٣٧) الْيَدَيْنِ ١ : (٣٤٥)
يسر	: يَسَارَهُ ٢ : ٢٩٨
يقق	: الْيَقَقُ ٢ : ٢٦٩
يمن	: صَفِيحَةُ يَمَانٍ ١ : ٥٤
يوم	: الْيَوْمُ ١ : ١٢٥

كلمات غير عربية

إسرائيل :	٣٤٦ : ١
الأسطرلاب :	٢١٥ : ١
يازيكند :	١٧٨ : ١
البرجاس :	٢٠٣ - ١٧٩ : ١
البركار :	٢١٥ : ١
بنجكار :	٣٢ : ١
تترش شيرين :	٢٦٧ - ٢٦٢ : ٢
الداقياد :	٢٦٩ : ٢
المداتين :	٢٧٩ : ٢
المدوشاب :	٢٧٠ : ٢
زغند :	١٧٣ : ١
الزنج :	(آلة موسيقية) ٢٧٩ : ٢
شاهسفرم :	٢٧٢ : ٢
القالودج :	١١٦ : ٢
القرصونات :	٢١٤ : ١
القولنج :	٢٧٠ : ٢
كافر كوب :	١٧٨ : ١
الكونيا :	٢١٥ : ١
نازاد :	٣٣٣ : ١
مرفشيش :	١٩٤ : ١
مغناطيس :	١٩٤ : ١
ملككا :	٣١٠ : ١

الفهرس السابع

٧ - فهرس مسائل العربية

- الاقتباس : الاقتباس من القرآن الكريم بترك بعض الحروف ١ : ٣٣٤ /
٢ : ١٣٣
- أل : استعمالها مع كل وبعض ٢ : ١٠٣
- الجمع : التعبير به عن المثنى ٢ : ٢٩٣
- العدد : تأنيثه مع المؤنث ١ : ٢٠٤
- لا : زيادتها ٢ : (١١٩)
- المجانس : بمعنى الجناس ١ : ٢٧٣
- النسب : زيادة النون في النسبة إلى العباد فيقال عبادانى ٢ : ١٤٧
- النون : حذف إحدى النونين : نون الوقاية ونون الرفع ١ : ٩٧ -
١٥٦ / ٢ : ٢٧

الفهرس الثامن

٨ - فهرس الأعلام^(٥)

أ

- آدم عليه السلام ١ : ٦ - ١٩٢ . ٢٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ - ٢٥٧ . ٣٠٥ ،
٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٢/٣٤٨ : ١٦٠ ، ١٧٩ : ٢١٤ ، ٣١٧
آسية بنت مزاحم . مؤمن آل فرعون ٢ : ١٣٣
إبراهيم عليه السلام . خليل الله ١ : ٤ ، ١٩١ - ١٩٢ . ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
٣٣٨ - ٢/٣٤١ : ١١٨ : ١٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦
إبراهيم بن السندی بن شاهك ١ : (٦٠) : ١٥٥
إبراهيم بن سيار النظام ١ : ٦٧ . ٢٨٧ . ٢/٣٣٨ : ٥٢ . ٥٣ . ٥٥
إبراهيم بن هرمة ٢ : ٩٧
إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعی ٢ : (٢٧٩)
إيليس ١ : ٢/٦ : ١٧٩ . ١٨٠ . ٢١٤ . ٣١٧
أبی بن كعب ١ : ٢٢٨ . ٢/٢٣٠ : ١٠٨ . ٢١٠ . ٣١٢
أحمد بن أبی دواد . أبو عبيد الله ١ : ٢٩٣ . ٢/٢٩٤ : ٧٢
أحمد بن سلام ١ : ١٣٦
أحمد بن عبد الوهاب ١ : ٦٠
الأحنف بن قيس ١ : ٢/٦٨ : ١٣٨ . ١٧٤ : ١٨٣ .
إخشيذ الصغادی ١ : ١٩٨
أرسططاليس ١ : ٧٢ ، ٣١٤
أزدشير بن بابك ٢ : ١٠٤ ، ١٨٢
أبو أزيهر الدوسي ١ : ٢٥٥
أسامة بن زيد . الحب بن الحب ١ : ٨٣ / ٢ : ٣١٨
أبو إسحاق . إبراهيم بن سيار النظام .
إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ١ : ١٧٠ . ١٩٣
إسحاق بن إبراهيم الموصلي ١ : ١٣٢

(٥) م. وضع من الأرقام بين قوسين فهو موضع الترجمة .

- إسحاق بن حسان - أبو يعقوب الخريمي ١ : ٣٦
إسحاق بن طالوت ١ : ٢٧٧ - ٢٧٨
أبو الأسد ٢ : ٤٠
أسد الله = حمزة ١ : ٣٤٠
إسرافيل (الملك) ٢ : ٢١٤ ، ٣١٧
إسرائئيل = يعقوب بن إسحاق .
إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ١ : ١٧٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٣٣١
إسماعيل بن جامع بن إسماعيل ٢ : (٧٨)
إسماعيل بن أبي خالد ٢ : ٩
إسماعيل بن علي ١ : (٩٨)
إشعيا ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦
الإصبيذ ٢ : (١٣٥)
أعوج (فرس) ١ : ٢٠١
الأعمش ١ : ١٣
الأغلب العجلي ١ : (٩٩)
أفلاطون ١ : ٧٢ - ٣١٥
إقليدس ١ : ٣١٤
أكثم بن صيفي ١ : ٢١٢
أمية بن أبي الصلت ٢ : ١١٦ - ١١٧
أنس بن مالك ٢ : (١٣٨) ، ١٣٩
أبو أنسة ١ : (١٨٤)
أنو شروان - كسرى
أهبان بن أوس ١ : (١٩٣)
أوس بن ثعلبة ٢ : (١٣٨)
أيوب السختياني ٢ : (٢٥٨)

ب

- بابك الخرمي ٢ : (١٣٥)
ابن بادام ١ : (٤٨)

بازام ، أو بازان ، أبو صالح ٢ : (٩) ، ١٠ ،
باقل ١ : ٢٠

بحيرا الراهب ١ : (٣١١)

بخت نصر ٢ : ١٢٠

بطريق خرشنة ٢ : ١٣٤

بطليموس ١ : ٣١٤

بقراط ١ : ٣١٥

أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ١ : ٢/٢٦٣ : ١٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ،
٣٥ ، ١٢٠ ، ٢٠٨ - ٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ،

٣١٤ - ٣١٦ ، ٣١٨

بكر بن عبد الله المزني ١ : (١١٦)

بكر بن أنخت عبد الواحد ٢ : (٣٠٠)

بلال بن رباح ٢ : ٢١٠ ، ٣١٣

بولس الحواري ١ : (٢٥٢)

ت

تبّع ٢ : ١٢٠

ث

ثمامة بن الأشرس ١ : ١٩٨ . (٢٨٧) ، ٢٨٩

ج

جالينوس ١ : ٣١٥

ابن جامع = إسماعيل

جبريل . روح الله . روح القدس ، سيد الملائكة ١ : ٣٤٨ ، ٢/٣٤٩ :

١١٨ . ٢١٤ ، ٣١٧ .

جرير ١ : ٩٩

جعدة السلمي ١ : (٨٨)

أبو جعفر ١ : ٦٧

جعفر بن دينار الخياط ١ : (٩٨)

جعفر بن سليمان ٢ : ١٣٩

جعفر بن أبي طالب . الطيار ١ : ٢/٣١٨ : ٢٤ : (٢٩٤) . ٣١٨
أبو جعفر المنصور ١ : ٢٤٧
أبو جهل بن هشام ٢ : ٣٤ . ١٨٤

ح

حاجب بن زرارة ١ : ٢٦٧
الحب بن الحب = أسامة بن زيد ١ : ١٨٣
الحجاج بن يوسف الثقفي ١ : ٣٧ . ٩٧ . ١٤٦
حذيفة بن بدر ٢ : ١٨٤
أبو الحسن المدائني ٢ : ١٣٩
الحسن بن وهب ١ : ٩٨ ، (١١٣)
الحسن (بن يسار) البصري ١ : ٢/٤ : ١٢٥
الحسين بن علي بن أبي طالب ٢ : ١٢٢ ، ١٢٤
حفص بن سليمان . أبو سلمة ١ : ١٨٤
أبو الحكم = عيسى بن أعين .
حماد (بن سلمة بن دينار البصري) ٢ : (٢٧٨)
الحمار ١ : ٢٤٥
أبو حمزة = عمرو بن أعين
حمزة بن عبد المطلب . أسد الله . أبو عمارة ١ : ٢٦٣ . ٣١٨ . ٣٤٠ : ٢/٣٤٠ : ٢٤ . ٣٤ . ٢٩٤

حميد بن عبد الحميد ١ : ١٩٨ . ١٩٩ . ٢٠٢
حنة بنت قنوثيل ١ : (٣٠٦)
أبو حنيفة النعمان ١ : ٤٥
حواء أم البشر ١ : ٢/٣٤٢ : ١٦٠

خ

* خالد ١ : ١٤٤
خالد بن إبراهيم الذهلي . أبو داود ١ : ١٨١
خالد بن الوليد . سيف الله ١ : ٣٤٠
خباب بن الأرت ٢ : ١٩ . ٢٠ . ٢٠٩ . ٢١٠ . ٢١٢ . ٣١٣
خبيب (بن عدي) ٢ : ٢٠٨

خديجة بنت خويلد . أم المؤمنين ٢ : ١٣٣

خريم الناعم ١ : (٣٦)

أبو الخطاب = قتادة بن دعامة

الخليل بن أحمد البصري ١ : ٤٠ ، ١٣٢ / ٢ : ١٣٨

خليل الرحمن ، خليل الله = إبراهيم عليه السلام

■

ابن دأب = عيسى بن يزيد

داود عليه السلام ١ : ٣٣٠ . ٣٣٥ ، ٣٤٢ / ٢ : ٢١٥ . ٣١٨

أبو داود = خالد بن إبراهيم

أبو دجانة ٢ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣١٣

دحمان = عبد الرحمن بن عمرو

أبو الدرداء ٢ : ٢٠٩ . ٢١٠ . ٣١٣

دريد بن الصمة ٢ : ١١٧

دغفل بن حنظلة ١ : (١٤٦)

أبو دواد الإيادي ١ : ٥٨

ديصان ١ : (٣٢١)

ديمقراط ١ : ٣١٥

ذ

أبو ذر الغفاري ٢ : ٣١٣

أبو ذؤيب الهذلي ٢ : ٢٥٦

ر

رشيدة مولاة صالح ١ : ١٣٦

رفقسي ١ : (٣٠٦)

الروح الأمين = جبريل ١ : ٣٤٩

روح بن زنباع الجذامي ، أبو زرعة ٢ : (١٣١)

روح القدس = جبريل ١ : ٣٤٨

روح الله = جبريل ١ : ٣٤٨

عيسى عليه السلام ١ : ٣٤١ ، ٣٤٨

ز

- زبذب ١ : (٦٧)
ابن الزبير = عبد الله
الزبير بن العوام ١ : ٢٣٢ . ٢٣٣ : ٢٦ . ٢٧ . ٢٠٨ . ٢٠٩ .
٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٣
زرادشت ١ : ٢٥٢ . ٣٢٧
الزراذريشي = صالح
أبو زرعة = روح بن زنباع
زكريا عليه السلام ١ : ٥٠
زلزل المغني ١ : (١٢٢)
زهير بن جذيمة العبسي ١ : (١٤٤)
زهير بن أبي سلمى ١ : ٣٤٠
زوزرى ابنة مرقس ١ : ٣٣٣
زياد بن أبيه ١ : ٩٧ / ٢ : ١٣٦ . ١٤٦
زيد بن ثابت القاري ١ : ٢٢٦ . ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ : ٢ / ٢٠٨ ، ٢١٠ .
(٢٩٤) ، ٣١٢ ، ٣١٤
زيد بن حارثة ١ : ١٨٣ / ٢ : ١٩ . ٢٠ . ٢٠٨ ، ٣١٢ . ٣١٨
زيد الخيل ٢ : ٢٢٤

س

- سابور ذو الأكتاف ٢ : ١٢٠
سارَى ١ : (٣٠٦)
ابن سامري ١ : ٤٨
ابن سريج = عبد الله
سعد بن عبادة ٢ : ٢٩٢ . ٢٩٣
سعد بن أبي وقاص ١ : ٢٣٢ . ٢٣٣ : ٢ / ٣١٨
سعيد بن جبير ١ : ١٣
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٢ : ٣١٨

- سعيد بن المسيب ٢ : ٢٥٧
سفيان (الثوري) ٢ : ٩
أبو سفيان بن حرب ٢ : ١٨٤
سلامة ٢ : ٢٢٣
سلمان الفارسي ١ : (٣١١)
أبو سلمة = حفص بن سليمان
سليمان بن داود عليهما السلام ١ : ١٩٣ ، ٣٣٣
سليمان بن كثير الخزاعي ، أبو محمد ١ : ١٨١
سليمان بن وهب ١ : ٩٨
سليمان بن يسار ، أبو أيوب ، أو أبو عبد الرحمن ، أو أبو عبد الله ٢ : (١٢٥)
أبو سهل = القاسم بن مجاشع
سيد بكر بن وائل = كليب
سيف الله = خالد بن الوليد
سيف بن ذي يزن ١ : ٢٦٩

ش

- شبل بن معبد ٢ : ١٨٤
شبيب بن بخار خدای ، أبو شجاع ١ : ٩٨
أبو شجاع = شبيب
شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي ٢ : (٢٧٨)
شعيب عليه السلام ١ : ٣٣١ ، ٢ : ١٠١ ، ١٠٣
شقرا ن ١ : (١٨٤)
شمعون الصفا ١ : ٣٣٣
شيبان (بن عبد العزيز الحروري) ٢ : (١٣٥)
شيبة - عبد المطلب بن هاشم
أبو شيبة - هاشم بن عبد مناف
شيرة ١ : ٢٦٩
شيطان ، التسمية به ١ : ٢٤٤

ص

- صالح عليه السلام ١ : ٣٣١ . ٣٤٠
أبو صالح - باذام ، أو باذان
صالح بن حباب ١ : ١٣
صالح مولى رشيدة ١ : ١٣٦
صالح الزرازريثي ١ : ٤٨
صالح بن أبي صالح ١ : ١٣٦
صالح بن علي ١ : ٩٨

ض

ابن ضبارة = عامر

ط

- أبو طالب بن عبد المطلب ٢ : ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٣٢
طالوت ٢ : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٣١٨
طاهر بن الحسين ١ : (٩٩)
انطرماس ٢ : ٢٠٤
طلحة بن عبيد الله ١ : ٢٣٢ ، ٢/٢٣٣ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٠٨ ،
٣١٢ . ٣٠٦
طليحة (بن خويلد . المتنبي) ٢ : ٢١٤

ظ

.....

ع

- عامر (بن شراحيل) الشعبي ٢ : ٢٥
عامر بن ضبارة ١ : ١٧٦ . ١٨٢
عامر بن الطفيل ٢ : ١٨٤
عائشة . أم المؤمنين ٢ : ٢٧ . ٣٠٦
العباس بن عبد المطلب ١ : ٢٦٣ . ٣١٨ : ٢ : ٢٤
أبو عبد الحميد = فحطبة بن شبيب
عبد الحميد الكاتب ١ : ٢٨٧ . ٢٨٩

- عبد الرحمن بن عمرو . دحمان ٢ : (٧٨)
عبد الرحمن بن عوف ١ : ٢٣٢ . ٢٣٣
عبد الرحمن بن مسلم . أبو مسلم ١ : ١٨٤
عبد الكريم بن أبي العوجاء ١ : (٢٧٧)
أبو عبد الله = أحمد بن أبي دواد
عبد الله بن أبي ١ : ٩
عبد الله بن جدعان ٢ : (١١٦)
عبد الله بن الزبير ١ : ١٢ ، ١٣ . ٢/٢٤٣ : ١١٠
عبد الله بن عباس ١ : ١٣ ، ٢/١٤ : ١٠
عبد الله بن عمر ٢ : ١٦٤
عبد الله بن عمرو ٢ : ١٣٤
عبد الله بن مسعود ١ : ٢٢٨ ، ٢٣٠ . ٢٣٢ ، ٢/٢٣٤ : ٣٥ ، ٢٠٨ ،

٣١٢

- عبد الله بن المقفع ، أبو عمرو ١ : ٤٤
عبد الله بن وهب الراسبي ١ : ٢/٢١٢ : ٢٦-٢٨
عبد المطلب بن هاشم . شيبة . أبو الحارث ٢ : ١٢٢ ، ١٨٣
عبد الملك بن صالح ١ : ١٥٥
عبد الملك . الغريص المغني ١ : (٢٧٨)
عبد الملك بن مروان ١ : ١٤٨ / ٢ : ١٣١
عبد مناف (بن قصي بن كلاب) . المغيرة ٢ : ١٢٢
عبيد الله بن زياد ٢ : ١٢٤
عبيد الله بن سريج ٢ : (٢٧٨)
أبو عبيدة بن الجراح ٢ : ٢١٣ . ٢٩٣ . ٣١٥
أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ٢ : ١٢٢ . ١٣٩
عتبة بن ربيعة ٢ : (١٨٤)
أبو عتبة - موسى بن كعب
عتيق = أبو بكر بن أبي قحافة ٢ : ١٢٠
عثمان بن عفان ١ : ٧٥ . ١٧٥ . ٢٣٢ . ٢/٢٣٣ : ٢٠ . ٢١ . ٣٠٦ .

عثمان بن مظعون ٢ : ٢٠٩ ، ٢١٠ . ٣١٣

عروة بن الزبير ١ : ١٤٠

عُزَيْر النبي ١ : ٣٠٤ . ٣٣٣ . ٣٣٤ . ٣٤٣ . ٣٤٦ .

العزير ، ملك مصر ٢ : ١٣٢ ، ٢٣٤ . ٢٣٥

ابن عفراء ٢ : ٢٠٨ . ٢٠٩ . ٣١٢ . ٣١٣

عقيل بن أبي طالب ٢ : ٢٤

عكاشة بن محصن ١ : ١٤٤

علوية = علي بن عبد الله

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٢ : ١٢٢

علي بن أبي طالب ١ : ٦٨ . ٢٩ ، ١٧٥ ، ٢٣٢ . ٢٣٣ . ٢٥٤ . ٢٥٥ ،

٢٦٣ ، ٣١٨ / ٢ : ٢٠ — ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ — ٣٠ ،

١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٦٠ ، ٢٠٨ —

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣١١ — ٣١٥

علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٢ : ١٢١

علي بن بن عبد الله بن العباس ١ : ٢ / ١٨٣ : ١٢١

علي بن عبد الله بن يوسف ، علوية ٢ : (٢٧٨)

عمار بن ياسر ٢ : ٢٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٣١٣

أبو عمار = حمزة بن عبد المطلب ٢ : ٢٩٤

ابن عمر = عبد الله

عمر بن الخطاب ١ : ١٤ . ٧٥ ، ٨٨ ، ٩٦ . ٢٣٤ . ٢ / ٢٦٣ : ٢١٠ ،

٣٥ ، ١١٧ ، ١٦٤ ، ٢٠٨ . ٢١٣ ، ١٩٣ . ٣٠٦ ، ٢٩٣ ،

٣١٥ . ٣١٢ . ٣٠٦

عمران بن إسماعيل . أبو النجم ١ : ١٨٤

عمرو = هاشم بن عبد مناف ٢ : ١١٢

أبو عمرو = لاهز بن قريظ

عمرو بن أعين . أبو حمزة ١ : ١٨٤

عمرو بن بحر الجاحظ ١ : ٢٦٧ : ١٥١

عمرو بن عبد ود ١ : (٢٥٤) . ٢٥٥

عمرو بن عبيد ١ : ٢٩٨

عمرو بن عثمان الشمرى ١ : (٣٠٠)

أبو عمرو بن العلاء ٢ : ١٨٣

عمرو بن مسعود ٢ : ٢١٠

عنيسة بن سعيد بن العاص ١ : (١٤٦)

ابن أبي العرجاء = عبد الكريم

عون النصراني ، العباداني ٢ : ١٤٧

عيسى بن أعين ، أبو الحكم ١ : ١٨٤

عيسى بن مريم عليه السلام ، روح الله ١ : ١٤٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٠ ،

٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٩ ، ٣٠٣ — ٣٠٤ ،

٣٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ / ٢ : ٢٧٢ . وانظر : (المسيح)

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ١ : (٢٥٥)

عيننة بن حصن ١ : ٢/٧٥ (١٨٤) .

غ

الغريض = عبد الملك .

ف

فاطمة بنت رسول الله ٢ : ١٣٣

الفتح بن خاقان ١ : (٨٣) .

فرج ٢ : ٢٢٣

أبو الفرج الكاتب — محمد بن نجاح

الفرزدق ١ : ٩٩

فرعون ١ : ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ / ٢ : ١٠١ ، ١٣٢ ، ٣٣٣ ، ١٨٣ .

فروة بن نوفل ٢ : (٢٨)

فضل ٢ : ٢٢٣

أبو الفضل ٢ : ٢٢٤

الفضل بن عيسى الرقاشي ١ : ٣٠٠

فيروز الديلمي ١ : (٢٦٩)

فيروز بن يزدجرد ٢ : ١٠٤

ق

القاسم بن سيار ١ : ١٩٨ ، ٢٠٢

القاسم بن مجاشع المَرْتَنِيّ . أبو سهل ١ : (١٨٢)

قنادة بن دغامة السدوسي . أبو الخطاب ٢ : (١٣١) . ١٣٤ .

قتيبة بن مسلم ٢ : ١٨٥

قحطان ١ : ١٩٣

قحطبة بن شبيب الطائي ، أبو عبد الحميد ١ : (١٨٦)

قيدار بن إسماعيل ١ : ٣٣٥

قيس بن زهير ١ : ٦٧ ، (٩٩)

قيس بن سعد بن عبادة ٢ : ٢٩٣

قيصر الروم ١ : ٢/٣١٢ : ١٢٧

ك

كاهنة اثين ٢ : ٢٥٦

كسرى أنوشروان ١ : ١٧٠ . ٢٦٧ ، ٢٦٩ . ٢/٣١٢ : ١٨٢ : ٢٣٠

أبو كلدة ١ : (٢٨٧) : ٢٨٩

(كليب بن ربيعة . سيد بكر بن وائل) ٢ : (١٨٣)

كليم الله = موسى ١ : ٣٤١

ل

لاعازر : (٣٢٦)

لاhez بن قريظ . أبو عمرو ١ : (١٨١) .

ابن لسان الحمرة ١ : (١٤٦)

لوط عليه السلام ٢ : ١٤٨

لوقش (لوقا) ١ : ٣٢٨ . ٩٢٩

ليلي (في شعر) ١ : ٣٤٠

م

- مارقش (مرقص) ١ : ٣٢٨ . ٣٣٣
 ماعز بن مالك الصحابي ٢ : (١٣٣)
 مالك بن الطواف المرئي ١ : ١٨٢
 مالك بن الهيثم الخزاعي . أبو نصر ١ : (١٨١)
 المأمون بن هارون الرشيد ١ : ١٩٨
 ماني صاحب المنانية ١ : ٢٥٢
 متي صاحب الإنجيل ١ : ٣٢٨
 مجاهد (بن جبر) ٢ : ٩ ، ١٠
 ابن محرز = مسلم
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ : ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٣٤١
 أبو محمد = سليمان بن كثير
 محمد بن الأشعث ١ : ١٨٢
 محمد بن الجهم ١ : ١٩٨
 محمد بن خازم . أبو معاوية ٢ (٩)
 محمد بن سيرين ٢ : ٢٥٨
 محمد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٢ : ١٢١
 محمد بن عبد الملك الزيات ١ : ٧٢ / ٢ : ٨٣
 محمد بن علي بن الحسين بن علي ٢ : ١٢١
 محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ١ : ١٧٤ . ١٨٣ / ٢ : ١٢١
 محمد بن مسلمة ٢ : ٢٠٨ . ٣١٢
 محمد نجاح بن سلمة . أبو الفرج الكاتب ٢ : (١٩١) ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
 مخارق (بن يحيى بن ناوس الجزار) ١ : ٦٧ . (١٢٢) / ٢ : (٢٨٧)
 مرقس بن شمعون الصفا = مارقش
 مرقون ١ : (٣٢١)
 مروان بن محمد ١ : ١٧٦ . ١٨١
 مريم بنت عمران (بن ماثان) عليها السلام ١ : ١٤١ . ٣٠٦ . ٣٤١ ،
 ٣٤٧ . ٣٤٨ . ٣٥٠ / ٢ : ١٣٣

- ابن مسعود = عبد الله
 أبو مسلم = عبد الرحمن بن مسلم
 مسلم بن محرز ٢ : (٢٧٨)
 مسلم بن يسار ٢ : (٢٥٨)
 مسيلمة الكذاب ٢ : ٢١٤
 معاذ بن جبل ٢ : ٢٠٩ . ٢١٠ . ٣١٣
 المسيح بن مريم عليهما السلام ١ : ١٤٩ . ٣٠٤ . ٣٠٧ . ٣٢٤ . ٣٢٥ .
 ٣٢٨ . ٣٣٠ . ٣٣٣ . ٣٣٤ . ٣٤٢ . ٣٤٧ . ٣٥٠ . وانظر : (عيسى)
 أبو معاوية = محمد بن خازم
 معاوية بن أبي سفيان ١ : ٢/٢٤٣ : ٢٥ : ٢٧ . ٢٥٣ .
 معبد (بن وهب) المغنى ٢ : (٢٧٧)
 المعتصم بالله العباسى ١ : ١٩٦ ، ٢٩٢
 معمر بن عباد السامى ١ : (٢٨٧) : ٢/٢٨٩ : ٥١
 المغيرة - عبد مناف
 المقنع الخراسانى ١ : (١٣٥)
 المقوقس ٢ : ١٢٧
 المنصور - أبو جعفر ١ : ١٨٣ . ٢٤٧
 منصور بن جمهور ١ : (٢٤٧)
 أبو منصور مولى خزاعة ١ : ١٨٤
 منصور (بن المعتز) ٢ : ٩
 ابن مهدي ٢ : ٩
 المهلب بن أبي صفرة ١ : ١٤٨ : ٢/١٨٣
 موسى بن عمران (بن يصر) عليه السلام . كتيبه الله ١ : ٢٥٧ . ٢٥٩ :
 ٢٧٠ : ٢٧٢ . ٣٣٥ . ٣٤١ . ٣٤٢ . ٣٤٩ : ٢/١٠ : ١١ .
 ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٣١ - ١٣٣
 موسى بن كعب المزنى . أبوعتيبة ١ : (١٨١ - ١٨٢)
 مؤمن آل فرعون = آسية
 ميكائيل (الملك) ٢ : ٨٧ . ٢١٤ . ٣١٧

ن

نباة بن حنظلة ١ : (١٦٨) . ١٨٢

النجاشي ١ : ٣١٢ / ٢ : ١٢٧

نحج ٢ : ٢٢٣ .

نجدة بن عامر ١ : (٢٠٩)

أبو النجم = عمران بن إسماعيل

أبو نصر = مالك بن الهيثم

نصر بن الحجاج ١ : (٨٨)

النظام = إبراهيم بن سيار

النعمان بن المنذر ١ : ٢٧٨

نوح عليه السلام ١ : ٢٥٢ . ٢٥٧

ه

هارون عليه السلام ١ : ٢٥٧ . ٣١٣

هاشم بن أشتاخنج ١ : ١ : ١٨٨

هاشم بن عبد مناف . عمرو ٢ : (١٢٢) ، ١٢٥

هاشم بن المغيرة = هاشم بن عبد مناف

هامان ١ : ٣٠٤

ابن هبيرة ١ : ١٧٦ . ١٨٢

هرثمة بن أعين ١ : ٩٩

هرم بن سنان ١ : ٣٤٠

هرمس ١ : ٧٢

ابن هرمة = إبراهيم

هود عليه السلام ١ : ٣٣١

و

ورقاء بن زهير ١ : ١٤٤

وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ٢ : (٢٧٨)

وكيع بن أبي سود ٢ : ١٨٥

الوليد بن عبد الملك ٢ : ١٨٢

وهب الدلال ١ : (٩٩)

ى

يحيى بن زكريا عليهما السلام ١ : ١٩٣ . ٢٤٠ . ٢٥٧ . ٢ / ٣٠٥ : ٢٤ .

٣٧

يحيى بن معاذ ١ : ١٩٨

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - إسرائيل ١ : ٣٢٩ . ٣٣١ ، ٣٣٣ .

٣٣٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

أبو يعقوب الحريري - إسحاق بن حسان

يعقوب بن عبيد ٢ : ٩٩

أبو يكسوم ٢ : ١٢٠

يوحنا الخواري ١ : ٣٢٨

يوحنا بن فرج ١ : ٣٠٥

يوسف عليه السلام ١ : ١٥ : ٢٦٧ : ٢ / ٣٣١ : ١٠١ . ١٣١ .

١٣٢ ، ١٣٤

أبويوسف ، الفقيه ٢ : ٢٦٢

يوسف بن عمر ٢ : ١٨٢

يوسف النجار ١ : ٣٢٦

يوسف بن عبيد ٢ : (٢٥٨)

الفهرس التاسع

٩ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها

أ

- الآزاد مردية ١ : ١٧٣
الإباضية ١ : ٢ / ٢٠٩ : ١٢٨
الأبناء ، البنيون ١ : ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٤ . ٢١٠ .
٢١١
الأتاويون ٢ : ١٨٨
الأتراك = الترك
الأحلاف ١ : ٢٥٥
الأردوان ٢ : ١٠٤
الأزارقة ١ : ٢٠٢ ، ٢ / ٢٠٩ : ٢٥٠
الأزد ٢ : ١٨٣
بنو إصحاق ٢ : ٢٣٨
أسد بن عبد الغزى ٢ : ٢٣٨
بنو إسرائيل ١ : ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ . ٣٣٥ / ٢ : ٢١٥ ،
٣١٨
أصحاب التشبيه = المشبهة
أصحاب الرؤية ٢ : ٨
الأطباء ١ : ١١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ / ٢ : ٢٤٧
الأعراب ١ : ١٥٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥ /
١١٧ : ٢
الأكراد ١ : ٢٦٨
أكراد العرب - هذيل ١ : ٢١٧
الأكراد ٢ : ١٠٢
أمهات المؤمنين ١ : ١٩١
بنو أمية ١ : ٢٣٢

الأنصار ١ : ١٠ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٣٢ ، ٣٠٩ ، ٢ : ٢٣٨ ،
٢٧٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٢٠٦
الأوس ١ : ١٧٣ ، ٢ : ٢٣٨ ، ٢٩٢
إياد ١ : ٣١٣

ب

باهلة ١ : ١٤٩
البير ١ : ٣٢٧
بجيلة ١ : ٩٨
البحرانيون ٢ : ١٢٨
البدريون ٢ : ٣١٨
أصحاب البرانس ٢ : ٢٨
البصريون ١ : ٢٦٠ / ٢ : ١٤٤
بكر بن وائل ١ : ١٣ / ٢ : ١٨٣
البكرية (الفرقة) ١ : ٣٠٠
البلالية (الفرقة) ١ : ١٨٧
البنويون = الأبناء

ت

أهل تبت ١ : ١٧٧
التتر ١ : ٣٢٧ ح
التجار ٢ : ٢٥٣ — ٢٥٦
الترك ١ : ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٩ ، ١٩٤ — ١٩٦ ،
١٩٩ ، ٢٠٠ — ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ / ٢ : ١٢٦
التغزغز ٢ : ١٢٦
تهميم ١ : ١٦٩ — ٢ : ١١٨ ، ١٨٣
أصحاب التناسخ ١ : ١٠٢

ث

الثغريون ١ : ٢٠٦

تقيف ٢ : ١١٥

نمود ١ : ١٧٧ / ٢ : ١٥٨

ج

الجبرية ١ : ٣٠٠ . ٣٤٥

آل ذي الجدين ١ : ٣١٣

الجزريون ١ : ٢٠٩

الجمالون ٢ : ١٠٠

أهل الجهاز ٢ : ١٠٠

أصحاب الجوربين ١ : ١٧٣

ح

الحارث بن كعب ١ : ٣١٣ / ٢ : ١١٥ ، ١٢٧

الحاكة ١ : ٢١٠ - ٢ : ١٢٨

الحبش . الحبشة ١ : ١٦٨ / ٢ : ٤٧ . ١٢٧

الحجازيون ١ : ١٦٩

الحجامون ١ : ٢٠٩ . ٣١٦ / ٢ : ١٢٨

أهل الحرم ١ : ١٤

الحزبية ١ : ١٨٧

الحساب ١ : ٣١ / ٢ : ٢٤٦ . ٢٤٨ . ٢٤٩

الحشوية ١ : ٢٨٨ . ٣٥١

الحكماء ١ : ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ . ٢ / ٧٧

الحمس . قريش ١ : ٤٧ / ٢ : ١١٥ . ١١٩ . ١٢٧

حمير ١ : ١٦٩ . ١٣

الحواريون ١ : ٣٢٨ - ٣٣٠ : ٣٣٣

خ

الخراسانية ١ : ١٦٨ . ١٧١ . ١٧٣ . ١٨٤ . ١٨٥ : ١٩١

١٩٤ . ٢٠٤ . ٢١١

خزاعة ١ : ١٨٤ : ٢ : ١١٤ . ١١٥

(٢٦ رسائل الجاحظ -- ح ٤)

- الخزر ١ : ٣٠٧ . ٣٢٥ . ٣٢٧
الخزرج ١ : ١٧٣ / ٢ : ٢٣٨ ، ٢٩٢
الخزرجية ٢ : ١٢٧
الخصيان ١ : ٢٠٦
الخطاطون ١ : ٣١ . ٣٩
أصحاب الخلقان ١ : ٢١٠ / ٢ : ١٢٨
الخليدية ١ : ١٨٧
أصحاب الخنادق = الخندقية
الخوارج ١ : ١٩٩ — ٢١١ . ٢٣٣ . ٢٦٨ . ٢٩٨ ، ٢ : ٥٤
١٢٧ . ١٧٣ . ١٨٥ ، ٢٥٠
الخوز ٢ : ١٢٨

د

- الدالية ١ : ١٧٥
الدباغون ١ : ٣١٦
الدمشقيون ١ : ٨٥
الدهرية ١ : ٢٥٠ . ٣١٤ . ٣١٥
الديصانية ١ : ٣٢١
الديلم ١ : ٣٢٥ . ٣٢٧

ذ

- الذكوانية ١ : ١٧٥

ر

- الراشدية ١ : ١٧٦
الرافضة ، الروافض ١ : ١٠٢ . ٢٣٣ . ٢٥٤ . ٢٨٧ ، ٢٩٦ ،
٢٩٨ . ٣٠٠ . ٣٥١ / ٢ : ٢٤ . ٢٠٧
ربيعة ١ : ٣١٣
أهل الردة ٢ : ٢١٤ . ٣١٦
الرهبان ١ : ٣١١ ، ٣٢١ . ٣٢٢ ، ٢ : ٥٤

الروافض = الرافضة :

الروم ١ : ١٦٨ . ١٧٧ ، ٢٦٨ . ٣١٢ - ٣١٥ ، ٣٢٣ ،
١٨٢ ، ١٢٧ : ٢ / ٣٤٦

ز

الزغندية ١ : ١٧٣

الزنادقة ١ : ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤

الزنج ، الزنوج ١ : ١٦٨ ، ١٩٢ / ٢ : ٢٧٧

الزنوج = الزنج

الزهاد ٢ : ٢٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٤

بنوزهرة ٢ : ٢٢٨

الزيدية ٢ : ٢٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٧

س

الساسانيون . آل ساسان ١ : ٢١٤ ، ٢١٨ / ٢ : ١٨٢

السجستانيون ١ : ٢٠٩ / ٢ : ١٢٨

السحرة ٢ : ٢٢ . ١٣٣

سعد بن بكر ٢ : ١١٧ . ١٤٣ ، ٢٣٨

سفل قيس ١ : ١٦٩

بنوسفیان ١ : ١٧٥

بنو سليم ٢ : ١١٤

أصحاب السجاد ٢ : ١٢٨

الساكون ١ : ٢١٠ / ٢ : ١٢٨

السند ٢ : ١٢٨

ش

الشاكزية ١ : ١٩٠ . ٣١٧

الشعابون ١ : ٣١٦

الشمزية ١ : ٣٠٠

أهل الشورى ٢ . ٢٥

الشيعة ١ : ١٦٧ . ٢٣٣ . ٢٣٤ ٢ : ٢٨ . ٢٠٧ . ٢٥٠ .
٣١١

شعبة الأتراك ١ : ١٧٤ . ١٨٥

ص

الصابئة ١ : ٣٠٦ . ٣٢٠ . ٣٢٣ . ٣٢٤

الصباغون ١ : ٣١٦

الصحصحية ١ : ١٧٥

الصفرية ١ : ٢٠٩

الصقالبية ١ : ١٦٨

الصيارفة ١ : ٤٥ . ٤٩ . ٣١٦

أهل الصين ١ : ٢١٤ — ٢١٦ . ٢١٨ . ٢١٩

ض

.....

ط

آل أبي طالب ٢ : ١٢٢ — ١٢٤

الطوائف ١ : ٢٦٨ / ٢ : ٣٠٥

الطيلسان ١ : ٣٢٧

طبيء ١ : ٣١٣

ظ

.....

ع

عاد : ١ : ١٧٧

آل أبي العاص ١ : ٢٣٢

عامر بن صعصعة ١ : ١٤٩ / ٢ : ١١٥ . ١١٨ . ١٢٧

العامالية ٢ : ١٠

العباد ١ : ٣١٣

- عباد البددة ٣٠٦ : ١
 عبد شمس ١٢٥ : ٢
 عبد القيس ٣١٣ : ١
 عبد مناف ٢١٢ . ١٢٥ : ٢ / ١٧١ : ١
 عيس ١٤٩ : ١
 العثمانية ٢٨ . ٢٢ . ١٩ : ٢
 عجز هوازن ١٦٩ : ١
 العجم ١١٤ : ٢ / ٢١٧ ٢١٠ : ٢٠٩ . ١٩١ : ١٥٦ : ١
 ٣١٣ ، ٢٨٥ ، ٢٠٩
 عدنان ١٩٣ : ١٧٠ : ١
 العدنانية = عدنان
 العروضيون ٢٤٦ : ٢ - ٣١ : ١
 العطارون ٣١٦ : ١
 عليا تميم ١٦٩ : ١
 العالقة ١٧٧ : ١
 العانيون ٢٠٩ : ١
 عمرو مزيقيا ٢٣٨ : ٢
 العمريون ٢٣٤ : ١
 العوام . العامة ٣٠٨ : ٣٠٠ : ٢٩٧ . ٢٦٢ : ٩٥ : ٣٨ : ١
 ٢٢٢ . ١٨٢ . ٤٣ . ٣٨ - ٣٦ : ٢ / ٣١٦ . ٣٠٩
 ٣٠٠ . ٢٨٩ . ٢٤٨

غ

- غسان ، الغسانيون ١٢٠ : ٢ / ٣١٣ ٣١١ : ١
 غطفان ١٨٤ . ١١٨ : ٢ / ١٤٩ : ١
 الغلاة ٢٥٠ : ٢
 غنى ١٤٩ : ١

ف

فارس = الفرس

فراشو الملوك ١ : ٣١٦

الفرانقيون ١ : ٢٠٦

الفرس ١ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٣٠٤ / ٢ : ١٠٣ ، ١٨٢

الفرسان ١ : ٣١

الفرضيون ١ : ٣١ / ٢ : ٢٤٦

الفضلية ١ : ٣٠٠

الفقهاء ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ / ٢ : ٩ ، ٢٠٨

٣١٢ ، ٣١٤

الفلاسفة ١ : ١٣١

الفلانية ١ : ٣٢١

ق

القبط ١ : ٢٧٠ — ٢٧٢

قحطان ١ : ١٩٣ ، ٢٢٩

قريش ١ : ٤٥ — ٤٧ : ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٢ ، ٢٧٣ / ٢ : ٢٤ ، ٢٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ — ١٢٧ ، ٢١٠ — ٢١٢ ،

٢٣٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

القصابون ١ : ٣١٦

القصاصون ١ : ٢٤٨ ، ٢٩٧

القمضاة ١ : ٣١ / ٢ : ١٨٨ ، ٢٥٠

بنو قيدار ١ : ٣٣٥

قيس ١ : ١٦٩

ك

أهل الكتاب ١ : ٣٢٩

الكتّاب ١ : ٣١ ، ١٨٤ ، ٣١٦ / ٢ : ٢٠٢ ، ٢٤٦

- الكتفية ١ : ١٧٣ - ١٨٧
الكفية ١ : ٧٣
كنانة ١ : ٧٣
الكنعانيون ١ : ١٧٧
الكهان ، الكهنة ١ : ٢٦٢ / ٢ : ٢٢ ، ٣١
الكوفيون ١ : ٢٦٠

ل

- أهل الله = أهل مكة
لحم ، اللخميون ١ : ٣١١ ، ٣١٣ / ٢ : ١٢٠
قوم لوط ٢ : ١٥٨

م

- مأجوج ١ : ١٧٧
المتكلمون ١ : ٤٤ ، ٢٢٤ ، ٢٩٢ - ٣٢٩ - ٣٣٧ / ٢ : ٢٢
٢٤٣ - ٢٥٠
المتنبئون ٢ : ٣١ ، ٦٠
المجوس ١ : ٢٥٠ - ٢٥٢ - ٣٠٦ - ٣٠٨
مخزوم ٢ : ١٢٥
المرجئة ١ : ٢٣٣ / ٢ : ٢٤٣ - ٢٥٠
المرقونية ١ : ٣٢١
مرة بن عوف ٢ : ١١٥
بنو مروان ١ : ١٧٥
المستجيبة ١ : ١٧٣ - ٣٢٨
المشبهة ١ : ٢٥٣ - ٢٩١ - ٣٥١ / ٢ : ٥ - ٧ - ١٣
أصحاب المشهرات ١ : ١٨٦
المصريون ١ : ٣٣٥
مضر ١ : ٢٦٧ - ٣١٣
المطيون ١ : ٢٥٥

- المعتزلة ١ : ٢٣٣ . ٣٠٠ . ٣٣٨ / ٢ : ٢٥٠
 معد بن عدنان ١ : ٢٢٩
 المعلمون . المؤدبون ١ : ٢٧ . ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ — ٣٥ ،
 ٩٧ : ٢ / ٤٤
 آل أبي معيط ١ : ١٨٤
 أهل المغرب ٢ : ١٣٤
 المغربيون ١ : ٢٠٩
 المغثون ١ : ١٣١
 المكارون ٢ : ١٠٠
 الملاحون ٢ : ١٢٨
 الملائكة ١ : ٦ . ١٩٢ . ١٩٣ . ٣٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ /
 ٢ : ١٨٠ ، ٢٧٧ ، ٣١٧
 الملكية ١ : ٣١٠ . ٣٢٤ / ٢ : ١٤٢
 المنائية ١ : ٢٥٢ . ٣١١
 المنجمون ١ : ٢٦١ — ٢٦٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ —
 ٣٢٧ / ٢ : ٢٢ . ٣١ . ٢٤٧
 بنو منقر ١ : ٩٨
 المهاجرون ١ : ١٨٣ . ٢٣٢ . ٣٠٩ . ٣١٠ ، ٢٧٦ : ٢
 ٣٠٦ . ٣١٥ . ٣١٨
 المؤدبون . المعلمون ١ : ٣٠
 المهندسون ٢ : ٢٤٧ ، ٢٤٩

ن

- النابتة ١ : ٢٨٨ . ٢٩٦ . ٣٠٠ . ٣٥١ ، ١٧٣ : ٢ ،
 ٢٤٣
 النجباء ١ : ١٧٢ . ١٧٣
 النجديون . النجدات ١ : ٢٠٩
 النحاة . النحويون ١ : ٣١ . ٣٣٧
 النخاسون ١ : ٢١٠ ، ١٢٨ : ٢

النساء ١ : ١٣٩ - ١٥٩
 النسطورية ١ : ٣٢٢ - ٣٢٤
 النصارى ١ : ٢٥٠ - ٢٥٤ - ٢٧٢ - ٣٠٣ - ٣٠٧ - ٣٣٦ ،
 ١٢٧ - ١٢٠ : ٢ / ٣٤١
 النقباء ١ : ١٧٢ - ١٧٣ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٤
 نيم خزان ١ : ١٧٣
 النيمة ١ : ١٧٣

هـ

بنو هاشم ١ : ١٢ - ١٤ - ١٧١ - ١٨٣ - ٢ / ٢٣٢ : ١٢١ ،
 ١٢٢ - ١٣٥ - ١٨٣ : ٢٣٨
 هذيل ، أكراد العرب ١ : ٢١٧
 الهند ١ : ٣٩ - ١٧٧ - ٣٠٦ - ٣١٥ - ٣٢٥ - ٣٢٧
 دوازن ١ : ١٦٩ / ٢ : ١٦٣

و

الوراقون ٢ : ٩٧
 الوزراء ١ : ٣١ - ١٦٤ - ٨٨ / ٢ : ١٣٤
 الوكلاء ٢ : ٩٧ - ١٠٠ - ١٠٢

ى

ياجوج ١ : ١٧٧
 يعقوبية ١ : ٣١٠ - ٣٢٢ - ٣٢٤ / ٢ : ١٢٤
 اليماميون ٢ : ١٢٨
 اليمانية ١ : ٢٠٩ - ٢٤٣ - ٣١٣
 اليهود ١ : ٢٥٠ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٧٠ - ٢٧٢ - ٣٠٤
 ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣١٦ - ٣٢٠ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٣٠
 ٣٣٤ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٧ - ٣٥١
 وانظر : بنو إسرائيل
 اليونانيون ١ : ٢١٤ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٣١٥

الفهرس العاشر

١٠ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها

أ

- الأبلة ١ : ٢ / ٤٦ : ١٢٩
أحد ١ : ٢٨١
الأرض = مصر ٢ : ١٣٢ : ١٣٤
إفريقية ١ : ١٨٢
الأقاليم السبعة ٢ : ١٢٢
أم القرى = مكة ٢ : ١١٠
الأندلس ٢ : ٤٧
أنطاكية ٢ : ١٣٠
الأهواز ١ : ٤٥ ، ٤٨ / ٢ : ١٣٠ ، ١٣٥ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩

ب

- البحرين ١ : ٢٤٧ - ٢٤٨
بشار ٢ : ٢٦
البصرة ١ : ٤٥ ، ١٧٥ ، ٢٤٨ / ٢ : ١٣٦ ، ١٣٨ ،
١٤٠ ، ١٤٣ - ١٤٧ ، ١٨٤
البيطحاء ١ : ١٥ / ٢ : ٣٤
البيطيحة ٢ : ١٤٠ ، ١٤٦
بغداد - مدينة السلام ١ : ١٣٤ ، ١٨٥ باسم خراسان العراق ،
١٨٨ : ٢ : ١٠٤ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤
بلد ٢ : ١٣٦
البلد = مكة ٢ : ١١٩
بيت الله - البيت الحرام - البيت العتيق - الكعبة ١ : ١٤٧ ، ٣٤٠ /
٢ : ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩

بيت المال ٢ : ٢٠٩

ت

تاهرت ٢ : ١٢٨

تبت ١ : ١٧٧

تهامة ١ : ٣١١

تيماء ١ : ٣١٣

ث

ثهلان ١ : ٩٢ / ٢ : ١٧٤

ج

جبانة البصرة ٢ : ١٣٩

الجزائر ١ : ٣٣٥

الجزيرة ١ : ١٧٥

الجسر ٢ : ١٤١

جلولاء ٢ : ١٦٤

ح

الحبشة ١ : ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣

الحجاز ١ : ٢٧٠ / ٢ : ١١٠ ، ١٣١

الحجر ٢ : ١١٨

الحجر الأسود ٢ : ١١٨

حراة ٢ : ١١٩

الحرم ١ : ١٤

حرم المدينة ٢ : ٢٧٦

الحررة ٢ : ٢٥٤

حنين ١ : ٢٨١

الحيرة ، الحيرة البيضاء ١ : ٤٦ ، ٣١٣ / ٢ : ١١٩ ، ١٤٧

خ

خراسان ١ : ١٧٣ : ٢ : ١٢٣ . ١٨٥

خراسان العراق = بغداد ١ : ١٨٥

خرشنة ٢ : ١٣٤

ـ

دار جعفر بن سليمان ٢ : ١٣٩

دار الخلافة ١ : ١٩٨

دار عون النصراني العباداني ٢ : ١٤٧

دار فرعون ٢ : ١٣٢

دار معبد وجماعة آخرين ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٩

دار الندوة ٢ : ١١٩ ، ١٨٤

دار الحجر ٢ : ٢٧٦

دجلة : الدجلة ٢ : ١٠٣ . ١٢٩ ، ١٣٦ . ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١

دمشق ١ : ٨٥

ذ

ذات كهف ٢ : ١١٥

ذو الحجاز ٢ : ١١٨

ر

بلاد الروم ١ : ٣٤٦

ز

الزبان ٢ : ١٣٧

الزابع ١ : ١٧٧

زوزم ، هزيمة جبريل ٢ : ١١٨

س

سابور ٢ : ١٢٩ . ١٣٠

السقيفة ٢ : ٢٩٣ . ٣٠٦

السند ١ : ١٨٢
السواد ١ : ٢٦٧ - ٢٧١
السوس الأقصى ٢ : ١١٩
سوق الأهواز ٢ : ٢٦٢
سوق عكاظ ٢ : ٢٥٦

ش

الشام ، الشامات ١ : ١٧٥ : ١٧٨ ، ٢٧٠ - ٢٧١ - ٣١٢ ،
٣١٢ - ٣٤٦ / ٢ : ١١٠ : ١٣١ - ١٤٤
الشامات = الشام ٢ : ١٤٤

ص

الصراة ٢ : ١٠٣
صنين ١ : ٢٥٨ / ٢ : ٢٧ : ٢٩٤
الصين ١ : ٢١٤ - ٢١٦ - ٢١٦ - ٢١٨ / ٢ : ٤٧

ض

.....

ط

الطائف ١ : ٣١٢ ، ٢ : ١١٥
طيبة - المدينة ٢ : ١٣٠

ظ

.....

ع

العراق ١ : ٢٧٠ : ٢ : ١١٠ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٩ - ١٧٤ - ١٨٢
عرفة - عرفات ١ : ٢٣٠
العسكر ٢ : ١٤٤
العسكران ٢ : ٢٠٢

عكاظ ٢ : ١١٨ ، ٢٥٦

عمورية ١ : ١٧٤

غ

.....

ف

الفرات ٢ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤١

فرغانة ٢ : ٤٧

ق

قصر أنس بن مالك ٢ : ١٣٩

قصر أوس بن ثعلبة ٢ : ١٣٨

القليب - (قليب بدر) ٢ : ٢٩٥

ك

الكعبة - بيت الله ١ : ٤٧ ، ١٤٧ ، ٢/٣٤٠ ، ١١٦ ، ١١٨ ،

١١٩

الكوفة ١ : ١٧٥ ، ٢٤٨ ، ٢ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ .

١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧

ل

.....

م

مخالف اليمن ١ : ١٦٩

المدينة ، مدينة الرسول ، يثرب ١ : ٩ ، ١٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ .

٢/٣١٣ : ٢٥ ، ١١٠ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ٢٧٦ .

٢٧٧ ، ٣١٥

المدينة = مصر ٢ : ١٣٢

مدينة الرسول - المدينة ٢ : ٢٧٦

مدينة السلام ، بغداد ١ : ١٣٤

المذار ٢ : ١٤٠

المربد ٢ : ١٣٩

مسجد دمشق ١ : ٨٥

مسجد الكوفة ٢ : ١٤٣

مصر . الأرض . المدينة ١ : ٣٣٥ ، ٢ : ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٣ .

١٣١ - ١٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٦٩

المصران ٢ : ٢٠٢

مكة . أم القرى . البلد ١ : ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٣٤٠ / ٢ : ٢٠ ،

٢١ - ٣٤ - ١١٠ : ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٥ ،

١٢٨ - ١٣٠ ، ٢٧٧

المنصورة ١ : ٢٤٧ ، ٢٤٨

منف ٢ : ١٣٢

مؤتة ١ : ١٨٣ / ٢ : ٢٩٤ : ٣١٨

ن

نجران ١ : ٣١٣

النهر . النهروان ١ : ٢٥٨ ، ٢ : ٢٧

نهر أبي الأسد ٢ : ١٤٠

نهر الكوفة ٢ : ١٤١

النهروانات ٢ : ١٣٧

النيـل . نيل الكوفة ٢ : ١٣٦ - ١٤٢

النيـل ، قرية بالكوفة ٢ : ١٤٢

هـ

هزيمة جبريل : زمزم ٢ : ١١٨

و

وادي القرى ١ : ٣١٣

وراء النهر ١ : ١٧٧

ي

يثرب . المدينة ١ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣

الينامة ٢ : ٢١٣

اليمن ١ : ١٦٩ ، ٢٤٣ - ٢٧٠ - ٣٤٦ / ٢ : ٢٥٦

الفهرس الحادى عشر

١١ - فهرس الكتب^(٥)

-
- إقليدس ، لإقليدس ١ : ٣١٤
الإنجيل ١ : ٢٧٠ ، ٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
إنجيل مرقش ١ : ٢٣٣
التوراة ١ : ٢٧٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٦
* خصال بنى هاشم ، للجاحظ ٢ : ١٢٥
* الرافضة ، للجاحظ ٢ : ٣١٧
الزبور ١ : ٢٧٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥
* الزرع والنخل ، للجاحظ ٢ : ١٣
العروض ، للخليل بن أحمد ١ : ١٣٢
العلوى ، لأرسططاليس ١ : ٣١٤
كتاب إشعيا ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦
كتب أفلاطون ١ : ٣١٥
كتب بقراط ١ : ٣١٥
كتب أبى حنيفة ١ : ٤٥
كتب ديمقراط ١ : ٣١٥
كتب المنانية ١ : ٣٢١
المجسطى ، لبطليموس ١ : ٣١٤
المنطق والكون والفساد ، لأرسططاليس ١ : ٣١٤
الهاشمية ، لابن المقفع ١ : ٤٤

(٥) ما قرأه بنحو فهو من تأليف الخ جود .

الفهرس الثاني عشر

١٢ - فهرس الفهارس

٣٢٧	١ - فهرس القرآن الكريم
٣٣٢	٢ - فهرس الحديث
٣٣٣	٣ - فهرس النصوص المأثورة
٣٣٦	٤ - فهرس الأمثال
٣٣٩	٥ - فهرس الأشعار
٣٤١	٦ - فهرس اللغة
٣٨٢	٧ - فهرس مسائل العربية
٣٨٣	٨ - فهرس الأعلام
٣٩٩	٩ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها
٤١٠	١٠ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها
٤١٦	١١ - فهرس الكتب

مراجع الشرح والتحقيق

- الآثار الباقية ، للبديوي . ليبسك ١٨٧٨ م
 إتخاف فضلاء البشر ، لدمباطي . حنفي ١٣٥٩ .
 الإتيقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل . المشهد الحسيني ١٣٨٧
 أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، تحقيق محمد محي الدين . السعادة ١٣٨٢
 أدب الكتاب ، للصولي ، تحقيق محمد بهجة الأثري . السلفية ١٣٤١
 أزهار الأفكار ، للتيغاشي ، تحقيق محمد حسن يوسف . الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ م .
 أساس البلاغة ، للزمخشري . دار الكتب المصرية ١٣٤١
 لاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون . السنة ١٣٧٨ .
 الإصاغة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .
 إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٩٧٠ م
 الأصمعيات ، شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٩٦٧ م
 الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني . التقدم ١٣٢٣
 الألف الختارة من صحيح البخاري ، لعبد السلام هارون . المعارف ١٩٦٥ م
 الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدي شير . بيروت ١٩٠٨ م
 أملى الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون . المذني ١٣٨٢
 أمالي القاضي . دار الكتب ١٣٤٤
 أملى المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . عيسى الحلبي ١٣٧٣
 الأمثال ، للضبي . الجوائد ١٣٠٠
 إنجيل مرقس ، من العهد الجديد .
 إنجيل يوحنا ، من العهد الجديد .
 الأنساب ، للسمعاني . ليدن ١٩١٢ م .
 البرهان ، ، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل . عيسى الحلبي ١٣٧٧
 البيان والتبيين ، لمباحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الخانجي ١٣٨٨
 تاريخ ابن الأثير - الكامل
 تاريخ الإسلام ، لذهبي . القدس ١٣٦٧
 تاريخ بغداد ، للطبيب البغدادي . السعادة ١٣٤٩
 تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل . دار المعارف ١٩٦٩ م
 تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة . كردستان ١٣٢٦ م
 تحقيق النصوص ونشرها . تأليف عبد السلام هارون . الخانجي ١٣٩٧
 تحقیقات و ترميمات فی معجم لسان العرب . تأليف عبد السلام هارون . هيئة المصرية العامة ١٣٩٩
 تذكرة أولي الألباب ، لداود الأنطاكي . الشريعة ١٣١٧
 تقریب التہذیب ، لابن حجر . لکنو بالهند ١٣٢٠
 الثبيل والمحاضرة ، للشعالی . تحقيق عبد الفتاح الحموي . عيسى الحلبي ١٣٨١
 التنبيه والإشراف ، للمسعودي . الصوتي ١٣٥٧

- تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٢٧
- ثلاث رسائل للمباحظ ، تحقيق فان فلوطن . لندن ١٩٠٣ م
- ثمار القلوب ، للشعايبى . الظاهر ١٣٢٦ .
- الجامع الصغير ، للسيوطى . حجازى ١٣٥٢ .
- جمع الجواهر ، لمصرى ، تحقيق محمد على البجوى . عيسى الحلبي ١٣٧٢ .
- جهرة الأمثال ، للعسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل وقصامش . المؤسسة العربية ١٣٨٤
- جهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٩١
- جهرة اللغة ، لابن دريد . حيدر آباد ١٣٥١
- جنى الجنتين ، للمحوى . الترقى بدمشق ١٣٤٨
- جوامع السيرة ، لابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، ونصر الأسد . المعارف ١٩٥٦ م
- حاشية الصبان على الأشموني . عيسى الحلبي ١٣٦٦
- الحاسة البصرية ، لعلى بن أبى الفرج البصرى . تحقيق مختار الدين أحمد ، حيدر آباد ١٣٨٣
- حياة الحيوان ، للدميرى . صبيح بالقاهرة .
- الحيوان ، للمباحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٨٩
- خزانة الأدب ، للبغدادي . بولاق ١٢٩٩
- دائرة المعارف الإسلامية (النسخة العربية) . الاعتماد من سنة ١٣٥٢
- الدرة الفاخرة ، لحمزة بن الحسن الأصفهاني ، تحقيق عبد المجيد قطامش . المعارف ١٩٦٦ م
- دلائل الإعجاز ، لمخرجاني . المنار ١٣٣١
- الديارات ، للتايستى ، تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٣٧٣
- ديوان أمية بن أبى الصلت . بيروت ١٣٥٣
- » البحترى . هندية ١٣٢٩
- » جران العود . دار الكتب ١٣٥٠
- » جرير ، الصاوى ١٣٥٣
- » الخطيئة . التقدم ١٣٢٣
- » الحماسة ، لابن الشجرى . حيدر آباد ١٣٤٥
- » زهير بن أبى سلمى . دار الكتب ١٣٦٣
- » الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤
- » كعب بن زهير . دار الكتب ١٣٦٨
- » المعاني ، للعسكري . القدس ١٣٥٢
- » أنى نواس . العمومية ١٨٩٨ م
- رسالة بولس إلى أهل رومية (من أسفار العهد الجديد)
- رسائل المباحظ ، لحسن السندوبى التجارية ١٣٥٢
- رهر الآداب ، لمصرى ، تحقيق على البجوى . الحلبي ١٩٥٣ م
- سمر أرمياء ، لإشعيا ، للتنبية ، التكوين ، الخروج ، صمويل الثانى ، نعدد ، اللاويين ، هوشع (من أسفار العهد القديم) ..
- سمط الآلى ، لبكبرى ، تحقيق عبد العزيز عيسى . لجنة التأليف ١٣٥٤
- السنن الكبرى ، لبيهق . حيدر آباد ١٣٥٥

- السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م .
 شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، تحقيق محمد محيي الدين . حجازي ١٣٥٨
 شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢
 شرح شواهد شروح الألفية ، للعيني (بهامش خزائن الأدب)
 شرح صحيح البخاري ، للقسطلاني . بولاق ١٣٠٥
 شرح المعلقات لتبريزي ، تحقيق محمد محيي الدين . المذني ١٣٨٢
 شرح المعلقات للزوزني . السعادة ١٣٤٠
 شروح سقط الزند ، تأليف لجنة أبي اعلاء . دار الكتب ١٣٦٨
 الشراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر . المعارف ١٩٦٦
 الصاحبى ، لابن فارس ، تحقيق محب الدين الخطيب . أنويد ١٣٢٨
 صحيح البخاري . بولاق ١٣١٣
 صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . الحلبي ١٣٧٥
 صفة الصفوة ، لابن الجوزي . حيدر آباد ١٣٥٦
 طائقات القراء ، لابن الجزري ، بعناية برجستراسر . الخانجي ١٣٥٢
 العثمانية ، لملاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . دار الكتاب العربي ١٣٧٤
 عجائب المخلوقات ، للقرويني . المعاهد بالقاهرة .
 العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠
 عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٩٤٣
 الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، تحقيق عبد العليم لطحاوي . عيسى الحلبي ١٣٨٠
 فتح الباري ، شرح صحيح البخاري . لابن حجر . بولاق ١٣٠١
 الفرق بين الفرق ، للبغدادى . المعارف ١٣٢٨
 فرق الشيعة ، الوهمي . الدولة بالقسطنطينية ١٩٣١ م
 الفصل في الملل والنحل ، لشهرستاني . الأدبية ١٣١٧
 الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية بالقاهرة ١٣٤٨
 فوات الوفيات ، لابن شاكر الكنتي ، تحقيق محمد محيي الدين . السعادة ١٩٥١ م
 قاموس الأعلام ، للزركلي . العربية ١٣٤٥
 القاموس المحيط ، للديروري بادي . الحسينية ١٣٣٢
 قلائد العقيان ، للفتح بن خاقن . بولاق ١٢٨٣
 الكامل ، لابن الأثير . دار صادر ودار بيروت ١٣٨٧
 الكامل ، للمبرد ، تحقيق ولیم رايت . ايسك وكبرديج ١٨٩٢ م .
 كتاب سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧
 الكنديات ، لميرجاني . السعادة ١٣٢٦
 لسان العرب ، لابن منظور . بولاق ١٣٠٧
 لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر آبد ١٣٣٠
 المباني ، للمهون ، تحقيق آرثر جيمس . الخنعي ١٣٩٢
 مجالس تعلم ، تحقيق عبد السلام هارون . المعارف ١٣٦٩

- مجمع الأمثال ، للميداني . البنية ١٣٤٢
- مجموعة رسائل ، للجاحظ ، نشرة السامي : التقدم ١٣٢٤
- محاضرات الأدباء ، للأراغب الأصفهاني . الشرقية ١٣٢٦
- المخير ، لابن حبيب ، تحقيق إيلزة ليختن . حيدر آباد ١٣٦١
- المخصص ، لابن سيده . بولاق ١٣١٨
- مروج الذهب ، للمسمودي . السعادة ١٣٦٧
- المزامير (من أسفار العهد القديم)
- المزهر ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل وعلى البجاوي . عيسى الحلبي ١٣٦١
- المستقصى في الأمثال ، للزمخشري . بيروت ١٩٧٧ م
- مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف ١٣٧٥
- المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣
- معاهد التنصيص ، للمباني . البنية ١٣١٦
- المعتمد في الأدوية المفردة ، لابن رسولا الغساني . الميمنية ١٣٢٧
- معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣
- معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣
- معجم الحيوان ، للمعلوف . المقتطف ١٩٣٢ م
- معجم الشعراء ، للهرزباني . القدسي ١٣٥٤
- معجم العلوم الطبية والطبيعية ، لمحمد شرف . الأميرية ١٩٢٩ م
- المعجم الفارسي الإنجليزي ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية . دار المعارف ١٣٩٣
- المعبرين ، للسجستاني ، السعادة ١٣٢٣
- معنى اللبيب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محي الدين . صبيح ١٣٧٨
- مفاتيح العلوم ، للخوارزمي . محمد منير ١٣٤٢
- المفصليات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٨٣
- المباني = مقدمتان في علوم القرآن .
- مقدمتان في علوم القرآن ، تحقيق آرثر جفري . الخانجي ١٣٩٢
- الملل والنحل ، للشهرستاني . الأدبية ١٣١٧
- المواقف ، للعصدي . العلوم ١٣٥٧
- النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي . دار الكتب ١٣٤٨
- نخب الذخائر ، لابن الأكفاني ، تحقيق الأب أنستاس ماري . المصرية ١٩٣٩ م
- النزهة المبهجة ، لداود الأنطاكي ، بهامش التذكرة
- النقائض بين جرير والفرزدق ، تحقيق بيفان . ليدن ١٩٠٥ م
- نكت الحميان ، لأصفدي . القاهرة ١٩١٠
- نهاية الأرب ، للنويري . دار الكتب ١٣٤٢
- فتح الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي . السعادة ١٣٢٧
- الهوامل والشوامل ، تحقيق السيد صقر . التأليف ١٣٧٠
- وفيات الأعيان ، لابن حلكان . الميمنية ١٣١٠
- يسميه الدهر ، للثعالبي . دمشق ١٣٠٣

استدراك وتذييل

القسم الأول

ص	س	
٦٦	١٣	ينقل رقم (٧) المشير للحاشية إلى نهاية البيت .
١٠١	١٤ ح	يضاف إلى نهاية الحاشية (ص ٩٥) .
١٩٢	٦	يلغى رقم (٥) من هذا السطر ويوضع موضع (٦) في س ٨ وتسلسل الأرقام بعد ذلك ليكون آخرها رقم (٧) . وكذلك تعدل أرقام الجوائب يحد حذف رقم (٤) وتسلسل الأرقام طبقاً لما في الصلب

القسم الثاني

٣٠٥	٧	ينقل رقم (٣) ليوضع فوق كلمة « يز » في نفس السطر .
-----	---	---

صواب أخطاء الطبع

القسم الأول

أبو عيينة	ح ١	١٨٢	٧	١٧ ح	يمقدون الخرز
ما مضى في ص ١٩٩	ح ٣	٢٠٥	٣٢	٣	يعلّمهم الكتاب
وانظر لغاتها	ح ١٣	٢٤٥	٢٦	٨ ح	والتميز هنا
والجبرية	٢	٣٠٠	٦٩	١	لنعدّ خصالاً
عيسى بن مريم	١	٣٠٤	٩٩	٥	ولقيس بن زهير
لم نجعل	١١	٣٠٥	١٠٠	١٢	والتمثيل بين
وأثبت ملكته	ح ٦	٢٣٠	١٠٧	٧	اعجب
و (يد الله مغلولة)	٢	٣٣٤	١٢٥	٩	والهذ
الإباء	٩	٣٤٣	١٢٦	٧	وأجتر
كل يهودي	٢	٣٤٧	١٨١	ح ٣	قحطبة

القسم الثاني

ومضلات المني	٤	١٥٥	٧	ح ٥	بالراء المهملّة
عيينة بن حصن	٤	١٨٤	٢٠	٢	خياباً وزيداً
وأسر طليحة	٦	٢١٤	٣٨	٣	ذلك المستنبط
بعوض صفار	ح ٥	٢٦٣	١١٠	١٢	أقنع
ويُدَارِيه	١٣	٣٠١	١١٨	ح ١٠	ب : « والباد »
الاختبار والامتحان	ح ٣	٣١٩	١٢٠	٤	إتاوة قَطْ
			١٣٠	١٤	وسوء الاستمراء

فهرس الكتب والرسائل

- ١١ - الرد على المشبهة ٥
١٢ - مقالة العثمانية ١٩
١٣ - المسائل والجوابات في المعرفة ٤٧
١٤ - المعاد والمعاش ٦٩
١٥ - الجدل والهلزل ٨٣
١٦ - الوكلاء ٩٥
١٧ - الأوطان والبلدان ١٠٩
١٨ - البلاغة والإيجاز ١٥١
١٩ - تفضيل البطن على الظهر ١٥٥
٢٠ - النبل والتنبل وذم الكبر ١٦٩
٢١ - المودة والخلطة ١٩١
٢٢ - استحقاق الإمامة ٢٠٧
٢٣ - استنجار الوعد ٢١٩
٢٤ - تفضيل النطق على الصمت ٢٢٩
٢٥ - صناعة الكلام ٢٤٣
٢٦ - الشارب والمشروب ٢٦١
٢٧ - الجوابات في الإمامة ٢٨٥
٢٨ - مقالة الزيدية والرافضة ٣١١

رقم الإيداع ١٩٧٩/٤٩٨٤

المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالمعبسة

القاهرة - تليفون : ٨٢٦٢٨٠